ISSN:1858-9952

القُلزم للدراسات التاريخية والحضارية

مجلة علمية محكمة

تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر – السودان

بالتعاون مع الأتحاد الدولي للمؤرخين – الدنمارك

في هذا العدد :

- السياسة الخارجية الإيطالية في منطقة جنوب البحر الأحمر وأثرها في العلاقات الإيطالية السعودية حتى عام1942م
  د.أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس
- الوجود الهولندي في البحر الأحمر (1602 – 1815م)
  د.عادل علي وداعة عثمان
- الدول المطلة على البحر الأحمر وأهم الجزر فيها
  د.خالد عبد الله عبد ربه طوحل
- دور شريف مكة بركات بن محمد بن عجلان في مواجهة الاستعمار البرتغالي في البحر الأحمر (903 ـ 931هـ/1497 ـ 1525م)
  د.جهان إبراهيم شار علي عبد الرحيم
- البحر الأحمر ودوره في خدمة حجاج المغرب العربي
  د.ربيعة أحمد المداح
- مينائي مصوع وعصب (دراسة تاريخية)
  د.سعـــاد محمد الجفال

العدد السابع خاص ج(1)- ذو القعدة 1442هـ-يونيو 2021م

فهرسة المكتبة الوطنية السودانية-السودان
Alqulzum Journal for:مجلة القلزم
Historical and cultural Studies
الخرطوم : مركز دول حوض البحر الأحمر 2021
تصدر عن دار آريثيريا للنشر والتوزيع -السوق العربي-
السودان - الخرطوم
ردمك: 1858-9952

مجلة القلزم للدراسات التاريخية و الحضارية

هيئة التحرير

المشرف العام
الأستاذ د.إبراهيم البيضاني

رئيس هيئة التحرير
د.حاتم الصديق محمد احمد

رئيس التحرير
د. عوض أحمد حسني شبا

سكرتير التحرير
د.سلوى التجاني فضل جبر الله

التدقيق اللغوي
أ.الفاتح يحيى محمد عبد القادر

الإشراف الإلكتروني
د. محمد المأمون

التصميم الداخلي
أ. عادل محمد عبد القادر

تصميم الغلاف
ايلين عبد الرحيم ابنعوف

الهيئة العلمية و الإستشارية

أ.د. حسن أحمد إبراهيم-السودان
أ.د. سارة بنت عبد الله العتيبي- المملكة العربية السعودية
أ.د. أسامة عبد الرحمن الأمين- السودان
أ.د. أبو هريرة عبد الله محمود يعقوب- السودان
أ.د. أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس - جمهورية مصر العربية
أ.د. السماني النصري محمد أحمد - السودان
د. أحمد الياس الحسين - السودان
د. داود ساغه محمد عبد الله- السودان
د. سلطان أحمد الغامدي- المملكة العربية السعودية
د. سامي صالح عبد المالك البياضي- مصر
د. محمد أحمد زروق- المغرب
د. سعاد عبد العزيز أحمد السودان
د . أحمد محمد مركز- السودان
د. باب ولد أحمد ولد الشيخ سيديا- موريتانيا
د. عزة محمد موسى - السودان
د. حنان عبد الرحمن عبد الله التجاني- السودان
د. ربيعة أحمد عمران المداح- ليبيا

الآراء والأفكار التي تنشر في المجلة
تحمل وجهة نظر كاتبها ولا تعبر بالضرورة عن آراء المركز

موجهات النشر

تعريف المجلة:

مجلة (القُلزم) مجلة علمية مُحكمة تصدر عن مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر. تهتم المجلة بالبحوث والدراسات التي تخص حوض البحر الأحمر والدول المطلة عليه والمواضيع ذات الصلة.

موجهات المجلة:

1. يجب أن يتسم البحث بالجودة والأصالة وألا يكون قد سبق نشره قبل ذلك.
2. على الباحث أن يقدم بحثه من نسختين. وأن يكون بخط(Traditional Arabic)بحجم 14 على أن تكون الجداول مرقمة وفي نهاية البحث وقبل المراجع على أن يشار إلى رقم الجدول بين قوسين دائريين ().
3. يجب ترقيم جميع الصفحات تسلسلياً وبالأرقام العربية بما في ذلك الجداول والأشكال التي تلحق بالبحث.
4. المصادر والمراجع الحديثة يستخدم أسم المؤلف، اسم الكتاب، رقم الطبعة، مكان الطبع، تاريخ الطبع، رقم الصفحة.
5. المصادر الاجنبية يستخدم اسم العائلة (Hill, R,).
5. يجب ألا يزيد البحث عن 30 صفحة وبالإمكان كتابته باللغة العربية أو الإنجليزية
6. يجب أن يكون هناك مستخلص لكل بحث باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد على 200 كلمة بالنسبة للغة الإنجليزية. أما بالنسبة للغة العربية فيجب أن يكون المستخلص وافياً للبحث بما في ذلك طريقة البحث والنتائج والاستنتاجات مما يساعد القارئ العربي على استيعاب موضوع البحث وبما لا يزيد عن 300 كلمة.
5. لا تلتزم هئية تحرير المجلة بإعادة الأوراق التي لم يتم قبولها للنشر.

* على الباحث إرفاق عنوانه كاملاً مع الورقة المقدمة (الاسم رباعي، مكان العمل، الهاتف، البريد الإلكتروني).

نأمل قراءة شروط النشر قبل الشروع في إعداد الورقة العلمية

المحتويات

الهجرات العربية القادمة من الشرق ودورها في انتشار الإسلام في السودان (قبل الفونج).....(7-56)

د.هاجر أبو القاسم محمد الهادي

السياسة الخارجية الإيطالية في منطقة جنوب البحر الأحمر وأثرها في العلاقات الإيطالية السعودية حتى عام1942م .....(57-102)

د.أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس

الصّناعات والحِرَف في فلسطين.....(103-130)

أ.د.نعمان عاطف عمرو

الوجود الهولندي في البحر الأحمر (1602 - 1815م).....(131-148)

د.عادل علي وداعة عثمان

الدول المطلة على البحر الأحمر وأهم الجزر فيها.....(149-204)

د.خالد عبد الله عبد ربه طوحل

دور شريف مكة بركات بن محمد بن عجلان في مواجهة الاستعمار البرتغالي في البحر الأحمر (903-931هـ/1497- 1525م).....(205-244)

د.جهان إبراهيم شار علي عبد الرحيم

البحر الأحمر ودوره في خدمة حجاج المغرب العربي.....(245-276)

د.ربيعة أحمد المداح

الصراع الدولي وأثره على تحول تجارة طريق اللُبَان صوب البحر الأحمر.....(277-310)

أ. د.عبد الله أبو الغيث

مينائي مصوع وعصب(دراسة تاريخية).....(311-330)

د.سعـــاد محمد الجفال

كلمة التحرير

القارئ الكريم:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. يسرنا في مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر- السودان، وعبر مجلة القلزم للدراسات التاريخية والحضارية التي تصدر بالتعاون مع الاتحاد الدولي للمؤرخين- الدنمارك. أن نضع بين يديك العدد السابع من المجلة التاريخية والحضارية، وهو عدد (خاص) تم تخصيص مواضيعه وبحوثه للبحر الأحمر ودوره في التنافس الإقليمي والدولي، والتواصل الحضاري.

القارئ الكريم:

يأتي هذا العدد في إطار مجهودات المركز الرامية للبحث والتنقيب في البحر الأحمر بكل فروع المعرفة فيه. وهذه البحوث ثمرة مجهود بحثي كبير ونواة لموسوعة البحر الأحمر المشروع الذي يعكف المركز على إنجازه بالصورة التي تلبي طموحات وتطلعات المختصين والباحثين والمهتمين بالبحر الأحمر. ويتمدد خالص شكرنا وامتناننا لجميع الخبراء والمفكرين الذين أسهموا في أن يرى هذا العدد النور من السودان، وجمهورية مصر العربية، والمملكة العربية السعودية واليمن، وفلسطين، وليبيا.

القارئ الكريم:

نأمل أن يكون هذا العدد بداية لانطلاقة علمية لإعداد بحوث ودراسات تهتم بالبحر الأحمر، ونفخر في مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر- السودان بالعمل على هذا المشروع الكبير.

أسرة التحرير

الهجرات العربية القادمة من الشرق ودورها في انتشار الإسلام في السودان (قبل الفونج)

د.هاجر أبو القاسم محمد الهادي
أ. مشارك - جامعة أم درمان الأهلية

المستخلص:

اشتمل البحث على لمحة جغرافية لبلاد السودان إذ تعتمد الدراسة التاريخية لأي منطقة على المقومات الجغرافية لها وشملت الدراسة أثر هذه المقومات على جذب المهاجرين العرب واستقرارهم فيها في الفترة التي سبقت قيام دولة الفونج . كما أشارت الدراسة إلى أهمية المعابر التي دخل عن طريقها العرب من الجزيرة العربية إلى مناطق شرق ووسط السودان بالتركيز على المعبر الشرقي ودوره في تسهيل انسياب حركة الهجرات العربية.وألقت الدراسة الضوء على أهم القبائل العربية التي دخلت عبر الطريق الشرقي وتأثيرها على السكان المحليين والتحولات التاريخية في تلك المناطق، كما ناقشت الدراسة أثر تدفق الهجرات العربية على السودان لتأكيد دور هذه القبائل في المناطق الشرقية والوسطى قبل دخول المسلمين الى بلاد النوبة، أضف إلى ذلك الأسباب السياسية والاقتصادية في منطقة الجزيرة العربية التى كانت من أقوى الأسباب لدفع هؤلاء العرب نحو السودان. وبينت الدراسة دور العلماء الوافدين والتجار في نشر الإسلام بين السكان المحليين، وكيف أدى انصهار العرب وتزاوجهم بالسودانيين بصورة تدريجية إلى تكوين إمارات إسلامية كان لها الدور المعظم في اتساع دائرة انتشار الإسلام قبل القرن السادس عشر الميلادي.

Abstract:

The research included a geographical glimpse of the country of Sudan، as the historical study of any region depends on its geographical features. The study included the effects of those components on attracting Arab immigrants and their settlement therein the period before the establishment of the Funj State. The study also indicated the importance of the crossings through which Arabs entered from the Arabian Peninsula to the eastern and central regions of Sudan، focusing on the eastern crossing and its role in

facilitating the flow of Arab migrations. The study highlights the most important Arab tribes that entered through the eastern road and its impact on the local population and historical transitions in those areas، the study also discussed the impact of Arab migrations flow on Sudan to confirm the role of immigrant tribes in the eastern and central regions before entrance of the Muslims into the Nuba. In addition political and economic reasons in the Arabian Peninsula region، which were among the strongest reasons for pushing these Arabs towards Sudan.The study showed the role of foreign scholars and merchants in spreading Islam among the local population، and how the assimilation of Arabs and their intermarriage with the Sudanese gradually led to the formation of Islamic Emirates that had the greatest role in the expansion of Islam before the sixteenth century AD.

المقدمة:

خرجت العديد من القبائل من شبه الجزيرة الجزيرة العربية ذلك المستودع البشري الهائل إلى المناطق المجاورة بسبب الأحوال الاقتصادية في الجزيرة، وقد بدأت هذه الهجرات العربية في الوفود إلى السودان منذ وقت مبكر، وقد كانت هناك دوافع وأسباب كثيرة أدت إلى هجرات القبائل العربية منها اقتصادية ومنها سياسية أو عسكرية أو دعوية، ومهما تكن أسباب هذه الهجرات فإنها قد أحدثت تحولات كبيرة في المناطق التي استقرت فيها.

وتأتي أهمية انتشار الإسلام في السودان قبل دولة الفونج في أن هذه الفترة الزمنية يشوبها شيء من الغموض وندرة الكتابات والوثائق، لذلك اختار الباحثة الكتابة في هذا الموضوع لاستكمال التوثيق العلمي لتلك الفترة حيث هناك العديد من المراجع في فترة تاريخ السودان القديم والممالك المسيحية، كما هناك العديد من المراجع والمصادر المتعلقة بفترة الفونج وما بعدها وذلك من خلال اطلاعي على المصادر من خلال دار الوثائق القومية فنأمل أن تكون هذه الأبحاث هي إضافة حقيقية للمكتبات السودانية والإسلامية.

ومن أهم الدراسات السابقة التي تناولت انتشار الإسلام في السودان مؤلفات مصطفى محمد مسعد ومؤلفات مكي شبيكة ونعوم شقير، ويوسف فضل حسن – وغيرهم من الكتاب والباحثين الذين تناولوا هذا الموضوع وآمل أن يكون البحث مكملاً حقيقياً لما كتب عن هذه الفترة.

أما المصادر التي اعتمد عليها الباحث هي كتب االمسعودي واليعقوبي وابن حوقل وابن بطوطة وابن خلدون وغيرهم ممن كتب عن هذه الفترة التاريخية.

أما المراجع الحديثة فهناك العديد من المراجع أهمها مؤلفات مصطفى محمد مسعد ويوسف فضل حسن ومراجع انجليزية ومترجمة كمؤلفات تريمنجهام وماكمايكل كنماذج لمؤلفين أجانب كتبوا عن تاريخ السودان وقد استخدمت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي التاريخي وهو المنهج الأمثل لكتابة مثل هذه الأبحاث التاريخية. واشتملت الدراسة على المقومات الجغرافية لبلاد السودان ثم عوامل دخول الإسلام إلى السودان وهي الطرق والمعابر بالتركيز على المعبر الشرقي وأثره في تسهيل وجذب الهجرات العربية،وتناولت الدراسة تأثر بلاد السودان بالقبائل العربية الوافدة من الشرق، وحركة العلماء والتجار مما ادى إلى الانصهار والاندماج نتج عنه تكوين إمارات ودويلات ساهمت بدور كبير في نشر الإسلام وانتهت بظهور مقومات ونذر قيام دولة الفونج الإسلامية.

آمل أن يستفيد من هذه الدراسة الباحثون وأن تكون مفتاحاً لأبحاث أخرى في مجال انتشار الإسلام في السودان.

جغرافية السودان:

لدراسة تاريخ أي منطقة أو دولة لا بد من الإشارة إلى جغرافيتها، وذلك لأن الجغرافية هي التي تحدد النشاط البشري وتتحكم في حياة الإنسان سلباً وإيجاباً، ولما كان عنوان الدراسة هو دور الهجرات القادمة من الشرق في انتشار الإسلام في السودان قبل الفونج لزم الإشارة إلى جغرافية هذه البلاد من حيث حدودها وامتدادها والمقومات الجغرافية فيها.

أطلق الجغرافيون المسلمون في القرون الوسطى اسم السودان على البلاد التي تمتد من الحزام الإفريقي إلى جنوب الصحراء، من ساحل البحر الأحمر شرقاً حتى المحيط الأطلسي غرباً، وشاع هذا الاسم عند الإدريسي والمسعودي وابن خلدون والمقريزي، ثم اختصر اسم السودان على الجزء الشرقي منها الذي يعرف بالسودان النيلي، ويقع جنوب مصر، ويمثل قطاعاً مهماً في إقليمين إفريقيين هما حوض النيل والإقليم السوداني الطبيعي.

أما حوض النيل فهو المنطقة التي تلتقي عندها المياه القادمة من هضبة الحبشة شرقاً ومياه البحيرات القادمة من الجنوب ويسيران معاً في النيل الرئيسي صوب الشمال ويحد السودان شمالاً مصر وجنوباً كينيا وأوغندا والكنغو وشرقاً إثيوبيا وإريتريا وغرباً إفريقيا الوسطى وتشاد وليبيا[1].

وبالرغم من أن التعبير العربي (بلاد السودان) يشمل معظم إفريقيا جنوب الصحراء إلا أن الاسم السودان أصبح يطلق على المنطقة المتوسطة التي تقع بين المجموعة الحامية لشمال إفريقيا والمجموعة الزنجية في وسط إفريقيا[2].

والسودان كلمة عربية مشتقة من تعبير بلاد السود وهو اللفظ الذي كان يطلقه العرب في العصور الوسطى على سكان الأقاليم المتسعة من إفريقيا فيما وراء الصحراء الكبرى، وهو ما لاحظه العرب على لون البشرة الغالب على سكان هذا الإقليم الكبير، وهكذا كان استخدام اللفظ على نفس نمط لفظ إثيوبيا الذي استخدمه هومر وهيرودوت إشارةً إلى الأراضي التي يسكنها الأثيوبيون – أي أصحاب الوجوه المحترقة أو السوداء[3].

والسودان جمع أسود، وبلاد السودان هي التي يقطنها السود من إفريقيا، وقد جرت العادة أن يطلق هذا اسم على البلاد التي تمتد من الرأس الأخضر في المحيط الأطلسي إلى مدينة مصوع على البحر الأحمر، وقد كانت تسمى عند قدماء المصريين باسم تانحسو أي أرض السودان، وقد تعتبر الحد الفاصل بين مصر والسودان في عهود مختلفة من تاريخ السودان[4].

وهناك حقيقة أساسية هي أن حدود الدولة تتغير وفقاً لسياسات الأنظمة المتعاقبة، وقد تتوسع حدود الدولة أو تنكمش وفقاً لسياسة الدولة في الفترة التاريخية المعينة، لذلك تغيرت حدود السودان وأخذت أشكالاً مختلفة منذ العصور القديمة مروراً بالعصور الوسطى والحديثة، حتى الحدود القومية التي رسمها المستعمر تغيرت في الوقت الحالي وذلك بعد انفصال جنوب السودان.

أما سكان السودان أو النوبيون فهم خليط من الزنوج والقوقازيين، ومن البجة الذين سكنوا الصحراء الشرقية بين النيل والبحر الأحمر، وهؤلاء من أصل حامي، والغالبية جاءوا من جزيرة العرب إلى مقرهم هذا في العصور القديمة، وهم يشبهون في شكلهم قدماء المصريين الذين عاشوا قبل عهد الأسرات، وأشهر قبائلهم البشاريين والأمرأر والهدندوة والبني عامر، بالإضافة إلى الزنوج وهم سكان إفريقيا الأصليين الذين اتصلوا في العصور القديمة عن طريق الجوار والمصاهرة بجماعات غير زنجية فامتزجت دماؤهم فأصبح من العسير الحكم على نقاء دمائهم من عناصر أجنبية[5].

أما من ناحية الطبيعة الجغرافية فالسودان يغلب عليه الطابع السهلي حيث تسوده سهول متسعة تمتد من الصحراء في الشمال إلى حدود الغابة الاستوائية في الجنوب، وتمتد هذه السهول ما بين الهضبة الإثيوبية والحدود

الغربية، وتبرز فوق هذه السهول بعض المرتفعات الجبلية مثل جبل مرة في الغرب، ومرتفعات جبال النوبة في الوسط، كما يمتد نطاق طويل من الكثبان الرملية بين هذه المرتفعات، وتمتد سلسلة جبال البحر الأحمر بمحاذاة الساحل شرقاً، ويعبر سهول السودان نهر النيل وفروعه التي تنبع من خارج السودان ويمتد النيل بعد التقاء فروعه نحو الشمال باسم النيل النوبي، ولكن سرعان ما تعترضه بعض العقبات تعرف باسم الجنادل أو الشلالات التي تبدأ بخانق السبلوقة شمال الخرطوم وتنتهي بجندل أسوان في الشمال، وتعتبر أراضي الجزيرة ما بين النيل الأزرق والأبيض أخصب أراضي السودان لزراعة المحاصيل والقطن، ويغلب على الجزء الشرقي التلال المرتفعة التي تحصر بينها وبين البحر سهلاً ساحلياً يبلغ أقصى اتساع له في الجنوب في دلتا طوكر ودلتا خور بركة ويضيق كلما اتجهنا شمالاً، وفي الغرب تنحدر من هضاب دارفور ثلاثة أودية هي هور وكو وأزوم[6].

أما المناخ فيتدرج ما بين الظروف المدارية الرطبة في الجنوب إلى الظروف الصحراوية الجافة في الشمال، كما أن موقعه في شرق إفريقيا يجعله بعيداً عن التأثيرات الحرارية المحيطة، ويتميز بارتفاع درجات الحرارة بشكل عام، وتعد الأمطار من أكثر عناصر المناخ أهمية في سهول السودان، وتتزايد كميتها بالتدريج من الشمال إلى الجنوب[7].

وتنقسم السنة في السودان إلى فصلين أولهما صيف حار تتساقط أثناءه أمطار في هيئة زخات سيلية مصحوبة بعواصف رعدية، وثانيهما شتاء جاف بارد نسبياً، وأدى نظام سقوط المطر إلى ارتباط النبات الطبيعي به حيث ظهر نطاق حشائش السافنا القصيرة في وسط السودان، وفي الجنوب تزداد الغابات وحشائش السافنا البستانية[8].

الطرق والمعابر التي دخل بها العرب والمسلمون السودان:

الصلات العربية الإفريقية قديمة، فلقد بلغت الهجرات العربية مداها في عهد مملكتي معين وسبأ قبل الميلاد بسبعة قرون، كما نشطت حركة التجارة بين العرب وإفريقيا في زمن البطالمة والرومان. توالت هجراتهم نحو إفريقيا ونتج عن ذلك قيام دولتي الحبشة وأكسوم. استمر العرب المهاجرون يتجهون نحو قلب القارة ووصل بعضهم إلى أرض البجة. وشهدت العصور الأولى شعوباً وقبائل سامية تتجه نحو إفريقيا، ونتيجة لهذه الهجرات تزايدت الهجرات العربية في المناطق الإفريقية. وعلى وجه الخصوص في منطقة القرن الإفريقي ووادي النيل والشمال الإفريقي. وقد سلكت هذه القبائل عدة معابر وطرق مختلفة في طريقها إلى وادي النيل وقلب القارة الإفريقية حيث تهيأت لها ظروف الاستقرار والإقامة.

هنالك العديد من المعابر التي سلكتها القبائل العربية إلى داخل إفريقيا عبر عصور وأزمنة طويلة[9]. وظلت الجزيرة العربية هي المصدر الوحيد لتلك الهجرات إلى حوض النيل الأوسط عبر البحر الأحمر مباشرةً وهناك ثمة رأي يقول: (هناك ثلاثة أبواب دخلت منها الدماء العربية ومعها الثقافة العربية إلى السودان: فالباب الشرقي من السودان كان واحداً من هذه الأبواب، والباب الثاني هو الباب الشمالي في وسط السودان والذي يفضي إلى مجرى النيل، أما الباب الثالث فهو الطريق الشمالي الغربي أو الطريق الليبي، ولعل هذا الباب لم يكن مصدراً للثقافة العربية إلا بعد الإسلام)[10]. يعني هذا أن كلًا من الجزيرة العربية ومصر كانا مصدراً للهجرات العربية التي حملت الثقافة الإسلامية إلى أرض النيل الأوسط.[11].

كانت السويس من أهم المعابر التي سلكتها الهجرات إلى إفريقيا وصولا إلى مصر والسودان ومنها إلى بقية أجزاء في القارة. وكان لهذا المعبر أهمية بشرية لها خطورتها باعتباره الطريق البري الوحيد الذي يربط بين شطري الوطن العربي والإسلامي في آسيا وإفريقيا ومن هذا الطريق عبرت القبائل ووصلت عبر هذا الطريق والمسالك الصحراوية الأخرى إلى وسط إفريقيا. ولا شك أن هذه الهجرات والحركات البشرية من آسيا كان لها أعظم الأثر في تعمير إفريقيا، كما أن الهجرات العربية السابقة لظهور الإسلام مهدت الطريق فيما بعد لدخول الإسلام إلى إفريقيا.

والطريق الشمالي وهو طريق برزخ في السويس، فهو ذو دور خطير في تاريخ العلاقات بين سكان الجزيرة العربية وسكان وادي النيل الأدنى، منذ فجر التاريخ ولم تخل الآثار المصرية القديمة من الإشارة إلى بدو سيناء – فلسطين وسوريا وغيرهم من العرب الشماليين الذين عرفتهم مصر منذ عهد الأسرات الأول إما تجاراً يختلفون إلى الأسواق المصرية أو غزاة كالهكسوس، أو مهددين لمصالح الامبراطورية المصرية في سورية أو لاجئين يرغبون العيش في كنف الفراعنة وطبعت هذه العلاقات اللغة المصرية بالطابع السامي[12]. كانت مصر وحضارتها القديمة من أكبر المؤثرات على بلاد النوبة نتيجة اتصال طبيعي وهجرات بشرية وتبادل تجاري قديم بين البلدين، فقد ارتبط السودان بمصر منذ أقدم العصور، وكان هذا الارتباط وليد عوامل طبيعية واقتصادية واجتماعية، ولعب البحر الأحمر دوره كحلقة وصل بين مصر والسودان وبين شبه الجزيرة العربية كانت مصر هي أكثر الطرق عبوراً إلى وادي النيل، فكانت سيناء هي القنيطرة المفتوحة للهجرات العربية إلى مصر ومنها جنوباً إلى السودان.

أهمية المعبرالشرقي:

لقد كان معبر باب المندب منذ أقدم العصور يمثل- مصدراً أساسياً للهجرات البشرية حيث انتشر سكان الجنوب الغربي للجزيرة العربية على السواحل الشرقية للقارة الإفريقية ثم اتجهوا بعدها شمالاً وغرباً بحيث استقرت منهم جماعات عربية في بلاد الحبشة والسودان، وتسربت أعداد منهم بعد ذلك غرباً وعليه فقد كان طريق باب المندب من أهم طرق الهجرة وكذلك أهم طرق التبادل التجاري والحضاري قبل الإسلام حيث ترك عرب الجنوب في الجانب الإفريقي أثرهم الحضاري والثقافي والعمراني إذ إن عرب اليمن قد هاجروا إلى الحبشة وهضبتها ونشروا فيها ثقافتهم العربية إذ يرجع الاتصال بين اليمن والحبشة إلى وقت بعيد فقد تدفق المهاجرون الساميون من هناك تارة غزاة وتارةً تجاراً وطوروا مع الوقت حضارة إثيوبية فيها الكثير من السمات العربية ترجع إلى القرن الرابع الميلادي ولم يقتصر تأثير هذه الهجرات على الحبشة وحدها وإنما وصل إلى داخل حدود السودان ونتيجة لهذه الهجرات تزايدت أعدادهم وكونوا مراكز تجارية في مناطق متفرقة، وتشير الروايات إلى قيام الحميريين بحملات عسكرية في وادي النيل وشمال إفريقيا وأن هذه الحملات تركت جماعات استقروا في بلاد النوبة والبجة وشمال إفريقيا؛ وإن هؤلاء الحميريين ورثوا حكم هذه البلاد نتيجة للمصاهرة التي تمت بينهم وبين حكام هذه البلاد فورثوا الملك وفقاً لنظام التوريث بالأمومة الذي يورث ابن الأخت أو ابن البنت[13]. والباب الشرقي قديم، فقد ولج منه العرب إلى شرق السودان وقد كثر دخول العرب عن طريق البحر الأحمر، فقد عثر على بعض الشواهد في مقابر المسافرين من العرب في هضاب البحر الأحمر التي يرجع تاريخها إلى سنة 900هـ - وهي أقدم النقوش العربية في السودان[14]، فقد عرف عرب مناطق شرق السودان قبل الإسلام ووصلوا مصر والسودان للتجارة، باحثين عن الذهب والعاج والبهارات وغيرها، وكثيراً ما عبروا بوغاز باب المندب أو برزخ السويس والبحر الأحمر، وقد استقر بعض هؤلاء دون شك في البلاد[15]، كما أن الرابطة كانت بين ساحلي البحر الأحمر قوية منذ أقدم العصور عن طريق باب المندب الذي لا يتجاوز عرضه عشرة أميال، وإذا عرفت أن هذا البوغاز كان قريباً لشرق إفريقيا بالسودان سهل علينا أن ندرك كونه معبراً رئيساً للسودان في تلك العصور الجاهلية. ولما كانت صلة النوبيين بالعرب قديمة ترجع إلى ما قبل ظهور الإسلام وتؤيد هذه الحقيقة الحقائق الجغرافية والروايات التاريخية ذلك أن البحر الأحمر لم يكن في وقت من الأوقات يمنع الاتصال بين شواطئه الآسيوية والإفريقية. ولا يزيد اتساع

البحر على المائة وعشرين ميلاً عن السودان وليس من الصعب اجتيازه بالسفن الصغيرة وفي الجنوب يضيق البحر الأحمر جداً عند بوغاز باب المندب حتى لا يزيد على عشرة أميال وهو الطريق الذي سلكته الأجناس والسلالات إلى القارة الإفريقية منذ عشرات الآلاف من السنين[16].

لم يكن البحر الأحمر يمثل عقبة أمام الاتصال بين الجزيرة العربية ووادي النيل ومنطقة شرق القارة كانت بلاد اليمن وما يليها مصدراً لهجرات عديدة أثرت تأثيراً بالغاً في الهضبة الحبشية وأعالي النيل الأزرق ونهر عطبرة، وارتريا وسواحل السودان الشرقية، ومن هنا كان للبحر الأحمر دور مهم في الربط بين قارتي آسيا وإفريقيا لأنه لم يكن منطقة عازلة بين القارتين بل كان دائماً حلقة اتصال عميقة منذ وجد الإنسان على ظهر الأرض، وكان إقليم الحجاز على صلة قوية بالشاطئ الإفريقي الغربي المقابل قبل ظهور الإسلام. وكانت وسيلة العرب لعبور البحر الأحمر هي السفن الصغيرة التي تستطيع اجتياز البحر بسهولة، لذلك يعتبر البحر الأحمر من أهم المعابر إلى إفريقية وخصوصاً إلى السودان الشرقي[17].

فقد يذكر ابن بطوطة أنه عندما وصل إلى جزيرة سواكن وجدها تحت حكم شريف مكي آلت إليه من قبل البجة أخواله، وله جيش مؤلف من البجة وأولاد كاهل وعرب جهينة، وهنا يدل هذا النص على وصول عدد غير يسير من عرب الحجاز، ووصلت جهينة عن طريق الشرق[18].

كانت أولى الهجرات الإسلامية التي قامت في فجر الإسلام هي هجرة العرب المسلمين إلى الحبشة مخافة الفتنة وفراراً إلى الله بدينهم، ويرجح أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد نصح أصحابه بالهجرة إلى الحبشة نظراً لمعرفة العرب بأرض الحبشة خلال الاتصالات القديمة، والحبشة في ذلك الحين كانت تمثلها مملكة أكسوم، التي تمتد من الحبشة إلى داخل الأراضي السودانية، وقبائل هذه البلاد كانوا من الأحباش والبني عامر والحلنقة والهدندوة مما يفسر أن الإسلام دخل هذه المنطقة منذ زمن مبكر أي منذ أن كانت الدعوة في أطوارها الأولى أي أن بلاد السودان الشرقي كانت أسبق بمعرفة الإسلام من المدينة المنورة.

وكانت أقوام من ربيعة وهوازن وجهينة وبني الكنز قد قدموا إلى هذه البلاد وظهر من بينهم علماء وفقهاء عنوا بحفظ كتاب الله وتجويده وتفسيره وانتشر الإسلام والقرآن على أيديهم[19].

ويؤكد محمد عوض في كتابه أن الجغرافية ساهمت في هجرة العرب في قوله: أهم الحقائق الجغرافية هي قرب السودان من الجزيرة العربية إذ لم

يكن البحر في أي وقت من الأوقات حاجزاً يمنع الاتصال بين الشواطئ الآسيوية العربية وبين الشواطئ الإفريقية، ولا يكاد اتساع البحر الأحمر يزيد على المائة والعشرين ميلاً مما يسهل اجتيازه بالسفن الصغيرة وجميع الكتاب يسلمون بأن الاتصال بين الأطراف الجنوبية لجزيرة العرب وبين السواحل الإفريقية التي تقابلها، أمر قديم وقد تدفقت العديد من السلالات والأجناس من هذا الطريق إلى القارة الإفريقية منذ عشرات الآلاف من السنين[20].

كان للهجرات العربية إلى السودان منافذ في الشرق والشمال والشمال الغربي، فمن الشرق نزحت بعض القبائل العربية وسكنت على الساحل الشرقي المقابل للجزيرة العربية أو تجاوزته إلى السودان الأوسط والسودان الغربي ونزح بعضها من الشمال عن طريق وادي النيل وهو الذي أدى إلى تكوين القبائل العربية التي تعيش حول نهر النيل في شمال السودان ووسطه[21]، كما نزح بعضها من الشمال الغربي أو الطريق الليبي الذي كان مصدراً لكثير من الهجرات القديمة والحديثة.

وبذلك كان لهذه الهجرات ثلاث منافذ رئيسية، لعل أقدمها طريق الشرق ثم طريق الشمال، أما الطريق الثالث وهو الليبي ولعله لم يكن مصدراً للثقافة العربية إلا بعد الإسلام[22]. ولعل ما يهمنا هنا هو المعبر الشرقي ودراسة أثر هذا المنفذ في وصول الهجرات العربية إلى بلاد السودان الشرقي والأوسط.

ولما كانت هذه المعابر والطرق هي التي سهلت الهجرات العربية إلى السودان وكان دخول الإسلام إلى السودان عن طريق هؤلاء العرب، كان لا بد من دراسة هذه الهجرات والقبائل التي ساهمت في نشر الإسلام عن طريق مساكنة ومجاورة ومصاهرة السكان الوطنيين في ذلك الوقت.

الهجرات العربية ودورها في نشر الإسلام:

ولعل من أهم أسباب انتشار الإسلام في السودان بعد المعابر والطرق هو تلك الهجرات العربية التي قدمت إلى السودان، حملت معها العروبة والإسلام. لقد كانت العديد من المناطق في القرن الإفريقي ووادي النيل والشمال الإفريقي مناطق شبه عربية قبل ظهور الإسلام، بل أن هذه المناطق قد قطعت المراحل الكبيرة في طريق عروبتها قبل آلاف السنين، وتعربت لغة وجنساً ولكن العامل الحاسم في عروبة هذه المناطق قد بدأ بظهور نور الإسلام وانتشاره في أنحاء شبه الجزيرة العربية، ذلك لأنه كان لظهور نور الإسلام وانتشاره آثار عظيمة ونتائج باهرة في تاريخ العرب والمسلمين، فقد أمدت الرسالة الإسلامية السماوية الأمة العربية بسياج فكري ودينى ساعدهم على خلق وحدة إسلامية تمثلت في

إنشاء خلافة عظيمة تحت لواء الإسلام وراية القرآن، فخرجت موجات عربية متتابعة تدعو إلى الدين الجديد وتسلك نفس الطرق التي سلكتها الهجرات السابقة إلى وادي النيل وبقية المناطق الإفريقية. وأحدثت تغييرات مهمة في وادي النيل وشمال إفريقيا مما أدى إلى ارتباط ثقافي وفكري واجتماعي ببقية الوطن العربي. والعروبة تشتمل على عناصر عديدة، نكتفي بثلاثة عناصر، وهي:

أولاً: النسب العربي أو الدماء العربية أي أن تكون الجماعة أو القبيلة لها صلة نسب عربي أو تنتمي إلى أصل عربي قديماً أو حديثًا من الجزيرة العربية وسكانها.

ثانياً: الديانة وهي في هذه الحالة الإسلام، الدين الحنيفي، الذي حمل رسالته النبي العربي (ﷺ) في القرن السابع الميلادي وانتشر على يد العرب على سائر الأمصار وكان دعاته في القرون الأولى، وفي معظم القرون التالية من العرب أنفسهم.

ثالثاً: اللغة العربية التي انتشرت بانتشار العرب واقتبستها شعوب كثيرة صاهرت العرب واتصلت بهم وأصبحوا بفضل هذا الاتصال وتلك المعاشرة يمثلون ركناً أساسياً من أركان العروبة.

وتعتبر هذه العناصر الثلاثة قد أثرت في السودان تأثيراً واسعاً وعميقاً بحيث عمت جميع أرجائه عدا الأطراف الجنوبية التي كانت إلى وقت قريب – في عزلة عن السودان ولم تصل إليها العروبة إلا في وقت متأخر[23].

ويمكن أن نقسم مظاهر انتشار العروبة إلى ثلاثة أقسام:

1. جماعات اعتنقت الإسلام واتصلت بالنسب العربي اتصالاً وثيقاً ولكنها احتفظت بلغتها الأصلية بعد أن دخلتها ألفاظ ومفردات وتراكيب عربية كثيرة وهؤلاء هم النوبة والبجة وسكان الجبال في دارفور وهي جهات تمتاز بالعزلة ولا يسهل التوغل فيها ومع ذلك فإن السلالة العربية قد تغلغلت فيها، وقد كان من سياسة بعضهم، وحباً في سهولة نشر الإسلام أن يتعلموا لغة البجة مثلاً حتى يخالطوا السكان بسرعة ويؤثروا فيهم.
2. جماعات ظهرت فيها الثقافة والدماء العربية على ثقافتها القديمة ونسبها الأول، ومع ذلك لا يزال علماء الأجناس ينسبونهم إلى العنصر الحامي القديم مثل العبابدة وينسبونهم إلى البجة والمحس سكان جزيرة توتي والنيل الأزرق فهؤلاء لم يبق لهم من نسبهم القديم سوى الاسم.
3. جماعات عربية تسودها الدماء العربية والإسلام واللغة العربية والتي ليس لها نسب آخر أو ثقافة أخرى وهذه هي الجماعات الأكثر عدداً والتي يغلب انتشارها في السودان اليوم[24].

لقد بدأت الهجرات العربية إلى وادي النيل والشمال الإفريقي منذ وقت بعيد، ولكن العامل الحاسم في عروبة هذه المناطق بدأ بظهور نور الإسلام الذي كان له آثار عظيمة فقد وحد العرب تحت لواء الإسلام، فخرجت موجات متتابعة من العرب والمسلمين تدعو إلى الدين الجديد وكان من الطبيعي أن تسلك هذه الهجرات نفس الطريق الذي سلكته الهجرات العربية السابقة للإسلام.

وكانت الهجرة الأولى للمسلمين عندما تعرض المسلمين الأوائل لإيذاء قريش مما دفع رسول الله ﷺ للتفكير في هجرة أصحابه إلى الحبشة، وبعدها توالت هجرات المسلمين العرب إلى إفريقيا.

ولما كانت مصر قد ارتبطت بالجزيرة العربية وشعوبها من قبل الإسلام بعلاقات ودية والدليل على ذلك أن المقوقس حاكم مصر أهدى إلى الرسول (ﷺ) هدية رداً على دعوته له للإسلام، كما أسلم بعض المصريين قبل أن ينجح عمرو بن العاص في تحرير مصر من الحكم البيزنطي في عام 20 ت641-م[25].

وإذا تتبعنا النشاط الإنساني خارج السودان أو حوله والمؤثرات المباشرة على الحياة السودانية فإن الحوادث اليومية كانت متأثرة بهجرات العرب إلى السودان وذلك يرتبط بمجرى الحياة السياسية في البلاد العربية وبالأخص يرتبط فيها بتاريخ الدولة الأموية والعباسية والفاطمية وأثر هذه الأنظمة السياسية وانعكاساتها على حركة الإسلام والتوسع العربي في مصر ومن ثم السودان، ومن خلال الأوضاع السياسية للدولة الإسلامية نستطيع أن ندرك سبب انتشار العرب المسلمين والدوافع السياسية والمذاهب الدينية وأثرها في دخول العرب والمسلمين إلى السودان[26].

في خلال القرون السبعة التي تلت فتح العرب لمصر وتوقيعهم لعهد النوبة إثر هجومهم على دنقلا في عام (651-652م) تسرب العرب جماعات وأفرادا في يسر وبطء إلى بلاد البجة ومملكتي (المقرة وعلوة) المسيحيتين سعياً وراء المرعى وطلباً للتجارة، وكان توغلهم هذا عن طريقين أساسيين أولهما من مصر عن طريق نهر النيل وثانيهما من الحجاز عن طريق البحر الأحمر عن طريق موانئ باضع وعيذاب وسواكن التي كان منشؤها وازدهارها متصلاً إلى حد ما بهيمنة العرب والمسلمين على مناجم الذهب والزمرد في الصحراء الشرقية أو ما عرف بأرض المعدن، واشتغالهم بنقل البضائع الهندية والحجيج بين صعيد مصر وتلك الموانئ[27].

إن المؤثرات العربية قد وجدت في الحبشة قبل الإسلام بعشرة قرون، ومنها الرواية التي تشير إلى أن عمرو بن العاص ﷺ كان في الإسكندرية قبل الإسلام في تجارة، وكيف أن القبط قد تنبأوا له بأنه سيكون حاكم مصر[28]. وهذا يدل على أن العلاقات مع إفريقيا كانت متوطدة مع جزيرة العرب سواء في اليمن أو الحجاز أو مصر.

أما بعد الإسلام فقد نالت إفريقيا نصيبها الأوفر من الاهتمام وأن دعوة الإسلام قد دخلت إفريقيا منذ السنة الخامسة للبعثة النبوية وذلك قبل أن تصل يثرب مدينة الرسول (ﷺ) [29].

وهناك من يزعم أن السودان لم يعرف العروبة إلا منذ خمسة قرون مضت أو أكثر قليلاً، أما قبل هذا التاريخ، فقد كان السودان لا يعرف إلا العناصر الزنجية والحامية وغيرها من العناصر الإفريقية، فكان أصحاب هذا

الزعم يرون أن السودان عرف العروبة والإسلام في وقت واحد تقريباً، وهذا زعم خاطئ، وقد أثبت ماكمايكل أن العروبة كانت معروفة في مناطق سودانية قبل الإسلام بعدة قرون. والدليل على ذلك أن التجارة منذ أقدم العصور كانت معروفة ومتداولة بين بلاد العرب وموانئ مصر والسودان والحبشة إذ ازدهرت بينهم تجارة الصمغ واللبان والعاج والذهب[30]. ولاحظ عدد من الباحثين أن هنالك بعض الأماكن على الساحل الإفريقي للبحر الأحمر أو قريباً منه تحتفظ بأسمائها العربية الدالة على نظائر لها في بلاد العرب مثل: نجران التي كانت الاسم القديم لمملكة بلو في شرق السودان، والبلو في بعض الروايات السودانية الوطنية قوم من العرب وفدوا على السودان قبل الفتح الإسلامي. وربما كانت سوبا باسم آرامي الأصل، ومحرفاً من سبأ التي نجد لها نظيراً في جنوب بلاد العرب. وأيد الدكتور عوض فكرة قدم العروبة في السودان بقوله: من الخطأ ما يذهب إليه بعض الكتاب من أن انتشار العروبة في السودان لم يبدأ بصفة جدية إلا بعد اتمام فتح دنقلا في أوائل القرن الـ14 أي أنه يرجع إلى خمسة قرون مضت، وأصحاب هذا الرأي يتوهمون أن انتشار العروبة لا يتم إلا بعد تأسيس دولة عربية فيخلطون بين السياسة والعروبة[31].

قد حاول بعض الكتاب من غير أبناء وادي النيل أن يطعن في صحة النسب العربي لقبائل السودان زاعماً أنهم إما حاميون أو مستعربون أو زنوج مستعربون، نعم هناك عناصر حامية مثل البجة والنوبة استوطنت السودان منذ القدم وأن كثيراً من القبائل العربية قد اندمج فيها كثير من الدماء الحامية القديمة، ولكن الدماء العربية قد تغلبت على مضى القرون وسادت العروبة ثقافةً ونسباً ولحماً ودماً.

وقد جاءت هذه القبائل العربية إلى السودان منذ وقت مبكر ولأسباب عديدة منها الأسباب الاقتصادية والتجارية حيث تتوفر مقومات العيش الرغيد والاستقرار ومنها لأسباب سياسية متمثلة في الحكومات المتعاقبة التي توالت على مصر والمنطقة العربية بأشملها.

1- الأسباب الاقتصادية للهجرة:

وقد استقرت جماعات عربية وقبائل عديدة في السودان الشرقي، وذلك لأسباب عديدة بعضها سياسي وبعضها اقتصادي، فالأسباب الاقتصادية كان أهمها وجود الذهب في بلاد البجة فقد طبقت الآفاق أنباء وجود الذهب في هذه المنطقة[32]، وكتب عنها جغرافيو ومؤرخو العرب، فقد أشار إليه اليعقوبي والمسعودي والاصطخري وابن حوقل وابن الفرات والقلقشندي وابن الفقيه وغيرهم[33]، وكانت هذه الشهرة سبباً في هجرة خلق من العرب والعجم إلى تلك البلاد. إن أحداً من أولئك المؤرخين والجغرافيين لم يذكر شيئاً مفصلاً عن

كمية هذا الذهب ومقداره، كما لم يذكروا كيف كان يستخرج الذهب من تلك المعادن، ما عدا اليعقوبي الذي أوجز عملية التعدين بقوله أولئك قوم من التجار وغير التجار عبيد سودان يعملون في الحفر، ثم يخرجون التبر كالزرنيخ الأصفر ثم يسبك، وحتى الباحثين المحدثين لم يصلوا في بحثهم عن ذهب السودان إلى حقيقة مقنعة بكمية الذهب بل اكتفوا بأن الذهب أهم مما يلفت الأنظار في السودان في العصور القديمة، وأن أهم مناطق تعدينه قديماً هي وادي العلاقي ويقال في جبل جبيت في جبال البحر الأحمر[34]، ولكنه ظل أهم وأحد الأسباب التي دفعت أجزاء كبيرة من قبائل العرب كربيعة ومضر وبلي وجهينة وبني سليم الى الاقامة في تلك الأوطان.

بالإضافة للعلاقات التجارية فقط ظل البحر الأحمر أحد طريقين مهمين يصلان الشرق بحوض البحر الأبيض المتوسط، وأنشأ المسلمون ثلاثة موانئ على ساحل البحر الأحمر السوداني هي باضع وعيذاب وسواكن أسهمت في توسيع نطاق التجارة والهجرة العربية بين شرقي البحر وغربه فالتجارة إذن بين السودان وشبه الجزيرة العربية كانت أهم سبب لهذا الاتصال لتبادل السلع بين شبه الجزيرة العربية وكل من الحبشة والسودان عن طريق موانئ هذه البلاد[35].

2- الأسباب السياسية للهجرات:

وهناك الأسباب السياسية التي تمثلت في الاضطهاد والقسوة في التعامل مع الرعية، بالإضافة إلى نتائج الحملات الحربية التي قادها المسلمون على بلاد النوبة والبجة، وغيرها من الهجرات السلمية إلى تلك المناطق، وجاء في اليعقوبي قوله: «.. ومن الخربة إلى معدن يقال له رحم معدن تبر ثلاث مراحل، وبرحم قوم من بلي وجهينة وغيرهم من أخلاط الناس يقصدون للتجارات ... وإلى معدن يقال له الأخشاب مرحلتان، إلى معدن يقال له ميزاب تنزله بلى وجهينة أربع مراحل[36]». كما تحدث اليعقوبي عن العرب الذين سكنوا وادي العلاقي من غير بلي وجهينة، «ووادي العلاقي كالمدينة العظيمة به خلق من الناس، وأكثر من بالعلاقي قدم من ربيعة من بني حنيفة من أهل اليمامة انتقلوا إليها بالعيالات والذرية». وجاء المسعودي وأيد قول اليعقوبي بوجود جماعات عربية ساكنت البجة في معادن الذهب وأضاف أن المصاهرة التي تمت بين الفريقين أدت إلى أن يتقوى كل منهما بالآخر على خصمه، «وسكن جماعة من المسلمين معدن، الذهب وبلاد العلاقي وعيذاب، وسكن في تلك الديار خلق من العرب من ربيعة وتزوجوا من البجة واشتدت شوكتهم، فقويت البجة بمن صاهرها من ربيعة وقويت ربيعة بالبجة على من ناوأها وجاورها من قحطان وغيرهم من مضر[37].واللغة المصرية القديمة قد انطبعت بالطابع السامي في زمن قديم جداً، وهذا الطابع كان مصدره الجزيرة العربية، ونتيجة

لهجرات قديمة إلى وادي النيل، وليس من السهل أن تقرر تاريخ هذه الهجرات ولكنها قديمة لأن أقدم النصوص المصرية كانت مطبوعة بذلك الطابع السامي، وانتقال القبائل من شمال الجزيرة العربية إلى شبه جزيرة سيناء في الصحراء الشرقية كان أمراً مألوفاً في جميع العصور قبل الإسلام وبعده، ومن المعروف تاريخياً أن عرب اليمن قد هاجروا إلى هضبة الحبشة ونشروا فيها الثقافة العربية في وقت يرجع على الأقل للقرن العاشر ق.م، وقد وصل هذا التأثير هذه الحدود كما يؤكد أن السودان عرف الجنس العربي قبل ظهور الدعوة الإسلامية بعدة قرون، ومعنى هذا أن الثقافة العربية الجاهلية قد عرفها السودان قبل أن يعرف الثقافة العربية الإسلامية ونقصد بذلك ما حمله العرب من عادات وعبادات جاهلية قديمة، كما حملت معها اللهجات العربية التي كانت تتكلمها القبائل التي هاجرت إلى السودان[38].ولم يحاول هؤلاء العرب أن يقوموا بعمل جماعي مباشر يهدف إلى نشر الدين الإسلامي بين السكان، بل اكتفوا بمساكنة السكان الأصليين كل على دينه إلى أن انتشر بينهم بالتدرج بعد المعايشة والمصاهرة والاختلاط[39].

اشتملت الجماعات العربية التي هاجرت إلى حوض النيل الأوسط على المجموعتين العربيتين[40]، وهما مجموعتا العدنانيين والقحطانيين ويمثل العدنانيين الكواهلة والمجموعة الجعلية والرشايدة، ويمثل القحطانيين المجموعة الجهينية[41]، وأول إشارة إلى بني كاهل وردت في رحلة ابن بطوطة إلى عيذاب وسواكن في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي 1353-م ويسكن بني كاهل هذه المنطقة وهم مختلطون بالبجة عارفون بلسانهم[42].

ويقال إن الكواهلة ينتسبون إلى كاهل بن أسد بن خزيمة وجاءوا من جزيرة العرب مباشرةً عبر البحر الأحمر، واختلط أولاد كاهل بالبجة عن طريق المصاهرة ونالوا مركز الزعامة وهم البشاريون والأمرأر والبنو عامر مما يؤكد أن بني كاهل كان لهم أكبر الأثر في نشر الإسلام والثقافة العربية فيهم، وكان انتشارهم تدريجياً على ثلاث مراحل، الأولى هي نزولهم في الساحل واستقرارهم فيه في القرن الثالث عشر الميلادي واختلاطهم بالبجة كما رآهم ابن بطوطة في القرن الرابع عشر والمرحلة الثانية انتقال شعب منهم إلى جهات أتبرا والنيل الأزرق في القرن الخامس عشر الميلادي، والمرحلة الثالثة انتقال جماعات منهم آتية من الشرق إلى جهات النيل الأبيض ثم إلى كردفان في أزمان متعاقبة[43]. ويذكر ابن بطوطة (701-778هـ) (1302-1377م) أنه عندما وصل إلى جزيرة سواكن وجدها تحت حكم شريف مكي آلت إليه من قبل البجة أخواله، وكان لدى هذا الشريف جيش مؤلف من البجة وأولاد كاهل وعرب جهينة[44]، ويدل

النص على وصول عدد غير يسير من عرب الحجاز لمواطن البجة قبل زمن ابن بطوطة بوقت طويل، حتى أنه عندما وصل سواكن في القرن الرابع عشر الميلادي وجد ابن الأخت –وهو الشريف المكي – يحكم، ووجد أولاد كاهل عارفين بلسان البجة[45]، فلا بد – إذن – قبل الوصول إلى هذه الحال أن يكون العرب قد استقروا أمداً غير قصير تم خلاله تعلم اللسان البجاوي، وتمت خلاله مصاهرة القبائل العربية وتوالدها، ونمو ولد البنت البجاوية حتى يبلغ من الكبر ما يمكنه من ممارسة سلطات حاكم مدينة سواكن، والهيمنة على جيش خليط من العرب والبجة.

دور التجار والعلماء في نشر الإسلام:

أولاً: التجار:-

ترجع العلاقة التاريخية الاقتصادية بين العرب وشرق إفريقيا إلى عدة قرون قبل الميلاد، وكان لملكتي سبأ ومعين دور كبير في التجارة بين منطقتي شبه الجزيرة وشرق إفريقيا، وكانت لكل منهم سفن تجارية تعمل بين الساحلين، وفي الألف الأخير قبل الميلاد صارت الملاحة أمراً معروفاً من البحر الأحمر إلى السواحل الإفريقية والهند، واستقرت كثير من القبائل العربية اليمنية في هضبة الحبشة وأشهرها قبيلة حبشت التي سميت الحبشة باسمها، ثم انتشروا في إقليم أكسوم وبسطوا حضارتهم وتمكنوا بنفوذهم الاقتصادي من بسط سلطانهم على البلاد[46]. ولما كانت التجارة هي الحياة في بعث حركة العمل وذلك من خلال نقل حاصلات أهل النيل وروافده وسنار عن طريق سواكن أو درب الأربعين[47]. ولعل التجارة كانت أهم وسيلة اتصال إذ نشطت حركة تجارة العاج والصمغ واللبان والذهب من الجزيرة العربية وبين موانئ مصر والسودان والحبشة من ناحية أخرى، واتخذ التجار العرب من الساحل الإفريقي مراكز لهم، يوغلون فيها بسلعهم وبضائعهم في قلب القارة الإفريقية حتى وادي النيل على الأقل[48]، ونشطت حركة التجار العرب خاصة زمن البطالمة والرومان ولا شك أن عدداً غير قليل من هؤلاء استقروا في أجزاء مختلفة من حوض النيل ولحق بهم عدد من أقاربهم وأهليهم في القرنين السابقين للميلاد وعبر عدد كثير من الحميريين أهل اليمن مضيق باب المندب واستقر بعضهم في الحبشة وتحرك بعضهم الآخر متبعاً النيل الأزرق ونهر عطبرة ليصلوا إلى بلاد النوبة[49]. وتعتبر التجارة من أهم الأسباب التي دفعت العرب للوصول إلى منطقة الساحل الغربي للبحر الأحمر ومنطقة البجة سواء قبل الإسلام أو بعده، وكان لهذا المنشط أثر واضح في نشر العروبة والإسلام في أراضي البجة والمتتبع لحركة انتشار الإسلام عامة يدرك أن هذا الدين سهل

الاعتناق لعدم ارتباطه بشخصيات معينة، فكل مسلم يمكنه أن يقدم الإسلام لغير المسلمين، ومن الشرائح التي كان لها دور في انتشار الإسلام التجار، ونتيجة لوجود هؤلاء التجار في الساحل الغربي والمناطق الداخلية انتشر الإسلام(50). وساعد زواج التجار العرب من نساء البجة والإقامة بينهم على تأثر البجة بالإسلام والثقافة العربية، كذلك ما قام به تجار الكارم «التوابل» من دور في هذا المجال فقد تمتع هؤلاء التجار بأخلاق فاضلة وتقوى زائدة لا بد أن تترك أثرها الإسلامي على هؤلاء السكان(51). وقد برع العرب في التجارة قبل الإسلام بأمد بعيد حتى قيل إن كل عربي تاجر، وكانت بلاد اليمن ملتقى الرحلات البحرية والتجارية التي تأتي من الهند وأندونيسيا والصين – حيث تلتقي بالرحلات البحرية وقوافل الجمال التي تسير بين اليمن والشام وبلاد الشمال(52). وأنشأ التجار العرب طرقاً لقوافلهم بعيدة عن الشاطئ لكي يسهلوا أمور تجارتهم، وبنوا مخازن داخل البلاد، وكانت القوافل تأتي من مصر والشمال الإفريقي والجزيرة العربية في مواسم مختلفة كوسيلة لنقل ما تحتاج إليه إفريقيا من هذه البضائع، وتعود محملة بالبضائع الإفريقية الرائجة في أسواق المغرب والمشرق العربي(53).

إن حركة التجارة النشطة على ساحل البحر الأحمر وقرب مكة والمدينة ساهمت في نشر الثقافة العربية والإسلامية على هذا الشاطئ، وهذا تكشفه مباني سواكن وحفريات عيذاب، أما كلما بعدنا عن الشاطئ وتجاوزنا تلال البحر الأحمر والقبائل البجاوية والعرب الذين نزحوا من الشمال نجد فرقاً كبيراً في الجو الثقافي والحضاري، لبعد هذه القبائل عن حركة العالم والشعوب، وبعدها عن منبر الدعوة ونشاط المسلمين، لذا يمكن أن نقول إن عيذاب وسواكن وشاطئ البحر الأحمر، والعرب الذين يشاركون في التجارة والعمل بالشاطئ ولاتصالهم بحركة التجارة والحجاج فقد أوجدوا ثقافة عربية إسلامية، وكانت مركزاً لنقل الثقافة العربية والإسلامية لداخل السودان عن طريق القوافل التجارية ومواسم الحج(54).

فالقوافل التجارية التي تسير بين وسط السودان والشرق والشمال والغرب كانت مستمرة منذ القدم، وكانت هي الوسيلة الوحيدة لنقل الثقافة والحضارات الأجنبية. وبعض التجار جمع بين التجارة والتعليم، فإذا ما استقر بهم المقام انشأوا مدارس لتعليم القرآن أو أنشأوا مسجداً، وقاموا في نفس الوقت بمزاولة النشاط التعليمي والاقتصادي، إن حرفة التجارة من طبيعتها أن تصل التاجر بصلة وثيقة مباشرة بالمجتمع، فاحتكاكهم المباشر بالسكان يجعلهم يؤثرون فيهم، وغالباً ما ينتهي هذا الاحتكاك بدخول كثير

من هؤلاء السكان في الإسلام، بالإضافة إلى موقف الإسلام من الرق وتيسير المواصلات ساعد على ترويج التجارة، ومكن التجار المسلمين من أن يبسطوا تأثيرهم في مناطق لم تطأها الأقدام من قبل[55].وتقدمت الحضارة وازدهرت في الدولة الإسلامية تحت حكم الدولتين الأموية والعباسية اللتين ألحتا في طلب مختلف الأشياء التي تنقصهم والتي تتوافر فيما يحيط بهم من بلاد إفريقيا، فنشطت الحركة التجارية ونشطت المراكز التجارية، وازدحمت بالعرب النازلين فيها والذين توغلوا في الداخل في طلب مواد التجارة، ولما ضعفت الدولة الإسلامية وانقسمت إلى عدد من الدويلات تحكمها بيوت مالكة، نشطت الحركة التجارية نشاطاً قوياً لتسد مطالب هذه البيوت المالكة وكلهم أسرف في الترف والنعيم وكل هذه الأسباب المختلفة كانت عاملاً من عوامل نشاط التجارة ومن ثم انتشار الإسلام في هذه المناطق وظهور الممالك والولايات الإسلامية[56].وقد أشار نشاط هؤلاء التجار في العهد الفاطمي خاصةً في عهد الخليفة المستنصر، وذلك بسبب توقف اليهود عن مزاولة التجارة في التوابل، فانفرد المسلمون بتجارة التوابل وسموا هؤلاء التجار بالكارمية[57]، واهتمت الدولة الفاطمية بهذه التجارة لدعم اقتصادها الداخلي[58]، وقامت الدولة الفاطمية بحمايتهم وكان لها أسطول في عيذاب لحماية الكارمية بين عيذاب وسواكن من قراصنة كانوا بجزائر البحر الأحمر يعترضون المراكب.

وسارت الدولة الأيوبية على نفس نهج الدولة الفاطمية في حماية تجارة البحر الأحمر والاهتمام بهم وتشجيعهم وعمل المماليك أيضاً على حماية التجارة الكارمية وكانت كثير من المشاكل تعرض على السلاطين[59]، ومن ذلك أن تجار الكارم تقدموا بشكوى في صاحب سواكن وصاحب دهلك بأنهما يتعرضان لأموال من يموت من التجار في بلادهم، فأرسل السلطان بيبرس رسولاً ينكر عليهما ذلك في عام662هـ1263-م .

كانت التجارة من أهم الأسباب التي ساعدت على نشر الإسلام في السودان فقد كانت إمارة أسوان مركزاً تجارياً تهماً بين العرب والنوبة ففيه تجارة مصر وبضائع السودان وبضائع العرب، فمن السودان كانت الماشية وريش النعام والعبيد والصمغ والذرة والذهب والعاج والبلح، ومن الشمال كانت المنسوجات وبضائع السلع، ومما ساعد على تكاثر العرب ظهور تبر الذهب في أرض المعدن ووادي العلاقي شرق أسوان، وكانت هذه المناجم التي يخرج منها تبر الذهب ملكاً لرؤساء القبائل البجاوية فكان وادي العلاقي هو بداية زحف الهجرات العربية إلى الشرق وإلى الجنوب وكان هذا في القرن التاسع الميلادي[60]. وازدهار ميناء عيذاب في القرن الخامس الهجري من عوامل

ازدهارها الحداربة، فقد كان أميرهم ينال حظاً من مكوس هذا الميناء، وساعد وجود هؤلاء الحدارية على اختلاطهم بالبجة[61]، وكذلك الإشارة إلى امتداد نفوذ بني هلال ما بين صعيد مصر وعيذاب في القرن الثاني عشر الميلادي ربما يعني ممارستهم للتجارة في هذه المنطقة وعلاقتهم بميناء عيذاب مما يدل على الوجود العربي وتأثر السكان بهم[62].

أما ميناء سواكن ودوره في نشر العروبة والإسلام فقد يشهد وصول جماعات عربية منهم آل أبي قصير باليمن وهم من ذرية محمد بن الحنفية وقد اشتغلوا بالتجارة وتزوجوا في مصوع وسواكن وأخيراً استقروا بالأخيرة مما ترك أثره على السكان، وقد تولى إمارة سواكن خاصةً ما يعرف باسم الشريف علم الدين جد العلمنوياب وقد ترك هؤلاء أثرهم بإدعاء بعض قبائل البجة الانتماء إليهم باعتبارهم أشرافاً[63]. كل ذلك يؤكد أن النشاط التجاري ساهم كثيراً في انتشار الإسلام واللغة العربية وثقافتها وكان للموانئ الدور الكبير لأنها تمثل عصب التجارة وارتبط انتشار الإسلام بالاختلاط والتبادل التجاري أكثر من غيره من الوسائل ورغم أن هذه المنطقة تشتهر بالتجارة منذ عهد البطالمة والرومان والعرب قبل الإسلام لكن ممارسة العرب والمسلمين للتجارة بعد الإسلام كان لها أكبر الأثر في انتشار الإسلام بين البجة.

الأطفال منهم يجيئون من دار فتيت، ومن دارفور، ويتجنبون المرور في بلاد النوبة، لأن القبائل النوبية كانت تقاوم هذه التجارة[64].

كان العرب يتقدمون في سهول السودان ويتكاثر عددهم، ويذهبون إلى النيل في موسم الجفاف للتزود من مياهه وحشائشه وهذه الزيارة كانت تفرضها عليهم ظروف الطبيعة نفسها، فهم مضطرون للبحث عن قوت ومياه لماشيتهم، واقترابهم من النيل كان لفائدة سكان النيل، فقد كانوا يبيعونهم الماشية ومنتجاتها مقابل الذرة والبلح، وكان سكان النيل يرحبون بهذه الزيارات التجارية فهم لا يستطيعون أن يستهلكوا إنتاجهم من البلح لذلك كان لا بد لهم من سوق لهذا البلح إما عن طريق التجارة مع أسوان أو مقابل الضرائب، وحينما سهل عليهم هؤلاء العرب شراء الفائض من محصولهم من البلح والذرة أصبحوا يرحبون بمقدمهم وتوسعوا في زراعة هذه المحاصيل وخلال هذا التبادل التجاري ألفوا العرب، وحدث التزاوج والاندماج بين السكان المحليين والعرب الوافدين فأسلم بعضهم، وأقام بعض منهم على النيل[65]، وبمرور الأيام انتشر الإسلام على النيل متأثرين بهؤلاء العرب، مما يعني أن التجارة والمصالح الاقتصادية المتبادلة بين المهاجرين والسكان المحليين كانت أكبر الأثر في انتشار الإسلام في وادي النيل.

ثانيا: دور العلماء:-

لقد ارتبط تقدم الأمم والشعوب وازدهار الحضارات بالعلم والتعلم، لذلك حث الإسلام على ضرورة طلب العلم وجعله فريضة على كل مسلم وذلك لأهميته للفرد والمجتمع ومنها تعلم العلوم الدينية التي تعين المسلم على أداء واجبه، وتنظم شؤون حياته، لذلك اهتم المسلمون في كافة الأقطار بدراسة القرآن الكريم والعلوم الدينية[66]. والسودان كقطر إسلامي اهتم أهله بتعلم القرآن وعلومه وأنشأوا المساجد والخلاوي لذلك الغرض فظهر ذلك في سلوك الأفراد وعاداتهم وتقاليدهم وعلاقاتهم الاجتماعية وذلك لتطبيق التعاليم الإسلامية[67].

ويربط بعض المؤرخين بدء التعليم الديني وانتشار الثقافة الإسلامية في السودان بقيام دولة الفونج ((الفونج ملكت أرض النوبة وتغلبت عليها أول القرن العاشر ولم تشتهر بدراسة علم ولا قرآن حتى جاء الشيخ العركي من مصر وعلم الناس[68]، وهناك كثير من الوثائق والروايات التي تؤكد أن هناك علماء كثر عملوا على تعليم الناس القرآن والفقه ومن هؤلاء الشيخ الإدريسي ود الأرباب الذي ولد في عام 913م وكان يقرأ القرآن عند الشيخ البغدادي الذي قدم من الشام وأقام بحلفاية الملوك. وهذا يعني وجود تعليم ديني قبل القرن السادس عشر الذي شهد قيام دولة الفونج))[69]. وقد يكون هذا التعليم وليداً فتطور وأتى بثماره عند قيام الفونج ولم ينظم العرب الذين انتشروا في مملكة المقرة أو أراضي البجة حملات تبشيرية إسلامية وإنما اكتفوا بمساكنة السكان الأصليين كل على دينه وانتشر الإسلام تدريجياً بين سكان البلاد الأصليين باختلاطهم مع العرب ومصاهرتهم لهم. كما نجد أن إسلام السودان وتعريبه لم يتم على أيدي العرب الوافدين وإنما كان على أيدي هؤلاء المستعربين[70].

كان في مقدمة رواد الثقافة الإسلامية الدعاة الذين أسهموا مساهمة فعالة في نشر الإسلام وقد تأثر دعاة الإسلام بالدعوة الشيعية في الدولة الفاطمية، ولا يستبعد دخول بعض الفرق كالفاطميين السودان لنشر الدعوة الفاطمية[71].

وساعد انتشار الإسلام على رحيل الدعاة والعلماء إليهم لتعليمهم مبادئ الدين والشريعة[72]، ومنهم غلام الدين بن عائد الذي قدم من بلاد اليمن وأقام في دنقلا في القرن الرابع عشر الميلادي فلم يجد بها أي مظهر من مظاهر التعليم أو حركة علمية فعمر المساجد وقرأ فيها القرآن، وعلم العلوم الشرعية لأبناء المسلمين، واستمر بها حتى وفاته ودفن بها[73]، وكان قدوم هذا العالم استهلالاً لحركة علمية، ومحاولة لتثبيت الإسلام في صدور

من دخلوا فيه بالعلم والتفقه في الدين، وكان سبباً في بناء مساجد للعبادة والتدريس في بلاد النوبة وظهر من بعد الشيخ صغيرون الذي كان يدرس الفقه في مسجد دنقلا ثم انتقل إلى بلدة القور وبنى له مسجداً بها، وشدت إليه الرحال من سائر بلاد السودان للتعلم عليه، وتعلم على يديه العديد من الشيوخ الذين برزوا بعد ذلك في الحياة العلمية ببلاد السودان[74].ولعل دخول العلماء إلى السودان يرجع إلى الفترة السابقة لظهور الممالك الإسلامية حيث تذكر الأخبار أن أول عالم دخل البلاد هو الشيخ إبراهيم البولاد بن جابر بن غلام الله بن عائد اليمني، والذي قدم إلى دنقلا في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، إلا أن ندرة الوثائق والكتابات التاريخية تجعل من الصعب تتبع أخبار هؤلاء العلماء ونشاطهم[75].

إن انتشار الدعوة قبل قيام مملكة الفونج كان صورياً، فقد اهتم الرواد الأوائل من المسلمين، وجلهم من التجار البدو، وهم ممن تنقصهم المعرفة الدقيقة بالفقه الإسلامي في استمالة المسيحيين والوثنيين إلى الإسلام وركزوا على المبادئ العامة دون التفاصيل، وقد شارك هاتين الفئتين بعض العلماء، ولكن جهودهم ظلت محدودة، فقد قرر غلام الله بن عائد اليمني الذي قدم من اليمن في أواسط القرن الرابع عشر الميلادي قرر البقاء في دنقلا مساهمةً منه في نشر تعاليم الإسلام الحقة إذ هاله ما رأى بأهلها من جهل وحيرة لانعدام العلماء والقراء، فلما حل بها عمر المساجد وأنشأ المدارس وأخذ يعلم القرآن لأولاده وأبناء المسلمين وشهد القرن الخامس عشر الميلادي مجيء الشيخ حمد أبو دنانة صهر الشيخ عبد الله بن محمد الجزولي الشاذلي، وكان استقراره بالمحمية ولعله أول من نشر الطريقة الشاذلية في السودان[76]. ومن الدعاة الأوائل الذين عملوا على نشر التعاليم الإسلامية في سودان وادي النيل الشيخين البنداري وحمد بن زروق اللذان ظهرا قبل قيام الفونج فقد كان للشيخ البغدادي مكتب بالقرب من الحلفايا، وللشيخ حمد بن زروق مدرسة في الصبابي، ومن تلاميذ الشيخ حمد الشيخ إدريس ود الأرباب[77]، وهؤلاء كان لهم دور كبير في نشر تعاليم الإسلام. وقد أثمرت الدعوة في خلق جيل من العلماء ظهر مع بداية عصر الفونج إذ يشير ود ضيف الله إلى أن إبراهيم البولاد بن جابر دخل إلى مصر وتفقه بسيدي الشيخ محمد «البنوفري» وأخذ عليه الفقه والنحو والأصول. ويفيض كتاب الطبقات في ذكر مؤلفات وشروح تدل على أن هناك فئة كبيرة من العلماء كانت على دراية تامة بأصول الدعوة والعقيدة الصحيحة[78].

تركز التعليم الديني في المساجد والخلاوي على يد الشيوخ والفقهاء الذين وفدوا

من الدول المجاورة أو بتعليم السودانيين خارج بلادهم، ثم يعودون معلمين للقرآن ولنشر الثقافة الإسلامية لذلك كان للأقطار الخارجية أثر ملموس في الثقافة الإسلامية السودانية كاليمن ومصر والحجاز والعراق والمغرب. ومن تأثير اليمن كما أسلفنا قدوم العالم غلام الله بن عائد الذي استقر في دنقلا فأنشأ المساجد لتعليمهم القراءة ومبادئ الدين كالعقيدة والفقه، بل ذهبت بعض الروايات على إسلام بعض المسيحيين على يده[79]، فقد نشأ في بيئة دينية علمية عريقة، وتنقل أحفاده أولاد جابر وأنشأوا مراكز دينية في كثير من بلاد السودان كمسجدي دنقلا وكورتي، كما قدم من اليمن علماء آخرون كأمثال حمد بن زروق الذي سكن الصبابي وأنشأ بها خلوة لتدريس القرآن الكريم وكانت مساهمة مصر في أن العلماء السودانيين يدرسون بالأزهر ثم يعودون لتأسيس مدارس القرآن كأمثال محمود العركي وإبراهيم بن جابر ولما تناقلت الأخبار عن كرم السودانيين ورعايتهم للعلماء فقد وفد إلى السودان الشيخ محمد القناوي الذي استقر في بربر وبنى مسجداً بها وكذلك محمد بن علي قدم من مصر ودرس الفقه والميراث في بربر وغيرهما من العلماء الذين ساهموا في نشر الإسلام وعلومه. والحجاز لها أثر بارز في نشر الثقافة الإسلامية في السودان فقوافل الحجاج والتجارة بين الحجاز والسودان كان لها أكبر الأثر في نشر الإسلام في بلاد السودان إذ كان الحجاج يصحبون معهم الفقهاء من مكة ويشجعونهم على الرحيل إلى بلادهم فأنشأوا الخلاوي والزوايا وكان لعلاقة السودانيين بالحجاز أثر كبير في انتشار المذهب المالكي فقد تتلمذ معظم السودانيين على يد علماء المذهب المالكي.أما العراق فقد قدم منها تاج الدين البهاري الذي علمهم القرآن ومبادئ الطريقة القادرية التي انتشرت على نطاق واسع في السودان وظهرت الطرق الصوفية الأخرى[80].

وعرف المجتمع السوداني بميله للتدين والسمو الروحي منذ القدم، فقد أثبتت جميع الدراسات التاريخية أن السودان قد اتسم بالولاء والطاعة والتقديس للمعبود سواء أكان وثناً أم إلهاً أو غيره وذلك حتى أوائل القرن الثاني الهجري الذي ازدهرت فيه النزعة الروحية بفضل عوامل كثيرة[81]، فأصبحت مدرسة يعول عليها في بناء المجتمع.

كما كان للخلوة دوراً بارزاً في ظهور الاتجاه الصوفي في السودان، فكان شيخ الخلوة قدوة في سلوكه وأخلاقه لذلك يتأثر به طلاب الخلوة، كما احتوى المنهج في الخلوة على تعليم التوحيد والتصوف فأدى إلى اعتكاف الافراد وتطهير أنفسهم والارتقاء بهم إلى الكمال والرفعة، وسلك كثير من الفقهاء الطرق الصوفية فامتزج الفقه بالتصوف وتنوعت الطرق الصوفية في منهجها وسلوكها مما أدى إلى تطورها وانتشارها واستيعاب أعداد كبيرة منها. وكان حمد بن محمد المجذوب شيخ الطريقة المجذوبية يتدرج بالأفراد من مرحلة القراءة والكتابة إلى مرحلة مدونات المذهب المالكي إلى أن ارسى سفينة العلم على شاطئ الفكر الصوفي ولا بد أن نشير إلى أن مجهودات العلماء كانت فردية

ولم تتنظم الطرق الصوفية بصورة واسعة في السودان الا في عصر الفونج [82]. ويقتضي الحديث عن الوضع الصوفي في السودان والإشارة إلى دور الأسر والبيوتات الدينية في تكوين السودان الثقافي بشقيه العلمي والصوفي، فقد ارتكز انتشار التصوف في السودان إلى حد كبير على جهود الأسر ونفوذها التي استمدتها من انتمائها إلى البيت النبوي والأصل العربي، ودورها في تأسيس المؤسسات الدينية من خلاوي وزوايا ومساجد ومعاهد علم، ولذلك كان مجرد الانتماء إلى واحدة من هذه الأسر كافياً لذيوع اسم صاحبه صوفياً كان أو فقيهاً وبالتالي انتشار ما يدعو إليه من تعاليم، وقد نشطت هذه الأسر في تأسيس خلاوي لحفظ القرآن وتعاليم الدين والمساجد لتدريس العلم والدين، كما قاموا بتعليم مبادئ القراءة والكتابة، وقاموا بأدوار مهمة في نشر العلم الديني[83].

ومن أشهر الأسر التي ساهمت في نشر الإسلام والتعليم الديني أولاد جابر وهم أحفاد غلام الله بن عائد الذين واصلوا ما بدأه جدهم واكتسبوا الشهرة والمركز الاجتماعي والثراء والجاه، وطوروا أساليب التدريس في الحلقات، وبمجهودهم انتشر الفقه المالكي وتعددت حلقات الدروس في مناطق مختلفة[84]. ولم تسهم المساهمة الإيجابية لعائلة غلام الله بن عائد في تأييد ونشر الدعوة الإسلامية بصورة كاملة بين القبائل النيلية إلا في الجيل الرابع بميلاد أولاد جابر الأربعة الذين نالوا شهرة تاريخية عظيمة، فقد تفقه ثلاثة منهم – على الأقل – في الأزهر على المذهب المالكي البنوفري، وكان أحدهم قد أسس مدرسة بأرض الشايقية 1570م لتدريس المذهب المالكي واستمروا في التدريس حتى حمل الرسالة بينهم ابن أخيهم الشيخ صغيرون وبهذا اكتسبت عائلة غلام الله بن عائد شهرة دينية ومركزاً اجتماعياً مرموقاً[85].وكان الدعاة المسلمون يبذلون جهدهم في محاولة نشر الإسلام بين الشعوب الوثنية، وهنا ينبغي أن نشير إلى أن نشر الإسلام في إفريقيا كان يتم على أيدي الإفريقيين أنفسهم، والحاميين منهم بوجه خاص، كما أن ممالك السودان الأوسط قد أسسها بعض الفقهاء الحاميين المتبحرين في العلوم الإسلامية الذين جاءوا إلى هذه البلاد للتجارة وبذلك كان الإسلام إفريقياً في إفريقيا[86]. ويؤكد ذلك المقريزي نقلًا عن ابن سليم الأسواني «مؤرخ النوبة» أنه كان هناك سياسة إسلامية مرسومة لنشر الإسلام بين الشعوب الوثنية في القرن الخامس عشر الميلادي فقد التقى ابن سليم في بلاط مُقَّرة بأحد الوثنيين في النوبة، وقد سأله عن دينه فقال ربي وربك الله، ورب الملك ورب الناس كلهم واحد، وهو في السماء وحده وقال له إذا أبطأ عنهم المطر أو أصابهم الوباء، أو وقع بدوابهم آفة، صعدوا الجبل ودعوا الله فيجابون للوقت وتقضي حاجتهم قبل أن ينزلوا، فلما أقر الرجل

أن الله لم يرسل قط رسولاً فيهم، ذكر لهم ابن سليم بعثة موسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم وما أيدوا به من المعجزات فقال: «إذا كانوا فعلوا هذا فقد صدقوا، وقد صدقتهم إن كانوا فعلوا»[87].

«كانت بعض الفئات من العناصر النوبية لها مشاركات إيجابية في الحياة الإسلامية العربية في مصر قبل أن ينتشر الإسلام في بلادهم، كما أن بعضهم اشتغل بالعلوم الدينية والفقهية مثل يزيد بن أبي حبيب النوبي الأصل، ويزيد كان من سبي النوبة الذين أسرهم العرب ونشأ نشأةً إسلامية عربية وقد أفادت يزيد صلته بعدد من الصحابة رضوان الله عليهم الذين شهدوا فتح مصر وتابعيهم، وتتلمذ على يديه عدد من التلاميذ الذين أصبحوا من أشهر فقهاء مصر الأوائل منهم الليث بن سهل وعبد الله بن لهيعة.

ومن سلك طريق التصوف ذو النون المصري وأصله من النوبة، نشأ في مصر في القرن الثاني الهجري، وتلقى الموطأ عن بعض أصحاب مالك ابن أنس حين خرج إلى الحجاز حاجاً ولما عاد إلى مصر مال ذو النون إلى حياة الزهد والتصوف، وقد أشبع هذه النزعة عن طريق الرحلة إلى المناطق النائية في صحاري الشام والعراق والمغرب وأوطان البجة إلى أن توفى في 246هـ، وكان لهؤلاء العلماء أثر واضح في نشر الإسلام والعروبة في بلاد النوبة حين عودتهم من مصر إلى أهلهم[88].

«كانت المرحلة الثانية لنشر الإسلام في السودان حوالي القرن الخامس عشر عندما كان السودان يتجه إلى تحول سياسي وديني نتيجة لغلبة العنصر العربي والانتعاش في الحركة التجارية ونتج عن ذلك قيام ممالك إسلامية في بداية القرن السادس عشر الميلادي الأمر الذي ساعد على بث الثقافة الإسلامية بطريقة أعمق وأشمل مما ألفته البلاد من قبل»[89].

بالإضافة للقبائل العربية والمجموعات الكبيرة هناك جماعات صغيرة أو أفراد من العرب أو المستعربين كان لهم فضل نشر الثقافة الإسلامية والعربية في ربوع السودان، وهم بقايا الجيوش المحاربة، والهاربين من الضغط السياسي والدعاة والتجار والحجاج[90].ومما تقدم ندرك أن انتشار الإسلام في السودان قد تم عن طريق تضافر عوامل عديدة أولها الطرق التي يسرت قدوم العرب، والقبائل العربية التي وفدت على هذه البلاد وجهود التجار والعلماء، مما يؤكد تغلغل الاسلام في السودان ولكن بصورة بطيئة وتدريجية.

انتشار الإسلام في منطقتي البجة وعلوة:

أولا: دخول الإسلام إلى البجة:

أما عن دخول الإسلام إلى البجة فقد مر بنفس مراحل دخول الإسلام إلى النوبة إذ ما لبثت أن أتاحت المعاهدات الاتصال بين العرب وأهل البجة.

البجة هو الاسم الذي أطلقه الكتاب العرب[91] على مجموعة القبائل البدوية الحامية التي تعيش في المنطقة الشرقية بين النيل وعطبرة والبحر الأحمر وقد أشار سلجمان بأن هناك تشابه جسمانياً واضحاً بين البجة اليوم والمجموعة المصرية لما قبل الأسرات وهناك بعض الدم العربي إذ إن ربيعة استقرت بينهم منذ القرن التاسع الميلادي ولكنها لم تغير من صفاتهم الجسمانية والاجتماعية.

أما الجبهة الشرقية فهي قبائل بدوية متعددة متشاكسة، فلو كان هناك ملك يحكم هذه القبائل لأمكن إخضاعه بالقوة لما للمسلمين من قوة وبذلك يمكن إخضاع جميع القبائل، ولكن الأمر هنا أصعب فمهمة الدولة الإسلامية ليست سهلة فعليها إخضاع هذه القبائل الواحدة تلو الأخرى، وهناك عنصر آخر هو اللغة فهي لا تتحدث اللغة العربية مما يجعل التفاهم معهم أمراً صعباً وتعليم الإسلام أصعب، كما أن ديانة هذه القبائل وثنية لا يعبدون إلهاً وبالتالي لا يسهل توصيل الإسلام لهؤلاء القوم[92].وكان البجة أهل شوكة وعصبية في إقليم البحر الأحمر في شرق السودان، وتخضع قبائلهم العديدة لزعماء مستقلين وكانوا يعيشون في البوادي والجبال، ولهم مدنهم العديدة هجر وسنكات، وقد ظهر في بلادهم معدن الذهب والزمرد مما جذب العرب سواء من شبه الجزيرة أو من صعيد مصر للهجرة والتعدين في تلك البلاد، ومن أهم مناطق استقرار العرب وادي العلاقي، أما على الساحل فقد ازدهرت عيذاب التي كانت تصدر المعدن وتمر عبرها البضائع الهندية وغيرها إلى داخل السودان ثم تحولت في زمن متأخر لنقل الحجيج من مصر إلى الحجاز والعكس عندما قطع الصليبيون طريق سيناء الشمالي، وكانت هذه الموانئ تخدم كلاً من أرض البجة وبلاد النوبة.

أدت كثافة وجود القبائل العربية من مصر وربيعة وقبائل اليمن إلى الاحتكاك مع البجة وامتد الاحتكاك إلى مدن صعيد مصر التي أخذت بعض جماعات البجة في الإغارة عليها. وكانت الدولة العباسية تستفيد مباشرةً عن طريق الضرائب من الذهب والزمرد المستخرج من أرض البجة، كما تستجيب لنداءات الولاة والأهالي في مصر فترسل الحملات لقمع البجة وازدادت الاشتباكات بين البجة والمسلمين منذ مطلع القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي ـ[93].

إن التسرب العربي جنوبي مصر لم يشمل النوبة فقط وإنما شمل البجة، وأن انتقال العرب باستمرار بين النوبة والبجة كان مألوفاً في العصور الوسطى ويختلف عقد ملك البجة جكنون بن عبد العزيز مع عبد الله بن الجهم كثيراً عن معاهدة البقط التي عقدها عبد الله بن أبي السرح مع ملك النوبة قاليدروث، وموضع الأهمية هنا أن البجة أصبحت جزءاً من الدولة الإسلامية ويطبق عليها شروط البلاد التي تفتح عنوة بدليل فرض الخراج بالإضافة إلى شرط عدم أذى المسلمين سواءً في البجة أو النوبة وشرط حفظ المساجد القائمة وجمع صدقات من أسلم دليل على دخول الإسلام في هذه البلاد وإقامة المسلمين فيها.

فهناك جماعات عربية خاصة من بني جهينة نزحت للتجارة عقب الفتح الإسلامي لمصر ونشر أفرادها الإسلام بين قبائل البجة ولعل هذا هو السبب في أن عبد الله بن أبي السرح سامحهم ولم يحاربهم. كما أن البحر الأحمر كان هو الشريان الطبيعي للهجرات العربية قبيل وبعد الإسلام، كما أن جماعات من الأمويين لجأت إلى بلاد البجة منتصف القرن الثاني الهجري والثامن الميلادي هرباً من مذابح العباسيين[94].

وتجمع لعبد الله بن سعد بن أبي السرح في انصرافه من النوبة على شاطئ النيل البجة «البجاة» فسأل عن شأنهم، فأخبر أن ليس لهم ملك يرجعون إليه، فهان عليه أمرهم، فنفذ وتركهم، فلم يكن لهم عقد ولا صلاح، وكان أول من هادنهم عبيد الله بن الحبحاب السلولي في أواخر القرن الأول الهجري وكان البجة يقيمون على مقربة من عيذاب على البحر الأحمر، كما انتشروا في بلاد النوبة وغيرها ولاسيما بين النيل النوبي والبحر الأحمر في الأراضي الممتدة بين دنقلا وأسوان. وبهذا يكون العرب قد اتصلوا بالنوبة والبجة اتصال تعاهد ومرور وانتقال، وأن بلاد السودان قد عرفت اللاجئين السياسيين من العرب، كبني أمية الذين فروا من وجه العباسيين إلى بلاد النوبة أو إلى شرق السودان، واستقروا في أرض الجزيرة. ويبدو أن العرب اتصلوا اتصالاً وثيقاً بالبجة في القرن الثامن الميلادي عن طريق البحر الأحمر وعن طريق وادي النيل، ويظهر أن جماعة من العرب المسلمين كانوا أول من استقر هناك، وبنوا مساجد لهم، مما مهد أول الأمر للعرب سبيل الاختلاط بالبجة في شرق السودان وكانت من العوامل التي ساعدت على تعريب هذه المنطقة[95].

وأول غارة قام بها البجة على صعيد مصر في سنة 720م والظاهر أن المسلمين ردوا هذا الهجوم، وصالحهم ابن الحبحاب بعهد يدفع البجة بموجبه ثلاثمائة من الإبل الصغيرة، وأن يجتازوا الريف تجاراً غير مقيمين وأن لا يقتلوا

مسلماً أو ذمياً ولا يؤوا عبيد المسلمين، ويظل وكيلهم في الريف رهينة في يد المسلمين، وهذا العهد ضمن للمسلمين تأمين حدودهم على الصحراء وفي الوقت نفسه ترك العلاقات التجارية حرة كما كانت من قبل، وظلت العلاقات ودية حتى عهد المأمون العباسي حيث جدد البجة غاراتهم على أسوان أو جنوب مصر[96].

فأما من ناحية البجة فإن المسلمين قد أبدوا عدم الاكتراث بأمر البجة على إثر غزوهم بلاد النوبة عام 31هـ - 652م بقيادة عبد الله بن ابي السرح بينما كان اهتمام المسلمين بالنوبة بالغ الأهمية، وفي ذلك يقول ابن عبد الحكم فتجمع له في انصرافه على شاطئ النيل البجة فسأل عنهم فأخبر بمكانهم فهان عليه أمرهم، فنفذ وتركهم ولم يكن لديهم عقد ولا صلح، وأول من صالحهم عبد الله بن الحبحاب وعلى أن عدم الاكتراث لهؤلاء لم يكن من مصلحة العرب فبعد فترة من الزمن لا تتعدى ثلاثة وسبعين عاماً وجد هؤلاء القوم في أنفسهم الكفاءة مما دفعهم إلى القيام بغارة إلى مصر عام 107هـ - 725م، وعندئذ تنبه العرب إلى خطورتهم إذ تذكر لنا المصادر لأول مرة عن غارة قام بها هؤلاء البجة وهم سكان الصحراء ما بين النيل والبحر الأحمر على صعيد مصر والظاهر أن المسلمين ردوا هذا الهجوم وصدوه ولكن محاولاتهم هذه باءت بالفشل ذلك أن عبد الله بن الحبحاب السلولي قد هزمهم وعقد معهم أول معاهدة ظلت قائمة زهاء قرن من الزمان[97].

لم يحافظ البجة على العهد الذي قطعوه مع ابن الحبحاب، فكثرت غاراتهم على جهات أسوان فرفع أمرهم إلى الخليفة المأمون العباس فكانت له معهم وقائع انتهت بموادعتهم وإبرام عهد جديد بينه وبين كنون بن عبد العزيز زعيم البجة ومن أهم شروط هذا العهد:

1. أن تكون بلاد البجة من حدود أسوان إلى حد ما بين دهلك وباضع ملكاً للخليفة وأن يكون البجة ورئيسهم عبيداً له على أن يكون كنون ملكاً للبجة.
2. أن يؤدي ملك البجة الخراج أو البقط كل عام على ما كان عليه أسلافه مائة من الإبل أو ثلاثمائة دينار.
3. أن تحترم البجة الإسلام ولا يذكروه بسوء وألا يعينوا أحداً على أهل الإسلام.
4. ألا يمنعوا أحداً من المسلمين الدخول في بلادهم والتجارة فيها براً أو بحراً.
5. ألا يمنعوا أحداً من المسلمين تاجراً أو مقيماً مجتازاً أو حاجاً، فهو آمن حتى ينزح من بلادهم، وهذا الشرط يدل على أن العرب المسلمين كانوا يذهبون إلى شرقي السودان للتجارة أو للإقامة أو للمرور أو للحج، وهي في مجموعها مما تدعو إلى الاستقرار أو البقاء في تلك المنطقة.

6. إذا نزل البجة صعيد مصر مجتازين أو تجاراً فلا يظهرون سلاحاً ولا يدخلون المدن والقرى بحال. تدل الشروط على أن المسلمين كانوا يترددون على شرق السودان وأن أهلها كانوا أسبق إلى الإسلام من أهل شمال السودان[98].

وهناك شرطان في غاية الأهمية هو ما يتعلق بأهل البجة حيثما يدخلون صعيد مصر والآخر يتعلق بدخول عمال المسلمين لقبض الصدقات وهما:

1. إذا دخل البجة صعيد مصر مجتازين لايشهرون سلاحا ولا يدخلون الموانئ والقرى
2. وألا يهدموا شيء من المساجد التي بناها المسلمون بصيحة وهجر.

وموضع الأهمية أن البجة أصبحت جزءاً من الدولة الإسلامية ويطبق عليها شرط البلاد التي تفتح عنوة» بدليل فرض الخراج – وجمع الصدقات دليل على وجود بعض المسلمين بها[99]. ومن يعرف طباع البجة يتيقن أنهم لا بد أن يثوروا على العرب ذلك أنهم شعروا أن بنود العهد مع ابن الجهم فيها كثير من الظلم، والعهد الغير متكافئ فأغاروا في عهد المتوكل على مناجم الذهب بالعلاقي فندب المتوكل لحربهم محمد بن عبد الله القمي سنة 854م وأمروا إليه في مصر أن يمده بالرجال وقاد القمي جيشاً عرمرماً يبلغ تعداده عشرين ألفاً من نظاميين ومتطوعين، وعند مروره على وادي العلاقي تبعه من ربيعة ومصر واليمن ثلاثة آلاف وحملت المراكب المؤن إلى ميناء عيذاب، وكانت خطة البجة هي عدم الالتقاء في معركة في أول الأمر، بل المطاولة والمناوشة البسيطة وامتداد خط مواصلات المسلمين حتى يوغلوا في الصحراء وتنفذ أقواتهم وبعدها يلاقونهم بهذه الحالة من الجوع ونقص الكفاءة الحربية ولكن القمي قابل هذه الخطة بما أفسدها إذ ظلت إمداداته بالمراكب تتوالى إلى ميناء عيذاب وأخذ زمام المبادأة بالقتال حتى تمكن من الغلبة عليهم، وعندها طلب ملكهم علي بابا الصلح بأن يدفعوا الخراج وألا يمنعوا المسلمين من العمل في المعدن، وافق القمي على الشروط وزادها بأن يطأ علي بابا بلاط الخليفة في سر من رأي «سامراء» عاصمة العباسيين آنذاك هناك أكرم الخليفة وفادته، وبعد أن نقل لهم ملكهم ما شاهده من قوة وعظمة المسلمين أدركوا أن لا قبل لهم بمعاداتهم[100].

أقام العرب في شرق السودان حول مناجم الذهب بوادي العلاقي، وكان البجة في نزاعات دائمة مع المسلمين، فلما ازدادت تحرشاتهم حاربهم عبد الله بن الجهم في عهد المأمون 831م – وانتصر عليهم وتم بينهما صلح وعقدوا معاهدة تضع حداً لتحرشاتهم وإلزامهم بالمحافظة على مساجد المسلمين التي ببلادهم، ووضعوا شروطاً يدفعوا بموجبها الخراج، ويقدموا التسهيلات اللازمة للمسلمين سواء أكانوا مقيمين أو مجتازين بأرضهم واحترام عقيدتهم إلا أنهم نقضوا العهد بعد خمسة وعشرين عاماً واعتدوا على المسلمين فبعث المتوكل قائده محمد بن عبد الله القمي 854م لمحاربة البجة، ثم عقدوا معاهدة تقضي بأن يدفع البجة الجزية المتأخرة التي منعوها مدة أربع سنوات

ودفعها بانتظام مستقبلاً[101]. وكثر عدد الوافدين إلى أرض البجة مما ترك أثراً في معتقدات السكان أو أسلوب حياتهم، فأصبحت شبيهة بحياة المسلمين، فسموا أبناءهم بأسماء عربية ودفنوا موتاهم على الطريقة الإسلامية[102]. وبهذا تحول البجة إلى الإسلام بصورة تدريجية لسبب تأثرهم بالمسلمين الذين وفدوا إليهم.

لقد كان عهد ابن الجهم قد قضى بضم البجة إلى الدول الإسلامية وفرض الجزية عليهم والسماح بحرية الحركة والتجارة والعمل في المعدن، والاستقرار في أرض المعدن، وذلك بمنعهم من دخول مدن الصعيد، ودخولهم الأرياف غير مظهرين السلاح، وربما كانت صرامة هذا العهد من أسباب تمرد البجة ثانيةً في عهد المتوكل وتجريده حملة ضدهم بقيادة محمد القمي في عام 851م، وهزمت الحملة البجة وأسرت ملكهم وقادته إلى بلاط الخليفة فأعاده المتوكل حاكماً بعد أن رضى بالخضوع ودفع الجزية، ثم دخل أرض البجة تاجر مغامر كان أصلاً من علماء الدين وهو عبد الرحمن عبد الحميد العمري الذي تمكن من تنظيم المجموعات العربية وقيادتهم ضد البجة وإخضاعهم وتنظيم أعمال التجارة والتعدين بين أرض المعدن وسواحل البحر الأحمر وصعيد مصر، غير أنه دخل في صراعات عديدة مع ملك المقرة، ومع أحمد بن طولون حاكم مصر ومع القبائل العربية المتصارعة في إقليم البجة انتهت باغتياله بعد أن كاد أن يؤسس أول إمارة عربية في شرق السودان.

وأدت هذه الحملات العسكرية بالإضافة إلى الهجرات إلى زيادة عدد المستقرين العرب في شرق السودان، وأخذ بعض من ربيعة في مصاهرة البجة وكذلك مصاهرة الكواهلة مع البجة وظهرت مجموعات من المستعربين والمسلمين كالحدارية وباتجاه القرن الرابع عشر اضمحلت تجارة المعدن مما أدى إلى نزوح جماعي نحو النيل مما شكل ضغطاً على الممالك النوبية المسيحية[103].

لقد أدخلت البجة بعض جماعات من العرب من قبائل بلي وجهينة بغرض التجارة وجذبتهم أرض المعادن والمراعي عقب الفتح الإسلامي لمصر، وبديهي أن يدخل البجة أو بعضاً منهم في دين الإسلام نتيجة اختلاطهم بالعرب، كما أن فريقاً من عرب هوازن عبروا البحر الأحمر والذين عرفوا فيما بعد بالحلانقة وأقاموا في بلاد البجة ثم رحلوا بعد ذلك لإقليم التاكا وكسلا، كما أن بعضاً من بني أمية قد استقروا في ميناء باضع، ودلت الأبحاث الأثرية على وجود شواهد قبور إسلامية، وعلى وجود مسجد في سنكات، يتضح أنها طرق الفارين من الأمويين. وهناك بعض الروايات تقول ببقاء بعض أفراد ممن كانوا في غزوة «ابن الجهم» في أراضي البجة وربما نزحت بعض القبائل من صعيد مصر وتوغلوا في الصحراء الشرقية تحت ضغوط قبائل عربية أخرى، إذن فإن بلاد البجة قد أصبحت مجالاً حيوياً لقبائل عربية مسلمة بعضها ذهب يدعو للإسلام وللجهاد في سبيل الله، وبعضهم ذهب للتجارة، وبعضهم جذبهم معدن الذهب، وبعضاً منهم نزح تحت ضغط قبائل أخرى

وبعضهم تخلف بعد نجاح حملات تأديبية، وبعضها عبر البحر الأحمر واستقر على الساحل الغربي وبعضها توغل في الصحراء ولجأ إلى البجة خوفاً من سيف العباسيين[104]. ويشير اليعقوبي وهو المؤرخ المعاصر للأحداث إلى أثر الجماعات الإسلامية المختلفة بأرض البجة ودورهم في نشر الثقافة الإسلامية بين البجة[105]. فقد زار ابن الحسن المسعودي مصر في عام 332هـ - 940م أي بعد حملة العمري بسبعين سنة، يتحدث عن الأثر الواضح للجماعات العربية الإسلامية في نشر الثقافة الإسلامية في إقليم البجة، ذلك يعني أن الإسلام ظهر وانتشر بعد أن سكن جماعة من المسلمين أرض البجة، ومناجم الذهب والعلاقي وعيذاب، فكانت ربيعة هم الذين اختلطوا بالبجة وتزوجوا من بناتهم، فاشتد ساعد البجة على من ناوأهم من النوبيين وغيرهم، كما اشتد ساعد ربيعة على من خالفها من العرب ونجحوا في وضع أساس أول إمارة إسلامية عربية بالعلاقي بعد أن استمالوا إليهم قبيلة مضر وتميم، ويشير المقريزي إلى استيلائهم على معدن الذهب في العلاقي، فكثرت أموالهم واتسعت أحوالهم، وصارت لهم مرافق بأرض البجة، ووصل الإسلام جنوباً حتى سواكن حيث تسكن جماعة من البجة اعتنقت الإسلام تعرف بالخاسة[106]. ويشير ابن خلدون إلى هجرة عبد الرحمن العمري إلى هذه المناطق إذ أنه خرج غضباً لله بعد اعتداءات البجة على صعيد مصر 60هـ فهي توحي بوصول العرب المسلمين إلى هذه المناطق[107]، وجاءت الاتفاقيات فيما بعد تأكد سلامة المسلمين في مناطق البجة سواء كانوا للتجارة براً وبحراً أو للتعدين وبالتالي فتحت اتفاقية ابن الجهم 216هـ هذه البلاد للمؤثرات الإسلامية[108]. وقد أشار فانتيني إلى أثر التعدين ووجود العرب والتزاوج مع البجة في نشر الإسلام[109]، ويبدو أن الشطر الأكبر من انتشار الإسلام في هذه المناطق قد تم في أيام الفاطميين[110]، ففي هذه الفترة كانت هجرات بني سليم وهلال أي منذ القرن الثالث عشر الميلادي في نشر الإسلام بين البجة خاصة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين.

فالمسعودي حين زار مصر عام 516هـ - 940م نجد أنه يحدثنا عن اختلاط عرب ربيعة بالبجة وباتحاد الفريقين فغلبوا على من ناوأهم سواء كانوا من النوبة أو غيرهم من السكان، ويذكر أن أميرهم أبا مروان بشر بن اسحق بن ربيعة يتحكم في جيش قوامه ثلاثة آلاف فارس من ربيعة ومن حالفهم من العرب وثلاثين ألف من الحداربة من حضر موت على الإبل، ويذكر لنا المسعودي عن وصول الإسلام إلى جزيرة سواكن حيث تقيم جماعة اعتنقت الإسلام تعرف بالخاسة. ومن هذا يتضح لنا هذه الهجرات العربية قد تمت في ظروف مختلفة لم يكن طابعها العام يتسم بالعمل السريع والمنظم، ما ينتجع عنه انقلاب فكري واجتماعي، بل أهم ما يميزها أنها كانت تسرباً سلمياً واجتماعياً فرضته دوافع اجتماعية كالزواج والمصاهرة والاندماج، ودوافع سياسية نظراً لتغير الأوضاع السياسية في البلاد العربية، ودوافع اقتصادية

بحثـاً عـن معـادن الذهـب والتجـارة في منتجـات تلـك الأقاليـم، وقـد تـم ذلـك في بـطء وسـهولة وعـلى مـدى أجيـال متعاقبـة، كمـا أن هـذه الهجـرات كان ينتهـي بهـا الأمـر في نهايـة المطـاف إلى الاندمـاج في حيـاة السـكان المحليـين الذيـن كانـوا ينتمـون إلى عنـاصر متعـددة كالحاميـة والزنجيـة ومثـل هـذا ينطبـق عـلى تلـك الثقافـة

التـي حملوهـا معهـم إلى مهاجرهـم الجديـدة،[111] والتـي انصهـرت في مجموعـة مـن الثقافـات التـي كانـت منتـشرة في البيئـات المحليـة.

أثبتـت الأبحـاث الأثريـة (الآركيولوجيـة) وجـود جاليـات إسـلامية في منطقـة خورنبـت الواقعـة عـلى مسـافة 70 ميـلاً غربـي سـواكن إذ عثـر عـلى شـواهد قبـور عربيـة يرجـع تاريخهـا إلى منتصـف القـرن الثانـي الهجـري و760م، وهـذا التاريـخ يشـير إلى فـترة الخليفـة العبـاسي الثانـي أبـو جعفـر المنصـور، ودل هـذا البحـث الأثـري عـلى وجـود مسـجد في سـنكات يرجع تاريـخ بنائـه إلى عـام 218هـ - 831م حتـى خلافـة المعتصـم وهـذا يـدل عـلى أن الهجـرات العربيـة جـاءت عـن طريـق البحـر الأحمـر واسـتقرت في أرض البجـة واختلطـت بهـم وتزوجـت منهـم وتعلمـت اللغـة البجاويـة ليسـهل عليهـم التعامـل مـع البجاويـين في هـذه المنطقـة. والثابـت أن القـرن السـادس عـشر الميـلادي كان نقطـة تحـول وعهـد انتقـال لهـذه القبائـل مـن المسـيحية إلى الإسـلام عـلى أيـدي جماعـة مـن العلمـاء الذيـن قدمـوا مـن الحجاز ومصر[112].

لقـد شـق الإسـلام طريقـه إلى البجـة عـن طريـق هجـرات جماعـات عربيـة مـن بـلي وجهينـة نزحـت إلى هـذه الجهـات للتجـارة عقـب الفتـح الإسـلامي لمـصر، وليـس مـن المسـتبعد أن ينـشر أفرادهـا الإسـلام بصفـة جزئيـة في منتصـف القـرن السـابع الميـلادي[113]. ولـم يكـن يمـضي أكثـر مـن سـت سـنوات عـلى حملـة ابـن الجهـم عـلى البجـة حتـى وفـدت جماعـات إلى وادي العلاقـي بعـد أن وصلتهـا أنبـاء وجـود المعـادن في هـذا الـوادي[114] ولا شـك أن هـذه الجماعـات تركـت لونـاً مـن التأثـير فيمـن اختلطـت بهـم مـن البجـة، بـل أن بعضهـم تخلـف في بـلاد البجـة وتعلـم اللغـة البجاويـة ليسـهل عليـه التعامـل مـع البجاويـين والتأثـير فيهـم والدليل عـلى ذلـك أن زكريـا صالـح المخزومـي مـن سـكان جـدة وعبـد اللـه بـن اسـماعيل القـرشي قامـا بترجمـة عقـد ابـن الجهـم إلى اللغـة التبداويـة[115]. وزاد إقبـال العـرب عـلى أرض المعـادن منـذ عهـد المعتصـم لأنـه اسـتكثر مـن الجنـد الأتـراك وأثبتهـم في الديـوان وأمـر واليـه في مـصر بإسـقاط مـن ديـوان مـصر مـن العـرب وقطـع العطاء عنهـم وأدى ذلـك إلى ثـورة عربيـة ضـد الـوالي انتهـت بـأسر زعمـاء الثـورة مـن العـرب. ويتضـح مـن هـذا العهـد أن الإسـلام قـد شـق طريقـه إلى أراضي البجـة كمـا شـقها إلى بـلاد النوبـة مـن قبـل، لأن وجـود المسـاجد والمسـلمين الذيـن يدخـل

عمال المسلمين بلاد البجة لقبض صدقات من أسلم منهم دليل واضح على انتشار الإسلام على نطاق واسع سواء أكانوا عرب من الذين أقاموا هناك، أو من البجة الذين اعتنقوا الإسلام نتيجة اختلاطهم بالعرب. ويظهر أن العرب قد اتصلوا اتصالاً وثيقاً بالبجة في القرن الثامن الميلادي عن طريق البحر الأحمر أو عن طريق وادي النيل فوصلوا إليهم تجاراً أو حاجين أو مهاجرين إلى مناطق الذهب والزمرد، كما يظهر أن جماعة من العرب المسلمين كانوا أول من استقر هناك وبنوا مساجد لهم، فهذه كلها ظروف ومناسبات مهدت للعرب للاختلاط بالبجة، ومن هنا خضع البجة في شرق السودان في العهد العباسي للحكم الإسلامي بعد 300 سنة من غزو عبد الله بن أبي السرح فأصبحت جزء من الدولة الإسلامية[116].

ثانيا: دخول الإسلام إلي مملكة علوة:

أما مملكة علوة فقد ذكرت لأول مرة في التاريخ في القرن الرابع قبل الميلاد، وهي تطلق دائما ويراد بها عاصمتها سوبا، وذكر أن بلقيس ملكة سبأ ولدت ولداً، ولخوفها عليه بعثته إلى السودان غربي مدينة سوبا التي كان اسمها سبأ، حرف الاسم لتقادم العهد[117]. كما ورد أن سوبا التي تقع قريباً من الخرطوم هي بلد أسسه عرب آراميين الذين هاجروا من مصر قبل ميلاد المسيح ببضع قرون[118]. وعرفت هذه المملكة باسم علوة أو النوبة العليا وتقع على نحو أربعة عشر ميلاً جنوب شرق الخرطوم، وقد وصفها الإدريسي وذكر أنها غلوة بالغين بدلاً من العين، وانتقلت إليها إدارة الحكم بعد سقوط مملكة مروي بسبب هجوم ملك أكسوم، ويعتقد أن المسيحية انتقلت إليها مع بعض المصريين القدامى الذين لجأوا إلى علوة وغيرها فراراً من الاضطهاد الروماني، وانتشرت المسيحية على نطاق واسع حينما اعتنقها الممالك والزعماء. وكانت علوة مجموعة من الزعامات والولايات الصغيرة وبها أربعمائة كنيسة وديرولم يكن النظام السياسي يختلف عما كان في مملكة النوبة الشمالية، وإن كان ملك علوة يمتاز بجاه ونفوذ، وأكبر جيشاً وأكثر عدداً، ويرجع ذلك لاتساع المملكة[119]. ولعلوة وعاصمتها سوبا ارتباط حضاري قديم بحضارة سبأ اليمنية القديمة، ومن هنا كان نقل الاسم محرفاً أو احتمال عبور جماعات حميرية للبحر الأحمر واستقرارها في السودان، ونقل أسماء أجدادها معها مثل «كو» وسبأ التي حرفت إلى سوبا العاصمة[120].وعلى الراجح أن حدود علوة تمتد من الأبواب شمالاً إلى القطينة على النيل الأبيض جنوباً، وشملت جهات الاتبرا والنيل الأزرق وحتى حدود الحبشة شرقاً، وبعض جهات كردفان ودارفور غربا[121]. وعندما بدأ تسلل العرب السلمي للسودان

كانت سوبا تتخذ النصرانية ديناً وقد أرسلت ثيودورا امبراطورة بيزنطة بعوثاً تبشيرية إلى السودان سنة 540 م لدعوة الناس لاعتناق المسيحية ونجحوا في رسالتهم وفي وقت قصير، وأصبح الدين الرسمي لمملكة علوة هو المسيحية، وفي عام 580م خلف لونجينوس المبشر الأصلي القسيس جوليان، وذهب من نوباطيا لتنصير أهل علوة بطلب من ملك نوباطيا، وقد لاقى من الصعاب في سفره بسبب ذلك، مما اضطره لترك طريق النهر وسلوك الطريق البري عبر الصحراء الشرقية تحت حماية ملك البجة إلى أن قابله ملك علوة، وقد نجح لونجينوس في مهمته[122]. وقد ذكر المسعودي أن مذهب أهل علوة الذي كان سائداً قبيل فتح العرب لعلوة هو مذهب اليعاقبة[123]. وهذا يعني أن علوة كانت وثنية في القرن السادس الميلادي مما حمل ملكها أن يطلب من القس أن يأتي إلى علوة ليعلم الناس الإنجيل.

كما يتبين لنا أن مملكة علوة قد سيطرت على منطقة واسعة من السودان، وعاشت حقبة طويلة امتدت من القرن الرابع قبل الميلاد حتى القرن السادس عشر الميلادي حيث سقطت في أيدي العبدلاب. ولم تكن مملكة علوة في عزلة تامة عن مصر تماماً، فكنيسة علوة ظلت تابعة للكنيسة المصرية في نشأتها فضلاً عن وجود علاقات تجارية قديمة بين البلدين، بدليل تمسك السلطة المملوكية بمدينة سواكن للإشراف منها على حقوق مصر التجارية في حوض النيل الأوسط. وتعرضت علوة كما سبق أن تعرضت له جارتها مقرة في الشمال من عوامل أدت إلى تفككها وانحلالها وزوال الأسس التي قامت عليها الملكية المسيحية فيها، كما تعرضت لعوامل خارجية منذ القرن الثاني عشر الميلادي من غارات للزغاوة على القوافل التجارية ما بين تشاد غرباً إلى النيل شرقاً، وتعرضت أيضاً إلى شتى غارات من جاراتها في الشمال والغرب للحصول على الرقيق منها[124]. وكان لقطع العلاقات الدينية بين الكنيسة المصرية وكنائس علوة وتوقف إرسال الأساقفة المصريين إلى بلاد النوبة منذ منتصف القرن الثالث عشر الميلادي أثر خطير في حياة النوبيين الدينية فأهملت الطقوس الدينية وهجرت الكنائس وخرب معظمها[125]. وقد برزت الأسباب الأساسية لمكاسب الإسلام من الضعف في المجتمعات المسيحية نفسها، لقد جاءت المسيحية كعبادة جديدة دون أن تحدث ثورة في حياة النبلاء أو العامة واتخذت العبادة بشكل حميم مع الثقافة الأجنبية، وكان كل الأساقفة والعديد من رجال الدين مصريين يختارون القساوسة من الرهبان والأقباط، وبسبب الاعتماد على المنوفستية المصرية توقف أي إمداد جديد برجال الدين عندما انقطعت العلاقات مع الاسكندرية لأسباب سياسية[126].

كما انقطعت في زمن الحاكم بأمر الله العلاقات بين دنقلا والإسكندرية، وعندما فقدت الكنيسة القبطية الكثير من هيمنتها، ولم تستطع فرض أي نفوذ مؤثر على الأراضي الجنوبية، كما كانت الطقوس تتم باللغة اليونانية ولا يمكن التعبير عن حياة وإرادة الشعب بلغة أجنبية، وسلطة دينية أجنبية، بالإضافة إلى أن المسيحية كانت ومنذ البداية ديناً للدولة، ولم تخلق أبداً ثورة في حياة الشعب[127].

لقد كان لتكاثر العرب ووجود القبائل العربية في علوة أثر مباشر في سقوطها إذا أصبح عددهم يتغلب تدريجياً على عدد السكان الأصليين، ذلك أن بعضهم استقر في حوض النيل الأوسط، والبعض منهم عبر النيل إلى كردفان، فلما كثر عددهم قضوا على مملكة علوة، وكانت قبيلة العبدلاب من القبائل العربية الهامة في سودان وادي النيل التي ساعدت على سقوط مملكة علوة، وهم من قبيلة رفاعة العربية إحدى مجموعات القبائل الجهينية[128]. وسقوط علوة يدل على أن أعداد كبيرة من العرب وبخاصة من جهينة قد استقرت في مملكة علوة المسيحية، وادى هذا الانتشار الواسع للعرب وعلى مدى عدة قرون تم لهم الاستيلاء عليها والقضاء على علوة المسيحية نهائياً.

لا شك أن تسرب القبائل العربية منذ أواسط القرن الرابع عشر الميلادي في أعداد كبيرة إلى مملكة علوة التي تمتد من الأبواب «كبوشية» حتى منطقة سنار أدى بدرجة كبيرة إلى الاختلاط والمصاهرة بين العرب الوافدين والوطنيين على نسق لا يختلف كثيراً عن ما تم بين ربيعة والبجة من جهة، وبينها وبين النوبة من جهة أخرى، ونتيجة لنظام الوراثة عن طريق الأم تبوأ العرب أماكن السلطة، وعن طريق الالتحام نشروا تدريجياً الإسلام والثقافة العربية، وتمثل الوطنيون اللغة العربية، والأنساب العربية تمثلاً تاماً، إلا أن البجة والنوبة رغم أنهم أول من اتصل بالعرب والإسلام إلا أنهم حافظوا على لغتهم المحلية، وعلى إثر ذلك شهد الجزء الشمالي من السودان الشرقي اختلاطاً بين العرب والنوبة والبجة من جهة، وبين الإسلام والمسيحية والوثنية من جهة أخرى، وكيفما كان الأمر فإن اكتمال انتشار الثقافة الإسلامية وغلبتها كان من مجهود الفقهاء، ورجال الطرق الصوفية فيما بعد في كنف ملوك العبدلاب والفنج والفور إلى حد ما[129].

وبذلك توغلت العروبة والإسلام حتى حوض بحر الغزال وجبال النوبة رغم وعورة مسالكها وصعوبة التوغل فيها، فقد تأسست دولة تقلي في أطرافها الشمالية الشرقية وكانت عاملاً في نشر الإسلام حتى وصلت إقليم تلودي[130].

قيام الدويلات الإسلامية:

وإزاء تزايد تيار الهجرة العربية إلى بلاد النوبة والسودان الشمالي، وحالة الفوضى التي كانت عليها المنطقة، وصراعات الملوك حول السلطة، وغزوات الحكومات الإسلامية في مصر، كلها تعد عوامل أساسية أدت إلى سقوط الدولة المسيحية في دنقلا في القرن الثامن الهجري الرابع عشر الميلادي، مما فتح الباب أمام القبائل العربية لتتدفق جنوباً، مكونة حياة مستقرة بعد أن عجز ملوك النوبة عن مدافعتها، وبقيت دولة علوة المسيحية تنتظر مصيرها المحتوم وذلك بعد قرابة قرنين من الزمان لتتوحد هذه القبائل وتنتهي الدولة المسيحية في علوة في مطلع القرن السادس عشر الهجري مما يعني أن تحولاً سياسياً وثقافياً واجتماعياً وروحياً قد طوق بلاد السودان الشمالي وشهدت قيام دويلات وإمارات عربية إسلامية كان لها الدور الكبير في نشر الإسلام في بقية بلاد السودان الأوسط والغربي فيما بعد.

لقد كان تبادل الجماعات والثقافات بين مصر النوبة من أكبر وأهم الأسباب التي ساهمت في اضمحلال وسقوط مملكة النوبة المسيحية فقد خرجت من النوبة جماعات مسيحية التحقت بجيش مصر، بينما لفظت مصر بعض عناصر الشغب فيها، وهم جميعاً من العرب المسلمين فأنسابوا إلى النوبة، ثم أخذ هؤلاء يؤثرون تأثيراً بشرياً وثقافياً فيما تبقى لدى النوبة من عناصر نوبية مستقرة على حين أن العناصر النوبية النازحة إلى مصر لا بد أن تكون تحولت إلى الإسلام بدليل ما تردد في بعض المراجع من «شكوى أهل مصر من ضيق المسجد الجامع يوم الجمعة بالجند السودانيين»[131].

وطرأ تطور على الحياة السياسية فأضحى الحكم وراثياً في بيت شيخ القبيلة أو الدار، وتكونت زعامات إقليمية تولاها شيخ المشائخ وهو عادةً شيخ أقوى قبيلة في المجموعة وعرف باسم الملك أو المانجلك» وبهذا اختفى نظام الوراثة القديم، أي نظام الأمومة.

ولعل أهم أثر لقيام هذه المشيخات الإسلامية في حوض النيل الأوسط هو ازدياد انتشار الإسلام بين كثير من أهل البلاد، وما رأت القلة التي بقيت على النصرانية أن لا أمل لها في قيام حركة للإصلاح في مجتمعهم بسبب انقطاع علاقاتهم الدينية بكنيستهم الكبرى في الإسكندرية، كان من الطبيعي أن ينشدوا ما يسد رمقهم الروحي في الدين الإسلامي الذي دل بين اتباعه على قوة وحيوية[132].

وعلى الرغم من تطور الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية في هذا الجزء من حوض النيل فإن هذا لم يؤد إلى استقرار الأحوال بسبب اختلال الأمن، والنزاع بين القبائل العربية حول مواطن الرعي من ناحية وبينها وبين

الوطنيين من ناحية أخرى إلى تدهور الأحوال الاقتصادية، وتعطيل التجارة بين مصر وهذه البلاد مما أطر الحاجة الماسة إلى إنشاء حكومات مركزية[133].

أولاً: قيام الأمارة العمرية:

كان البجة سكان الصحراء الشرقية يقومون بغارات مفاجئة على الصعيد المصري، وفي عهد الدولة الطولونية أرسل أحمد بن طولون حملة لتأديب البجة والنوبة بقيادة عبد الله بن عبد الحميد العمري، وسارت هذه الحملة عام 254هـ/868م وقامت الحملة بنشاط كبيرة في بلاد النوبة التي لم تكن تتأثر بالنفوذ السياسي للممالك المسيحية، وهي المنطقة التي تقع جنوب الشلال الرابع والتي غزاها العمري في القرن الثالث الهجري (إقليم شنقير) شرق أبو حمد وكانت حملة العمري لها عدة أغراض ولم يكن المقصود بها قبائل البجة فقط وإنما شملت المناطق النيلية، وكانت بعض المصادر ترجع هدف الحملة إلى اكتشاف المعادن، والبعض يرجع هدف الحملة إلى تأديب المعتدين على الأراضي المصرية، وهناك من المصادر ما يؤكد أن هدف الحملة الأساس هو نشر الإسلام والدعوة إليه، وأياً كان هدفه فقد تأسست ولاية عربية إسلامية كانت سبباً في فتح باب الهجرة إلى الجنوب أمام القبائل العربية وبعد أن قضى العمري على البجة اتجه غرباً إلى النيل في إقليم المريس ودمر مدنه واتجه جنوباً وراء وادي العلاقي حتى وصل إلى شنقير قرب مملكة الأبواب حيث اكتشف مواقع جديدة لمعدن الذهب، واشترك معه في تأسيس الولاية أعداد كبيرة من ربيعة وجهينة وهدف إلى إقامة أمارة مستقلة تحت زعامته[134].ولعل ازدياد نفوذ العمري يوضح رغبته في إقامة إمارة عربية إسلامية تحت زعامته في بلاد النوبة بعيداً عن الدولة الطولونية في مصر، ولكن ابن طولون عندما سمع بنفوذ العمري وسلطانه خاف من انفصاله ببلاد النوبة، فأرسل إليه حملة عسكرية بقيادة شعبة البابكي ولكن العمري هزمها مما اضطرت للعودة إلى مصر، وقام أحمد بن طولون بتأنيبه ولكن العمري أرسل له رسالة يعلمه فيها بأن ما يهدف إليه من بسط النفوذ العربي لا يعتبر بمصلحة مصر وبأنه يعمل من أجل الإسلام والمسلمين[135]. وكانت هذه الأمارة قد فتحت الباب أمام النازحين العرب، وشجع العرب على الاستقرار في هذه المنطقة، وقد علمنا فيما سبق أن الهجرات العربية هي صاحبة الفضل الأول في نشر الإسلام في بلاد النوبة وذلك عن طريق الاحتكاك والاندماج والمصاهرة وقد أكد كثير من الباحثين أن الإسلام ينتشر عن طريق التأثير والقدوة والمعاملة وغيرها من الأساليب التي كانت سبباً في نشر الإسلام في معظم البلدان التي دخلها الإسلام.

وهناك من الكتاب من رأى أن إمارة العمري لم تكتمل بسبب اغتياله،

وأكدوا أنه كادت أن تقوم أمارة إسلامية تحت زعامته لولا مقتله، ولكن نرى أنه طالما اكتملت مقومات الأمارة الإسلامية فإنها تعد من الأمارات الأولى التي تكونت والتي كان لها دور عظيم في نشر الإسلام بين البجة والنوبة.

ثانياً: إمارة بني الكنز:

لقد كانت حملات سلاطين مصر من أهم الأسباب التي أضعفت السياج السياسي لنظام الحكم في بلاد النوبة ومهدت لغلبة العرب الذين استطاع روادهم من بني الكنز اعتلاء عرش النوبة في سنة 1323 معتمدين على نظام الوراثة عن طريق الأم وعلى تأييد النوبة المستعربين والعرب الذين صاحبوا الجيوش المملوكية، فانتقلت السلطة داخل الأسرة الحاكمة من فرع نوبي مسيحي خالص إلى فرع نوبي مسلم مستعرب، وبسقوط مملكة المقرة المسيحية في أيدي المسلمين إنهار السد المنيع الذي كان يحول لعدة قرون دون توغل العرب في حوض النيل الأوسط، ومن ثم تدفقت القبائل الساخطة على نظام الحكم في مصر إلى بلاد النوبة ثم إلى المراعي الواسعة عبر صحراء العتمور، ونتيجة لتدخل المماليك لم يعد النظام الذي ورثه بنو الكنز قادراً على الصمود طويلاً أمام تدفق العربان من الشمال الشرقي، فاضطر بنو الكنز إلى التقهقر إلى الدر في منطقة المريس، تاركين بلاد النوبة في أواخر القرن الرابع عشر الميلادي في حالة سيئة من الفوضى[136]. وبعد أن ارتبط العرب بالنوبيين وتزوجوا بنات الزعماء كونوا طبقة حاكمة أزالت نفوذ الملك المسيحي في تلك المنطقة، ويبدو أن كثيراً من النوبيين تحولوا إلى الإسلام، والدولة الفاطمية سرها امتداد الإسلام لبلاد النوبة واعترفت بالأمارة، بل استعانت بأمير ربيعة في مطاردة ثوار بني أمية، ومنهم أبو ركوة الذي فر هارباً إلى بلاد النوبة، واستطاع هبة الله أبو المكارم امير ربيعة القبض عليه فأضفى عليه الحاكم الفاطمي لقب كنز الدولة تكريماً ومكافأة له وصار كل زعيم يحمل هذا اللقب بل عرفت القبيلة ببني الكنز، وهم الكنوز المعروفون اليوم وعندما جاء الأيوبيون إلى الحكم ساءت علاقتهم مع بني الكنز وذلك بسبب استبدال صلاح الدين الأيوبي للجنود السودانيين بالشراكسة والأتراك والديلميين فثاروا عليه ودارت معارك بين الجنود السودانيين وجيش صلاح الدين فانهزم السودانيين وفشلوا في محاولتهم إعادة الفاطميين إلى الحكم ونتيجة لذلك نقل بني الكنز عاصمتهم من أسوان إلى الجنوب في أرض النوبة وتم اندماجهم مع سكانها[137].

استفادت ربيعة من نظام الوراثة عند البجة ونجحت في السيطرة عليهم، وعلى أرض المعادن وقد تم لها ذلك حيث تزوج أمراؤها من بنات حكام البجة فأنجبوا أبناء ورثوا الأمارة عن أخوالهم ويذكر ابن حوقل أن

في زمنه – أي في النصف الأول من القرن الرابع الهجري كان يرأس الحدارية أجمع رئيسان هما كوك وعبدك، ويعرف كوك بأنه خال أبي القاسم حسين بن علي بن بشر وأما عبدك فهو خال اسحق بن بشر صاحب العلاقي[138]. ثم آلت إلى اسحق بن بشر برئاسة الإمارة التي جمعت بين ربيعة والحدارية، وتتفق معظم المصادر على أن رئاسة الأمارات آلت إليه دون غيره، وأن صاحب المعدن سنة 332هـ – هو أبو مروان اسحق بن بشر واستمر حاكما لأمارة ربيعة في العلاقي مدة إلى أن قتل نتيجة لنزاع نشب بين رجالها[139]. وبعد مقتل أبو مروان اختارت القبيلة أبو يزيد بن اسحق والذي ينتهي نسبه إلى معد بن كرب بن ربيعة وكان يتمتع بشخصية قوية حازمة، وكانت القبيلة في ذلك الوقت في حاجة إلى شخصية قوية تحفظ لها وحدتها وقوتها ونقل مركز الأمارة إلى أسوان وهناك عظم مركزها وزادت ثروتها وأصبح لإمارة ربيعة دور ممتاز في ميدان السياسة والاقتصاد، وفي ميدان العلاقات بين بلاد النوبة والدولة الفاطمية في مصر.

نجح بنو الكنز بعد أن رحلوا عن أسوان، وبعد قرابة قرن ونصف قرن من الزمان في إقامة أمارة ثانية لهم في بلاد النوبة، وقد تم لهم ذلك بعد أن ورثوا عرش المقرة المسيحية وساعدهم على ذلك قدرتهم على الاندماج مع أهالي البلاد والاستفادة من نظام الوراثة بمصاهرة أهل النوبة، ذلك النظام الذي يعطي حق الوراثة لابن البنت أو ابن الأخت، وهو نفس نظام الوراثة المطبق عند البجة، كما استفادوا من اشتراكهم في الحملات العسكرية التي وجهها المماليك ضد بلاد النوبة فكسبوا ود المماليك مما زاد في تدعيم نفوذهم في تلك البلاد[140]. ومعنى سيطرة المماليك على منطقة مريس، أن يسيطر بنو الكنز على بلاد النوبة ذلك أن منطقة المريس هي المنطقة التي رحلوا إليها بعد هزيمتهم على يد قوات صلاح الدين الأيوبي، واتخذوها قاعدة لبناء إمارة ثانية لهم في بلاد النوبة واستطاعوا أن يستولوا على قلعة الجبل أهم قلاع تلك المنطقة، كما اضطر ملك دنقلا للاعتراف بنفوذهم في منطقة مريس، بل اعترف برئيسهم نائباً عنه في حكم قلعة الجبل[141]. ويؤيد هذا الرأي المصادر العربية التي ذكرت أن صاحب قلعة الجبل وقت أن هاجمتها قوات بيبرس كان شخصاً يدعى قمر الدولة وهذا لقب اسم أمير بني الكنز في ذلك الوقت، وقد سهل قمر الدولة للقوات المملوكية مهمتها ضد الملك داؤود ملك النوبة[142].

ازدادت الحالة الاقتصادية في مصر سوءاً في نهاية القرن الثامن الهجري وبداية القرن التاسع الهجري بسبب المجاعة الطويلة المنقطعة التي حلت بمصر، وقد صحب هذه المجاعة انتشار الوباء وموت آلاف المصريين، وتسببت

هـذه الضائقـة الاقتصاديـة في زيـادة الاضطرابـات في البـلاد مـا دفـع أعـداد هائلـة مـن قبائـل هـوارة وفـزارة وجهينـة الموجـودة بشـمال البـلاد إلى الهجـرة جنوبـاً إلى بـلاد النوبـة، وكانـت حكومـة بنـي الكنـز مـن الضعـف وقتـذاك بحيـث أنهـا لـم تسـتطع رد هـذه القبائـل النازحـة وتحالفـت قبيلـة هـوارة مـع بنـي الكنـز غـير أنها مـا لبثـت أن ناصبتهـا العـداء واشـتبكت معهـا في معركـة حاميـة في أسـوان انتهـت بهزيمـة بنـي الكنـز وتخريـب مدينـة أسـوان وقتـل عـدد كبـير مـن أهلهـا[143]. وضعـف مركـز بنـي الكنـز وتقلـص نفوذهـم إلى منطقـة مريـس، وصـاروا اتباعـاً لقبيلـة هـوارة ودانـوا لهـا بالـولاء، غـير أن هـوارة نفسـها ضعـف نفوذهـا في منتصف القـرن التاسـع الهجـري ممـا أدى إلى تدخـل السـلطنة المملوكيـة واسـتعادة نفوذهـا في منتصـف القـرن التاسـع الهجـري في هـذه البـلاد. وبعـد ذلـك حـدث صراع بـين بنـي الكنـز وجهينـة ولمـا لـم يسـتطع بنـو الكنـز ردهـم فاضطـروا إلى مصانعتهـم ومصاهرتهـم حتـى آل الحكـم إلى قبيلـة جهينـة عـن طريـق نظـام وراثـة أبنائهـم لعـرش بنـي الكنـز[144].

قـام بنـو الكنـز بـدور هـام في نـشر الإسـلام بـين قبائـل البجـة الوثنيـة وقبائـل النوبـة المسـيحية وكان لهـم الفضـل الأكـبر في تحـول هـذه القبائـل عـن ديانتهـا وإقبالهـم عـلى ديـن الإسـلام، أمـا عـن البجـة فقـد أدى اسـتقرار القبائـل العربيـة ومنهـا قبيلـة ربيعـة إلى تـسرب الإسـلام إليهـا، وشـاهد ذلـك تلـك المسـاجد التـي بنيـت في بلادهـم والتـي نصـت المعاهـدة المعقـودة سـنة 216 بـين ابـن الجهـم وملكهـم كنـون بـن عبـد العزيـز رئيـس البجـة عـلى حمايتهـا ورعايتهـا، كمـا أن هجـرة ربيعـة الكـبرى إلى بلادهـم 238هـ وممـا ترتـب عـلى ذلـك مـن اندمـاج بـين ربيعـة والبجـة، ونتيجـة لهـذه المصاهـرة سـيطرة الحداربـة عـلى الفـرع الآخـر الـذي لـم يسـلم والمسـمى بالزنافـج[145]. وهـذا أدى إلى أن تسـارع القبائل إلى اعتناق الإسـلام خاصـةً بعـد أن اسـتقر بينهـم بنـو كاهـل أصهـار ربيعـة الذيـن ورثـوا عنهـم حكـم قبائـل البجـة في الصحـراء الشرقيـة[146]، كمـا بـدأ انتشـار الإسـلام بـين أهـل منطقـة المريـس منـذ أن بـدأ العـرب يرحلـون إليهـا، والدليـل عـلى دخـول الإسـلام بـلاد النوبـة أن عقـد البقـط اشـتمل عـلى رعايـة المسـجد الـذي بنـاه العـرب هنـاك، ولـم تـشر المصـادر إلى تحـول النوبيـين للإسـلام حتـى أواخـر حكـم الأخشـيديين لمـصر، ولكـن في العـصر الفاطمـي يذكـر لنـا ابـن سـليم الأسـواني أن كثـير مـن النوبيـين اعتنقـوا الإسـلام عـلى الرغـم مـن جهلهـم باللغـة العربيـة[147]. ويكفـي لإبـراز هـذا التحـول أن كنـز الدولـة نـصر بـن شـجاع قـام في اوائـل القـرن الثامـن الميـلادي بإنشـاء مسـجد في دنقـلا عـلى انقـاض كنيسـة دنقـلا الشـهيرة.

كان ملـك النوبـة كرنبـس عـام 1315م قـد راودتـه فكـرة التخلـص مـن

التبعية المملوكية فامتنع عن أداء الجزية فأرسل السلطان المملوكي حملة للقبض عليه ولكنه لجأ لبلاد الأبواب، فاختار المماليك في القاهرة ملكاً جديداً من الأمراء النوبيين وهو عبد الله برشمبو الذي أسلم وحسن إسلامه عام 1316م، وطالب كنز الدولة ابن اخت كرنبس بحقه في العرش وأيده خاله الهارب كرنبس ووصى عليه سيما أن نية السلطان قد اتجهت إلى تعيين ملك مسلم، غير أن السلطان أصر على تثبيت برشمبو، واحتجز كنز الدولة ومنعه من العودة لبلاد النوبة، وهكذا تربع على عرش المقرة المسيحية أول حاكم مسلم[148]. ولما كان برشمبو قد استعان بسلطان المماليك في تثبيت ملكه، فقد كان أول من استعان بقوة خارجية أو دولة خارجية في تثبيت ملكه ثم استمرت هذه العادة مع بقية الملوك حين يعجزون عن الوصول إلى الحكم بمفردهم يستعينوا بقوات أو دول خارجية من أجل تحقيق ذلك.

ثالثاً: مشيخة العبدلاب:

أمام ضغوط الجماعات العربية وأهمها جهينة فقد اضطر ملك علوة إلى نقل مقر ملكه في القرن الرابع عشر الميلادي إلى مدينة كوسا واتخذها عاصمة له، وبهذا تكون سوبا قد فقدت مركزها القديم كعاصمة لعلوة فاضمحل شأنها وخربت دورها[149]. واستولى العرب على معظم أقاليم علوة، وذلك لا يعني سقوط تلك المملكة حتى القرن الخامس عشر الميلادي على الأقل، ذلك بأن العرب لم ينشئوا حكومة مركزية تخضع لها سائر الأقاليم ولم تكن جهينة الوحيدة التي استفادت من تداعي مملكة علوة وانحلالها، بل شاركتها قبائل عربية أخرى – ونشأت في جوفها أمارات عربية مستغلة، ويذكر القلقشندي أن ثماني أمارات كان بين أمرائها والسلطنة المملوكية في مصر مراسلات في القرنين الثامن والتاسع للهجرة، فقد ظهرت في القرن الخامس عشر الميلادي عدة ممالك ومشيخات إسلامية في حوض النيل الأوسط[150]، وكان لظهورها أثر خطير في تطور الحياة الاجتماعية والسياسية وساعد على زوال بعض الأسس التي قامت عليها الملكية المسيحية في علوة، كما أن اختلاط العرب بالسكان الأصليين أزال بعض العادات الاجتماعية القديمة.

إن القبائل العربية حينما استقرت في بلاد النوبة السفلى وبلاد البجة ووجهت بحقيقة أن بلاد النوبة السفلى ليست مما يستطاب البقاء فيه لأنها لا تستطيع أن تعول عدداً كبيراً من البدو، بسب قحطها وجفافها وقلة مراعيها، وأن الصحراء الشرقية كان يسكنها البجة وهم شعب محارب، وهذا الأمر يترتب عليه احتكاك حربي من نوع ما، وقد حدث نزاع بين جهينة ورفاعة في صحراء عيذاب[151]، لذلك هجر كثير من العرب هذه المواطن وساروا مع

النيل حتى وصولوا إقليم المراعي ثم اتجهوا نحو الجنوب الغربي أو نحو كردفان وإلى الجنوب الشرقي نحو عطبرة والنيل الأزرق ثم إلى الجزيرة[152]، وأسباب هذه الهجرات نحو الجنوب كثيرة منها: «توقف التعدين وانتقال طريق الحج، وتدهور عيذاب واضطراب قوافل التجارة الشرقية، وتوقف النشاط الاقتصادي الذي اعتمد عليه كثير من العرب، فاضطرت أغلبيتهم إلى السير داخل السودان حتى بلغو أرض البطانة ثم الجزيرة وكردفان، وكانت جهينة أكبر هذه القبائل، وتسللت إلى أرض علوة بصورة سلمية، وبلغت قبائل جهينة وحدها اثنين وخمسين قبيلة[153].ولم تكن علاقة العرب بعلوة وليدة القرن الرابع عشر الميلادي، بل ترجع إلى القرون الأولى من ظهور الإسلام فقد ذكر اليعقوبي الذي كتب في النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي أن المسلمين كثيراً ما كانوا يترددون على عاصمتها سوبا في أيامه، ويؤكد الداعية الفاطمي أحمد بن عبد الله بن سليم الأسواني الذي زارها في أواخر القرن العاشر أن المسلمين قد توغلوا في علوة بقصد التجارة بما في ذلك تجارة الرقيق وقد شيدوا لهم رباطاً خاصاً في سوبا، وقد جمع الدمشقي معلومات عن تلك المنطقة من تجار أسوان الذين يترددون عليها[154].ولما كثرت القبائل العربية في النوبة العليا أي في حوض النيل الأوسط كونوا أمارات ودويلات عربية، والدليل على ذلك اتخاذ مدينة أربجي مركزاً لهم قبل سقوط سوبا وأنها كانت عاصمة العبدلاب قبل قيام مدينة قروي أو قرّي، وذلك بعني أن العرب قد نجحوا من قبل القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي في تأسيس ممالك ومشيخات عربية إسلامية في حوض النيل الأوسط من الشلال الثالث حتى مدينة أربجي وما بعدها بقليل، وعليه فإن الشيخ عبد الله جماع شيخ عرب القواسمة قام بدور كبير في قيام مشيخة العبدلاب وسقوط علوة وذلك بتحالفه فيما بعد مع دولة الفونج. ولما كان قيام دولة الفونج خارج الإطار الزمني لهذا البحث فقد رأينا أن نشير إلى أن تحالفهم مع العبدلاب ضد العنج هو الذي ساعد على القضاء على العنج وأدى بدوره إلى قيام أول حكومة إسلامية منظمة وظلت حتى بداية العهد التركي المصري.

قال الشيخ إبراهيم عبد الدافع «وانتقل الفونج من جبال الجنوب إلى جبل موية، وكان كبيرهم عمارة دنقس، وفي جوارهم عرب جهينة تعرف بالقواسمة، وعليها شيخ شديد البأس يقال له عبد الله جماع فاتحد عمارة وعبد الله على ضم كلمة المسلمين ومحاربة النوبة ونزع الملك من أيدي العنج فحشدا الجيوش وهاجما العنج في سوبا فقتلوهم شر قتلة وخربا سوبا ثم سارا إلى قري فقتلا ملكها واستولوا على البلاد كلها وذلك سنة 910م»[155]. ويذكر

شبيكة «ذكروا في التواريخ التي رأيتها أن أول من تولى وملك من ملوك الفونج الملك عمارة دونقس، وكان العنج قبله تقلبوا على النوبة وجعلوا مدينة سوبا مركز سلطنتهم» ويوصف حالة البلاد الدينية وانتشار الإسلام فيها نقلاً عن ود ضيف الله. ووصف اجتماع عمارة دونقس وعبد الله جماع في محاربة ملك سوبا وملك قري وانتصروا عليهم، وأن عبد الله جماع اختط مدينة قري لتكون عاصمة له عند جبل الرويان. وتتفق نسخة المتحف البريطاني اتفاقاً شبه كامل مع نص شبيكة إلا أنها تستخدم كلمة ملوك القرى أو ملك القرى بدلاً من ملوك الغرب، وملوك القرى أو ملك الغرب هم ملوك المقرة وإنما هي قريّ غير المعروفة بالألف واللام وهي المدينة التي اختطها عبد الله جماع باتفاق سائر الروايات[156]. ويشير ماكميكال إلى أن العرب أصبحوا يمتلكون السهول، على حين يسكن الزنوج التلال وقد تم النصر غالباً بالاتفاق والتزاوج أكثر مما اكتسب بقوة السلاح، وأن الظاهرة الأساسية في التاريخ الجنسي لشمال السودان ووسطه منذ أواخر القرن الثالث عشر الميلادي كانت ظاهرة الاندماج التدريجي بين العرب والسود. وهذا الانتشار الواسع للعرب لم يتم دفعة واحدة وإنما استغرق عدة قرون، وفي البداية كانت تعيش في شكل مجموعات تحت سلطان ملوك علوة، محافظة على نظامها. وكانوا يدفعون أتاوة لملوك علوة، ولما اشتد ضغط أعراب جهينة على ملوك علوة، ولما لم يستطيعوا لهم دفعاً استمالوهم إليهم بالمصاهرة فانتقل الملك إلى أبناء جهينة من بنات ملوك علوة حسبما يقتضي به نظام الوراثة المعروف عند النوبيين[157].

نلاحظ أن انتشار الإسلام في بلاد السودان سار بهدوء وبطء إذا ما قيس ببلاد السودان الغربي لعدة أسباب أولها أن الهجرات العربية لم تكن فتحاً عسكرياً بل كانت هجرات سلمية تحتاج لعنصر الزمن لتحقيق غاياتها وأهدافها وثانيها أن المهاجرين العرب لم يكن هدفهم الأول هو نشر الإسلام، وإنما البحث عن أماكن الرعي والاستقرار[158]. هذا فيما يتعلق بالسودان الشرقي والأوسط، وتمدد القبائل العربية في النوبة السفلى والعليا .أما فيما يتعلق بغرب السودان أو غرب نهر النيل فقد كانت مؤثراته تختلف عن مؤثرات السودان الأوسط والشمالي، ذلك أن المرابطين قد اتخذوا وسيلة الجهاد لنشر الإسلام بين القبائل الوثنية في صورة نادرة وفي ما عدا ذلك قد تأثرت أيضاً بالبرابرة والقبائل العربية التابعة للدولة الأموية فيما يعني أن مؤثراته أتت من منطقة المغرب العربي والتي دخلها الإسلام منذ القرن السابع الميلادي ، فعليه نجد أنه تكونت دويلات إسلامية كإمارة الفور في دارفور وتقلي في كردفان ولكن برزت هذه الدويلات في وقت متأخر وخارج نطاق هذا البحث الزماني.

الخاتمة:

لقد ظل السودان بحكم موقعه يمثل وعاءً لانصهار واندماج الأعراق والثقافات السامية والحامية والزنجية المهاجرة إلى القارة الإفريقية ، والسودان كبلد مرتبط مع من حوله من الثقافات والحضارات كان لا بد له أن يتأثر بالمقومات البشرية حضارياً وثقافياً، فقد أدت الهجرات العربية الإسلامية منذ القرن السابع الميلادي وحتى القرن السادس عشر إلى تأثيرات ثقافية واجتماعية كبيرة في شرق وشمال السودان مما أطاح بنظام الحكم في الممالك المسيحية السودانية .

ولقد رأينا كيف أن هؤلاء العرب بدأت هجراتهم إلى السودان منذ وقت بعيد وسلكت هذه القبائل العربية طرقا شتى للوصول إلى بلاد السودان، وأهم هذه الطرق هو الطريق الشرقي عبر البحر الأحمر وباب المندب .

ولما كانت هذه الهجرات العربية هي المؤثر الأكبر في نشر الاسلام في السودان وذلك عن طريق الاحتكاك والاندماج والمصاهرة مما أدى إلى انتشار الاسلام في السودان ولكن بصورة بطيئة وتدريجية أضف إلى ذلك دور التجار والعلماء ومجهوداتهم في هذا الصدد. وكما عقد المسلمون معاهداتهم مع ملك النوبة كذلك اتخذت الحكومات الاسلامية معاهدات مماثلة مع البجة الذين شكلوا تهديدا كبيرا لهذه الحكومات، فكانت هذه المعاهدات بعد الحملات العسكرية على البجة هي أهم المقومات التي جذبت القبائل العربية لها خاصة أن منطقة البجة اتسمت بغناها بمعدن الذهب بالإضافة إلى المراكز التجارية التي أكسبت هذه المنطقة أهمية بالغة خاصة بالنسبة للتجار العرب مما أحدث تحولا تدريجيا للبجة نحو الاسلام.

فقد تحالفت ربيعة مع الحداربة في وادي العلاقي لتأسيس اول إمارة إسلامية كما تصاهرت ربيعة مع النوبة في المريس ودنقلا لتؤسس إمارة بني الكنز الإسلامية التي كان لها الدور الأكبر في إسقاط المملكة النوبية المسيحية ليصعد إلى السلطة أول حاكم نوبي مسلم ولم يكد ينتصف القرن الرابع عشر الميلادي حتى كان أغلب النوبيين قد أعتنقوا الاسلام فأنقطعت الجزية بسبب إسلامهم .

أما دخول الاسلام الى غرب السودان فقد كان بسبب مؤثرات عربية وتأثير البرابرة في المغرب العربي وبتأثير الممالك الإسلامية التي قامت حول بحيرة تشاد في السودان الغربي مما أدى لظهور امارات الفور وتقلي غير أنها برزت في وقت لاحق خارج نطاق هذا البحث الزمني .

المصادر والمراجع

(1) عبد الغني عبد الفتاح زهرة – تاريخ انتشار الإسلام في أفريقيا وأحوال المسلمين بها – مكتبة الرشد 7002م، ص 321.

(2) ج. سبنسر تريمنجهام – الإسلام في السودان – ترجمة فؤاد محمد عكود – المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، ص 11.

(3) محمد عبد الغني سعودي – الاتصالات العربية الأفريقية في العصور القديمة – القاهرة، معهد البحوث العربية ص أ. المقدمة.

(4) عبد العزيز أمين عبد الحميد – التربية في السودان والأسس النفسية التي قامت عليها – مكتبة كنوز القاهرة ـ_ص81

(5) عبد العزيز أمين عبد الحميد – مرجع سابق - ص 02.

(6) عبد الغني عبد الفتاح أبو زهرة- مرجع سابق- ص 421.

(7) نفس المصدر- ص 621.

(8) جودة حسنين- العالم العربي، القاهرة-ص 521.

(9) عبد الفتاح مقلد الغنيمي - مرجع سابق – ص 21-61.

(10) عباس عمار – وحدة وادي النيل – أسسها الجغرافية ومظاهرها في التاريخ – ص 08.

(11) محمد عوض محمد – السودان الشمالي – ص 951-061.

(12) مصطفى محمد مسعد – الإسلام والنوبة في العصور الوسطى – مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة – ص 901.

(13) عبد الفتاح مقلد الغنيمي - مرجع سابق، ص 91-12.

(14) محمد صالح محيى الدين – مشيخة العبدلاب – مصدر سابق – ص 45.

(15) حسب الله محمد احمد- قصة الحضارة-مرجع سابق-ص271.

(16) عبد الفتاح مقلد الغنيمي – مرجع سابق – ص 91.

(17) المرجع نفسه-ص12.

(18) محمد صالح محيى الدين – مشيخة العبدلاب وأثرها في حياة السودان السياسية – مرجع سابق – ص 05.

(19) السر سيد أحمد العراقي (كسلا/ التاريخ والحضارة) – 0102م – 1341هـ - ص 03.

(20) محمد عوض محمد – السودان الشمالي سكان وقبائله – جامعة فؤاد الأول 1591م – القاهرة – ص 82.

(21) عبد المجيد عابدين – تاريخ الثقافة العربية في السودان – دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع - 7691م – ص 7.

(22) محمد عوض محمد – السودان الشمالي – ص 951-061.

(23) محمد عوض – السودان الشمالي – مرجع سابق – ص 92.

(24) المرجع نفسه – ص 03.

(25) عبد الفتاح مقلد الغنيمي – الإسلام والعروبة في السودان – مرجع سابق – ص 72-82.

(26) 26حسب الله محمد أحمد – قصة الحضارة في السودان – مرجع سابق – ص 161.

(27) يوسف فضل حسن – مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية – مرجع سابق – ص 71.

(28) عبد الله الطيب – هجرة الحبشة وما وراءها من نبأ – مؤتمر الإسلام في أفريقيا – الكتاب الرابع نوفمبر 6002 – ص 62.

(29) عبد المجيد عابدين – تاريخ الثقافة العربية في السودان – مرجع سابق – ص 8.

(30) محمد عوض محمد – السودان الشمالي – مرجع سابق – ص 131-231.

(31) المرجع نفسه – ص 13.

(32) سيدة كاشف – مصر في فجر الإسلام -القاهرة– ص 752.

(33) 33Mac Micheal. H.A.A history of the Arabs in the Sudan. Vol.1. P.P. 3-4.

(34) محمد صالح محيى الدين – مشيخة العبدلاب وأثرها في حياة السودان السياسية – الدار السودانية للكتب – ص 16.

(35) اليعقوبي – كتاب البلدان – ص 433.

(36) اليعقوبي – كتاب البلدان – نشر دي عويه 8981م – ص 033-133.

(37) المسعودي – مروج الذهب ومعادن الجوهر – ج – ص 81.

(38) عبد الحميد عابدين – تاريخ الثقافة العربية في السودان – مرجع سابق – ص 11.

(39) مكي شبيكة – مملكة الفونج الإسلامية – القاهرة 3691م – ص 61-71.

(40) مصطفى محمد مسعد – الإسلام النوبة في العصور الوسطى – مرجع سابق – ص 591.

(41) Mac Micheal H.A. A history of the Arabs in the Sudan. P.324.

(42) ابن بطوطة – الرحلة – ج 1 – مصر 2231هـ - ص 451.

(43) محمد عوض محمد – السودان الشمالي – مرجع سابق – ص 441-641.

(44) ابن بطوطة – مصدر سابق – ص 381.

(45) محمد صالح محيى الدين – مشيخة العبدلاب – مرجع سابق – ص 05-15.

(46) محمد عوض – السودان الشمالي – سكانه وقبائله – القاهرة – مرجع سابق – ص 53.

(47) عبد الغني عبد الفتاح زهرة – تاريخ انتشار الإسلام في أفريقيا – مرجع سابق – ص 31.

(48) حسب الله محمد أحمد – قصة الحضارة في السودان – مرجع سابق – ص 921.

(49) Mac Maicheal. A history of the Arabs in the Sudan. P.P. 3-4.

(50) Hamlton – J. A، ed. The Anglo – Egyption – in Sudan from wilhin – P.24.

(51) محمد حافظ النقر – الصراع الإسلامي المسيحي في الحبشة - مجلة دراسة أفريقية – العدد التاسع يوليو 3991م – المركز الإسلامي – ص 97.

(52) أحمد شلبي – موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية – القاهرة – 3891م – ج 6 – ص62.

(53) شوقي الجمل – تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – ص 93.

(54) حسب الله محمد أحمد – قصة الحضارة في السودان – مرجع سابق ص 2.

(55) حسن احمد محمود – الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا ص 55-75.

(56) زاهر رياض – الإسلام في أثيوبيا – دار المعرفة – القاهرة 4831هـ - 4691م – ط1 – ص 09-001.

(57) شوقي عبد القوي عثمان – التجارة بين مصر وأفريقيا في عصر المماليك – المجلس الأعلى للثقافة – القاهرة 2002م – ص 52، والكارمية طائفة من تجار السودان اختصوا بتجارة البهار كالفلفل والقرنفل وغيرها – وهي كلمة أمهرية «Kuaraima» تعني الحبهان وهي تابل اشتهروا بالتجارة فيه.

(58) حورية توفيق مجاهد – الإسلام في أفريقيا ودافع المسيحية والديانة التقليدية – القاهرة 2002م – ص 521.

(59) عبد الله سالم محمد بازينة – منشورات جامعة 7 أكتوبر – مصراتة – ليبيا – 0102م – ص 521.

(60) المقريزي – السلوك لمعرفة دول الملوك – لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة 3981م – ج4 – ص 03.

(61) حسب الله محمد أحمد – قصة الحضارة في السودان – مرجع سابق – ص 091.
(62) عون الشريف قاسم – الجزء الثاني – 6991م – ص 465.
(63) نفس المصدر – ص 479-089.
(64) حسن إبراهيم حسن – انتشار الإسلام في القارة الأفريقية – ط2 – مرجع سابق – ص 051.
(65) حسب الله محمد أحمد – قصة الحضارة في السودان – مرجع سابق – ص 832.
(66) عفاف مكاوي محمد قيلي – أساليب نشر الدعوة الإسلامية في السودان – ماجستير غير منشور – جامعة الخرطوم 9991م – ص 48.
(67) محمد النور ضيف الله – كتاب الطبقات – ص 012-112.
(68) يحيى محمد إبراهيم – تاريخ التعليم الديني في السودان – دار الجيل بيروت 7891م – ص73.
(69) مكي شبيكة – مملكة الفونج الإسلامية – القاهرة 4691م – ص 91.
(70) محمد المكي إبراهيم – الفكر السوداني أصوله وتطوره – مصلحة الثقافة – الخرطوم 6791م – ص 04.
(71) عبد المجيد عابدين – تاريخ الثقافة العربية في السودان – ط – 7691م – ص 43.
(72) عبد الفتاح عبد الغني زهرة – مرجع سابق – ص 251.
(73) عبد العزيز عبد المجيد – التربية في السودان – مرجع سابق – ج 1 – ص 6.
(74) أحمد محمود حسن – مرجع سابق – ص 252.
(75) جعفر محمد دياب – طائفة العلماء في السودان – النشأة والتطور حتى نهاية الدولة المهدية – مجلة المؤرخ السوداني – العدد الثالث – 5102م – ص 09
(76) يوسف فضل حسن – مقدمة في تاريخ المماليك الإسلامية – ص 391.
(77) وانظر Mac Micheal، Arab in the Sudan، P.P. 35- Im
(78) المرجع نفسه – ص491.
(79) كرم الله الصاوي باز – ممالك النوبة في العصر المملوكي – مكتبة الانجلو المصرية – القاهرة 6002م – ص 833.
(80) يحيى محمد إبراهيم – تاريخ التعليم الديني – مرجع سابق – ص 73.
(81) عفاف مكاوي – أساليب نشر الدعوة الإسلامية في السودان – مرجع سابق – ص 58.
(82) حسن محمد الفاتح قريب الله – التصوف في السودان إلى نهاية عصر الفونج – ماجستير جامعة الخرطوم 5691م – ص 92.

(83) عوض السيد الكرسني وعبد الله محمد عثمان: المجذوبية والمكاشفية – طريقتان صوفيتان في السودان – ترجمة أسماء عبد الرحمن – رسالة ماجستير جامعة الخرطوم 9891م- ص 09.

(84) يحيى محمد إبراهيم – مدرسة أحمد بن إدريس المغربي – دار الجيل بيروت ط1 – 3991م – ص 503.

(85) نفس المصدر – ص 603.

(86) 85ب.م. هولت – الأولياء الصالحون والإسلام في السودان – ترجمة هنري رياض – الجنيد علي عمر – مكتبة خليفة عطية – السجانة الخرطوم – ط2 – 1931هـ - 1791م – ص 01.

(87) trimining. Ham – Islamin Sudan. P.P.98-104.

(88) المقريزي – الخطط – مصدر سابق ج – ص 39.

(89) مصطفى محمد مسعد – الإسلام والنوبة – مرجع سابق – ص 041-141.

(90) يوسف فضل حسن – مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية _ مرجع سابق _ص 221.

(91) عبد المجيد عابدين – تاريخ الثقافة العربية في السودان – مرجع سابق – ص 13.

(92) تريمنجهام – الإسلام في السودان – مرجع سابق – ترجمة فؤاد محمد عكود.

(93) لمسعودي – مروج الذهب ومعادن الجوهر – ص 3 – أنظر المقريزي – الخطط القاهرة – مجلد ص 313-913.

(94) حسب الله محمد أحمد – قصص الحضارة – مرجع سابق-ص 881.

(95) السر سيد أحمد العراقي – كسلا التاريخ والحضارة – مرجع سابق – 0102م – ص 13-23.

(96) حسن إبراهيم حسن – انتشار الإسلام في القارة الأفريقية – مرجع سابق – ص 143.

(97) مكي شبيكة – السودان عبر القرون – دار الجيل بيروت – 1991م – ص 03.

(98) عبد الفتاح مقلد الغنيمي – الإسلام والعروبة في السودان – مرجع سابق – ص 74-84.

(99) حسن إبراهيم حسن – انتشار الإسلام في القارة الأفريقية – مرجع سابق – ص 241.

(100) مصطفى محمد مسعد – الإسلام والنوبة – مرجع سابق – ص 611-711.

(101) مكي شبيكة – السودان عبر القرون – مرجع سابق – ص 33-43.

(102) محجوب زيادة – الإسلام في السودان – دار المعارف – مصر 6991م – ص 92.

(103) يحيى محمد إبراهيم – تاريخ التعليم الديني في السودان – مرجع سابق – ص 32.
(104) قيصر موسى الزين، فترة انتشار الإسلام في السلطنات – مرجع سابق – ص 33.
(105) عبد الفتاح مقلد الغنيمي، الإسلام والعروبة في الإسلام – مرجع سابق – ص 15-25.
(106) لمرجع نفسه – ص 26.
(107) مصطفى محمد مسعد – الإسلام والنوبة – مرجع سابق – ص 721 – نقلاً عن اليعقوبي – كتاب البلدان – مرجع سابق ص 433-533.
(108) المسعودي – مروج الذهب ومعادن الجوهر – مرجع سابق – ج 3 – ص 03-43.
(109) ابن خلدون – العبر وديوان المبتدأ والخبر – مرجع سابق – ص 363.
(110) عوض صالح علي – أثر الإسلام في البجة (2-01) هـ - (8-61)م – ماجستير جامعة الخرطوم – كلية التربية 8991م – ص 842.
(111) Vantini، G، Christianity in the Sudan Publishers. Eni. Bologna. Italy 1981.P. 89.
(112) بشير إبراهيم بشير – الفاطميون والبحر الأحمر – مجلة كلية الآداب – جامعة الخرطوم – العدد الأول 2791م – ص 241-051.
(113) لسر سيد أحمد العراقي – كسلا التاريخ والحضارة – مرجع سابق – ص 33-53.
(114) مصطفى محمد مسعد – الإسلام والنوبة – مرجع سابق ص ص 711-811.
(115) ابن حوقل – صورة الأرض – مرجع سابق – ص 35.
(116) لمقريزي – المواعظ والاعتبار – مرجع سابق ج 1 – ص 691.
(117) عبد الفتاح مقلد الغنيمي – الإسلام والعروبة في السودان – مرجع سابق – ص 84-94.
(118) المرجع نفسه – ص 65-95. وأنظر أيضاً محمد صالح محيى الدين – مشيخة العبدلاب – ص 68.
(119) 118عبد المجيد عابدين – السودان الأوسط والسودان الغربي – الخرطوم 2791م – ص 32.
(120) عبد الفتاح مقلد الغنيمي – الإسلام والعروبة في السودان – العربي للنشر والتوزيع – القاهرة 6891م – ص 701.
(121) محمد عبد الرحيم – العروبة في السودان – ص 41.
(122) محمد صالح محيى الدين – مشيخة العبدلاب – مرجع سابق ص 09.
(123) مكي شبيكة – السودان عبر القرون – القاهرة 6691م – ص 61-52.
(124) المسعودي –التنبيه والاشراف–ليدن 7681 – ص 151

(125) مصطفى محمد مسعد – الإسلام والنوبة – مرجع سابق، ص 381-881.
(126) ارنولد – قوماس – الدعوة إلى الإسلام – ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون – القاهرة 5791م، ص 001.
(127) ج – سبنسر تريمنجهام – الإسلام في السودان – ترجمة فؤاد محمد عكود – المجلس الأعلى للثقافة - 1002م، ص 28.
(128) ج – سبنسر تريمنجهام – مرجع سابق، ص 39.
(129) عبد الفتاح مقلد الغنيمي – الإسلام والعروبة في السودان – مرجع سابق – ص 011.
(130) يوسف فضل الله حسن – مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية – مرجع سابق – ص 12-22.
(131) محمد عوض محمد - السودان الشمالي – مرجع سابق – ص 23
(132) مصطفى مسعد – الإسلام والنوبة – مرجع سابق – ص 831-931.
(133) عبد الفتاح مقلد الغنيمي – الإسلام والعروبة في السودان – ص 321.
(134) آرنولد – الدعوة إلى الإسلام – مرجع سابق – ص 001.
(135) عبد الفتاح مقلد الغنيمي – مرجع سابق – ص 321.
(136) المرجع نفسه – ص 821.
(137) يوسف فضل حسن – مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية – مرجع سابق – ص 91.
(138) مكي شبيكة – السودان عبر القرون – مرجع سابق – ص 83.
(139) ابن حوقل – صورة الأرض – ج5 – مرجع سابق – ص 55.
(140) عطية القوصي– تاريخ دولة الكنوز الإسلامية – دار المعارف بمصر 1891م – ص 63.
(141) عطية القوصي – تاريخ دولة الكنوز الإسلامية – مرجع سابق – ص 58.
(142) لمرجع نفسه – ص 88.
(143) ابن خلدون – العبر – مرجع سابق – ج5 – ص 004.
(144) المقريزي – الخطط – مرجع سابق – ج3 – ص 582.
(145) عطية القوصي – مرجع سابق – ص 501-601.
(146) لمقريزي – الخطط – مرجع سابق – ج3 – ص 212.
(147) ابن بطوطة – الرحلة – ج1 – مرجع سابق – ص 53-63.
(148) المقريزي – مرجع سابق – ص 091.
(149) مكي شبيكة – السودان عبر القرون – مرجع سابق – ص 05.

(150) مصطفى محمد مسعد – الإسلام والنوبة – مرجع سابق – ص 302.

(151) نعوم شقير – تاريخ السودان القديم والحديث وجغرافيته – ج2 – مرجع سابق – ص 301.

(152) يوسف فضل حسن – مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية – مرجع سابق – ص 81،21.

(153) حسن إبراهيم حسن – انتشار الإسلام في القارة الأفريقية – مرجع سابق – ص 351-251.

(154) محمد صالح محيى الدين – مشيخة العبدلاب – مرجع سابق – ص 87.

(155) يوسف فضل حسن – مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية – مرجع سابق – ص 32.

(156) مصطفى محمد مسعد – الإسلام والنوبة – مرجع سابق – ص 202،391.

(157) نعوم شقير – تاريخ السودان – مرجع سابق – ص 637.

(158) يوسف فضل حسن – مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية –

(159) عبد الغني عبد الفتاح زهرة – تاريخ انتشار الإسلام في أفريقيا – مرجع سابق _ص51.

السياسة الخارجية الإيطالية في منطقة جنوب البحر الأحمر وأثرها في العلاقات الإيطالية السعودية حتى عام 1942 م

د.أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس

أ. التاريخ الحديث والمعاصر- كلية التربية – جامعة عين شمس- جمهورية مصر العربية.

المستخلص:

شهدت منطقة جنوب البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بداية الاهتمام الإيطالي بالمنطقة وخاصة الساحل الأفريقي للبحر الأحمر، ومع افتتاح قناة السويس عام 1869م زادت الأهمية، وأرسلت إيطاليا قوات عسكرية لها في جنوب البحر الأحمرفي منطقة (عصب) Assab. وأعلنت أنها ترغب في استغلال هذه المنطقة للأغراض التجارية، ولكنها في الحقيقة كانت لها أهدافً سياسية توسعية. إلا أن بريطانيا لم ترض بهذا النشاط التوسعي من جانب إيطاليا. إلا أن للمنافسة البريطانية الفرنسية على ساحل الصومال، أسهمت في تحسين العلاقات البريطانية الإيطالية. مما سيجعل إيطاليا تبدي اهتمامها بالساحل الشرقي للبحر الأحمر (الأسيوي) مع بداية العقد الثاني من القرن العشرين . وأرادت إيطاليا استخدام اليمن على أنها مدخل لشبه الجزيرة العربية لاعتبارات اقتصادية واستراتيجية وعقدت اتفاقية مع إمام اليمن عام 1926م ، فقد كان إمام اليمن في حاجة إلى دعم إيطاليا له في نزاعه مع بريطانيا . وأثارت الاتفاقية المبرمة بين إيطاليا وإمام اليمن قلقًا لكل من الحكومة البريطانية والملك عبدالعزيز آل سعود . وسوف يتناول البحث النقاط التالية :

1. بداية التوسع الإيطالي في جنوب البحر الأحمر والموقف البريطاني منه .
2. الاهتمام الإيطالي بالساحل الشرقي للبحر الأحمر .
3. التقارب البريطاني– الإيطالي (اتفاقية روما 1927م وعلاقاتها بالسعودية) .
4. الاتصالات الإيطالية بالملك عبد العزيز .
5. معاهدتي الصداقة والتجارة السعودية – الإيطالية 1932م.
6. الاتفاقية البريطانية الإيطالية 1938م و علاقاتها بالسعودية .
7. إيطاليا والاحتياج السعودي إلى السلاح .
8. تجميد العلاقات الدبلوماسية الإيطالية – السعودية .

Abstract:

In the second half of the nineteenth century, the southern Red Sea region witnessed the beginning of Italian interest in the region, especially the African coast of the Red Sea, and with the opening of the Suez Canal in 1869 AD, the importance increased, and Italy sent military forces over there to the south Red Sea in the Assab region. And announced that they wanted to use this area for commercial purposes, but in fact they had expansionist political goals. However, Britain was not satisfied with this expansionist activity on the part of Italy. Nonetheless , the British-French competition on the Somali coast contributed to the improvement of British-Italian relations. Which will make Italy show its interest in the eastern coast of the Red Sea (Asian) at the beginning of the second decade of the twentieth century. Italy wanted to use Yemen as a gateway to the Arabian Peninsula for economic and strategic considerations, and it concluded an agreement with the Imam of Yemen in 1926. The Imam of Yemen needed Italy's support for his conflict with Britain. The agreement concluded between Italy and the Imam of Yemen raised concern for both the British government and King Abdulaziz Al Saud. The research will address the following points:

1. The beginning of the Italian expansion in the southern Red Sea and the British position on it.
2. Italian interest in the eastern coast of the Red Sea.
3. The British - Italian rapprochement (the 1927 Rome Agreement and its relations with Saudi Arabia).
4. Italian Communications with King Abdulaziz.
5. The Saudi-Italian friendship and trade treaties, 1932.
6. The British-Italian agreement of 1938 and its relations with Saudi Arabia.
7. Italy and the Saudi need for weapons.
8. Freezeing the Italian - Saudi diplomatic relations.

مقدمة :

اكتسب البحر الأحمر أهميته الاستراتيجية في السياسة الدولية عبر العصور من موقعه الجغرافي المتميز ؛ حيث شكل بموقعه المتوسط بين بحار العالم حلقة الوصل بين البحار الشرقية والبحار الغربية بصفة عامة، والبحر المتوسط والمحيط الهندي بصفة خاصة ؛ ومن ثم أصبح شريانًا حيويًا للمواصلات بين الشرق والغرب، وأصبح لمن يتحكم فيه اليد العليا في السياسية الدولية . وقد جذبت منطقة البحر الأحمر اهتمام الباحثين والمؤرخين على مر العصور، ولهذا عُقدت ندوتان موسعتان حول البحر الأحمر ؛ أولاهما : الندوة التي عقدت عام 1979م، ودعا إليها سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس بعنوان « البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة « وقد تضمنت هذه الندوة أبحاثًا كثيرة حول البحر الأحمر، وصل عددها إلى أكثر من أربعة وثلاثين بحثًا، شملت كل فروع التاريخ بصفة عامة، منها خمسة وعشرون بحثًا في التاريخ الحديث والمعاصر بصفة خاصة . أما الندوة الثانية : فقد عُقدت بعد مايقرب من ربع قرن من الندوة الأولى، وهي الندوة التي عقدها اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة في أكتوبر عام 2003م، بعنوان « البحر الأحمر عبر العصور» وحضرها لفيف من الباحثين والمؤرخين من مصر ومختلف البلاد العربية، وقُدمت فيها أبحاثٌ كثيرة عن البحر الأحمر في التاريخ القديم والوسيط والحديث. وعلى الرغم من أهمية الندوتين ؛ لم يتطرق أحد الباحثين والمؤرخين إلى دراسة موضوع «السياسة الخارجية الإيطالية في منطقة جنوب البحر الأحمر وأثرها في العلاقات الإيطالية السعودية حتى عام 1942م/1361هـ « . ولهذا وجد الباحث أن هذا الموضوع يستحق الدراسة . وخاصة أن الدراسات التاريخية السابقة في جنوب البحر الأحمر ركزت على مختلف أوجه النشاط الاستعماري، وبخاصة البريطاني والإيطالي والفرنسي، والسيادة المصرية، في الساحل الغربي للبحر الأحمر دون الاهتمام بالنشاط الإيطالي في الساحل الشرقي للبحر الأحمر .

حتى أن الدراسات السابقة التي تناولت السياسة الخارجية الإيطالية في منطقة جنوب البحر الأحمر ركزت على الساحل الغربي (الأفريقي) للبحر الأحمر، وقد أهملت الساحل الشرقي (الآسيوي) للبحر الأحمر، وهو محور دراستنا .ويلقي هذا البحث الضوء على السياسة الخارجية الإيطالية في منطقة جنوب البحر الأحمر وخاصة الساحل الشرقي منه، وأثرها في العلاقات الإيطالية السعودية، منذ أوائل العقد الثاني من القرن العشرين حتى عام 1942م (1361هـ). أي منذ بداية الاتصالات الإيطالية بمملكة الحجاز ونجد

وملحقاتها (المملكة العربية السعودية فيما بعد) في عام 1926م (1344هـ)، حتى تجميد العلاقات السعودية الإيطالية وإغلاق المفوضية الإيطالية في جدة عام 1942م (1361هـ) . وتعد هذه الفترة من أهم الفترات في تاريخ العلاقات السعودية الإيطالية وأصعبها، فدولة الملك عبد العزيز كانت في طور التأسيس، أما إيطاليا؛ فكانت تبحث عن موطئ قدم لها في غرب الجزيرة العربية في مواجهة التنافس البريطاني المتغلغل في هذه المنطقة.

أما عن أهم المصادر التي اعتمد عليها الباحث؛ فهي عديدة ومتنوعة، فيأتي في صدارتها وثائق وزارة الخارجية السعودية المحفوظة في معهد الإدارة العامة بالرياض، أما وثائق وزارة الخارجية الإيطالية، فقد تم الرجوع إلى الدراسة التي أجراها أحد الباحثين الإيطاليين « ماتيو بيتسغالو « Matteo Pizzigallo بعنوان « دبلوماسية الصداقة إيطاليا والمملكة العربية السعودية « الذي استعمل الأرشيف التاريخي بوزارة الشؤون الخارجية الإيطالية بروما بشكل موسع . كما اعتمد الباحث على وثائق وزارة الخارجية البريطانية Foreign Office وخاصة المجموعة 371، ومن أبرز الدوريات التي عوّل الباحث عليها « صحيفة أم القرى» تلك الصحيفة الرسمية في المملكة العربية السعودية والمعاصرة للأحداث. ويرى الباحث أنه باستخدام الوثائق السعودية التي يعتقد أنها تستخدم لأول مرة؛ بالإضافة إلى الوثائق الإيطالية والبريطانية تتكامل الصورة وتتضح خاصة أن الثلاثة هم محاور الدراسة.كما رجع الباحث إلى عدد كبير من المراجع العربية والمترجمة والأجنبية، وهي التي أثبتها في قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث .

هذا البحث يهدف إلى رصد تطور العلاقات الإيطالية السعودية وتحليلها وتقييمها خلال فترة الدراسة، كما تهدف إلى الإجابة عن السؤال الذي يطرح نفسه، وهو : متى وكيف ولماذا اهتمت السياسة الإيطالية بالسعودية ؟

وعندما نتطرق لموضوع البحث، نناقش النقاط الآتية :

1. بداية التوسع الإيطالي في جنوب البحر الأحمر والموقف البريطاني منه
2. الاهتمام الإيطالي بالساحل الشرقي للبحر الأحمر .
3. التقارب البريطاني – الإيطالي (اتفاقية روما 1927م وعلاقاتها بالسعودية) .
4. الاتصالات الإيطالية بالملك عبد العزيز .
5. معاهدتا الصداقة والتجارة السعودية – الإيطالية 1932م.
6. الاتفاقية البريطانية الإيطالية 1938م و علاقاتها بالسعودية .
7. إيطاليا والاحتياج السعودي إلى السلاح .
8. تجميد العلاقات الدبلوماسية الإيطالية – السعودية .

بداية التوسع الإيطالي في جنوب البحر الأحمر:

شهدت منطقة جنوب البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي (الثالث عشر الهجري) بداية الاهتمامات الإيطالية بالمنطقة،وخاصة بالساحل الغربي (الأفريقي) للبحر الأحمر .

ففي عام 1861م/1277هـ ؛ أي قبل قيام الوحدة الإيطالية بحوالي تسع سنوات، تبنَّى البارون « ريكازولي» Ricasoli ، والزعيم « غاريبالدي» Garibaldi، وبعض كبار الساسة الإيطاليين مشروعاً لاحتلال شريط من الأرض على ساحل البحر الأحمر الأفريقي، غير أن مشكلات إيطاليا الداخلية آنذاك ؛ حالت دون تنفيذ هذا المشروع [1] .

غير أن افتتاح قناة السويس 1869م، بعث المشروع الإيطالي من جديد [2] ففي23 أكتوبر 1869م – عُقد في جنوة مؤتمر للغرف التجارية الإيطالية ؛ لبحث النتائج التي ستعود على ايطاليا من افتتاح قناة السويس للملاحة العالمية، وأوصى هذا المؤتمر بضرورة حصول إيطاليا على محطة تجارية في أحد موانئ البحر الأحمر، وقامت شركة «روباتينو» Robatino بالفعل بشراء مساحة من الأراضي في منطقة على ساحل البحر الأحمر الغربي، غير أن الحكومة المصرية – صاحبة السيادة على هذه المناطق – أصرت على عدم الاعتراف بالوجود الإيطالي على ساحل البحر، وظلت الأمور على هذا الوضع عشر سنوات تقريبًا، واصلت فيها ممارسة سيادتها على هذه المنطقة [3]

ففي عام 1879م نزلت إيطاليا في منطقة خليج «عصب « Asaab في جنوب البحر الأحمر منتهزة فرصة تغلغل النفوذ الأجنبي في مصر، وأعلنت أنها ترغب في استغلال هذه المنطقة للأغراض التجارية، واضطلعت بالنشاط في هذه المنطقة شركة « روباتينو» الايطالية أيضًا . استطاعت هذه الشركة أن تعقد عددًا من المعاهدات مع شيوخ القبائل في منطقتي»عصب ورهيطة» Asaab&Rehaita. وقد حرصت السلطات الإيطالية في هذه المعاهدات على إنكار السيادة المصرية على هذه المناطق، وضمنت ذلك صراحة معاهداتها مع شيوخ القبائل. وبهذه الطريقة تمكن الايطاليون من وضع أيديهم على منطقة تمتد حوالي 36 ميلاً على خليج عصب [4] .

والواقع أن كل الدلائل كانت توحي بأن إيطاليا تتخذ من نشاط شركة « روباتينو» Robatino ستاراً تخفي به أغراضها السياسية والتوسعية على ساحل البحر الأحمر الإفريقي. والدليل على ذلك تنازل الشركة عن هذه المنطقة للحكومة الإيطالية، وتحولت إلى مستعمرة، تحمل اسم مستعمرة عصب في يوليو1884م.

الموقف البريطاني من التوسع الإيطالي :

لم تكن بريطانيا في ذلك الوقت لترضى بهذا النشاط الاستعماري الإيطالي في جنوب البحر الأحمر، حتى أن « لورد سلسبوري» Lord Salisbury وزير الخارجية البريطانية أرسل في 9 يناير 1881م برقية إلى «سير إدوارد مالت « Sir Edward Mallet معتمد بريطانيا في مصر، يأمره فيها بأن يحث الحكومة المصرية على أن ترسل سفينة حربية ؛ لرفع العلم العثماني على خليج عصب، ومنع الإيطاليين من الاستيلاء على أية بقعة من ساحل البحر الأحمر [5] .

فقد كانت السياسة البريطانية، تعارض نزول الإيطاليين في هذه المناطق؛ لأنها رأت في ذلك تهديداً لطريق البحر الأحمر الملاحي وقاعدتها في عدن وتذرعت في هذه المعارضة بحقوق السيادة المصرية على هذه المناطق . غير أن السياسة البريطانية أخذت تتحول عن موقفها المعارض للتوسع الإيطالي في جنوب البحر الأحمر ابتداء من أواخر 1881م، والسبب في التحول أن الخارجية البريطانية أصبحت تزعجها محاولات الفرنسيين تقويض النفوذ البريطاني في مصر من جهة، ثم سعيهم للوصول إلى قلب أفريقيا وتوطيد نفوذهم في حوض النيل الأعلى من جهة أخرى . وعلى ذلك رأت السياسة البريطانية أنه من مصلحتها مهادنة السياسة الإيطالية على حساب أملاك مصر في ساحل البحر الأحمر الغربي [6].

وقد وجدت إيطاليا في احتلال بريطانيا لمصر فرصة لدعم مستعمراتها في عصب والتطلع لاحتلال المزيد من الأراضي على سواحل البحر الأحمر، وشجعها على ذلك التحول الذي حدث في السياسة البريطانية تجاه النشاط الإيطالي في هذه المناطق وموقف الحكومة البريطانية من هذا النشاط، ففي 29 أكتوبر 1884م أرسل «مانشيني « Mancini وزير خارجية إيطاليا إلى الحكومة البريطانية خطاباً، يستطلع رأيها في إمكانية « امتداد متواضع « Modest Expansion لمستعمراتهم ؛ لتشمل المناطق المتاخمة في خليج « بيلول « Bilool، وفي هذا الخطاب أوضح الظروف التي دعت إيطاليا لذلك ؛ فقال إن إخلاء مصر للسودان الذي من المحتمل أن يمتد ليشمل سواحل البحر الأحمر، ورفض الباب العالي الاستجابة لدعوة الحكومة البريطانية بإرسال قواته إلى نقاط معينة من الشاطئ، وعدم رغبة الحكومة البريطانية في زيادة حجم مسؤولياتها عن طريق توسيع مناطق احتلالها العسكري .

ولا شك في أن المنافسة البريطانية الفرنسية على ساحل الصومال؛ أسهمت في تحسين العلاقات البريطانية الإيطالية، حتى أن بريطانيا رحبت

بفكرة بسط نفوذ إيطاليا على « مصوع « Massowah في 5 فبراير 1885م، برغم الاحتجاج المصري على هذا الاحتلال، وجاء الاحتلال البريطاني لمصر ذاتها عاملاً مساعداً للاستعمار الإيطالي في الصومال، وهذا أتاح له احتلال مزيد من الأراضي.

وعلى أية حال صادفت الدبلوماسية الإيطالية نجاحاً كبيراً في شرق أفريقيا بعقدها معاهدة « أوتشيالي « Uccialli في 2مايو 1889م مع منليك الثاني Menelek II حاكم إثيوبيا الذي اعترف بأحقية ملك ايطاليا في تدبير الشؤون الخارجية لإثيوبيا، وهذا جعل إثيوبيا تبدو كأنها واقعة تحت الحماية الإيطالية، وأدت الظروف الجديدة إلى شعور الإيطاليين بالحاجة إلى توحيد ممتلكاتهم في الصومال، وتخطيط الحدود بينهم وبين البريطانيين في تلك الأنحاء. وإذا كانت الحماية لم تذكر صراحة في المعاهدة فإن نصوصها قد أخضعت أثيوبيا للنفوذ والسيطرة الإيطالية بطريقة ملتوية. (7)

وعلى كل فإن عدم معارضة»سلسبوري « Salisbury لما أعلنه الإيطاليون من حماية على إثيوبيا بموجب معاهدة أوتشيالي، لم يلق ترحيباً من وزارة الهند . وشرح» سلسبوري «وجهة نظره لهذه الوزارة، فقال إن الأحباش تصرفوا تصرفًا سيئًا نحونا، وليس لديهم حق علينا بعد معاملتهم «لبورتال « portal، ومن ناحية أخرى كان تحالفنا مع إيطاليا يهمنا كإمبراطورية (8) .

صحيح أن التقدم الإيطالي في تلك الجهات ظل مكفولاً بالرعاية البريطانية، حتى أن المؤرخين الفرنسيين سمُّوا الدور الإيطالي في شرق إفريقيا بدور « كلب الحراسة « Chien de Jardinier للمصالح البريطانية(9) ولكن هل كانت الدبلوماسية البريطانية الحذرة يمكنها أن تأمن لكلب الحراسة هذا إلى مالا نهاية !؟

أولاً: الاهتمام الإيطالي بالساحل الشرقي للبحر الأحمر:

بدأ الاهتمام الإيطالي بالساحل الشرقي (الآسيوي) للبحر الأحمر مع بداية العقد الثاني من القرن العشرين الميلادي . فخلال الحرب الإيطالية – التركية المعروفة بالحرب الطرابلسية عام 1911-1912م، استخدمت إيطاليا أسلوب الضغط على الدولة العثمانية، وإجبارها على التخلي عن ليبيا، عن طريق توسيع رقعة الحرب مع الأتراك، وفتح جبهات أخرى ضدهم، وكان الساحل الشرقي للبحر الأحمر إحدى هذه الجبهات. (10)

فخلال هذه الحرب، قام الأسطول الإيطالي بضرب الموانئ اليمنية التي كانت واقعة آنذاك تحت الحكم العثماني، وهي التي كانت جزيرة قمران (11) تعد جزءًا منها (12)، وهي في الوقت نفسه مواجهة للمستعمرات الإيطالية في

أفريقيا . ولا شك في الأعمال الحربية التي قام بها الإيطاليون آنذاك قد أثارت المخاوف البريطانية، فهي من ناحية، قد أكدت قدرة حكومة روما على إثارة الاضطراب في المياه الجنوبية للبحر الأحمر، ومن ناحية أخرى قد وضعت أسسًا لتحقيق أطماع استعمارية إيطالية متوقعة في الموانئ العثمانية في تلك الجهات، خاصة بعد أن دخلت إيطاليا الحرب العالمية الأولى في صف دول الوفاق، ضد دول الوسط والدولة العثمانية ، وهذا قد يحفزها على تحقيق هذه الأطماع [13] وقد ارتبط بهذين التغييرين، المفاوضات التي جرت في لندن في إبريل 1915م بين دول الوفاق من ناحية وبين إيطاليا من ناحية أخرى، وهي التي انتهت بتوقيع معاهدة لندن السرية، المعقودة في 26إبريل من العام نفسه، وهي التي قضت بدخول إيطاليا الحرب إلى جانب دول الوفاق . [14] في مقابل التسليم بالمطلب الإيطالي بمنطقة نفوذ لها في أملاك الدولة العثمانية في آسيا .[15] ولاشك في أنه في ضوء هذه المعاهدة كانت السواحل اليمنية، أو بعض المناطق المتاخمة لها مرشحة للسيطرة الإيطالية، فهي من ناحية أراضي تركية «عثمانية «، وهي من ناحية أخرى مواجهة للمستعمرات الإيطالية في أفريقيا التي تتوق حكومة روما إلى توسيعها. وعلى الرغم من توقيع هذه المعاهدة، فإن الحكومة البريطانية تخوفت من الأطماع الإيطالية، وبادرت إلى احتلال جزيرة قمران، وبعض الجزر المجاورة لها في 10 يونيو 1915م ؛ أي بعد خمسة وأربعين يومًا فقط من التوقيع على المعاهدة[16]. وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، أعلن» موسو ليني « Mussolini الزعيم الإيطالي، أن الخطوط التوسعية لإيطاليا، تتجه نحو الشرق [17]Drang Nach Osten) وأرادت إيطاليا استخدام اليمن على أنها مدخل لشبه الجزيرة العربية لاعتبارات اقتصادية وإستراتيجية، واتجهت إلى إقامة علاقات اقتصادية بين إريتريا وشبه الجزيرة العربية، وبسط سيطرتها على الجزء الجنوبي للبحر الأحمر على نحو مماثل للسيطرة البريطانية على نهاية جزأه الشمالي [18] وكان من الواضح أن إيطاليا تبذل أقصى جهدها لإنشاء إمبراطورية، تتكون من المناطق الجنوبية للبحر الأحمر بساحليه الشرقي والغربي . وأثار هذا المشروع الإيطالي المخاوف البريطانية بأن إيطاليا قد تهدد طريق البحر الأحمر بأكمله، وأدركت بريطانيا أن أفضل وسيلة لتحييد إيطاليا في ذلك المكان، هو إبرام معاهدة مع اليمن، غير أن ذلك لم يحدث بسبب فشل مهمة «كلايتون» [19]Clayton المبعوث البريطاني للإمام يحي إمام اليمن . فلم تكن بريطانيا تريد أن تعطي الفرصة لإيطاليا للتدخل في شبه الجزيرة العربية [20]، غير أن الإمام يحي كان لديه الرغبة في التعاون مع إيطاليا وليس بريطانيا، فقد كان يرى فيها القوة الوحيدة المعادلة لبريطانيا في البحر

الأحمر [21] . وانتهزت إيطاليا فرصة فشل مهمة «كلايتون» Clayton في اليمن . وبدأ الإمام يتطلع إلى الإيطاليين عبر البحر الأحمر، وتجاوب الإيطاليون مع بادرة الإمام، وعقدت بين الدولتين اتفاقية للوئام والتجارة في سبتمبر 1926م [22]، فقد كان الإمام يحي في حاجة إلى دعم خارجي له في نزاعه مع بريطانيا . وأثارت الاتفاقية المبرمة بين إيطاليا وإمام اليمن قلقاً لكل من الحكومة البريطانية والملك عبد العزيز آل سعود . وكانت بريطانيا تأمل في الحفاظ على وجودها وإبعاد أي نفوذ خارجي . وكان الملك عبد العزيز يخشى من الاعتداء اليمني على عسير [23]. خاصة أن إيطاليا بدأت في ربيع عام 1926م تمد اليمن بالأسلحة، ولذا عمل الملك عبد العزيز على وضع حمايته على بلاد الأدارسة في (تهامة عسير) بناءً على طلب السيد حسن الإدريسي بموجب اتفاقية مكة المكرمة التي عقدت بين الطرفين في 21فبراير 1926م الموافق 16 شعبان 1344هـ [24] وبمقتضاها نقل الإدريسي شئون علاقاته الخارجية والدفاع والشؤون المالية إلى الملك عبد العزيز على حين احتفظ لنفسه بمركزه وبالشؤون الداخلية. [25] وقد قضى الاتفاق السعودي -الإدريسي المتمثل في اتفاقية مكة فبراير 1926م على الطموحات الإيطالية في الوصول إلى مدخل لجزر فرسان عن طريق غزو يمني سريع . وقد نظرت بريطانيا إلى اتفاقية مكة بقدر من الطمأنينة ؛ بينما نظرت إيطاليا إليها على أساس أنها قد عرقلت طموحاتها في البحر الأحمر [26].

ثانيًا : التقارب البريطاني – الإيطالي (اتفاقية روما 1927م) :

كانت بريطانيا ترغب في تهدئة التوتر السياسي مع إيطاليا حول البحر الأحمر،عن طريق التوصل إلى تفاهم مع الحكومة الإيطالية، وذلك بهدف حماية المواصلات البريطانية إلى الهند، وهكذا التقت رغبة بريطانيا مع رغبة إيطاليا التي كانت تسعى هي الأخرى إلى توقيع مثل هذا الاتفاق؛ حيث كانت الحكومة الإيطالية ترى أن هذا الاتفاق يعد بمثابة اعتراف بريطاني بالوجود وبالمصالح الإيطالية في شبه الجزيرة العربية وفي البحر الأحمر، وما يتبع ذلك من التعهد بإقامة نوع من التعاون الودي بين البلدين [27] .وبناءً على الرغبة المشتركة من الجانبين ذهب «كلايتون»Clayton إلى روما في يناير 1927م الموافق جمادي الثانية 1345م ؛ ليمهد الطريق للتعاون السياسي العام بين روما ولندن عن طريق تبادل طرح وجهات النظر بوضوح، وتقييم المصالح البريطانية والإيطالية في منطقة البحر الأحمر [28] وقد أصدر « سير أوستن تشمبرلن» Austen Chamberlain Sir وزير الخارجية البريطانية آنذاك توجيهاته إلى» كلايتون»، تضمنت نظرة بريطانيا إلى الساحل العربي (الشرقي) للبحر الأحمر بما فيه جزيرتي فرسان وقمران، على أنها منطقة حيوية

للمصالح البريطانية، وأنها لن تقبل أي نفوذ لأية قوة أوروبية فيها[29] . وإبان محادثات روما، أعربت إيطاليا عن رفضها الاعتراف باتفاقية مكة، وحاولت أن تقنع بريطانيا بعدم الاعتراف بها أيضاً . فقد كانت إيطاليا تنظر إلى هذه الاتفاقية على أساس أنها تأييد للملك عبد العزيز ضد إمام اليمن [30] ؛ ونظرًا لحرص بريطانيا على التوصل إلى تفاهم مع إيطاليا، فقد تجنبت الاعتراف باتفاقية مكة على أساس أنها لا ترغب في التورط في الشؤون العربية الداخلية، [31] ووافقت كلٌ من بريطانيا وإيطاليا، على أساس أنه يمكن للدولتين التعاون فيما بينهما دون المساس بمصلحتيهما في منطقة البحر الأحمر . وبعد مباحثات مكثفة بين الدولتين، تم التوقيع على اتفاقية روما في 11مارس 1927م الموافق 8رمضان 1345هـ، حيث اعترف الجانبان بأهمية البحر الأحمر، ورفضتا أن تكون لأية قوة أوروبية الحق في إنشاء مقر لها على الساحل العربي للبحر الأحمر، وعدم تدخل حكومتيهما في الصراعات العربية التي قد تنشب بين الملك عبد العزيز والإدريسي والإمام. [32] ووافقت بريطانيا وإيطاليا على التشاور في المستقبل حول كل المسائل التي تختص بالسياسة في البحر الأحمر التي قامت، على أساس أن جزيرتي (فرسان وقمران) ؛ يجب ألا تقعا في أيدي حاكم عربي معادٍ لهما، وأن الحرية الاقتصادية والتجارية معترف بهما،مادامت أنها لم تتخذ صبغة سياسية .[33] وقد أبلغت بريطانيا الملك « عبد العزيز» بأن اتفاقية روما لن تؤثر في الوضع في الحجاز أو صداقة الحكومة البريطانية له، وطلب الملك عبد العزيز بألا تكون مسألة الحدود الشمالية لأراضي الإمام يحيى موضوع نقاش إلا بعد مشورتنا.[34]

وفضلاً عن ذلك، فقد طلب الملك عبد العزيز عدم الاتفاق بين بريطانيا وإيطاليا حول تسيير سياسته في ذلك الجزء من أقاليمه . وأعرب عن رغبته في أن تكون مسألة الحدود الجنوبية الغربية مع اليمن من اختصاصه هو والإمام يحيى فقط، وعدم قبول أية محاولة من جانب بريطانيا أو إيطاليا بشأن تحديدها [35]وعلى أية حال، فقد جاء إبرام اتفاقية روما 1927م من أجل التوافق بين المصالح البريطانية والإيطالية في البحر الأحمر . وعلى الرغم من توقيعهما لهذه الاتفاقية ؛ نجد أن التنافس بينهما ظل مستمرًا. وقد أيدت بريطانيا الملك «عبد العزيز»، على حين أيدت إيطاليا الإمام « يحيى».

ثالثًا: الاتصالات الإيطالية بالملك عبد العزيز :

ترجع بداية الاتصالات بين الملك عبد العزيز وإيطاليا إلى أواخر عام 1925م ؛ أي بعد دخول الملك عبد العزيز جدة في 24من ديسمبر 1925م الموافق 8من جمادي الثانية 1344هـ، حيث التقى لأول مرة مع قناصل الدول الأجنبية

في مدينة جدة، والقنصل الإيطالي منهم، وقال لهم : «...إن للدول الأجنبية علينا لها حقوقًا...نحافظ عليها، وعلى حقوق رعاياها المشروعة، بشرط ألا تكون تلك الحقوق والمصالح ماسة باستقلال البلاد الديني أو الدنيوي « [36]

وقد أجابه الكوماندتور(لقب شرف) «فاريز»Farees[37] قنصل إيطاليا في جدة ـ على أساس أنه عميد السلك الدبلوماسي - باسم قناصل الدول الأوروبية، حيث قال : « إني أشكر جلالة الملك بالنيابة عن القناصل، وبالنيابة عن الجالية الأوروبية ؛ لما تفضل به علينا من دعوتنا لمائدته الملكية، وللشرف الذي حصل لنا بهذه الليلة السعيدة، إني أشكر جلالتكم على ما أبد يتموه من مقاصدكم الحسنة نحو هذا القطر، وبالأخص عما قصدتموه من راحة البلاد من كل الوجوه، وهذا مما يسّر جميع الدول التي نمثلها، والتي يهمها أمور الأماكن المقدسة الإسلامية، ونحن نفتخر بأن نهنئ جلالتكم، وندعو لكم بالتوفيق التام في الخطة التي رسمتموها لراحة هذه البلاد ...وبالاختصار فإن ما تفضل به جلالة الملك، لانقصر في إبلاغه لحكوماتنا الذين يعرفون حقيقة نيات جلالتكم بخصوص هذه البلاد . وإنه معلوم لدى الجميع بأن حكوماتنا تحترم وتكرم كافة الأديان، كما أنها أيضًا تميل وتحب العرب، وبالأخص الشعوب الإسلامية من العرب، ونحن واثقون بأن حكوماتنا يبذلون الجهد بقدر الإمكان لمساعدة جلالتكم بما يجلب الخير والراحة لهذه البلاد المقدسة. وإنني أكرر آيات الشكر لجلالة الملك على تفضله علينا بهذه الدعوة، وهذا اللطف الذي لقيناه من جلالته في هذه الليلة السعيدة « [38] وهذا اللقاء الرسمي بين الملك «عبد العزيز» وقناصل الدول المعتمدين في مدينة جدة، يعد بمثابة اعتراف متبادل بين الجانبين، حيث توالت الاعترافات الدولية بالعهد الجديد[39] وبعد حوالي أربعين يومًا من هذا اللقاء ؛ أي في 2من فبراير 1926م الموافق 19من رجب 1344هـ أبلغ القنصل الإيطالي بجدة الملك عبد العزيز شفاهة اعتراف حكومته به ملكًا على الحجاز ونجد[40]

غير أنه في العرف الدولي لايعتمد على الاعتراف الشفهي فحسب ؛ ولذا تم الاعتراف الرسمي من قبل ملك إيطاليا بالملك عبد العزيز ملكًا على الحجاز ونجد وملحقاتها بموجب معاهدتي الصداقة والتجارة اللتين أبرمتا بين البلدين في جدة في 10من فبراير 1932م الموافق 3من شوال 1350هـ . وقد وقع عليهما من الجانب السعودي الأمير فيصل بن عبد العزيز وزير الخارجية، وعن الجانب الإيطالي»جويدو سوللاتسو» Gaydo Sollatso[41] القنصل الإيطالي في جدة، بعد مفاوضات صعبة بين الطرفين.[42] والسؤال الذي يطرح نفسه، ما أسباب تأخر الاعتراف الإيطالي بالملك عبد العزيز آل سعود ملكًا على الحجاز

ونجد وملحقاتها حتى فبراير 1932م الموافق شوال 1350هـ ؟ لم يكن اعتراف إيطاليا بالملك عبد العزيز بالأمر السهل، بسبب علاقة إيطاليا المميزة مع الإمام يحيى حميد الدين إمام اليمن، فقد كانت إيطاليا تساند الإمام يحيى في ادعائه لملكية عسير دومًا وفي الوقت نفسه كانت على استعداد للاعتراف بالملك عبد العزيز دون ذكر « عسير « في ذلك الاعتراف، في حين كان الملك عبد العزيز يصر على عدم إبعاد « عسير « من الاعتراف الإيطالي به، وبسبب التنافس الشديد الذي كان قائمًا بين بريطانيا وإيطاليا حول البحر الأحمر وعلاقة بريطانيا بالملك عبد العزيز، ترددت إيطاليا في الاعتراف بالملك عبد العزيز بعد استرداد الحجاز عام 1926م /1344هـ، بل عقدت إيطاليا معاهدة مع إمام اليمن على أمل إضعاف مركز الملك عبد العزيز الذي توهمت الحكومة الإيطالية أنه سوف يخدم المصالح البريطانية، وحاولت إيطاليا الوقوف أمام اتفاقية مكة المكرمة التي عقدها الملك عبد العزيز مع الحسن الإدريسي عام 1926م / 1344هـ، وهو الذي طلب فيها حماية الملك عبد العزيز ضد إمام اليمن،[43] مضافًا إلى ذلك فإن الملك عبد العزيز كان دائمًا متشككًا ومتخوفًا من النشاط الإيطالي في منطقة البحر الأحمر ؛ ولذا كانت المواقف بين الطرفين متباعدة جدًا، وهكذا استمرت مفاوضات الاعتراف الإيطالي تمر بصعوبة لزمن طويل [44]

بدأ الوضع يسجل بعض إشارات التغيير المحدودة فقط في الأشهر الأخيرة من عام 1929م، بفضل القنصل الإيطالي الجديد في جدة « جويدو سوللاتسو « Gaydo Sollatso ، فمنذ أول لقاء رسمي له في 9من أكتوبر 1929م الموافق 6من جمادي الأولى 1348هـ مع «فؤاد حمزة»[45] مدير الشؤون الخارجية آنذاك، ذكر « جويدو سوللاتسو» في أحد تقاريره الأولى إلى وزارة الخارجية الإيطالية في 16من أكتوبر 1929م يقول فيها : « **إذا كان الهدف الرئيس من مهمتي يكمن في إقناع هذه الحكومة – يقصد وزارة المستعمرات الإيطالية ـ بقبول اعتراف مشروط بابن سعود من طرفنا، فيمكن عد هذه المهمة فاشلة** » [46] حاول «سوللاتسو « إنهاء هذا الوضع أو حله، فلفت نظر الحكومة الإيطالية بخصوص الاعتراف بابن سعود، وفصله عن قضية العلاقات الإيطالية اليمنية، والقيام بوضعه في إطار أكثر اتساعًا ؛ يؤدي إلى تطبيع العلاقات الإيطالية السعودية بشكل مستقل . ونال اقتراحه تقبلاً خاصًا لدى وزارة الخارجية الإيطالية التي رأت إمكانية الشروع في ذلك[47].

فكتب « جراندي « Grandy وزير الخارجية الإيطالية إلى وزير المستعمرات الإيطالية « **دي بونو**» De Bono **في 13 من نوفمبر 1929م يقول:** «

بعد دراسة المسألة باهتمام يبدو لي أنه لما آلت إليه الأمور لاأرى داعيًا للإصرار على صيغ التحفظ المقررة من أجل اعترافنا بابن» سعود «... وأشار «جراندي » إلى أنه ينوي تخويل «سوللاتسو « ببدء مفاوضات مبدئية مع السعوديين على أسس جديدة « .[48]وكانت إيطاليا مستعدة لقبول صيغة اعتراف دون تحفظات بالملك عبد العزيز بكونه ملكًا على الحجاز ونجد وملحقاتها، شريطة أن يتم ذلك في الوقت نفسه الذي تبدأ فيه المفاوضات من أجل إبرام معاهدة صداقة ومعاهدة تجارة.[49] وبعد مفاوضات صعبة مرت بتقلبات وهزات وأزمات، جاء القرار الإيطالي في النهاية بالاعتراف بالملك عبد العزيز آل سعود ملكًا على الحجاز ونجد وملحقاتها بمقتضى معاهدتي الصداقة والتجارة بين البلدين [50] اللتين أبرمتا في 10 من فبراير 1932م الموافق 3من شوال 1350هـ بعد أن تمكنت الحكومة الإيطالية من التعرف على الوضع السياسي والاقتصادي للدولة السعودية الناشئة وإدراكها أن المناطق التي َوحَّدها الملك عبد العزيز مناطق مستقلة عن النفوذ البريطاني [51] وهكذا كان مبدأ الاعتراف مرتبطًا بالإبرام المتزامن لمعاهدتي الصداقة والتجارة .

رابعاً: معاهدتا الصداقة والتجارة السعودية - الإيطالية 1932م :

بعد التغلب على عقبات الاعتراف بين الجانبين الإيطالي والسعودي، دخل الطرفان في مفاوضات أخرى متزامنة، وهي مفاوضات وضع مشروع معاهدتي الصداقة والتجارة، وكانت مفاوضات صعبة هي الأخرى .

أما مفاوضات معاهدة الصداقة، فقد اتفق الطرفان من البداية على إقامة علاقات دبلوماسية نظامية، وقد تضمن ذلك المادة الثانية من المعاهدة . وتنفيذًا لهذه المادة فقد رفعت إيطاليا درجة تمثيلها في جدة من قنصلية يرأسها قنصل Consul؛ إلى مفوضية Legation يرأسها وزير مفوض Minister Legation في يونيو 1932م الموافق المحرم 1351هـ [52] مدعاة لتطور العلاقات بينهما .

كما اتفق الطرفان على الترخيص المتبادل لمواطني البلدين ورعاياهما، وكذلك الشركات بمعاملة الدولة الأكثر تفضيلاً ؛ كما جاء ذلك في المادة الرابعة من المعاهدة . كما تعهد الطرفان بمنع اتخاذ بلديهما من قِبل أي كان كقاعدة للأعمال غير المشروعة ضد بلاد الطرف الآخر،كما جاء في المادة الثالثة من المعاهدة . كما توصل الطرفان إلى نص تم بموجبه الاعتراف المتبادل بالجنسية لجميع رعايا الدولتين المتعاهدتين . بمعنى أن يعترف ملك إيطاليا بالجنسية السعودية لجميع رعايا المملكة العربية السعودية الذين يقيمون في إيطاليا، وكذلك يعترف ملك المملكة العربية السعودية بالجنسية الإيطالية

لجميع الرعايا الإيطاليين المقيمين في السعودية، كما جاء في المادة الخامسة من المعاهدة . وهذه المادة تعد تأكيدًا للاعتراف المتبادل بين الدولتين كما جاء في المادة الأولى. وفي إطار الاهتمام بالرعايا أيضًا، فقد اشترطت إيطاليا في المادة السادسة من المعاهدة أن يقدم الجانب السعودي التسهيلات والحماية للرعايا الإيطاليين الذين يدينون بالدين الإسلامي ؛ ممن يقصدون الحجاز لأداء فريضة الحج، أسوة بسائر حجاج جميع الأمم الأخرى . بل يتعهد الجانب السعودي بتسليم أموال الحجاج الإيطاليين المتوفيين في الحجاز للقنصل الإيطالي في جدة [53] . وقد وجد هذا الأمر قبولاً من الجانب السعودي. وعلى الرغم مما سبق فقد اعترت المباحثات صعوبات كبيرة، منها اعتراض الجانب السعودي على الاقتراح الإيطالي الخاص بالمسائل القضائية، والتعاون في الكفاح ضد تجارة الرقيق، وكذلك مسألة الاعتراف بالمستشفى الإيطالي الإسلامي في مكة [54]فقد أغضبت هذه الاقتراحات الأوساط السعودية للغاية . على أساس إنها اقتراحات ؛ تتعارض مع المبدأ والهيبة والاستقلال [55]. وأنها تعد بمثابة تدخلات أجنبية غير شرعية وغير مقبولة على الإطلاق في بلد، يحرص على أن يكون استقلاله وحريته كاملين . وبشأن المسألة القضائية الحساسة بشكل خاص، وهي تلك التي أصرت الحكومة الإيطالية على الأقل على مجرد الالتزام بحسمها « على انفراد «، كتب فؤاد حمزة في مذكرته إلى القنصل الإيطالي قائلاً : « **لقد خصصت حكومة صاحب الجلالة الملك ـ عبد العزيز ـ لجميع الحكومات ورعايا كل منها معاملة واحدة ومتساوية، ولا يمكنها منح أية حكومة ورعاياها معاملة أفضل من تلك التي اتفقت بشأنها مع بقية الحكومات ورعاياها . ومن ثم فإن كل ما اتفقت عليه حكومتنا مع الحكومات الأخرى، يمكن أن يتفق عليه مع الحكومة الإيطالية** « [56]. وفي النهاية، وربما أيضًا بفضل تدخل الملك عبد العزيز، الذي كان « سوللاتسو « قد توجه إليه، كان في الإمكان حل الموقف، وهذا سمح بالتوصل إلى سلسلة من الاتفاقات المقبولة بشأن جميع نقاط الخلاف . وبشكل خاص بالنسبة للمادة الثانية من معاهدة الصداقة ؛ تم إدخال عبارة « معاملة الدولة الأكثر تفضيلاً» [57]The Most Favoured Nation Trealment).

وتم بعد ذلك تبادل المذكرات التي حددت بصورة أفضل مواقف الحكومتين بشأن مسألة قمع تجارة الرقيق، وهي المسألة التي استمرت معلقة .

على أية حال، كانت معاهدة الصداقة السعودية الإيطالية بموادها السبعة على جانب كبير من الأهمية للجوانب السياسية في العلاقات بين البلدين،

وهي تُعد أول معاهدة بين البلدين، وبموجبها أقيمت العلاقات الدبلوماسية والقنصلية بين البلدين، وأرست هذه المعاهدة قواعد الاتصال السياسي والتجاري بين الحكومتين .

أما بالنسبة لمعاهدة التجارة السعودية الإيطالية التي أُبرمت في الوقت نفسه، فكانت مكونة من خمس مواد، كانت تنص على التزام الطرفين بتسهيل التبادلات التجارية بين البلدين، ومنح كل واحد منهما « معاملة الدولة الأكثر تفضيلاً»، خاصة فيما يتعلق بالتعريفة الجمركية، والنقل والأمن وحرية التجارة [58] . وفيما يتعلق بصيد الأسماك اقترح الجانب الإيطالي أنه يجب إتباع اللوائح المعتادة التي كانت تنظم العلاقات بين شاطئ الحجاز وشاطئ مستعمرة إريتريا [59] غير أن الجانب السعودي لم يوافق على هذه المادة وأرجأها إلى انتظار اتفاقية خاصة متعلقة بمسألة صيد الأسماك. [60]

وقد وافق الجانب الإيطالي على ذلك،بعد أن حصل على شبه وعد على الأقل، تم إدخاله في المادة الرابعة من المشروع النهائي للمعاهدة، تم بموجبه حسم مسألة صيد الأسماك بمقتضى اتفاقية خاصة سيتم إبرامها في وقت لاحق غير محدد [61] ولاشك في أن المعاهدة التجارية كانت مشكلاتها أقل، وبدا أن إبرامها بصورة إجمالية كان على وشك التنفيذ [62] وأخيرًا تم التوصل في جدة في 10 فبراير 1932م الموافق 3 شوال 1350هـ إلى التوقيع على معاهدتي الصداقة والتجارة بين البلدين . قام بتوقيع المعاهدتين كل من القنصل الإيطالي « جويدو سوللاتسو « والأمير « فيصل بن عبد العزيز» وزير الخارجية . وقد حضر مراسم التوقيع الرسمي كل من وكيل وزارة الخارجية «فؤاد حمزة»برفقة بعض المسئولين، والقائد والضابط الأول للسفينة الملكية «أتسيو» Ateso التي وصلت خصيصًا ميناء جدة في اليوم السابق ؛ وذلك لإعطاء مزيد من الهيبة والشرف الذي يليق بهذه المناسبة التي شهدت كل الجهد والعمل المكثف، وثبات القنصل الإيطالي الذي دعم منذ البداية فكرة إقامة سياسة، تتسم بعلاقات أكثر قوة وكثافة مع السعوديين[63] وبمناسبة إنشاء العلاقات السياسية وتوقيع معاهدتي الصداقة والتجارة بين البلدين، تبودلت البرقيات بين كل من الملك عبد العزيز آل سعود و ملك إيطاليا «فيكتور ايمانويل» Vector Emanail، وبين الأمير « فيصل بن عبد العزيز» والسنيور «موسوليني»، والسنيور «جراندي» وزير الخارجية الإيطالي، كما تبودلت برقيات مماثلة بين وكيل الخارجية «فؤاد حمزة» و»أستوتو « Astoto حاكم مقاطعة إريتريا [64] وهذا يوضح مدى السعادة التي غمرت مسئولي البلدين بمناسبة توقيع المعاهدتين اللتين استغرقت المفاوضات من أجلهما ما يزيد على الست السنوات .

خامسًا: الاتفاقية الإنجليزية-الإيطالية 1938م وأثرها في السعودية:

بعد الاعتراف الإيطالي بدولة الملك عبد العزيز وتوقيع معاهدتي الصداقة والتجارة بين البلدين، بدأ تفعيل العلاقات السياسية بين الدولتين، ورفعت القنصلية الإيطالية في جدة إلى مصاف المفوضية، وقد وصل الوزير المفوض الجديد « أوتافيو دي بيبو» Otavuo De pepo[65] في 25سبتمبر 1932م إلى جدة، وكانت التعليمات الموجهة إلى الوزير «دي بيبو « من وزارة الخارجية الإيطالية تؤكد سياسة الصداقة نحو الحكومة السعودية في التطلع، نحو بدء النفوذ الاقتصادي والتجاري الإيطالي.[66] وبالنسبة للخلاف بين المملكة العربية السعودية واليمن بخصوص الحدود، تم التأكيد على رغبة إيطاليا في الوصول إلى حل سلمي، من خلال اتفاقيات مباشرة بين البلدين تُبعد اللجوء إلى السلاح[67] وكان « موسوليني» لايزال مرتبطًا بفكرة توطيد علاقة مميزة مع اليمن لكونها رأس جسر للتغلغل الإيطالي للضفة الشرقية للبحر الأحمر، في جو من الوجود المتسم بالتنافس مع بريطانيا . وكانت هذه الأخيرة، تستغل ضعف الإمكانات الإيطالية، وتحاول تعميم هيمنتها السياسية والتجارية على المنطقة كلها، لكن دون الوصول إلى درجة قطع العلاقات مع إيطاليا. [67] وكانت أهم أهداف الحكومة الإيطالية آنذاك أن تعمل على معالجة أسباب الضعف في السياسة الخارجية التي سارت عليها الحكومات الإيطالية التي حكمت قبل ظهور الحركة الفاشستية، وقد وضع «موسوليني «نصب عينيه أن تكون لإيطاليا قوة بحرية وبرية وجوية، تتناسب مع آماله الكبرى، ولهذا وضع جميع القوات المسلحة تحت سيطرته منذ عام 1933م [69] وعمل على تدعيم صداقته مع ألمانيا والنمسا والمجر وبلغاريا وتركيا[70] وبدأت التهديدات الإيطالية للمصالح البريطانية في المشرق العربي عندما أكد « موسوليني» على المصالح الإيطالية في تلك المنطقة في خطابه الذي ألقاه في 18 مارس 1934م الموافق 3 ذي الحجة 1352هـ . وعندها مضى الإيطاليون في خططهم لزيادة نفوذهم في المشرق العربي وللتقليل من النفوذ البريطاني هناك، وكانت الدعاية الإعلامية هي الخطوة الأولى التي استخدمها « موسوليني» لتحقيق طموحاته في المنطقة، وكانت الإذاعة العربية من بين تلك المشروعات التي فاجأت البريطانيين حين بدأ راديو «باري» Bari إذاعة برنامجه العربي في مارس 1934م الموافق ذي الحجة 1352هـ.[71]

كان الإيطاليون يستهدفون استعادة مكانتهم في العالم العربي بعد أن تأثرت تلك المكانة بالمذابح التي ارتكبوها ضد السنوسيين في ليبيا [72] ، وحاولت بريطانيا تهدئة إيطاليا وإرضائها على حساب مصر، فساعدتها بنفوذها على ضم واحة جغبوب المصرية الواقعة بين حدود مصر وبرقة .[73]

كما تأثرت العلاقات السعودية الإيطالية أيضًا، بسبب الجدال الشديد بشأن الاستضافة المتواطئة للمتمردين الحجازيين في إريتريا [74]، ثم وصلت إلى ذروة تأزمها؛ عندما تفجرت مسألة السفينة الحربية « ر.ن. أسيو» R.N.Aseo التي دخلت المياه الإقليمية السعودية في جازان عند العمق اللازم لرسو السفن، دون الحصول على إذن مسبق من السلطات السعودية [75]، بحجة وجود سفينة حربية بريطانية في تلك المياه [76]، يضاف إلى ذلك وجود اتصالات سرية لمبعوث حاكم مقاطعة إريتريا بمتمردي جازان [77]. وعلى الرغم من محاولة السلطات الإيطالية نفي هذه الاتهامات عنها، أنها لم تكن كافية أبدًا لإعادة ذلك الجو الذي كان سائدًا في البداية وكان يتسم هو بالثقة، والذي عكر صفوه الارتياب الدائم.

لهذا كان لابد من الشروع في سياسة إيطالية مختلفة أكثر تيقظًا للمتطلبات الحقيقية للسعوديين الذين كانوا يحتاجون قبل أي شيء لمزيد من التعاون والمساندة والمبادرات الفعلية .[78] وللأسف ساء الوضع في الأشهر اللاحقة، مما تسبب في خلق مزيد من المشكلات والتعقيدات للسياسة الإيطالية في المملكة العربية السعودية، وحيث قامت وزارة الخارجية الإيطالية في أبريل 1934م باستدعاء « دي بيبو» De pepo وزيرها المفوض في جدة إلى روما وإرسال « جوفاني بيرسكو[79] « Govany pereco ليحل محله [80]، في محاولة لاستعادة الثقة مرة أخرى بين البلدين . وكان الإيطاليون يدركون المكانة الكبيرة للمملكة العربية السعودية في قلب العالم العربي والإسلامي ؛ لذلك حاولوا الاتصال بالملك عبد العزيز ومد نفوذهم إلى الجزيرة العربية . وكانت المفوضية البريطانية في جدة قد ارتابت في مناسبات عديدة من نشاطات المفوضية الإيطالية التي كانت توجه ضد بريطانيا[81]. وكان الإيطاليون في جدة يقومون بتوزيع صحف عربية، تنشر في ليبيا تحوي مقالات تناصر الإيطاليين وتعارض البريطانيين [82] وأكثر من ذلك ؛ فإن الإيطاليين على النقيض من البريطانيين عرضوا على الملك عبد العزيز تقديم المساعدات الاقتصادية والعسكرية، وهذا ما سوف نشير إليه فيما بعد في حينه .

لقد أثارت تلك التحركات السياسية الإيطالية في المنطقة غضب البريطانيين ؛ لأن تلك التحركات كانت تعني إقامة نفوذ إيطالي جديد في المنطقة، تسانده ألمانيا التي كانت تستعيد قوتها التسليحية بشكل سريع خلال تلك الفترة، وتكون محور برلين – روما، لذلك حاول البريطانيون الحفاظ على مصالحهم في المنطقة ووقف النشاطات الإيطالية المعادية لبريطانيا . كما فكر البريطانيون في عزل إيطاليا وإبعادها عن المعسكر الألماني[83]. واتخاذ إجراءات

مضـادة للنفـوذ الإيطـالي في المنطقـة [84] واعـترف المسـؤولون البريطانيـون أن الموقـف في الـشرق العربـي ؛جـاء نتيجـة « **لعـدم تحركنـا في مواجهـة التيـار المسـتمر للدعايـة الأجنبيـة، ولعجزنـا بالمقارنـة بمـا تسـتطيعه الحكومـات الشـمولية مـن اتخـاذ الترتيبـات الماليـة التـي تلائـم البـلاد الشرقيـة، وهـي عوامـل تعمل ضدنـا إذ إنهـا السـبب في تضـاؤل مكانتنـا بطريـق الإهمـال** »[85]

ودرس البريطانيـون إمـكان البـدء بمحطـة إذاعـة عربيـة بريطانيـة، تشـابه إذاعـة « بـاري» Bari الإيطاليـة وسـاندت المفوضيـة البريطانيـة في جـدة هـذا المـشروع، وحثـت الحكومـة البريطانيـة عـلى أنـه مـن الـضروري ألا يقتـصر الأمـر عـلى كبـح الإيطاليـين، بـل أن يّحَـاط الشـعوب العربيـة والملـوك العـرب بالسياسـة البريطانيـة.[86]

لذلـك بـدأت الإذاعـة العربيـة البريطانيـة مـن هيئـة الإذاعـة البريطانيـة (B.B.C) في ينايـر 1938م الموافـق ذي القعـدة 1356هـ غـير أنهـا لـم تكـن فعّالـة أمـام الخـبرة الإذاعيـة الإيطاليـة .وبسـبب السياسـة البريطانيـة في الـشرق العربـي، فقـد أثـار الإيطاليـون عـدة استفسـارات حـول النشـاط البريطانـي في المنطقـة، واسـتغلوا المشـاعر العربيـة ضدهـا[87]

كمـا اعـترض الإيطاليـون عـلى المفاوضـات البريطانيـة مـع الملـك» عبـد العزيـز «حـول الحـدود الشـمالية دون التنسـيق مـع إيطاليـا [88] وعـدّ البريطانيـون تلـك السياسـة بمثابـة رغبـة إيطاليـة متزايـدة في تحـدي السـيطرة البريطانيـة في البحـر المتوسـط.[89]

لذلـك لجـأ البريطانيـون إلى مسـلك آخـر لتحييـد التحـركات الإيطاليـة في المنطقـة فقـرروا التفـاوض المبـاشر مـع الإيطاليـين لتعديـل اتفاقيـة رومـا لعـام 1927م الموافـق 1346هـ التـي سـبق للبريطانيـين في المـاضي أن اسـتعملوها لطمأنـة الملـك عبـد العزيـز بـأن الإيطاليـين ؛ لـن يعتـدوا عـلى الأراضي السـعودية[90]" لكـن الملـك «عبـد العزيـز «؛لـم يقبـل بذلـك، خاصـة أنـه لـم يكـن طرفًـا في تلـك الاتفاقية. [91]

وبـدأ البريطانيـون اتصالاتهـم الرسـمية مـع الإيطاليـين في رومـا، ولـم يضعـوا في حسـبانهم أن يكـون الملـك «عبـد العزيـز «طرفًـا في المفاوضـات، وخاصـة فيمـا يتصـل بالقضايـا التـي تمـس أراضيـه . واسـتمرت المحادثـات البريطانيـة الإيطاليـة مـن فبرايـر حتـى إبريـل 1938م[92] الموافـق ذي الحجـة 1356 هـ، وحتى صفـر 1357هـ .

وكان لـكل مـن الطرفـين أهدافـه المحـددة، فكانـت بريطانيـا تريـد أن توقـف التقـدم الإيطـالي في الـشرق العربـي وأن تعـزل إيطاليـا عـن ألمانيـا . فقـد كانت

السياسات البريطانية في الشرق العربي تحكمها عدة مبادئ أهمها الحفاظ على مصالحها في المنطقة، والحفاظ على مسالمة القوى الأخرى المعارضة . أما إيطاليا فكانت حريصة على مركزها في البحرين المتوسط والأحمر، وكانت تريد الحصول على الاعتراف بهذا المركز من ناحية الواقع والمبدأ. فقد كانت السياسة الإيطالية يحكمها مبدأ السياسي الإيطالي « مانشيني» Mancini، وهي أن مفاتيح البحر المتوسط توجد في البحر الأحمر. [93]

وأمام هذه الأهداف وتلك السياسات، تم توقيع الإتفاقية البريطانية الإيطالية في روما في 16 أبريل 1938م الموافق 16صفر 1357هـ، أما فيما يتعلق بالمملكة العربية السعودية ومملكة اليمن في هذه الإتفاقية، والتي نصت – من بين ما نصت عليه – على أن يلتزم الطرفان بضمان سلامة أراضي كل من المملكة العربية السعودية واليمن واستقلالهما والتخلي عن « الحصول على وضع مميز ذي طابع سياسي بأي إقليم يتبع حاليًا المملكة العربية السعودية أواليمن، أو أية أراضي أخرى يمكن لأي من هذين البلدين اكتسابها لاحقًا، « كذلك اتفق الطرفان على أن من مصلحتهما المشتركة ألا تكتسب أية قوة، أو تحاول اكتساب سيادة، أو أي وضع مميز ذي طابع سياسي في أية أراضي تنتمي حاليًا للمملكة العربية السعودية أو اليمن، أو سيكون في وسع أي من هذين البلدين لاحقًا اكتسابها « . وأخيرًا أكد الطرفان اهتمامهما المشترك بالحفاظ على السلام بين المملكة العربية السعودية واليمن « داخل أراضي هاتين الدولتين «، وإلتزم الطرفان بعدم التدخل في أي صراع بين الدولتين أو « داخل أراضيهما « [94]

ولقد أثارت هذه الإتفاقية انتقاد المملكة العربية السعودية وأبدت معارضتها الشديدة للمواد التي تتعلق بها .[95]كما عدت المملكة العربية السعودية تلك الإتفاقية تدخلاً في شئونها وسيادتها [96] وخشي الملك عبد العزيز أن تؤدي تلك الاتفاقية إلى إعاقة اتصالاته مع الدول الأخرى، أو تحد من سياسته الخارجية .

كما أن الملك عبد العزيز عد اتفاقية روما 1938م بمثابة محاولة احتيال من قبل بريطانيا وإيطاليا لوضع المملكة العربية السعودية تحت الوصاية، وفرضهما عليها فعليًا نوعًا من « الحماية البريطانية الإيطالية المشتركة. [97]

لذلك أرسلت الخارجية السعودية مذكرة رسمية لكل من الحكومتين البريطانية والإيطالية في5 يناير 1939م الموافق 15ذي القعدة 1357 هـ، مسجلة بذلك اعتراضًا رسميًا على تلك الاتفاقية، ومشيرًة إلى أن «**المملكة العربية**

السعودية غير ملزمة باتفاقية، لم تكن طرفًا فيها، لذلك فإنها لم توافق، ولم يكن من الممكن أن توافق على أي شرط أو نص، يمكن أن يحد من حريتها وسيادتها،وتبدي الحكومة السعودية جميع تحفظاتها تجاه ذلك »، كما أوضحت المذكرة أن **الالتزامات الوحيدة التي تتمسك بها المملكة السعودية هي التي تتعلق بالمعاهدات المبرمة بين المملكة العربية السعودية مباشرة وكل من إيطاليا وبريطانيا** . وأوضحت المذكرة في الختام « **أن حكومة جلالة الملك، لاتعترف بأية سلطة مناسبة لتنظيم علاقاتها مع الدولتين المذكورتين، تختلف عن تلك المعترف بها بين الدول المستقلة، في ظل القوانين الدولية والمعاهدات المبرمة** » [98].

بعد تشاورات وجيزة قررت وزارتا الخارجية البريطانية والإيطالية الرد على مذكرة الحكومة السعودية بلهجة تتسم بالتصالح، واقتصرتا على إطلاعهما على المذكرة، وأجابتا « ببساطة أن معاهدة روما ليس في وسعها منطقيًا إلزام أية دولة عدا الموقعين عليها [99]وكتب « غويدوكرولا»Godeo Corolla المستشار بالسفارة الإيطالية في لندن يخبر وزارة الخارجية بنتيجة محادثاته مع المسؤولين البريطانيين لإعداد الرد على مذكرة السعوديين : « **ترى الخارجية البريطانية أنه على الرغم من أن المذكرتين الإيطالية والبريطانية،ستحملان المضمون نفسه؛ لا بد أن تتضمنا بعض الاختلافات الشكلية الطفيفة ؛كي لا نعطي الانطباع بأن هناك اتفاقًا بين روما ولندن**»[100]

وجاء الرد الإيطالي في 11مارس 1939م في المذكرة التي قدمها « لويد جي سيليتي «Lodego Seleteالوزير المفوض الإيطالي بجدة إلى الحكومة السعودية أوضح فيها : «**أن المعاهدة الإيطالية – البريطانية بوصفها معاهدة أبرمت بين إيطاليا وبريطانيا، فإنها تلزم فقط هاتين الدولتين ولا تفرض على السعودية أي إلزام؛ وبأن الحكومة متفقة على أن علاقاتها مع الحكومة السعودية تنظيمها المعاهدات والاتفاقيات القائمة بين إيطاليا والسعودية والقوانين والحقوق والتعامل الدولي**».[101]

وبعد حوالي عشرة أيام من الرد الإيطالي، قدم « وليام بولارد « William Bullard الوزير المفوض البريطاني بجدة مذكرة الحكومة البريطانية بين فيها :» **أن الاتفاقية الموقعة في 16 أبريل 1938م هي اتفاقية بين المملكة المتحدة وإيطاليا فقط، وعلى ذلك فإنها تفرض إلتزمات على المملكة المتحدة وإيطاليا فقط، ولا تفرض بأية حال التزامات على دولة ثالثة كالبلاد العربية السعودية، مثلاً، علاوة على ذلك فإن حكومة صاحب الجلالة بالمملكة المتحدة، توافق بأن صلاتها مع الحكومة العربية**

السعودية، ليست مقيدة إلا فقط بموجب أحكام القانون الدولي والعرف والمعاهدات والاتفاقيات السارية فيما بين بريطانيا والسعودية»[102] .

على أية حال بإبرام الإتفاق البريطاني – الإيطالي ؛ تمكن « موسوليني « من الحصول على الاعتراف الذي طالما علق عليه آماله، وهو الوضع المتعادل لكلا الطرفين المتعاقدين في البحر الأحمر والجزيرة العربية، فلقد أدرك المسؤولون البريطانيون أنه لم يكن بالاتفاقية ثمة ما يمنع إيطاليا من أن تحاول الحصول على علاقة قوية مع المملكة العربية السعودية بالدرجة نفسها التي يحاول البريطانيون الحصول عليها هناك .[103] وكان الإيطاليون بالفعل، قد واصلوا محاولاتهم لتأمين مركز لهم في المملكة العربية السعودية، فكانوا قد قدموا لها أسلحة بأسعار رخيصة، إلى جانب تأسيس بعثة للقوات الجوية ؛ تحقيقًا لحاجات الدفاع السعودي . وكان البريطانيون يتتبعون تلك الاتصالات عن كثب، وتوصلوا إلى القرار بأن الاتفاقية البريطانية الإيطالية، لم تؤد الدور المأمول منها .

فضلاً عن ذلك، فإن الاتفاقية البريطانية الإيطالية عجزت عن تحقيق الآمال البريطانية في تقليص التقدم الإيطالي في الشرق العربي أو في عزلها عن ألمانيا، إذلم تغير الاتفاقية من النشاط الإيطالي ولامن اندفاع ألمانيا إلى الحرب مع إيطاليا بصفتها حليفًا لها .

سادسًا : إيطاليا والاحتياج السعودي إلى السلاح :

سعت المملكة العربية السعودية إلى الحصول على السلاح من إيطاليا منذ عام 1935م 1354هـ) . والسؤال الذي يطرح نفسه، ما العوامل التي دفعت الملك عبد العزيز لمحاولة الحصول على السلاح من إيطاليا ؟ للإجابة عن هذا السؤال ؛ فإنه لابد من الإشارة إلى المحاولات السعودية السابقة للحصول على السلاح من الدول الأخرى قبل اللجوء إلى إيطاليا .

ففي عام 1932م (1351هـ) قدمت الحكومة السعودية مذكرة إلى مؤتمر نزع السلاح المعقود تحت رعاية عصبة الأمم آنذاك، عرضت موقفها التسليحي الضعيف للغاية، واحتياجاتها إلى السلاح، بهدف ضبط استقرار الدولة داخليًا وخارجيًا [104] خاصة أن المملكة كانت حديثة العهد بالتمردات الداخلية أعوام 1932و1933م. كما أنها كانت بحاجة إلى تأمين حدودها الشمالية والجنوبية، حيث الوضع الجغرافي الحساس للمملكة التي تحيط بها دول ؛ تتعرض لتأثير مباشر أو غير مباشر من قِبل بريطانيا، فقد كانت المملكة بحاجة إلى وجود جيش نظامي قوي، وقوة مجهزة للتعامل مع المشكلات الداخلية والخارجية . ولهذه الأسباب كانت الحكومة السعودية ؛تسعى لإقناع المجتمع الدولي بحاجتها الشديدة للسلاح .

كانت بريطانيا المحطة الأولى التي حاولت الحكومة السعودية الحصول منها على السلاح عن طريق الشراء . ولكن بريطانيا توقفت عن تزويد المملكة بالسلاح بعد الصفقة التي تم تسليمها في عام 1929م (1348هـ) لأسباب مالية وسياسية معًا، فمن الناحية المالية :لم يكن الملك عبد العزيز قد قام بسداد ثمن الأسلحة السابقة، وكان البريطانيون يصممون على الحصول على ذلك الثمن قبل عقد صفقة جديدة . ومن الناحية السياسية: كانت بريطانيا تخشى أن يهدد الملك عبد العزيز مصالحها في منطقة الخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية .

وأدرك الملك عبد العزيز أن بريطانيا لم تعد البلد الملائم لتحقيق احتياجاته، بل إن الاتجاه البريطاني السلبي نحو المطالب السعودية للحصول على السلاح،قد أوجد مشاعر عدائية لبريطانيا في الجزيرة العربية، ولقد لاحظ « أندرو ريان» Andrew Ryan الممثل البريطاني في جدة أنه كان هناك في عام 1934م (1353هـ) قدر كبير من مشاعر عدم الرضا تجاه بريطانيا لدى المسؤولين السعوديين ؛ لأننا « لانبدي الرغبة في المساعدة « [105].

ولذا كانت فرنسا المحطة الثانية التي حاولت الحكومة السعودية الحصول منها على السلاح، وتم الاتصال بـ «مسيو ميغرية « Migreeh الممثل الفرنسي في جدة لمقابلة الملك عبد العزيز في الرياض عام 1933م (1352هـ) وكان الملك عبد العزيز لايسمح للأجانب بمقابلته في الرياض إلا عندما تكون هناك حاجة ماسة لذلك، فقد كانت نشاطات الممثلين الأجانب محصورة في جدة حتى تظل أمور الدولة بعيدة عنهم، وذلك لأسباب سياسية ودبلوماسية [106].

وعلى أية حال، فإن فؤاد حمزة مساعد وزير الخارجية السعودية، علَّق بأن تلك الدعوة كانت تقدم لممثلي الدولة التي لديها مسائل حيوية في العلاقات مع المملكة العربية السعودية [107].ومع ذلك فإن المفاوضات، لم تتوصل إلى إعطاء المملكة الاحتياجات التي طلبتها من السلاح ؛لأن فرنسا حاولت أن يكون الملك عبد العزيز عونًا لها على تحقيق مزايا سياسية خاصة بها في سوريا، إذ حاول الفرنسيون من خلال هذه المفاوضات أن يربطوا بين استعدادهم لتقديم المساعدات والمسائل السورية، وبخاصة ثورة السوريين في جبل الدروز ضدهم، وكان الملك عبد العزيز قد قام من قبل بمساعدة السوريين في تصديهم ضد السيطرة الفرنسية [108].

وهكذا حاول الفرنسيون إقناع الملك عبد العزيز بمساعدتهم في منع السوريين من الثورة ضدهم لكن تلك المحاولة باءت بالفشل؛لأنه لم يوافق

على المطلب الفرنسي، على الرغم من احتياجه للسلاح من فرنسا . ولذا حاولت الحكومة السعودية طلب المساعدة من مصدر آخر، يكون على استعداد لتقديم السلاح دون دوافع سياسية، وكانت إيطاليا هي المحطة المرتقبة لتزويد المملكة العربية السعودية بالسلاح، وطلب الملك عبد العزيز أن تؤمن له إيطاليا حاجته من السلاح اللازم من خلال اتفاقيات يمكن للمملكة تنفيذها .

وفي هذه المحاولة قام وفد سعودي رفيع المستوى برئاسة ولي العهد الأمير «سعود بن عبد العزيز» بزيارة رسمية إلى روما في مايو 1935م (1354هـ) اتسمت بجو من الصداقة، بفضل التصرف الذي التزم به الملك عبد العزيز تجاه البعثة الأثيوبية التي وصلت إلى السعودية في شهر أبريل 1935م في محاولة لإبرام معاهدة صداقة سعودية أثيوبية غير أن الملك عبد العزيز لم يبرمها بدعوى أنه يرى أن الوقت غير ملائم، نظرًا لتوتر العلاقات بين إيطاليا وأثيوبيا آنذاك [109] وكان لهذا الموقف السعودي رد فعل إيجابي من الحكومة الإيطالية تجاه السعودية .

وتم خلال الزيارة وضع الأسس من أجل توسيع التعاون في مجال الطيران مع إيطاليا، وهي التي بدأت بقبول أول بعثة من الطلبة السعوديين، مؤلفة من عشرة شبان للتدريب على الطيران في المدارس الإيطالية [110]،وتوجت الزيارة بالموافقة على إرسال بعثة طيران إيطالية إلى المملكة العربية السعودية، تكون قاعدتها في جدة . وبعد موافقة الملك عبد العزيز، وصل الطيارون الإيطاليون مع ثلاث طائرات للتدريب في عام 1936م (1355هـ) وكان ذلك بمثابة هدية من الحكومة الإيطالية للمملكة العربية السعودية[111] .

ولاشك في أن هذه الهدية كانت بمثابة تقدير للموقف السعودي الرافض لعقد معاهدة صداقة سعودية إثيوبية .

ولكن يبدو أن البعثة الإيطالية لم تؤد عملها كما ينبغي، وتركت أثرًا سيئًا لدى الحكومة السعودية، ولم تكن نتائج التدريب مرضية، وكذلك لم تكن الطائرات التي أرسلت كهدية صالحة من الوجهة العملية[112] .

وظل المعلمون والمهندسون الإيطاليون يقيمون في جدة بلا عمل، بدعوى أن الطائرات كانت بحاجة إلى إصلاح، وأنهم ينتظرون قطع الغيار من إيطاليا [113].

وأدرك الملك عبد العزيز أن وجود البعثة الجوية في جدة كانت وراءه أسباب سياسية[114] ولذا طلب من الحكومة البريطانية استبدال البعثة الجوية الإيطالية التي أسست في جدة عام 1935م، ولكن البريطانيين رفضوا تقديم مساعداتهم إلى المملكة العربية السعودية ؛ فيما يتصل بالقوة الجوية ؛ بدعوى أن الدولة السعودية ؛ لم تتهيأ بعد لمثل ذلك المشروع [115].

خاصة أن القوات الجوية السعودية آنذاك كانت ضئيلة للغاية وتعتمد فقط على ثلاث طائرات ماركة « وابيتي» Wabety كانت حصلت عليها في عام 1929م (1348هـ)، بالإضافة إلى حظيرة طائرات معدنية، وطيار من الروس البيض اسمه « م. نيدنيوف» M.Naidyonoff الذي ظل في الحجاز بعد قيام الثورة البلشفية، وكان الطيار الروسي، هو المدرب الوحيد في جدة حتى عام 1934م (1353هـ) [116].

هذا فيما يتعلق بالتعاون السعودي الإيطالي في مجال الطيران، أما بالنسبة لصفقة الأسلحة الأخرى . فمنذ ربيع عام 1935م كانت القوات الإيطالية في مقاطعة إريتريا في حاجة ماسة إلى شراء عدد كبير من الجمال (الإبل) ؛لتأمين نفسها من الغذاء إبان الحرب الإيطالية الأثيوبية . ولذا سعت القيادة العليا الإيطالية في أفريقيا الشرقية بقيادة «دي بونو» De Bono لعقد صفقة سلاح من السعودية في مقابل الحصول على الجمال[117]. وتمثلت الصفقة في أن يتم خلال (45) يومًا إمداد السعودية بأسلحة إيطالية عبارة عن (175) رشاشًا، ومدافع وذخيرة، بجانب عشر شاحنات عسكرية فورًا، إلى جانب إمدادها بحوالي عشر دبابات سريعة من أحدث طراز في مقابل حصول إيطاليا على (12000) جمل [118].

وكانت القيمة الإجمالية للجمال المطلوب شراؤها من المملكة العربية السعودية حوالي (22) مليون ليرة، يتم فورًا دفع ثلاث منها نقدًا، والمبلغ المتبقي، يتم دفع مقابله بالأسلحة. [119]

وفي تلك الأيام نفسها في شهر أغسطس 1935م، وقبل أن يعود « جوفاني بيرسكو « Govany Peresco إلى مقر عمله في جدة، ذهب إلى مكتب هيئة الاستخبارات العسكرية الإيطالية؛ ليفتح تفاصيل العملية، ويستعجل إرسال الإمدادات العسكرية التي سيُدفع ثمنها مقابل الجمال[120].

في الوقت نفسه وفي 20 أغسطس 1935م التقى ضابط هيئة الاستخبارات العسكرية الإيطالية « شيلسو أو ديلو « Shels Odelo في الرياض بالملك عبد العزيز ؛ لمتابعة موضوع الإمدادات العسكرية الإيطالية الذي انطلق من مسألة الجمال، واتسع حتى أصبح مشروعًا حقيقيًا لإعادة تنظيم شامل للجيش السعودي، حسب النظم الحديثة . يقول « أوديلو» في تقرير كتبه إلى « بيرسكو»: « **«لقد أعرب الملك عبد العزيز عن رغبته في مواجهة الهيمنة البريطانية، وأنه يفضل الاتجاه مباشرة إلى الحكومة الإيطالية التي يكن لها الإعجاب والصداقة»** . [121]

وأكد « أوديلو » في رسالة جديدة إلى «بيرسكو »: « **أنه مقتنع شخصيًا بأن التحرك السريع هو العامل الأساسي للتواصل مع الملك عبد العزيز إلى الاتفاق المهم بالنسبة لنا**».[122]

ويبدو أن « أوديلو » كان يخشى ما قد يحدث من تأخير أو تعقيدات بيروقراطية إيطالية، تعرقل صفقة الأسلحة الإيطالية مقابل صفقة الجمال التي كانت القوات الإيطالية في إريتريا في حاجة إليها. وفي 17 سبتمبر 1935م وعندما علم» موسوليني» Mussolini بأهمية الصفقة كتب فورًا إلى « دي بونو»، وبعد أن طلب منه أن يرسل فورًا إلى السعوديين عينات الأسلحة، أضاف : « **إنه أمر عاجل ويجب عدم إضاعة الوقت** »[123] .

وأخيرًا، وبعد مزيد من تبادل البرقيات بين هيئة الاستخبارات العسكرية ووزارة الحرب، والقيادة العليا في أفريقيا ومفوضية جدة، دخلت عملية إمداد المملكة العربية السعودية بالسلاح حيز التنفيذ .

ونظرًا لأهمية الصفقة لإيطاليا، فقد أرسلت الحكومة الإيطالية في 22سبتمبر 1935م سفينة إيطالية من ميناء نابولي متجهة إلى ميناء جدة في مهمة سرية، تحمل مجموعة صغيرة من العسكريين الإيطاليين في ذي مدني وبجوازات سفر مدنية تصفهم بأنهم موظفون لدى شركتي « فيات وأنسالدو» Fiat &Ensaldo . ومعهم عينات أسلحة موضوعة في صناديق مغلقة بإحكام، تحت اسم شركة « أنسالدو » دون أي عنوان للجهة المرسلة أو المستقبلة « [124].

يبدو أن إيطاليا كانت تخشى اكتشاف أمر الركاب ومحتويات الصناديق، عندما تتعرض للتفتيش من قبل الرقابة البريطانية الصارمة في ميناء جدة .

وعلى الرغم من وصول العينات العسكرية إلى ميناء جدة دون اكتشاف أمرها، نجد أن هذه الصفقة لم يتم إنجازها . فقد كتب « دي بونو» De Bono في 17أكتوبر 1935م إلى وزير الحرب رسالة يقول فيها « **لقد فشلت تمامًا المفاوضات بشأن جمال السعودية . ورفضت السلطات العسكرية الإيطالية في أسمرة، الصفقة وتوقفت عملية الشراء بسبب غموض العقد، وبسبب سلسلة من التعقيدات، ونظرًا لأنه على الرغم من كل الوعود والتأكيدات ؛ لم نحصل حتى الآن على جمل واحد**»[125]

ولاشك في أن يأتي في مقدمة أسباب فشل هذه الصفقة العسكرية بين السعودية وإيطاليا نشوب الحرب الاثيوبية الإيطالية في أكتوبر 1935م وردود فعلها القوية على العلاقات الإيطالية البريطانية التي سادها توتر حاد، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى الضغوط التي مارستها الحكومة البريطانية على

الحكومة السعودية لمزيد من الانضمام إلى جانب بريطانيا .

وأخيرًا وباستيلاء إيطاليا على إثيوبيا في مايو عام 1936م – أي بعد سبعة أشهر من ابتداء الهجوم الإيطالي على أثيوبيا – دخل الإيطاليون أديس أبابا. وأعلنت إيطاليا رسميًا ضم أثيوبيا وأضيف إلى الملك « فيكتور إيمانويل « Vector Emanail لقب إمبراطور إثيوبيا [126]، وبذلك تغير إطار العلاقات بين إيطاليا والمملكة العربية السعودية جذريًا. وعلى الرغم من ذلك ؛فقد بقيت هذه العلاقات مربوطة بشدة بمبدأ الصداقة، غير أنها بدأت تفقد قيمتها المستقلة في عين كل من « موسوليني « Mussoliniووزير الخارجية الجديد « تشانو» [127] Tshano).

وأصبحت مسألة بيع الأسلحة الإيطالية إلى السعودية « معلقة « حسب تعبير هيئة الاستخبارات العسكرية الإيطالية.[128]

وعلى الرغم من إنزال كميات كبيرة من الأسلحة البريطانية في ميناء جدة في 18أكتوبر 1937م؛نجد أن وزير المالية السعودي «عبد الله السليمان الحمدان « أخبر القائم بالأعمال الإيطالي في جدة، عدم تنازل السعوديين عن الصفقة العسكرية الإيطالية. [129]

غير أن عدم توحيد نوع السلاح المشترى من بريطانيا مع نوع السلاح الذي يتم التفاوض بشأنه من إيطاليا، تسبب في خلق مزيد من المشكلات، خاصة أن البندقية «ماوسر» Mawser المستخدمة لدى القوات السعودية غير متوفرة في إيطاليا التي كانت ستضطر لشرائها من الخارج ؛ ونظرًا لارتفاع الأسعار في الخارج، لم تستطع الحكومة الإيطالية الوفاء بالتزاماتها تجاه بيع الأسلحة للسعودية. [130]

ولذا سوف تحاول الحكومة السعودية البحث عن مصدر آخر يكون على استعداد لإمدادها بالسلاح.

سابعًا : تجميد العلاقات الدبلوماسية الإيطالية – السعودية :

مع دخول إيطاليا في الحرب العالمية الثانية، وبعد أن أعلن» موسوليني « الحرب على بريطانيا، وجه أنظاره إلى أفريقيا حيث كان الاستعمار البريطاني مسيطرًا في مناطق يعدها «موسوليني» حيوية لإيطاليا. وفي أغسطس 1940م أمر الدوق الإيطالي «أوستا» Osta أن يتقدم بقواته المؤلفة من (200,000) جندي إيطالي وإريتري وصومالي ؛ لمهاجمة القوات البريطانية المعسكرة عند مدخل البحر الأحمر . وبعد أسبوعين اضطرت القوات البريطانية إلى الجلاء عن الصومال . [131] وفي سبتمبر 1940م بدأت خطوة «موسوليني» الثانية، فقد أمر المرشال « جراتزياني» Gratziani أن يزحف بقواته (250,000) جندي إيطالي من

ليبيا شرقًا نحو مصر، ونجح « جراتزياني» في إجبار القوات البريطانية بقيادة « ويفل» Wavellعلى التقهقر نحو مرسى مطروح [132]. وتبين للبريطانيين مدى الخطر الذي يحيق بهم في أهم المناطق حيوية وأهمية بالنسبة لهم، فقامت البحرية البريطانية في البحر المتوسط بوضع خطة لقطع خطوط الإمدادات الإيطالية ومهاجمة القاعدة الإيطالية «تارنتو» Taranto وفي طبرق بليبيا، أما في البحر الأحمر ؛ فقد وجهت القوات البريطانية نشاطها لاستعادة ما فقدته في الصومال، ثم سقطت أديس أبابا في أيديهم في 6أبريل 1941م، وأعيد هيلاسلاسى إلى عرشه؛ وبذلك تم القضاء على الإمبراطورية الإيطالية في شرق أفريقيا [133]. وفي إطار التصدي البريطاني للوجود الإيطالي في البحر الأحمر وفي المملكة العربية السعودية، قامت بريطانيا بالضغط على الحكومة السعودية من أجل قطع العلاقات بينها وبين إيطاليا – على الرغم من وجود علاقات صداقة بين السعودية وإيطاليا – ففي 31ديسمبر 1941م حضر خصيصًا من مكة المكرمة» عبد الله السليمان الحمدان» وزير المالية السعودي والتقى في جدة مع « لويدجي سيليتي» الوزير المفوض الإيطالي، وأخبره «**بأنه لم يعد للمفوضية الإيطالية وجود مناسب بعد مع أمن الحكومة السعودية ومصالحها** «[134].ولهذا وباسم الصداقة العريقة بين البلدين دعاه إلى مراعاة الموقف، وإيجاد مخرج وعندما طلب مزيدًا من التوضيحات، بشأن الأسباب التي دفعت بريطانيا للضغط على الحكومة السعودية في هذا الأمر ؛ أجاب «عبد الله السليمان الحمدان» بأن حكومته « **لاتعرف أي أسباب ؛إنها ترضخ للطلب لسبب قهري**»[135]. وعندما أخبر « سيليتي « وزير خارجيته « تشانو « بمضمون هذا اللقاء، أفاد بأن المفوضية الوحيدة التي يمكنها تولي رعاية المصالح الإيطالية في جدة هي مفوضية تركيا [136]. وكتب « تشانو « ردًا على « سيليتي» : « **على الرغم من تفهمي للضغوط البريطانية، فيجب شجب قيام بريطانيا بإجبار السعودية – وهي دولة مستقلة ومحايدة – على قطع العلاقات بين بلدينا اللذين لاتفصل بينهما أية مصالح، واللذين نشأت بينهما صداقة راسخة، وأن إيطاليا قدمت الأدلة الكثيرة على رغبتها في استمرار هذه الصداقة لتزداد قوة** « [137]. وفي يوم 2فبراير 1942م التقى الوزير المفوض الإيطالي مع وزير المالية السعودي مرة أخرى وأعرب له عن أسفه للقرار الذي أخذته الحكومة السعودية بناءً على الضغوط البريطانية، وأضاف الوزير الإيطالي وقال : « **كانت الحكومة الإيطالية أكثر أسفًا ؛نظرًا للصداقة الراسخة والثابتة بين إيطاليا والسعودية، وهذا جعل إيطاليا تعد اغلاق المفوضية الملكية الإيطالية في جدة بمثابة إجراء**

مؤقت، تسببت فيه ملابسات خاصة ذات طابع وقتي عابر»[138]. وفي 5 فبراير 1942م دعى « سيليتي» إلى منزل الوزير «عبد الله السليمان الحمدان» حيث التقى مع المستشار الخاص للملك عبد العزيز « خالد القرقني» [139] الذي تحدث معه بالإيطالية، وقال:» **له إنه تلقى تفويضًا مباشرًا من الملك عبد العزيز ؛ ليلتقي به في جدة ؛ وليخبره مرة أخرى بأن هذا الموقف قد حدث فقط بسبب الضغوط البريطانية التي لايمكن مواجهتها نتيجة للحرب**» . ونوه خالد القرقني : «**بأن الملك عبد العزيز يود أن تشرحوا وتقنعوا الحكومة الإيطالية بموقفه**». [140] وفي 15 فبراير 1942م تم استقبال « سيليتي» للمرة الأخيرة من قبل الملك عبد العزيز في حضور ولي العهد و»يوسف ياسين « [141] المستشار الخاص للملك عبد العزيز « **وأعرب الملك عبد العزيز عن أمله في أن يتفهم المسئولون في روما موقفه الصعب للضغوط المستمرة واللحوحة من جانب بريطانيا التي لايمكن مواجهتها نظرًا للوضع الخاص الذي يوجد في بلده في أثناء الحرب** «[142] وكتب وزير الخارجية الإيطالي رسالة إلى الوزير المفوض في جدة في 19 فبراير 1942م قال فيها : «**من أجل كل غاية حميدة، نؤكد أن العلاقات الدبلوماسية بين إيطاليا والسعودية تعد معلقة وليست مقطوعة**»[143].

هكذا تم تجميد العلاقات السعودية الإيطالية وإغلاق المفوضية الإيطالية في جدة – على غير رغبة البلدين – تحت الضغوط البريطانية .

الخاتمة :

يوضح هذا البحث أن السياسة الخارجية الإيطالية في منطقة جنوب البحر الأحمر ؛ ترجع إلى أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، خاصة بعد حصول إيطاليا على وحدتها القومية عام 1870م واقتصرت هذه السياسة آنذاك على التوسع، وذلك على حساب الساحل الإفريقي (الغربي) للبحر الأحمر فقط، على حين أن التوسع الإيطالي للشاطئ الآسيوي (الشرقي) للبحر الأحمر ؛ جاء في مرحلة متأخرة، ترجع إلى العقد الثاني من القرن العشرين الميلادي .

ولاشك في أن التنافس البريطاني – الإيطالي للهيمنة على منطقة جنوب البحر الأحمر، هو الذي تسبب في تأخير الوجود الإيطالي، في الساحل الشرقي للبحر الأحمر، فقد كان الوجود البريطاني في منطقة جنوب البحر الأحمر ؛ يشكل حجرًا عثرة أمام السياسة الإيطالية في المنطقة .

كما اتضح من البحث أن الوجود الإيطالي في الجانب الغربي من البحر الأحمر، كان في إطار النشاط الاستعماري واحتلال إريتريا والصومال وأثيوبيا، على حين أن الوجود الإيطالي في الجانب الشرقي للبحر الأحمر، كان في

إطار العلاقات الدولية بين الدول، مثل العلاقات الإيطالية اليمنية، والعلاقات الإيطالية السعودية .وكانت السياسة الإيطالية في كلتا الحالتين، تهدف إلى التصدي للسياسة البريطانية في منطقة جنوب البحر الأحمر، من أجل الحفاظ على الوجود الإيطالي في المنطقة. وقد نجحت إيطاليا في بسط نفوذها على هذه المناطق، وكان التنافس البريطاني الفرنسي عاملاً حاسمًا في تقارب السياسات الإيطالية البريطانية في منطقة جنوب البحر الأحمر .

فقد كانت بريطانيا ترغب في تهدئة التوتر السياسي مع إيطاليا حول البحر الأحمر، عن طريق التواصل إلى تفاهم مع الحكومة الإيطالية ؛ وذلك بهدف حماية طريق المواصلات البريطانية إلى الهند، وكانت إيطاليا هي الأخرى؛ ترغب في تهدئة التوتر السياسي مع بريطانيا حول البحر الأحمر، بهدف الحفاظ على مصالحها في هذه المنطقة، وهكذا التقت رغبة بريطانيا مع رغبة إيطاليا، وعقد بينهما اتفاق في روما عام 1927م من أجل التوافق بين مصالحهما المشتركة في البحر الأحمر . وعلى الرغم من توقيع هذا الاتفاق، نجد أن التنافس بينهما ظل مستمرًا، وقد أيدت بريطانيا الملك عبد العزيز آل سعود، على حين أيدت إيطاليا الإمام يحيى حميد الدين إمام اليمن .

وقد انعكست هذه السياسات على تأخير الاعتراف الإيطالي الرسمي بدولة الملك عبد العزيز آل سعود من عام 1926م إلى عام 1932م، على الرغم من بدء المفاوضات بينهما من أجل الاعتراف منذ عام 1929م.

وقد أوضح البحث أن المملكة العربية السعودية هي التي سعت للحصول على الاعتراف الإيطالي بها، ولاشك في أن هذا كان بهدف تحييد الموقف الإيطالي الذي كان يقيم علاقات طيبة مع اليمن التي كان يوجد بينها وبين السعودية خلافات على المناطق الحدودية آنذاك . وقد نجحت السياسة السعودية في ذلك، وقد أبرمت بين الدولتين الإيطالية والسعودية معاهدتي صداقة وتجارة في عام 1932م وقد تم بموجبهما الاعتراف الإيطالي بالمملكة العربية السعودية . وقد أوضح البحث أن السياسة السعودية من خلال هاتين المعاهدتين، قد نجحت في آلا تعطي أية ميزة للحكومة الإيطالية، تميزها عن تلك التي اتفقت بشأنها مع بقية الحكومات الأخرى التي عقدت معها المملكة العربية السعودية معاهدات مماثلة. وتعد معاهدة الصداقة السعودية الإيطالية أول معاهدة بين البلدين، وبموجبها أقيمت العلاقات الدبلوماسية والقنصلية، وقد شهدت تطورًا ملموسًا خلال الفترة من 1932م إلى عام 1942م، فقد رفعت درجة التمثيل الإيطالي في جدة من قنصلية في بداية الفترة، يرأسها قنصل، إلى

مفوضية في نهاية الفترة يرأسها وزير مفوض .

كما بيّن البحث أن « جويدو سوللاتسو « القنصل الإيطالي في جدة في الفترة من 1929م إلى 1932م. هو مهندس إقامة العلاقات الإيطالية السعودية، حيث بذل جهدًا كبيرًا في التغلب على العقبات التي واجهت المفاوضات وسعى لإقناع حكومته بضرورة التخلي عن التحفظات التي كانت تتمسك بها، وقد نجح في ذلك .وقد أوضح البحث أن بريطانيا أبدت استياءها من تحسن العلاقات السعودية الإيطالية . وكانت المفوضية البريطانية في جدة ؛ قد ارتابت في مناسبات عديدة من نشاطات المفوضية الإيطالية التي كانت توجه ضد بريطانيا، على أساس أن هذا يهدد العلاقات البريطانية السعودية والمصالح البريطانية في المنطقة ؛ لذا تحركت الدبلوماسية البريطانية لوقف تطور هذه العلاقات واتخاذ إجراءات مضادة للنفوذ الإيطالي في المنطقة .

كما بيّن البحث أن بريطانيا لجأت إلى أسلوب تحييد التحركات الإيطالية في المنطقة، عن طريق التفاوض المباشر مع الإيطاليين ؛ لتعديل اتفاقية روما عام 1927م ، وكانت بريطانيا تريد أن توقف التقدم الإيطالي في الشرق العربي، وأن تعزل إيطاليا عن ألمانيا، دون الاصطدام بإيطاليا . وقد سعت بريطانيا إلى ذلك من خلال إبرام اتفاقية روما الثانية لعام 1938م، وهي التي اتفق فيها الطرفان البريطاني والإيطالي على أن من مصلحتهما المشتركة ألا تكتسب أية قوة، أو تحاول اكتساب سيادة، أو أي وضع مميز ذي طابع سياسي في أية أراضي، تنتمي حاليًا للمملكة العربية السعودية أو اليمن أ أو سيكون في وسع أي من هذين البلدين لاحقًا اكتسابها .وبالتالي حيّد الطرفان الإيطالي والبريطاني موقفه من الصراع السعودي اليمني، وألتزم الطرفان بعدم التدخل، غير أن المملكة العربية السعودية جعلت اتفاقية روما لعام 1938م بمثابة احتيال من قبل بريطانيا وإيطاليا ؛ وذلك لوضع المملكة العربية السعودية تحت الوصاية المشتركة للدولتين ؛ ولذلك أعلنت المملكة العربية السعودية أنها غير ملزمة باتفاقية لم تكن هي طرفًا فيها، ورفضت الاعتراف باتفاقية روما لعام 1938م وحاولت كل من الحكومة البريطانية والحكومة الإيطالية إعلان سلامة موقفها، وأن الحكومة السعودية ليست مقيدة، غير أن الاتفاقيات والمعاهدات تكون السعودية طرفًا فيها .

كما أوضح البحث أن الحكومة الإيطالية، حاولت تأمين مركز متميز لها في المملكة العربية السعودية عن طريق تقديم أسلحة لها، فقد كانت السعودية في حاجة ماسة إلى السلاح من أي مصدر، غير أن صفقة الأسلحة فشلت بسبب نشوب الحرب الإيطالية الأثيوبية، وبسبب التدخل البريطاني

للضغط على الحكومة السعودية لإفشال الصفقة، حتى لايكون لإيطاليا مركز متميز فيها . ولم تكتف الحكومة البريطانية بذلك، بل قامت بمزيد من الضغط على الحكومة السعودية، من أجل قطع علاقاتها مع إيطاليا، على الرغم من أن إيطاليا لم يكن لديها الرغبة في قطع العلاقات، ولم يكن لدى السعودية أيضًا الرغبة في قطع العلاقات مع إيطاليا . غير أنه أمام الضغط البريطاني استجابت الحكومة السعودية، ورضخت، وطلبت من الحكومة الإيطالية قطع العلاقات الدبلوماسية فيما بينهما. خاصة أن السعودية لم يكن لديها القدرة على مواجهة بريطانيا إبان الحرب العالمية الثانية .

هكذا قامت العلاقات السعودية الإيطالية في ظروف صعبة وانتهت أيضًا في ظروف صعبة لم يكن لدى الطرفين القدرة على مواجهتها .

المصادر والمراجع:

(1) جاد محمد طه (الدكتور):بريطانيا والصومال في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بحث منشور ضمن كتاب : البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس، القاهرة 1980م، ص 478.

(2) السيد رجب حراز (الدكتور) : اريتريا الحديثة (1557-1941)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة 1974م، ص 78.

(3) نفسه، ص 90.

(4) السيد رجب حراز (الدكتور) : التوسع الإيطالي في شرق إفريقيا وتأسيس مستعمرتي أريتريا والصومال، القاهرة 1960م، ص ص 143-152.

(5) نفسه، ص ص 122-124.

(6) على محمد بركات (الدكتور) : السياسة البريطانية في جنوب البحر الأحمر (1884-1889م)، بحث منشور ضمن كتاب : البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ... مرجع سابق، ص 429.

(7) انظر المادة السابعة عشر من المعاهدة، حيث تنص على « أن صاحب الجلالة إمبراطور أثيوبيا يوافق على منح حكومة جلالة ملك إيطاليا الحق في تصريف شئونه الخارجية كلها مع الدول والحكومات الأخرى «. ومن المعروف أن هذه المادة صارت مثار نزاع بين الايطاليين والأحباش بعد ذلك وذلك عندما فسرت الحكومة الإيطالية عبارة (قد يجوز لمنليك أن يستخدم) بأنها (سوف يستخدم) أي عليه أن يستخدم الحكومة الإيطالية في تصريف شئونه الخارجية، واستمر الخلاف بينهما إلى أن أعلن منليك في فبراير 1893م أن معاهدة أوتشيالي لم تعد قائمة .انظر : محمد عبد الرحمن برج : البحر الأحمر والسياسة الدولية في نهاية القرن التاسع عشر (1881-1891م)، بحث منشور ضمن كتاب : البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية ... مرجع سابق، ص 516.

(8) F.O.78/14169, Salisbury to Malet, 19 November 1887.

(9) Darcy,Jean: Cent anees de Rivalite Coloniale, pairs, pp.105 106.

(10) من الجهات الأخرى التي استولت عليها إيطاليا من الدولة العثمانية جزر الدوديكانيز (12جزيرة) في بحر إيجه أهمها جزيرة رودس . انظر : فرغلي علي تسن (الدكتور) : تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار الوفاء، الإسكندرية، 2001م، ص 153.

(11) جزيرة قمران، تقع على بعد 15 ميلاً جنوبي اللحية وبضعة أميال شمالي الحديدة، وتبلغ مساحتها نحو 12ميلاً مربعًا، وتعتمد في كافة احتياجاتها على عدن، والحديدة، واللحية . انظر جاد محمد طه (الدكتور) : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن (1798-1963م)، القاهرة، 1969م، ص ص 17-18.

(12) يونان لبيب رزق (الدكتور) : جزيرة قمران بين الاحتلال العسكري وتحديد التبعية السياسية)1915-1929م(، بحث منشور ضمن كتاب : البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة... مرجع سابق، ص 528.

(13) نفسه، ص528.

(14) نفس المرجع والمكان

(15) انظر المادة السادسة من معاهدة لندن المبرمة في 26من أبريل 1915م :

Hurewitz .J.C,Diplomacy in the Near and Middle East, Vol.1, (NewYo-rk1956),p.115.

(16) يونان لبيب : المرجع السابق، ص 529.

(17) Leatherdale, Clive: Britain and Saudi Arabia 1925–1989, Frank Cass and Company Ltd , London, p.140.

(18) (18) Ibid,pp140–142 .

(19) جلبرت فلكنجهام كلايتون، من الدبلوماسيين البريطانيين في أوائل القرن العشرين الميلادي، وشغل منصب سكرتير حكومة فلسطين، ورأس لجنة المفاوضات البريطانية التي تفاوضت مع المسئولين السعوديين من أجل توقيع معاهدة الصداقة بينهما، والتي أبرمت في جدة في 20 مايو 1927م، ورأس البعثة التي عرفت باسمه « بعثة كلايتون « في جنوب شبه الجزيرة العربية في الفترة من 9أكتوبر 1925م إلى أغسطس 1928م . انظر : موسوعة تاريخ الملك عبد العزيز الدبلوماسي، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1419هـ /1999م، ص ص 84–86.

(20) F.O.371/12236F.O.minute.30Decmber1927

(21) Leatherdale,Clive,op.cit,p,112

(22) ManfredW.wenner,ModernYemen, 1918–1966,Balitimore John Hopkins. Press,1967,p.141

(23) Leatherdale,op.cit,p.141

(24) عبد المنعم الغلامي : الملك الراشد جلالة المغفور له عبد العزيز آل سعود، ط2، دار اللواء، الرياض، 1400هـ / 1980م ، ص 78.

(25) Leatherdale,op.cit,p.142

(26) Ibid ,p.143 .

(27) بيتسغالو، ماتيو : دبلوماسية الصداقة، إيطاليا والمملكة العربية السعودية 1932–1942م، ترجمة محمد عشماوي عثمان، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 1425هـ، ص 16.

(28) Leatherdale, op.cit.p.143.

(29) Clayton's Papers, Instructions to Clayton From Sir Austen Chamberlain.28December1926. pp.150–152.

(30) Ibid,p.153

(31) F.O371.E/266/22/91/ 12235Clayton to Oliphant, 14 January 19 27,

(32) نظر بنود اتفاقية روما في 11مارس 1927م، في : خالد بن ثنيان آل سعود : العلاقات السعودية البريطانية -1341 1351هـ (1922-1932م) دراسة وثائقية، ط2، مكتبة العبيكان، الرياض، 1422هـ / 2001م، ص ص 253-255.

(33) Clayton's Papers,Chamberlain to Clayton, 27, January 1927.

(34) Ibid,Ibn Saud to Acting British Agent ,30 March 1927.

(35) Ibid,Ibn Saud to Acting British Agent ,4 February 1927

(36) وثائق وزارة الخارجية السعودية، محفظة 98، ملف302/ 12، رسالة من الملك عبد العزيز آل سعود إلى قناصل الدول الأجنبية، جدة في 8جمادي الثانية 1344هـ الموافق 24 ديسمبر 1925م ؛ وانظر كذلك : صحيفة أم القرى، العدد 57، 19رجب 1344هـ /29 يناير 1926م.

(37) الكوماندتور فاريز، كان دبلوماسياً مخضرمًا ذا معرفة باللغة العربية معرفة جيدة، وكان ذا خبرة طويلة في منطقة البحر الأحمر وساحل أفريقيا الشرقي، حيث كان قد مضى مدة أربعين عامًا في خدمة بلاده في تلك الجهات، وقد ترك عمله في جدة في يونيو 1926م . انظر موسوعة تاريخ الملك عبد العزيز الدبلوماسي ... مرجع سابق، ص 156.

(38) عبد المحسن بن صالح اليوسف : سلطان نجد والحجاز وملك المملكة العربية السعودية وأنجاله في صحافة عصره، ط 1، الرياض، 1413هـ /1993م، ص ص 757-758؛ وانظر كذلك: صحيفة أم القرى، العدد 57، 15 من رجب 1344هـ الموافق 29من يناير 1926م.

(39) أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس (الدكتور) : صحيفة أم القرى مصدرًا للتاريخ السعودي : دراسة في العلاقات الخارجية في عهد الملك عبد العزيز، مجلة بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس، العدد 13من سبتمبر 2003م، ص 155.

(40) موسوعة تاريخ الملك عبد العزيز الدبلوماسي، المرجع السابق ، ص 124.

(41) جويدو سوللاتسو، عُين قنصلاً لبلاده في جدة في أكتوبر 1929م وهو الذي قاد المفاوضات التي أدت إلى إمضاء معاهدتي الصداقة والتجارة بين المملكة الإيطالية ومملكة الحجاز ونجد وملحقاتها في جدة في 10 فبراير 1932م (3شوال 1350هـ)، وقد وقع « سوللالسو) المعاهدتين نيابة عن بلاده في جدة بعد أن تم الاعتراف الإيطالي بالمملكة وترفيع القنصلية الإيطالية إلى مفوضية، ولكن عمله لم يستمر طويلاً إذ أنه غادر جدة في سبتمبر 1932م انظر : موسوعة تاريخ الملك عبد العزيز ... المرجع السابق، ص 156.

(42) أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس (الدكتور) : دبلوماسية الصداقة في عهد الملك عبد العزيز آل سعود (تحت الطبع، ص12.

(43) موسوعة تاريخ الملك عبد العزيز الدبلوماسي... المرجع السابق، ص 321.

(44) بيتسغالو : المرجع السابق، ص ص 16-17 .وانظر كذلك : موسوعة تاريخ الملك عبد العزيز ...، المرجع السابق، ص ص 124-125.

(45) فؤاد حمزة لبناني كان مترجمـًا للملك عبد العزيز في عام 1344هـ / 1927م، ثم شغل منصب نائب وزير الخارجية 1351هـ /1932م . تلقى تعليمه بالمدارس التركية بسوريا وكان يتحدث الإنجليزية والتركية ويعرف الفرنسية بدرجة محدودة . انظر : فهد بن عبد الله السماري (الدكتور): الملك عبد العزيز وألمانيا 1926-1939م، دار أمواج، بيروت، 1420 هـ، ص 37 . ومن أهم مـؤلفات فؤاد حمزة (البلاد العربية السعودية) و(قلب جزيرة العرب) .

(46) الأرشيف التاريخي بوزارة الشئون الخارجية الإيطالية بروما، قسم الشئون السياسية، الجزيرة العربية، ظرف 797، رسالة رقم 448/811، من سوللاتسو إلى وزارة الخارجية الإيطالية ، جدة 16 اكتوبر 1929م انظر : بيتسغالو : المرجع السابق، ص 17.

(47) نفسه، ص 18.

(48) نفسه، ص 19.

(49) نفس المرجع والمكان .

(50) موسوعة تاريخ الملك عبد العزيز الدبلوماسي... المرجع السابق ص 125.

(51) نفسه، ص 312.

(52) وثائق وزارة الخارجية السعودية، محفظة 102، ملف 315/22، التمثيل القنصلي، في محرم 1356هـ / يونيو 1932م ؛ وانظر كذلك : صحيفة أم القرى، العدد 390، 28من محرم 1351هـ 31يونيو 1932م.

(53) انظر بنود معاهدة الصداقة السعودية – الإيطالية : وثائق وزارة الخارجية السعودية، المعاهدات، محفظة 100، ملف 313/20، في 3شوال 1350/10 فبراير 1932م .

(54) انظر نص مسودتي المعاهدة التي قدمها فؤاد حمزة في : وثائق وزارة الخارجية السعودية، محفظة 99، ملف 313/20.

(55) وثائق وزارة الخارجية السعودية، محفظة 99، ملف 312/19.

(56) انظر مذكرة فؤاد حمزة إلى سوللاتسو، رقم 494/5أ، جدة في 21سبتمبر 1930م.: انظر وثائق وزارة الخارجية السعودية، محفظة 102، ملف 314/23.

(57) انظر مذكرات سوللاتسو إلى وزير الخارجية الإيطالية، وإلى الأمير فيصل بن عبد

العزيز، ومن الأمير فيصل إلى سوللاتسو في 10 فبراير 1932م: وثائق وزارة الخارجية السعودية، محفظة 103، ملف 12/315.

(58) انظر : مسودة معاهدة التجارة السعودية الإيطالية : وثائق وزارة الخارجية السعودية، محفظة 105، ملف 7/320، معاهدات، وكذلك: صحيفة أم القرى، العدد 385 في 23ذي الحجة 1350هـ / 29أبريل 1932م .

(59) انظر نص مسودة معاهدة التجارة الإيطالية السعودية : الأرشيف التاريخي بوزارة الشئون الخارجية الإيطالية بروما، ظرف 802 سياسة خارجية، بتاريخ 12يونيو 1930م . انظر : بيتسغالو، المرجع السابق، ص ص 21-22.

(60) وثائق وزارة الخارجية السعودية، محفظة 102، ملف 2/311، معاهدات ؛ وكذلك : الأرشيف التاريخي بوزارة الشئون الخارجية الإيطالية بروما، ظرف 806، سياسة خارجية، جدة بتاريخ 2يونيو 1930م

(61) بيتسغالو، المرجع السابق، ص41.

(62) نفسه، ص 26.

(63) الأرشيف التاريخي بوزارة الشئون الخارجية الإيطالية بروما، ظرف 7، رسالة 132/أ 18، من سوللاتسو إلى وزارة الخارجية الإيطالية، جدة بتاريخ 17 فبراير 1932م .

(64) صحيفة أم القرى، العدد 375 في 12شوال 1350هـ / 19 فبراير 1932م .

(65) أوتافيو دي بيبو، يعد أول وزير مفوض إيطالي في جدة وقد وصلها في 25 من سبتمبر 1932م الموافق ربيع الثاني 1351هـ، وقدم أوراق اعتماده وزيراً مفوضًا لبلاده، وكانت بعثته الدبلوماسية مكونة من السنيور « اليو دينو كونس « سكرتيرًا دبلوماسيًا والكوالير « بشير موسى كانشيلر» مترجمًا وفي أكتوبر 1933م (1352هـ نقل الوزير المفوض «أوتافيو دي بيبو « من جدة إلى عصبة الأمم . انظر : موسوعة تاريخ الملك عبد العزيز الدبلوماسي .... المرجع السابق، ص ص 156-157.

(66) الأرشيف التاريخي بوزارة الشئون الخارجية الإيطالية بروما، ظرف6، تعليمات للكوماندانتور دي بيبو، بروما في 2 سبتمبر 1932م، انظر : بيتسغالو : المرجع السابق، 65.

(67) نفس المرجع والمكان .

(68) Manfredw,op.cit,p165.

(69) عبد الحميد البطريق (الدكتور) : التيارات السياسية المعاصرة (1815-1960م)، القاهرة، 1982م ص ص 269، 270.

(70) نفسه، 271.

(71) Mac Donald, Callum A., Italian Wireless Propaganda In the Middle

East and British Countermeasues 1934-1938, Middle East Stucties 13May 1966 ,p196.

(72) Ibid,p.198.

(73) عبد الحميد البطريق : المرجع السابق، ص 271.

(74) لمزيد من التفاصيل عن اضطرابات المتمردين الحجازيين (تمرد ابن رفادة مايو 1932م، وتمرد جازان أكتوبر 1932م، انظر : بيتسغالو : المرجع السابق، ص ص 55-79.

(75) لمزيد من التفاصيل عن أزمة السفينة الحربية « أسيو «، انظر : نفسه، ص 75.

(76) الأرشيف التاريخي بوزارة الشئون الخارجية الإيطالية، ظرف6، رسالة 4100/54د، من دي بيبو، إلى وزارة الخارجية الإيطالية في جدة في 3ديسمبر 1932م . بيتسغالو : المرجع السابق، 75.

(77) بيتسغالو : المرجع السابق، ص 97.

(78) جيوفاني بيرسيكو، يعد ثان وزير مفوض إيطالي في جدة، وصلها في 25مارس 1934م الموافق ذي الحجة 1352هـ، وقدم أوراق اعتماده للملك عبد العزيز مندوبًا فوق العادة ووزيرًا مفوضًا لبلاده في 11أبريل 1934م الموافق 22ذي الحجة 1352هـ، وكانت بعثته الدبلوماسية مكونة من السنيور « بلليني « سكرتيرًا أول، والسنيور « باستا كالدي» سكرتيرًا ثانيًا، ومحمد علي ظافر بك مترجمًا. . وقد جاء بيرسيكو رأسًا من وزارة الخارجية الإيطالية في روما . وكان قد عمل قبل ذلك في كل من روسيا وإستانبول، والقاهرة . وفي مارس 1937م الموافق المحرم 1356هـ نقل من جدة إلى هافانا (كوبا) انظر : موسوعة الملك عبد العزيز الدبلوماسي ... المرجع السابق ص 157؛ وانظر كذلك : عبد القدوس الأنصاري : موسوعة تاريخ مدينة جدة مجلد 1، دار مصر للطباعة، القاهرة، 1982م، ص4000.

(79) نفسه، ص ص 97-98.

(80) بيتسغالو : المرجع السابق، ص 107.

(81) Rendel ,George, The Sword and The olive, London,1957, p .133

(82) .Ibid,pp.134-135.

(83) Ibid,p.134.

(84) F.O. 371/20787E 2467/65,Propaganda in Eastern Countries and Foreign Activities in the near Middle East ,

(85) Com mittee of Imperial Defence,April 30,1937

(86) Ibid

(87) Mac Donald ,op. cit,p.201.

(88) F.O.371/79/13. Anglo Italian Relations in Southern Arabia, September 29,1937.

FO.371/79/13. Anglo Italian Relations in East , July 12, 1937.

(89) F.O. 371/20787 E4007/65,Notes From Seoatary of state's Speech to Imperial Conference, May 1937.

(90) Linabury, George., British- Saudi Arabian Relatons 1902-1927, Columbia, 1970,pp.291-292

(91) F.O.371/ 35, Saudi- Anglo. Italian , December 22,/1935.

(92) Leatherdale, op.cit.p.297.

(93) محمد عبد الرحمن برج : المرجع السابق، ص 503.

(94) The Egyptian Gazette , April 17,1938, وانظر كذلك : بيتسغالو : المرجع السابق، ص 151 .

(95) F.O. 371/21870 E7054/880/910 Talegram From R.Bullard TO F.O.,November 25,1938.

(96) وثائق وزارة الخارجية السعودية، المعاهدات، محفظة 305، ملف 12/430، فيجدة 16 أبريل 1938م الموافق 16 صفر 1357هـ . .

(97) Leatherdale, op.cit.p.298.

(98) وثائق وزارة الخارجية السعودية، محفظة 320، ملف 7/439، معاهدات، جدة في 5 يناير 1939م الموافق 15 ذي القعدة 1357هـ . وكذلك صحيفة أم القرى، العدد 750، 8ربيع الأول 1358هـ / 28أبريل 1939م .

(99) F.O.371/48/12. From Pullard To Prince Faisal , March 22/1939وانظر : صحيفة أم القرى، العدد السابق .

(100) بيتسغالو : المرجع السابق، ص 156.

(101) صحيفة أم القرى، العدد السابق .

(102) وثائق وزارة الخارجية السعودية، محفظة 306، ملف 13/431، رسالة من بولا رد إلى الخارجية السعودية، جدة في 22مارس 1939م وكذلك صحيفة أم القرى، العدد السابق .

(103) F.O. 371/ 21908 E100 /3821/25. From Lord Perth , Rome To Sir. Oliphant, July 7,1938.

(104) صحيفة أم القرى، العدد 391، 5صفر 1351هـ / 8يوليو 1932م .

(105) F.O. 371/ 17922 E1630 /76/25. From Andrew , Ryan To Colonial Office Warner, February 27,1934.

(106) F.O.371/20841/E3726/244/25.

(107) وثائق وزارة الخارجية السعودية، محفظة 80، ملف 4،220/4 يونيو 1933م.

(108) فهد بن عبد الله السماري : المرجع السابق، ص 134.
(109) بيتسغالو : المرجع السابق، ص ص 126،127.
(110) خير الدين الزركلي : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج2، ط2، دار العلم للملايين ، بيروت 1397/1977م، ص751.
(111) صحيفة أم القرى، العدد 604، ربيع الآخر 1355هـ / يونيو 1936م .
(112) وثائق وزارة الخارجية السعودية، محفظة، 95، ملف 190/6، ربيع الآخر 1355هـ يونيو 1936م.
(113) FO. 371/20843 E 4025 /815 / 25, F.O.Minutes ,July 10,/1937.
(114) I bid
(115) Ibid
(116) FO. 371/20841 E 5523 /244 / 25, June 6,/1934.
(117) بيتسغالو : المرجع السابق، ص 129.
(118) نفسه، ص ص 129، 130.
(119) نفسه، 130.
(120) أرشيف المكتب التاريخي للقيادة العليا للجيش بروما، ملف المملكة العربية السعودية، إدارة المعلومات العسكرية، مذكرة لوكيل وزارة الحرب، روما في 19 أغسطس 1935م. انظر : بيتسغالو: المرجع السابق، ص130.
(121) تقرير أوديلو إلى بيرسيكو في 31 أغسطس 1935م. نفسه، ص 131.
(122) نفس المرجع والمكان .
(123) الوثائق الدبلوماسية الإيطالية، المجموعة الثانية، المجلد 2، رقم 118، انظر :بيتسغالو : المرجع السابق، ص 132.
(124) أرشيف المكتب التاريخي للقيادة العليا للجيش بروما، أوراق إدارة المعلومات العسكرية، 28 سبتمبر 1935م . انظر : بيتسغالو: المرجع السابق، ص132.
(125) أرشيف المكتب التاريخي للقيادة العليا للجيش، برقية رقم 14367/9537، أسمرة في 17 أكتوبر 1935م، بيتسغالو: المرجع السابق، ص133.
(126) عبد الحميد البطريق :المرجع السابق، ص 273.
(127) بيتسغالو: المرجع السابق، ص137.
(128) نفسه، ص ص 143، 145.
(129) نفسه، ص 145.
(130) نفسه، ص ص 145-147.
(131) بد الحميد البطريق :المرجع السابق، ص 381.
(132) نفس المرجع والمكان .
(133) نفسه، ص 382.
(134) بيتسغالو: المرجع السابق، ص163.

(135) نفس المرجع والمكان .
(136) نفس المرجع والمكان.
(137) الأرشيف التاريخي بوزارة الشئون الخارجية الإيطالية، برقية رقم د17/7 من تشانو إلى سيليتي، روما ، في 4 يناير 1942م . بيتسغالو : المرجع السابق، ص 164.
(138) الأرشيف التاريخي بوزارة الشئون الخارجية الإيطالية، برقية من سيليتي إلى وزارة الخارجية رقم835 / 113ر، جدة في 2 فبراير 1942م انظر : بيتسغالو : المرجع السابق، ص ص 165، 166.
(139) خالد القرقني (وكان يسمى أيضًا خالد الهود وأبو الوليد) واسمه الكامل هو خالد بن أحمد بن عياد آل هود هاجر مع أحد أجداده من اليمن إلى تونس حيث عاش فيها إلى أن نفي مع جده إلى جزيرة قرقنة في البحر المتوسط ومنها انتقل إلى ليبيا واشتهر باسم القرقني إشارة إلى الجزيرة التي وفد منها . وكان حافظ وهبه هو الذي قد جذب اهتمام الملك عبد العزيز إليه ، وقد عين الهود في عام 1349هـ /1930م مساعدًا أول لنائب الملك عبد العزيز ثم شغل وظيفة مستشار سياسي، كان يتحدث الفرنسية والإيطالية والتركية . انظر : فهد بن عبد الله السماري : المرجع السابق، ص 37 .
(140) الأرشيف التاريخي بوزارة الشئون الخارجية الإيطالية، برقية من سيليتي إلى وزارة الخارجية 15 مارس 1942م . انظر : بيتسغالو : المرجع السابق، ص 167.
(141) يوسف ياسين من أصل سوري، كان نشطًا في الثورة العربية ضد العثمانيين 1335هـ /1916م، وقد انضم إلى القوة التي تنادي بالحقوق العربية والاستقلال التام للعرب، وكان يكره القوى الأجنبية الموجودة في سوريا والعالم العربي، وقد التحق بمعية الملك عبد العزيز في أواخر عام 1343هـ /1924م، وقد اسند إليه عدة مناصب مهمة ، فقد تولى رئاسة تحرير صحيفة أم القرى، وتولى إدارة المطبوعات والمخابرات، كما عمل سكرتيرًا خاصًا للملك عبد العزيز، كما عين رئيسًا للشعبة السياسية في الديوان الملكي عام 1349هـ / 1930م كما شغل منصب نائب وزير الخارجية، حتى وصل إلى وزير دولة عام 1364هـ / 1945م، وتوفي بالدمام 1962م . انظر : أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس (الدكتور) : يوسف ياسين ودوره في السياسة السعودية المعاصرة، مجلة مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، العدد 15، سبتمبر 2004م، ص ص 114، 115 .
(142) الأرشيف التاريخي بوزارة الشئون الخارجية الإيطالية، لقاء الملك عبد العزيز آل سعود مع الوزير المفوض الإيطالي بجدة في 15 فبراير 1942م . انظر بيتسغالو : المرجع السابق، ص 168.
(143) الأرشيف التاريخي بوزارة الشئون الخارجية الإيطالية، برقية من تشانو إلى سيليتي رقم ر55/68، روما في 19 فبراير 1942م . انظر بيتسغالو : المرجع السابق، ص 168.

المصادر والمراجع

أولاً : وثائق غير منشورة :

أ- وثائق وزارة الخارجية السعودية :

- وثائق وزارة الخارجية السعودية، محفظة 80، ملف 4،220/4 يونيو 1933م.
- وثائق وزارة الخارجية السعودية، محفظة، 95، ملف 190/6، ربيع الآخر 1355هـ يونيو 1936م.
- وثائق وزارة الخارجية السعودية، محفظة 98، ملف302/ 12، جدة في 8جمادي الثانية 1344هـ الموافق 24 ديسمبر 1925م. ـ وثائق وزارة الخارجية السعودية، محفظة 99، ملف 19/312.
- وثائق وزارة الخارجية السعودية، محفظة 99، ملف 20/313.
- وثائق وزارة الخارجية السعودية، المعاهدات، محفظة 100، ملف 20/313، في 3شوال1350 هـ /10 فبراير 1932 م
- وثائق وزارة الخارجية السعودية، محفظة 102، ملف 2/311 .
- وثائق وزارة الخارجية السعودية، محفظة 102، ملف 23/314، جدة في 21سبتمبر 1930م.
- وثائق وزارة الخارجية السعودية، محفظة 102، ملف 22/315، في محرم 1356هـ / يونيو 1932م.
- وثائق وزارة الخارجية السعودية، محفظة 103، ملف 12/315.
- وثائق وزارة الخارجية السعودية، محفظة 105، ملف 7/320، في 23ذي الحجة 1350هـ / 29أبريل 1932م .
- وثائق وزارة الخارجية السعودية، المعاهدات، محفظة 305، ملف 430/12، فيجدة 16 أبريل 1938م الموافق 16 صفر 1357هـ . .
- وثائق وزارة الخارجية السعودية، محفظة 306، ملف 13/431، جدة في 22مارس 1939م .
- وثائق وزارة الخارجية السعودية، محفظة 320، ملف 7/439، معاهدات، جدة في 5 يناير 1939م الموافق 15 ذي القعدة 1357هـ.

ب – وثائق وزارة الخارجية الإيطالية :

- الأرشيف التاريخي بوزارة الشئون الخارجية الإيطالية بروما، ظرف 797، جدة 16 أكتوبر 1929م.

- الأرشيف التاريخي بوزارة الشئون الخارجية الإيطالية بروما، ظرف 802، بتاريخ 12يونيو 1930م .
- الأرشيف التاريخي بوزارة الشئون الخارجية الإيطالية بروما، ظرف 806، جدة بتاريخ 2يونيو 1930م.
- الأرشيف التاريخي بوزارة الشئون الخارجية الإيطالية بروما، ظرف6، روما في 2 سبتمبر 1932م .
- الأرشيف التاريخي بوزارة الشئون الخارجية الإيطالية بروما، ظرف6، جدة في 3ديسمبر 1932م.
- الأرشيف التاريخي بوزارة الشئون الخارجية الإيطالية بروما، ظرف 7، جدة بتاريخ 17 فبراير 1932م .
- الأرشيف التاريخي بوزارة الشئون الخارجية الإيطالية بروما، في 4 يناير 1942م .
- الأرشيف التاريخي بوزارة الشئون الخارجية الإيطالية، بروما، في 15 فبراير 1942م .
- الأرشيف التاريخي بوزارة الشئون الخارجية الإيطالية بروما، في 19 فبراير 1942م .
- الأرشيف التاريخي بوزارة الشئون الخارجية الإيطالية بروما، في 15 مارس 1942م.

جـ ـ أرشيف المكتب التاريخي للقيادة العليا للجيش الإيطالي :

ـ أرشيف المكتب التاريخي للقيادة العليا للجيش بروما، 19 أغسطس 1935م.
ـ أرشيف المكتب التاريخي للقيادة العليا للجيش بروما، 28 سبتمبر 1935م.
ـ أرشيف المكتب التاريخي للقيادة العليا للجيش بروما، 17 أكتوبر 1935م .

د ـ وثائق وزارة الخارجية البريطانية :

- F.O.78/14169, Salisbury to Malet, 19 November 1887.
- F.O371.E/266/22/91/ 12235Clayton to Oliphant, 14January 1927,
- F.O.371/12236F.O.minute.30Decmber1927.
- F.O. 371/ 17922 E1630 /76/25. , February 27,1934.
- F.O.371/20841/E3726/244/25
- F.O. 371/20841 E 5523 /244 / 25, June 6,/1934.
- F.O.371/ 35, , December 22,/935
- F.O. 371/20787E April 30,1937 .
- F.O. 371/20787 E4007/65,May 1937 .
- F,O. 371/20843 E 4025 /815 / 25,July 10,/1937 .

- F.O.371/79/13., July 12, 1937 .
- F.O.371/79/13. September29,1937.
- F.O. 371/ 21908 E100 /3821/25, July 7,1938.
- F.O. 371/21870 E7054/.,November 25,1938.
- F.O.371/48/12., March 1939.

ثانيًا : وثائق منشورة :

أ- باللغة الإنجليزية:

• Clayton's,G., Clayton Papers,Chamberlain to Clayton, 27, January 1927.

• Hurewitz .J.C,Diplomacy in the Near and Middle East Vol.1, (NewYork1956).

ثالثًا : البحوث والمقالات العلمية :

أ- بحوث ومقالات باللغة العربية :

- أشرف محمد عبد الرحمن مؤنس (الدكتور) : دبلوماسية الصداقة في عهد الملك عبد العزيز آل سعود (تحت الطبع
- ===== ===== ===== ===== =====: صحيفة أم القرى مصدرًا للتاريخ السعودي : دراسة في العلاقات الخارجية في عهد الملك عبد العزيز، مجلة بحوث الشرق الأوسط بجامعة عين شمس، العدد 13من سبتمبر 2003م.
- = = = = == = = ==== === ===: يوسف ياسين ودوره في السياسة السعودية المعاصرة، مجلة مركز بحوث الشرق الأوسط، جامعة عين شمس، العدد 15، سبتمبر 2004م .

ب- بحوث ومقالات باللغة الإنجليزية :

- Clayton's Papers, Instructions to Clayton From Sir Austen Chamberlain.28December1926
- Mac Donald, Callum A., Italian Wireless Propaganda In the Middle East and British Countermeasues 1934-1938, Middle East Stucties 13 May 1966).

رابعاً : الدوريات :

أ – الصحف العربية :

- صحيفة أم القرى، العدد 57، 15 من رجب 1344هـ الموافق 29من يناير 1926م.
- صحيفة أم القرى، العدد 375، 12شوال 1350هـ / 19 فبراير 1932م .
- صحيفة أم القرى، العدد 390، 28من محرم 1351هـ 31يونيو 1932م.
- صحيفة أم القرى، العدد 391، 5صفر 1351هـ / 8يوليو 1932م .
- صحيفة أم القرى، العدد 604، ربيع الآخر 1355هـ / يونيو 1936م .
- صحيفة أم القرى، العدد ٧٥٠، ٨ربيع الأول ١٣٥٨هـ / ٢٨أبريل ١٩٣٩م .

ب- الصحف الأجنبية :

The Egyptian Gazette , April 17,1938,

خامسًا : المراجع العربية :

- السيد رجب حراز (الدكتور) : اريتريا الحديثة (1557-1941)، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة 1974م
- = = = = = = = = = : التوسع الإيطالي في شرق أفريقيا وتأسيس مستعمرتي اريتريا والصومال، القاهرة 1960م.
- جاد محمد طه (الدكتور) : بريطانيا والصومال في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بحث منشور ضمن كتاب : البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس، القاهرة 1980م.
- = = = = = = = = = = = = : سياسة بريطانيا في جنوب اليمن (1798-1963م)، القاهرة، 1969م .
- خالد بن ثنيان آل سعود : العلاقات السعودية البريطانية -1341 1351هـ (1922-1932م) دراسة وثائقية، ط2، مكتبة العبيكان، الرياض، 1422هـ / 2001م.
- خير الدين الزركلي : شبه الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، ج2، ط2، دار العلم للملايين، بيروت، 1977م.
- عبد الحميد البطريق (الدكتور) : التيارات السياسية المعاصرة (1815-1960م)، القاهرة، 1982م.
- عبد القدوس الأنصاري : عبد القدوس الأنصاري : موسوعة تاريخ مدينة جدة مجلد 1،

دار مصر للطباعة، القاهرة، 1982م.

- عبد المحسن بن صالح اليوسف : سلطان نجد والحجاز وملك المملكة العربية السعودية وأنجاله في صحافة عصره، ط 1، الرياض، 1413هـ /1993م.
- عبد المنعم الغلامي : الملك الراشد جلالة المغفور له عبد العزيز آل سعود، ط2، دار اللواء، الرياض، 1400هـ / 1980م.
- • على محمد بركات (الدكتور) : السياسة البريطانية في جنوب البحر الأحمر (1884-18889م)، بحث منشور ضمن كتاب : البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس، القاهرة 1980م.
- فرغلي علي تسن (الدكتور) : تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار الوفاء، الإسكندرية، 2001م .
- فهد بن عبد الله السماري (الدكتور): الملك عبد العزيز وألمانيا 1926-1939م، دار أمواج، بيروت،1420 هـ
- محمد عبد الرحمن برج (الدكتور) : البحر الأحمر والسياسة الدولية في نهاية القرن التاسع عشر (1881-1991م)، بحث منشور ضمن كتاب : البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس، القاهرة 1980م.
- موسوعة تاريخ الملك عبد العزيز الدبلوماسي، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1419هـ /1999م .
- يونان لبيب رزق (الدكتور) : جزيرة قمران بين الاحتلال العسكري وتحديد التبعية السياسية)1915-1929م(، بحث منشور ضمن كتاب : البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث بجامعة عين شمس، القاهرة 1980م.

سادسًا: المراجع المترجمة :

- بيتسغالو، ماتيو : دبلوماسية الصداقة، إيطاليا والمملكة العربية السعودية 1932-1942م، ترجمة محمد عشماوي عثمان، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 1425هـ.

سابعًا: المراجع الأجنبية :

- Darcy,Jean: Cent anees de Rivalite Coloniale, pairs.
- Leatherdale, Clive: Britain and Saudi Arabia 1925–1989, Frank Cass and Company Ltd.
- Linabury, George., British– Saudi Arabian Relations 1902–1927, Columbia, 1970.
- ManfredW.wenner,ModernYemen, 1918–1966,Balitimore John Hopkins. Press,1967.
- Rendel ,George, The Sword and The olive, London,1957

الصّناعات والحِرَف في فلسطين

أ.د.نعمان عاطف عمرو
جامعة القدس المفتوحة- فرع دورا الدراسي- فلسطين

المستخلص:

ظهرت الصنّاعات والحرف في فلسطين منذ ما يزيد على خمسة آلاف عام، وكانت نشأتها منذ العصر الحجري الأول؛ تلبيةً لاحتياجات الإنسان الأساسية خاصة ما يتعلق بصناعة الأواني والأدوات التي يستخدمها في يومه ورغم مرورها في العديد من المراحل منذ تلك الفترة حتى الوقت الحاضر، إلّا أنها اكتسبت العديد من الميزات أهمها: ذكرُها في الكتب السماوية، بالإضافة إلى تأثُّرها بالأوضاع السائدة في كل فترة زمنية وخاصة الأوضاع السياسية؛ الأمر الذي ساعدها في التحوّل إلى أعمال فنية مقدسة تعبر عن الهُوية الوطنية. واجهت الصنّاعات والحرف الكثير من المشاكل والتحدّيات والمعيقات التي أثرت عليها سلباً، من أهمها: الطبيعية والسياسيّة؛ فمن التحديات الطبيعية اعتمادها في مواردها الأولية على الطبيعة، أمّا السياسة تمثلت بالأوضاع السياسيّة، وكان أخطرها الاحتلال الصهيوني، ومارافقه من معيقات، وقيامه بعمليات هدفها إلحاق هذه القطاعات إلى قطاعات الاحتلال، ومنع التراخيص، وفرض الضرائب، علاوة على عدم السماح بتطوير الصنّاعات والحرف أو تصديرها.

Abstract:

Trades and crafts arose in Palestine over 5000 years ago. Its inception in the Neolithic period was merely a meeting for humans' basic needs -- particularly with regard to creating utensils and day-to-day tools. Despite going through many stages until now, trades and crafts had gained many features, the most important of which is being mentioned in scriptures and also being affected with the general atmosphere of each era -- especially the political atmosphere. All of this had contributed in turning trades and crafts into a form of sacred art that reflects the national identity.Trades and crafts faced many adversities and obstacles that had negatively affected them. The most prominent of these were

nature and politics. The natural challenges that faced trades and crafts were presented in the latter's dependence on nature for their primary resources. Political challenges were presented in the political landscape, mainly and most dangerously the Israeli occupation and its obstructions, deliberately targeting and attempting the annexation of those sectors to the occupation's, the denial of permits, taxation, and the interdiction of developing these trades and crafts or exporting them.

المقدمة:

بـدأت الصّناعـات والحـرف في فلسـطين منـذ العـصر الحجـريّ الأول، أي مـا يزيـد عـلى خمسـة آلاف عـام، وقـد هدفـت هـذه الحـرف إلى تلبيـة احتياجات الإنسـان الأول مـن صُنـع الأوانـي والأدوات التـي تسـاعده عـلى الاسـتمرار في حياتـه. وتطـوّرت الصّناعـات والحِـرف في فلسـطين بتطـور الإنسـان الأول واحتياجاتـه، ومع هـذا التطور تحوّلـت هـذه الصّناعـات والحِـرف مـن تلبيـة احتياجـات الإنسـان إلى الوصـول إلى جـودة حيـاة الإنسـان ورغـد عيشِـه. مرّت ظـروف تطورهـا بمراحـل عديـدة وواجهت تحدّيـاتٍ ومشـاكل كبـيرة، خاصّـة وأنهـا اعتمـدت عـلى المـواد الأوليـة مـن الطبيعـة التـي صنعهـا الإنسـان ونُقِـلت فيهـا المـواد الأوليـة مـن حالـة إلى حالـة ليسـتفيد منهـا الإنسـان بشـكل أكـبر وأفضـل. وقـد اكتسـبت الصناعـات والحـرف في فلسـطين ميـزةً خاصّـةً عندمـا ذُكـرت في الكتـب السـماوية حيـث جـاء في القـرآن الكريـم في سـورة الرحمـن، قولَـه تعـالى:« خَلَـقَ ٱلۡإِنسَٰـنَ مِـن صَلۡصَٰـلٖ كَٱلۡفَخَّـارِ » صـدق اللـه العظيـم. حـازت الصِّناعـات والحِـرف عـلى اهتمـام الـرّواة والقاصـيّن والعديـدة مـن الروايـات وآراء الفلاسـفة لتتحـول إلى عمـل فنـيّ مقـدس يلبّـي احتياجـات الإنسـان، ويعبّـر عـن هويتـه الوطنيـة وتراثـه العريـق. تحـاول هـذه الدراسـة توضيـح واقـع الصّـناعات والحِـرف في فلسـطين والمراحـل التـي عاشـتها، والتحدّيـات والصّعوبـات التـي واجهتهـا خـلال القـرن المـاضي، ويُـبرِز البحـث المشـكلات والمعيقـاتِ التـي اعترضـت هـذا القطـاع ومـن أهمّهـا: سياسـة الانتـداب البريطانـيّ عـلى فلسـطين وما رافقهـا مـن إجـراءات وتحدّيـات أفضـت إلى تطـور الصّناعـات الصهيونيـة الداخليـة، وأضعفـت الصّناعـات والحِـرف الفلسـطينية الأصليـة، فقـد نجـمَ عـن ذلـك حـدوث ازدواجيـة، أدت في النهايـة إلى حرمـان الصّناعـات والحِـرف مـن المـواد الخـام المحليـة. أظهـرت الدراسـة أيضـاً مـدى تأثـير الصِّناعـات والحِـرف في فلسـطين بالأوضـاع السيّاسـيّة، وبخاصّـة بعـد أن احتلّـت إسرائيـل باحتـلال (78 %) مـن الأراضي الصِّناعيـة، ومـا عليهـا مـن أدوات إنتـاج، واسـتخدمت اسـتراتيجية الإلغـاء والشـطب،

ليس فقط للصّناعات والحِرف من خلال السّيطرة على أدوات الإنتاج، بل من خلال إلغاء هُوية الشّعب الفلسطينيّ وتشريده وارتكاب المجازر المروّعةِ بحقه. تجاوزت هذه الاستراتيجية ذلك بالسّيطرة على ثلثي أدوات الإنتاج، وتشتيت ما تبقّى ليكون له مرجعيات مختلفة حدّت من تطور الصِّناعات والحِرف، وخلقت هياكلَ اقتصاديةً مشوهةً وقطاع صناعات تابع لنظيره الإسرائيليّ، ويتحكّم بذلك الحكم العسكري باعتباره أداة احتلال. حاولت السلطة الوطنية الفلسطينية بعد عام 1994م- جاهدة- النهوض بقطاع الصِّناعة والحِرف من خلال سنّ مجموعة من القوانين التي تهدف إلى إيجاد بيئة استثمار، ورغم انتعاش الصِّناعات والحِرف، إلّا أنها اصطدمت بالتقلّبات السيّاسيّة والمعيقات التي وضعتها دولة الاحتلال، والتي تهدف إلى احتواء التطور الصِّناعيّ والحفاظ على الأرض الفلسطينية سوقاً استهلاكيةً لصناعاتها بصورة حصريّة.

فلسطين الموقع:

تقع فلسطين في الغرب من قارة آسيا بين خطيّ عرض (29.30) و (33.15) شمالاً، وبين خطيّ طول (34.15) و(35.40) شرقي خطّ غرينتش، وهي القسم الجنوبيّ الغربيّ من بلاد الشام.يَحدّ فلسطينَ من الغرب البحر الأبيض المتوسّط بساحلٍ طوله (224كم^2)من الشّرق سوريا بطول حدود(70كم^2) ومن ثّم الحدود الأردنية بطول حدود (60كم^2)أمّا من الشّمال فتحدّها الجمهورية اللبنانية وسوريا بطول حدود (79كم^2)، ومن الجنوب سيناء وخليج العقبة بطول حدود(240كم^2)[1].جرى ترسيم الحدود بين فلسطين وسوريا ولبنان حال إبرام اتفاقٍ فرنسيٍّ بريطانيٍّ فور الانتصار في الحرب العالميّة الأولى بتاريخ 1920/12/23م، وتجدر الإشارة إلى أنّه طرَأ تعديل على الترسيم عام 1922-1923م إثْرَ صدور صكّ الانتداب البريطانيّ على فلسطين، واستناداً إليه أدخلت ضمن حدود فلسطين بعض الأراضي السّورية الغربية من نهري بانياس والحاصباني، وإلْحاق بعض القرى اللبنانيّة القريبة من النهر الليطاني[2]وتبلغ مساحة فلسطين الكلّية (27009كم^2).بلغَ عدد السكان في فلسطين التاريخية سبعة ملايين فلسطينيّ، مقيمين فيها حالياً، بواقع ثلاثة ملايين في الضّفة الغربية، و مليونين منهم في قطاع غزة ومليون فلسطينيّ في الأراضي المحتلّة عام 1948م هذا من أصل ثلاثة عشر مليوناً وتفيد الاحصائيات بوجود ثلاثة عشرَ مليون فلسطينيّ مشتتّين في العالم عقبَ الأحداث التي عصفت بفلسطين في هذه الفترة[3].

إنّ المتتبع لتاريخ فلسطين وجغرافيّتها يجد أنّ الحياة بزغت فيها

منذ العصر الحجري القديم، كما أنّ تنوع التضاريس - فيها من حيث السهول الساحلية والداخلية، والجبال والأغوار التي تعدّ امتداداً لحفرة الانهدام الأفروآسيوي، وفيها الصّحارَي - بالتزامن من هذا مع وجود مناخٍ معتدلٍ وكميّة أمطارٍ مناسبة جعل أرضها زراعيّة خصبةً ومتنوعةً المنْبت، فكانت هذه البيئة ملائمة لعيش الإنسان منذ نصف مليون عام تقريباً، أي منذ العصر الحجري القديم حسبما ظهر من الآثار المُكْتَشَفة التي استخدمها الإنسان في ذلك الزمان القديم[4].

أمّا الصِّناعة والحِرَف في فلسطين، فقدجاءت لتلبية احتياجات السّكان، ولتحسين ظروف حياتهم في توفير أدوات يستخدمها لتسّهلَ عليه معيشته وحياته من جهة، وتضمن له استمرار البقاء من جهة ثانية، هذا ما تمّ اكتشافه عن طريق ما عُثر عليه من آثارٍ في فلسطين.

الصّناعات في فلسطين:

إنّ ملامح الاقتصاد في فلسطين في ضَوْء التضاريس والمناخ وكميّة الأمطار تُظهر أنّ فلسطينَ بلدٌ زراعيٌّ بامتياز، إلّا أنّ هناك ظروفاً داخليةً وخارجيّةٍ جعلت من الزراعة زراعةً بدائيةً بشكلٍ رئيس، فضلاً عن ذلك، فقد أرهقتها الإقطاعيات والحروب[5]. بقيت هذه السِّمة تُخيّم على القطاع الزراعيّ، حتى نهاية الدولة العثمانيّة، ولا سيما أنّ الحرب العالميّة الأولى أضافت إليها فقراً وبؤسًا وبدائيةً، ظلّت هذه سمةً للاقتصاد الزراعيّ، حتّى دخول القوات البريطانية إلى فلسطين مع ظهور طفيف لبعض الصّناعات الزراعية، وكان هذا التطور يتّجه إلى إشباع الحاجات العائلية والأسرية، خاصّة وأنّ هذه الصِّناعات كانت ذات طابعٍ بيتيٍّ متناهية الصِّغر.

ومن أهمّ هذه الصِّناعات: صناعة الصّابون والزيوت، والعِنَب، وطحن الحبوب، وصناعة النسيج، والخشب، والحِدادة، ودباغة الجلود[6].كانت هذه الصِّناعات والحِرف ضمن الموروث الثقافيّ الدينيّ بدليل قوله تعالى: «خَلَقَ الإنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ۝ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ»[7]،أمّا كونها ضمن التراث فقد وضحها ابن خلدون في المقدمة حيث قال « اعلم أنّ الصِّناعة ملكة في أمرٍ عمليٍّ فكريٍّ وبكونه، عمليةً فهو حسبمائيٍّ محسوس» [8].

أمّا التّعريف العمليّ للصِّناعة فثمّةَ وفرة في التعريفات للصّناعة وأنواعها وآثارها وأهمّيتها، ورغم وفرتها، فهي لا تخرج عن ثلاثة مفاهيم أساسيّة اشتملت على المعنى العلميّ لها، وهي:

أ. حالة استخراج المواد الخامّ من باطن الأرض، ويُطلق عليها الصِّناعات الاستخراجيّة.

ب. حالة تحويل المواد الأولية في حالتها وشكلها إلى حالة أخرى، وبشكل آخر أكثر فائدة للإنسان، ويُطلق عليها الصِّناعات التحويلية.

ج. حالة إنتاج الطاقة من أحد مصادر الوقود كالفحم والغاز الطبيعيّ، أو من المساقط المائية أو من الانشطار النووي ويُطلق عليها صناعة إنتاج الطاقة[9]، مع العلم بأن المرحلة الأكثر تطوراً، وهي المنشآت الصِّناعيةِ تُعرّف على أنها «الوحدة الاقتصادية التي تُنتج سلعةً أو مجموعةً من السلع والخدمات، ويتمّ إدارتها بواسطة مالك لوحدةٍ إداريةٍ واحدةٍ، تقع ضمن منطقةٍ جغرافيةٍ واحدةٍ، وقد تمتدّ إلى مساحاتٍ جغرافيةٍ أكبر في حال فتح فروع جديدة تمارس نشاطاً صناعياً في مجالات الصِّناعات الاستراتيجية أو التحويلية أو غيرها» [10].

اكتسبت هذه التعريفات أهميّـــتها من خلال إضفاء شرعيّةٍ أمميّةٍ عليها بتعريف الأمم المتّحدة، والذي يُعدّ أكثر شمولاً؛ حيث وصفها بأنها « عملية تحويل موادَّ عضوية أو مواد غير عضوية في أثناء عملياتٍ ميكانيكيةٍ أو كيميائيةٍ إلى منتجات أخرى، سواءً أنجزت بواسطة آلياتٍ ميكانيكيةٍ أو الأيدي، بغضّ لنظر عن مكان إنجازها، سواءٌ في مصنع أو ورشة أو بيت، وبغضّ النظر عن كيفية بيعها بالجملة أو بالمفرق[11].

المراحل التي مرّت بها الصّناعات الفلسطينية:

إنّ التغيـرات المتتالية التـي مـرّت بهـا الصّناعـات الفلسـطينية جعلتهـا غـيرَ قـادرةٍ عـلى بنـاء تجربـةٍ تراكميـةٍ طويلـةٍ الأجـل تؤثّـــــر في جودتهـا ومسـتوى أدائهـا بشـكلٍ عـام، وللوقـوف عـلى المؤثّـــرات السـلبية في قطـاع الصِّناعـات لا بـدّ مـن التطـرق إلى المراحـل التـي مـرّت بهـا هـذه الصِّناعـات، وهـي متسلسـلة مـن حيـثُ المـدةُ الزمنيـةُ عـلى التّـوالي:

أولاً : الصِّناعات الفلسطينية فترة الانتداب البريطاني 1922-1948م:

فمنـذ الأيـام الأولى للانتـداب ظهـرت ملامـح التطـور عـلى قطـاع الصِّناعـات الفلسـطينية، متأثـرةً بالمتغـيرات التـي أحدثتهـا سـلطات الانتـداب البريطانـي في أثنـاء سياسـتها في تمكـين الحركـة الصّهيونيـة لبنـاء وطـنٍ قومـيّ لهـا في فلسـطين واتّـــخاذها العديـد مـن الإجـراءات التـي مـن أهمهـا:

أ- ألغت الامتيازات الأجنبية في فلسطين، الأمر الذي خلقَ واقعًـــا جديدًا.

ب- فتحت أبواب الهجرة اليهودية إلى فلسطين في عشرينيّـــات القرن المنصرم وسمحت لأعدادٍ هائلة من اليهود بالقدوم إلى فلسطين.

ت- سمحت باستثمار المهاجرين الصّهاينة والإسهام بما لديهم من خبراتٍ صناعيةٍ ورؤوسِ أموال، الأمر الذي نتج عنه منافسة مع أهل البلاد الأصليين، [12]ورغم الزيادة في عدد المنشآت التي بلغ عددها أيام الحرب العالميّـــة الأولى - قبل الانتداب البريطانيّ – (تسعمائة وخمسةً وعشرين) منشأة أصبح عددها(ألفين ومائتين وثلاثاً وتسعين) منشأة في نهاية عشرينيّات القرن الماضي، إلّا أنّ هذا الازدهار تعّرض إلى نكسةٍ مردّها المعيقات التي واجهها من قِبل الحركة الصّهيونية التي استفادت من سياسة الانتداب

البريطاني، وانحيازه إلى الحركة الصّهيونية، مستغلّـــــةً الأوضاع السيّاسيّة السائدة في فلسطين[13]. فالإجراءات البريطانية نتج عنها ظهور الثنائية في الاقتصاد الفلسطينيّ بشكلٍ كُلّـــي، ولاسيّما فيما يخصّ الصِّناعات، حين أتاحت الإجراءات لرأسمال الحركة الصّهيونية بالدخول إلى القطاعات الاقتصادية الفلسطينية كافةً.

أمّـــا بالنّـــسبة إلى الصناعات، فإن الثنائية حَدّت من التطور الرأسمالي المحلي لبدائية المنشآت، وعدم قدرتها على المنافسة أمام الرأسمال الصّهيونيّ ذي الطبيعة التنافسيّة الاحتكارية، حيث إنّها بدأت بالسيطرة عليها –وإقامة المستوطنات وتهويدها – ومن ثمّ بدأت بتهويد العمل آخذةً بالتركيز على الصِّناعات المشابهة للصِّناعات الفلسطينية لإخضاعها وإخراجها من السّوق بهدف الاحتكار والسّيطرة على أدوات الإنتاج في فلسطين [14].

الإجراءات الفعلية للانتداب البريطاني التي عززت الثنائية ومنها:

أ. فتح أبواب الهجرة اليهودية إلى فلسطين، الأمر الذي مهّدَ الطّريق لمئات الآلاف من المهاجرين إلى فلسطين[15].

ب. إعفاء الاستثمارات الصّهيونية من الرسوم الجمركية على السّلع الإنتاجية والموادّ المستوردة، وإعفاء المؤسّسات الصِّناعية من الضّرائب، واعتماد ميزانية القوات المسلحة البريطانية التي تُقدر بـــ (100 ألف جنيه) وذلك عن طريق تحويلها ما لديها من الاستهلاك والتمويل كدعمٍ للصَّناعات الصّهيونية

ج. إفساح المجال للصّهيونيةً من استغلال الموارد الطبيعية الفلسطينية، ولا سيّما أنها حرمت الرأسمال المحلّيّ منها، إضافة إلى إنشائها بنيةً تحتيةً تتلاءم واحتياجاتِ رأس المال.

أمّـا مـن الجانـب الآخـر، فقـد وضعـت العقبـات والعراقيـل أمـام الرأسـمال المحـلّيّ[16] حيـث أفضـت هـذه الإجـراءات إلى انقسـام الاقتصـاد الفلسـطينيّ إلى قطاعين الأول: فلسـطينيّ محـلّيّ كبـير نسـبياً، و ذو سـماتٍ زراعيّـةٍ لكنّـــه غـير مُتقـدمّ، وغير مُتطـوّر نوعـاً مـا مرتبـط فقـط بالسـوق المحـلّيّ وكفاءاتـه منخفضـة، وإنتاجيتـه قليلـة، وأجوره متدنيّـــة.

أمّـا القطـاع الثانـي: فهـو يهـوديّ وصغـير نسـبياً، متطـور وذو سـماتٍ صناعيّـةٍ أو تعدينيّـــة أو زراعيّـــة فهـو حديـثٌ ومرتبـط بالمسـتعمرات بشـكل مبـاشر، إذ إنّـــه جيـبٌ أجنبـيّ يعتمـد عـلى الرأسـمال الأجنبـيّ، ويتسـم بارتفـاع الكفـاءة والإنتاجيّـة والأجـور المرتفعـة.وفي ظـلّ عـدم ارتبـاط هذيـن القطاعـين مـع بعضهمـا البعـض إلّا في أقـلّ الإمكانـات والحـدود، فقـد رافـق ذلـك زيـادة مطـرّدة في نسـبة الملكيـة اليهوديـة لأرض فلسـطينيةٍ عـلى حسـاب الملكيـة الفلسـطينية، وزيـادة في الكفـاءة والإنتـاج والارتبـاط بالأجنبـيّ فيمـا يُعـرف بالسّـيطرة عـلى أدوات الإنتـاج.

أمّـا في ثلاثينيـات القـرن المـاضي، فرغـم سـوء الأوضـاع السيّاسـيّة، إلّا أنّ

الصِّناعات سارت بخطًى ثابتةٍ، وبخاصّة فيما يتعلّق بصناعة الصّابون في مدينة نابلس وغزة، وتأسيس السّكب الفلسطينية عام 1931م، وصناعة المُربَّى في مدينة الخليل في العام 1935م، فقد شكّلت المصانع الفلسطينية في العام 1939م ما نسبته (27 %) من مجموع المصانع المقامة في فلسطين في حينه، والبالغة(1211) مصنعًا.ورغم الأحداث ولا سيّما أن الحرب العالميّة الثانية قلبت الموازين، وأظهرت الانحياز الكلّي البريطانيّ للحركة الصّهيونية، وما وضعته من عراقيلَ في وجه المصانع الفلسطينية من منع الاستيراد، وبالحظر القانونيّ الذي منع العرب من الاستثمار في الموارد الطبيعية، وقلّة رأس المال وبروز الاحتكار، [17] حتى أن عزّزت في تمكين الحركة الصّهيونية من احتلال (78 %) من الأراضي الفلسطينية بتاريخ 15/5/ 1948م.وبسبب السيّاسات والإجراءات البريطانية على الاقتصاد الفلسطينيّ بشكل عام وعلى الصِّناعات بشكل خاص تبيّن أن الصِّناعات الفلسطينية ركزت على الصّناعات الاستهلاكية المرتبطة باحتياجات السّكان في السّوق المحلّيّ، وقليل منها اتجه إلى أسواق الدول المجاورة، مثل سوريا ومصر، ومن أبرز سمات المنشآت الصِّناعية الفلسطينية أنها صغيرة وقليلة الإنتاج والكفاءة، بينما ركّزت الصِّناعات الصّهيونية المدعومة من بريطانيا على الإنتاجية والكفاءة العالية والارتباط بالأسواق الخارجيّة، الأمر الذي نتج عنه سيطرة الصناعات الصهيونية- التي تنتمي إلى جيبٍ اقتصاديّ صغيرٍ _ على القطاع الاقتصادي المحلي والوطني[18].

ثانيا: الصِّناعات الفلسطينية منذ عام 1948-1967م:

احتوت هذه الفترة على تغيراتٍ سياسيّةٍ واقتصاديةٍ واجتماعيةٍ وثقافيةٍ أيضاً، نتجت عن قيام دولة الكيان الصّهيونيّ على(77.4 %) من أراضي فلسطين التاريخية رغم تقسيم ما تبقّى من أرض فلسطين إلى الدول المجاورة، حيث تبعت الضّفة الغربية إلى المملكة الأردنية الهاشمية، وقطاع غزة إلى جمهورية مصر العربية.

عملت هذه التغييرات على تفتيت وحدة الإنتاج الصِّناعي والزّراعيّ بسبب الأوضاع السيّاسيّة التي قَسّمت الأرض الفلسطينية إلى ثلاثة أجزاء تتبع إلى مرجعيات مختلفة وما رافقها من تهجير للسكان الفلسطينيين بعد النكبة، وبدأ الحديث يدور عن ثلاث مناطق مختلفة في نظامها وتطورها وظروفها المختلفة.

المنطقة الأولى: يافا وحيفا استولت عليهما العصابات الصهيونية وتميّزت هاتان المدينتان بالنّشاطات التجاريةِ والزراعيةِ والصِّناعيةِ والموانئ، وشرّدت سكانهما الفلسطينيين، وقضت على البنية التحتية الفلسطينية لصالح النشاط

الاقتصاديّ الزراعيّ والصناعيّ والخدميّ الصّهيونيّ الذي أُسِّسَ على انقاض مجتمع مهجّرٍ مطرودٍ من أرضه، وقد تمّ القضاء على كلّ المقومات الاقتصادية، وذلك إمّا من خلال التدمير أو السّيطرة المباشرة عليه من خلال ارتكاب العديد من المجازر ضدّ المدنيين الفلسطينيين ومصانعهم ومتاجرهم، حيث ركّزت استراتيجية الحركة الصّهيونية على إلغاء الوجود الفلسطينيّ في فلسطين من خلال التّهجير القسريّ، وارتكاب المجازر المروّعة بُغية إحلال اليهود مكان الفلسطينيين.

المنطقة الثانية: الضّفة الغربية:

أُتبِعَت الضِّفة الغربية بعد النكبة إلى المملكة الأردنية الهاشميّة، وكان التمايز والاختلاف في الأنماط الاقتصادية ظاهراً، إذ اعتمد اقتصاد المملكة الأردنية على الاقتصاد البدويّ باعتباره ركيزةً أساسيّة وما أنتجته من ثروةٍ حيوانية خُصص لهامَراعٍ ...إلخ.

بينما تميّز اقتصاد الضفة الغربية بالاقتصاد السلعي الذي يتجه نحو الصِّناعات، فقد بلغ عدد المؤسّسات التي يعمل فيها خمسة عُمّال فأكثر (254) مؤسّسة لعام 1965م، وعمل فيها (3562) عاملاً[19] وكان ترتيب المشاغل الصِّناعية في الضَّفة الغربية حسب التسلسل التالي:

أ. صناعة الملابس، حيث احتلت المرتبة الأولى على الصَّناعات، وشكّلت(42.2%) من إجماليّ المؤسّسات الصِّناعية في الضَّفة الغربية.

ب. صناعة الأثاث، فقد احتلّت المرتبة الثانية بنسبة(13.6%) من إجماليّ المؤسّسات الصِّناعيّة.

ت. المنتجات المعدنية، التي غالباً ما استُخدمت في صناعة الأثاث، فقد احتلّت المرتبة الثالثة بما نسبته(9.1%) من مجمل المؤسّسات الصِّناعيّة، أما المؤسّسات الصِّناعيّة التي عمل فيها أقلّ من خمسة عُمّال فقد بلغ عددها في العام نفسه 1965م (2927) أي ما نسبته (76.2%) من إجمالي المؤسّسات الصِّناعيّة من التصنيف نفسه، ونظراً لحالة التباين والاختلاف بين الضّفة الغربية والضِّفة الشّرقية، اتخذت الحكومة الأردنية عدة إجراءات بهدف تطوير قطاع الصِّناعة في الضِّفة الشّرقية، ومنها:

أ. منح حوافزَ استثماريةٍ للمشاريع الصِّناعيّة في الضِّفة الشّرقية.

ب. تحفيز الأيدي العاملة الصِّناعيّة للهجرة بهدف العمل في الضّفة الشّرقية من النهر،(20) حيث أسهمت هذه الإجراءات في عدم تطوير القطاع الصّناعيّ في الضِّفة الغربية، وبدأت هجرة رأس المال والأيدي العاملة إلى الضِّفة الشّرقية؛ إذ أثرت الأوضاع السيّاسيّة على تطور الصِّناعة في الضِّفة الغربية سلباً.

المنطقة الثالثة: قطاع غزة:

تَـبِـــعَ قطاع غزة بعد النكبة إلى الإدارة المصرية ، وقد عانى قطاع غزة من تراجع القطاع الصّناعيّ وضعفِـــهِ في ظلّ الوصاية المصرية، وقلّة تأثيره في الإنتاج المحلّيّ العام، ولقلة عدد العاملين فيه، ركّز الأهالي على القطاع الزراعيّ رغم وجود بعض الصناعات البدائية، مثل: صناعة البُسط، ومعاصر الزيتون، ومطاحن الحبوب، وصناعة الفَخّـــار، وصناعة التبغ والحلويات والقليل من الورش الميكانيكية[21]، وبعد النكبة لم يعد بالإمكان الحديث عن تطورٍ تراكميٍّ للصّناعات الفلسطينية بشكل موحّد وعام، بل أصبح الحديث عن كياناتٍ اقتصاديةٍ وصناعيةٍ متفرقةٍ وضعيفةٍ.

ثالثاً: الصّناعات الفلسطينية بين الأعوام 1967-1993م:

أسفرت نتيجة حرب حزيران عام 1967م عن احتلال إسرائيل باقيَ الأراضي الفلسطينية وقطاع غزة، لتقيمَ سلطة احتلال عسكريّ على كافة الأراضي الفلسطينية، مكّنها من السّيطرة على المعابر والحدود وفرضت حكمًا عسكرّياً على الضِّفة الغربية وقطاع غزة، الأمر الذي مكّنها من خلال الإجراءاتِ العسكريةِ والإداريةِ والسيّاسيّة والاقتصاديةِ من التّحكم بجميع مناحي الحياة للفلسطينيين، والتّحكُّم بجميع الموارد الطبيعية، وكذلك باستيراد المواد الخامّ وتصدير المنتجات من خلال منح تصاريح أو حجبها متى أرادت. وبما أنّ الصِّناعات كانت ضعيفةً وتتبع مرجعياتٍ مختلفةً كان من السهل على الاحتلال إلحاقها بمثيلاتها الإسرائيلية لتخدم أهدافها.

وبناءً على ما تقدم عملت سلطات الاحتلال على إلحاق الاقتصاد الفلسطينيّ في الضّفة وغزة بالاقتصاد الإسرائيليّ لهدفين: الأول سياسيّ والثاني اقتصاديّ، بحيث يجعل الاقتصاد الفلسطينيّ بنواحيه كافةً وأنواعه اقتصادًا تابعًـا للاقتصاد الإسرائيليْ، بما في ذلك الصِّناعة من خلال الإجراءات العسكرية والإدارية التي ذكرتها سابقاً، والتي أدت إلى تدمير بنية الاقتصاد الفلسطيني بشكلٍ عام والصناعات بشكلٍ خاصّ و تسخيرها لخدمة نظيراتها في الكيان المحتل وإجهاض أيّ إمكانية لتطوير الصِّناعات الفلسطينية من خلال وضع العراقيل الماديةِ والإداريةِ أمام عملية التطوير خاصة وأنها اخضعتها لإمرة الحُـــكم العسكري للاحتلال، الأمر الذي حرمها من قدرتها على مواكبة التطوّر، [22]وكانت السّمة الغالبة على الصِّناعات الفلسطينية فترة الاحتلال الإسرائيلي التراجعُ المستمرَّ بسبب الأوضاع السيّاسيّة والمعيقاتِ التي فرضتها سلطات الاحتلال الإسرائيليّ، ويظهر ذلك من خلال تراجعها في الإسهام في الناتج المحلّيّ وتراجع عدد الأيدي العاملة بسبب الأوضاع السيّاسيّة وبخاصة في ثمانينيّات القرن الماضي في أثناء اندلاع الانتفاضة الأولى عام 1987م، حيث ظهر أثر إجراءات الاحتلال من خلال الحصار الاقتصاديّ وفرض إغلاقات على المدن والقرى الفلسطينية، وتكرر المشهد ذاته في الانتفاضة الثانية التي اندلعت عام 2000م بالرغم من وجود السلطة الوطنية الفلسطينية، حيث كان السبب المباشر إبرام اتفاقية باريس

الاقتصادية الانتقالية وأحداث الانتفاضة الثانية، وبلغت نسبة تراجع الصّناعات في الناتج المحلّيّ من (15.7%) إلى (12.6%) وكذلك تراجع عدد العمّال من (76918) عاملاً عام 2000م إلى (71118) عاملاً عام 2001م.

أي في العام الأول للانتفاضة بسبب الأوضاع السيّاسيّة، والحصار الإسرائيليّ الذي حدّ من عملية التطور في استخدام التقنيات، وما رافقها من عدم التطوّر العلميّ والمهنيّ، وما رافقه من تدنيّ نسبة إنتاج العامل الفلسطينيّ بسبب الحصار والعطل، مقارنة بالعامل العربيّ في دول الجوار التي بلغت نسبتها(68%) في القطاع نفسه[23].

القطاع الصناعي في عهد السلطة الوطنية الفلسطينية 1994-2020م:

تشير المؤشّرات الرقميّة والمهنية إلى أنّ القطاع الصِّناعيّ الفلسطينيّ هو القطاع الرئيسيّ الذي من خلاله يمكن دفع عجلة التنمية الاقتصادية في عملية التحول من الاقتصاد الزراعيّ إلى الاقتصاد الصِّناعيّ بسبب الأوضاع السيّاسيّةِ، والجغرافيةِ، فكان الاتجاه نحو تشجيع الصِّناعات المحلّية، لتعويض احتياجات السّكان من السّلع الصِّناعيّة المستوردة من خلال إنتاجِ سلعٍ محلّيةٍ ذاتِ ميزةٍ الصِّناعات، وعملت على التخلّص من آثار الماضي في الفترة الزمنية التي مارسها الاحتلال ضد الصناعات ما بين (1967-1993م) والتي واجه فيها القطاع الصِّناعيّ العديد من التحديات والصعوبات المنهجية التي أعاقت نموه وتطوره في الفترة المذكورة من خلال العديد من الإجراءات العسكرية التي هدفت إلى تدمير إمكانية تطور الصناعة بشكل خاصّ، والمجتمع بشكل عام، وكان من أهمّها إعاقة إصدار رُخص الاستثمار وفرض الضّرائب، وحاربت جميع الصِّناعات التي من الممكن أن تشكّلَ منافساً للصِّناعة الإسرائيلية[24]وأدت هذه الإجراءات إلى خفض عدد المؤسّسات من (5000) مؤسّسة من بداية الاحتلال إلى (3700) مؤسّسة في عام 1991م، أي قبل قدوم السلطة الوطنية الفلسطينية، الأمر الذي حوّل الصّناعات الفلسطينية إلى خدمة نظيراتها الإسرائيلية؛[25]إذ أفضت السّياسات الغربية إلى رفع تكلفة الإنتاج الفلسطينيّ، وخفّضت قدرته على التنافس في ظلّ الإجراءات العقابية التي تعرض لها الإنتاج من جهة ومراقبة الصِّناعات الفلسطينية من جهة أخرى.

القطاع الصِّناعي الفلسطينيّ بين الأعوام 1994-2000م:

عملت السلطة-منذ البداية-على النّهوض بالقطاع الصّناعيّ من خلال إعطائِهِ الأولويةَ في الاهتمام عن طريق ما حاز عليه من خُطط التنمية وسياساتها التي أدت إلى حدوث ازدهار ملحوظ، وأفضت إلى زيادة الاستثمار المحلّيّ والخارجيّ من خلال الدول المانحة ورأس المال المحلّيّ وقد نتج عن هذه السّياسات زيادة في إسهام الصِّناعة في الناتج المحليّ، حيث كانت نسبة

الزيـادة في هـذه الفـترة (5.2 %) عـام 1994 مقارنـة بالعـام 1993م[26]،وارتفـاع عـدد المنشـآت لتصـل إلى (11842) منشـأة، أي ليصـل معـدل الزيـادة في عـدد المنشـآت(66.1 %) مقارنـة بعـام 1993م.

تميّـزت هـذه الفـترة بالتذبذبـات ارتفاعـاً ونـزولاً، حصيلـةً للواقـع السـياسيّ والإغلاقـاتِ، حيـث تشـير الأرقـام إلى أنّ القطـاع الصّناعـيّ يتأثـر بشـكل كبـير ومباشر بالواقـع السـيّاسيّ في الأراضي الفلسـطينية، ففـي حـال الاسـتقرار السـيّاسيّ والهـدوء النسـبيّ ترتفـع معـدلات النمـوّ في القطـاع الصّناعـيّ، وتتراجـع في حـال عـدم الاسـتقرار، ويُـعزى ذلـك إلى سـيطرة سـلطة الاحتـلال عـلى حركـة المعابـر والتنقـل الداخـليّ بـين المحافظـات، واعتمـاد الصّناعـات عـلى المـواد الأولية المسـتوردة مـن الخارج.

القطاع الصِّناعي بين الأعوام 2001-2007م:

شـهدت هـذه الفـترة اضطراباتٍ سياسـيّةٍ مبعثهـا انتفاضـة الأقـصى عـام 2000م، الأمـر الـذي أدى إلى قيـام جيـش الاحتـلال الإسرائيـلي بإعـادة احتلالـه لمناطـق السـلطة الوطنيـة الفلسـطينية؛ حيـث انعكـس ذلـك سـلباً عـلى الأوضـاع السيّاسـيّةِ بشـكل عـام، وعـلى قطـاع الصِّناعةِبشـكل خـاصّ، لتقييـد حركـة التنقـل بـين المـدن الفلسـطينية.

تـضرّر القطـاع الصّناعـيّ بشـكل كبـير ومبـاشر نتيجـة الممارسـات الإسرائيليـة التـي أعقبـت الانتفاضـة وممارسـة العقوبـات الجماعيـة عـلى السـكان والمنشـآت، وإعـادة احتـلال أراضي السّـلطة الفلسـطينية، وتعطيـل الحيـاة العامـة والصّناعـة بشـكل خـاص، فكانـت النتيجـة انخفـاضَ الطلـب عـلى المنتجـات الصّناعيّـة المحلّيـة، وبالتـالي انخفـاض مسـتوى المعيشـة لفقـدان عـدد كبـير مـن الفلسـطينيين عملهـم، ممّـا أدى إلى ارتفـاع معـدلات البطالـة وضعـف القـدرة الشّرائيـة للعائـلات الفلسـطينية بشـكل عـام، وهـذا مـا أوجدتـه الأحـداث السيّاسـيّة التـي منعـت العاملـين مـن الوصـول إلى أماكـن عملهـم[27].

الصِّناعات الفلسطينية في الأعوام 2007-2020م:

ذكرنـا سـابقاً أن أكثـر مـا يؤثّـر في الصِّناعـة الفلسـطينية ومـدى اسـتقرارها هـو العامـل السـيّاسيّ، خاصّـة وأنّ الصِّناعـة تحتـاج إلى اسـتثمار يولّـد الاسـتقرار، ويشـكّل عمليـة جـذب لـرأس المـال المحـلّيّ والخارجـيّ.

تشـير الدراسـات والأرقـام الإحصائيـة إلى حالـة مـن التذبـذب الكبـير حصلّـت بقطـاع الصِّناعـات في هـذه الفـترة، لتأثرهـا بمـا يجـري عـلى الأرض، حيـث بـدأت الصّناعـات بالتعـافي الحـذر مـن آثـار الانتفاضـة الثانية،حتّـى نَشِـبَ انقسـام سـياسيّ أفـضى إلى وجـود سـلطة الأمـر الواقـع في قطـاع غـزة ،عانـت الصِّناعـات مثـل بقيـة فـروع الاقتصـاد مـن تحـدٍ جديـد، أدى إلى خـروج جـزء مهـمّ مـن

الاقتصاد الفلسطينيّ والصِّناعات بشكل خاصّ من الناتج الإجماليّ الرسميّ، فأصبحت السلطة الوطنية الفلسطينية تشرف على الضّفة الغربية، وسلطة الأمر الواقع تشرف على قطاع غزة منذ عام 2007م، وما رافق ذلك من آثار عن الصِّناعات التي سيطرت سلطة الأمر الواقع على عائداتها، في حين التزمت السلطة الوطنية الفلسطينية بالإنفاق على قطاع غزة، وتلا ذلك حروب عدّة شنّها الاحتلال الإسرائيليّ على قطاع غزة في الأعوام 2008م، 2012م، 2014م، وفرض حصارًا مشدّدًا على قطاع غزة الذي أضحى يعاني من حصارٍ وفقرٍ تدنٍّ في مستوى المعيشة، ونسبة البطالة عالية وعانت الصِّناعات مجدداً من حال الانفصال بين شقيّ الوطن.

عجزت جميع مساهمات السلطة الوطنية الفلسطينية والدول العربية والدول المانحة عن فك الحصار وإعادة حركة الصناعة إلى سابق عهدها.

أمّا الضفة الغربية التي هي الجزء الأكبر الذي تسيطر عليه السلطة الوطنية الفلسطينية، فقد بقيت التوقّعات الاقتصادية هشّةً، نظراً للمخاوف الأمنية والاحتكاك السّياسيّ، وظلت نسبة البطالة مرتفعةًتصل إلى (19.6%) في العام 2016/ 2017م بينما النسبة في قطاع غزة هي أكثر من الضّعف، ولا تزال القيود الإسرائيلية القائمة على الواردات والصادرات وحركة البضائع والأشخاص تُعطّل تدفّقات العمالة والتجارة والقدرات الصِّناعيّة، وتعيق تنمية القطاع الخاصّ، رغم محاولات السلطة الوطنية الفلسطينية الحثيثة للخروج من هذا الوضع عن طريقتحسين جباية الضرائب، وخفض الإنفاق، يضاف إلى ذلك استمرار هجمات الاحتلال الإسرائيليّ على القطاع، والبطء في عملية الإعمار الناتجة عن الحروب السّابقة الذكر التي أدت إلى مزيد من التدهور، وارتفاع معدلات البطالة والفقر، وانكماش حادٍّ في القطاع الخاصّ فقد تجاوزت نسبة البطالة (52%)، والفقر تجاوزت نسبته(75%) في قطاعٍ غزة [28]وما زالت نسبة البطالة في ارتفاع، والفقر أصبح يشمل شرائحَ جديدةً من السّكان.

ففي عام 2014م أفضت السيّاسة المصرية إلى القضاء على شبكة التهريب عَبْرَ الأنفاق إلى نقص حادٍّ في الوقود ومواد البناء والسلع الاستهلاكية، وتحويل من كانوا يعملون في هذا القطاع إلى البطالة،[29]وكان من أهمّ سمات هذه المرحلة التي أثرت على الصِّناعات :

1. الانقسام الفلسطينيّ عام 2007م، وانفصال قطاع غزة عن الضّفة الغربية.
2. الحروب والهجمات التي شنّتها إسرائيل على قطاع غزة خلال الأعوام 2008، 2012، 2014م، إضافة إلى الهجمات المتقطّعة بين الفَيْنةِ والأخرى حَتّى يومنا هذا.

3. السياسة المصرية المُتّـــبعة أدت إلى القضاء على الاتفاق بين قطاع غزة وسيناء ما تبعها من آثار مدّمرةٍ.
4. الحصار الاقتصاديّ البريّ والبحريّ على قطاع غزة، وتأثيره على الصِّناعات بشكل خاصّ، والاقتصاد بشكل عام.
5. ظهور أزمة الكورونا العالميّة في نهاية عام 2019م وما زالت- حتى اليوم- تُطالعنا بأعدادٍ مَـهُـــولة من الوفيات والإصابات وما تبعها من إغلاقات نجم عنها خسائرُ فادحةٌ لقطاع الصِّناعة على وجـــه الخصوص.
6. زيادة أعداد الموظفين مما أسهم في اكتساب الاقتصاد السّـــمة الحديثـــة بأن تحوّل إلى اقتصاد خدَمَـــيّ[30].
7. إسهام السلطة الوطنية الفلسطينية في تحسين قدرة الصِّناعات، ورفع جودتها من خلال مجموعة من التوصيات والقوانين الهادفة إلى توفيرِ بيئةٍ استثماريةٍ مناسبةٍ،وتحسين البنية التحتية، وانشاء العديد من المناطق الصِّناعيّة في الضّفة الغربية، إضافة إلى منطقة في قطاع غزة، مما أســـهم في تطوير الصِّناعات وازدهارها إلى حدٍّ ما بالرغم من الحصار والأوضاع السيّاسيّة.

تجـدر الإشـارة إلى أنّ الصِّناعـات تأثـرت سـلباً بالأزمـة الاقتصاديـة لعـام 2019م والناتجـة عـن احتجـاز أمـوال المقاصّـة مـن قِبـل الاحتـلال وقـد سجّـــلت القيمـة المضافـة مـن الصِّناعـات نمـــوًّا طفيفـاً بنسـبة(02%) مقارنةً بعـام 2018م وسـجّلت في الربـع الرابـع مـن العـام 2019 نمـوًّا نسـبته (4.1%) مقارنـةً مـع الربـع الثالـث مـن العـام نفسـه، ونمـوًّا طفيفـاً في الربـع الثالـث للعـام 2018م بنسـبة (08%) مقارنـةً مـع الربـع الـذي سـبقه، في حين سجّـل الربـع الأول تراجعًـا نسـبته (3.2%) مقارنـةً مـع الربـع الأول للعـام 2018م.

وفي بدايـة عـام 2020م بـدأت أزمـة كورونـا العالميّـــة تطفـو عـلى السّـطح، نتـج عنهـا تراجـع مـؤشرات الصّناعـات والأداء مـن الربـع الأول مـن العـام 2020م[31].

وشـهدت المحافظـات الفلسـطينية كافـة تراجُـعـاً حـادًا في كميـات الإنتـاج الصِّناعـيّ بنسـبٍ متفاوتـةٍ حسـب الأنشـطة الصِّناعيّـة في كلّ محافظـة، أمّـا أهـمّ المنتجـات التـي شـهدت تراجعًـا حقيقيًّـا فكانـت صناعـة المعـادن اللافلزيـة، والحجـر والرخـام، والباطـون والأسـفلت، وصناعـة الأثـاث، وصناعـة الجلـود ذات الصّلـة بصناعـة الأحذيـة، والصِّناعـات التحويليـة الأخـرى، مثـل المجوهـرات، حيـث سـجّل الرقـم القيـاسي للإنتـاج الصناعـي تراجعـاً بنسـبة (6.61%) خـلال شـهر نيسـان عـام 2020م، وانخفـاض قُـــدِّر بحـوالي(50%) في الأوضـاع الطبيعيـة[32].

أقسام القطاع الصِّناعيّ حسب النشاط الصِّناعيّ:

تـمّ تقسيم الصِّناعات في فلسطين حسب النشاط الصِّناعيّ وكانت على النّـــحو الآتـــي:

1- الصِّناعات التحويلية، وتشمل:

أ. المنسوجات التي تشكّل(16.9 %) من إجماليّ الصِّناعات التحويلية التي تشكل (79.2 %) من المؤسّسات الصِّناعية، ونسبة(80 %) من الأيدي العاملة، وتعادل (75.4 %) من الصّادرات[33].

ب. صناعة المنتجات الغذائية والمشروبات التي تشكّل(13.5 %) من إجمالي الصِّناعات التحويلية.

ت. صناعة المعادن اللافلزية التي تشكّـل (12.6 %).

ث. صناعة الخشب والأثاث وتشكّل (22 %).

ج. صناعة الجلود والدباغة التي تشكّـــل (5 %).

ح. صناعة الأجهزة الكهربائية وهياكل الحديد التي تشكّـــــل (2.8 %).

يتضـح لنـا ممـا سـبق عمـق التشـوهات البنيويـة وتجذّرهـــا والتـي يعاني منهـا قطـاع الصِّناعـات الفلسـطيني[34].

2 - الصِّناعات الاستخراجية، ويُقصد بها التعدين والحجر، تقوم هذه الصِّناعات على استخراج الحجر من المحاجر.

3 - الصِّناعات الاستراتيجية، مثل، الكهرباء والغاز والمياه.

أ- صناعة المنتجات الغذائية والمشروبات، التي تشكّل (13.5 %) من إجماليّ الصِّناعات التحويلية.

ب-صناعة المعادن اللافلزية التي تشكّل (12.6 %).

ت- صناعة الخشب والأثاث التي تشكّل (22 %).

ث- الجلود والدباغة تشكّـــل (5 %).

ج- صناعة الأجهزة الكهربائية وهياكل الحديد تشكّـــل (2.8 %).

يتضح ممّا سبق عمق التشوهات البنيوية وتجذّرهـــا، والتي يعاني منها قطاع الصناعات الفلسطيني[35]الناتجة عن التحدّيات والإشكالات التراكميّة.

الحرف في فلـسطين:

تحظى الحَرف اليدوية في فلسطين بأهميّة فائقةٍ، كونها جزءًا أصيلاً من التراث الشّعبي الدّالّ على الهُوية الوطنية الفلسطينية التي تؤكّـــد ارتباط هذا الشّعب بأرضه عَـــبر القرون، والحفاظ عليها بُعدًا وطنياً، والاهتمام به جزء من الحفاظ على الهُوية الوطنية، وحمايتها من الاندثار، فمن الواجب حثّ المؤسّسات والأفراد على بذل مزيدٍ من الجُـــهد للعناية به في ظلّ الهجمة الصّهيونية عليه وسرقته[36].

تُــعدّ الحِرَف اليدوية إنتاجًــا لإبداعات الفنان الشعبيّ الفلسطينيّ بطرقٍ عفويةٍ بسيطةٍ تلبّي احتياجاتهِ، ويُــفصِح من خلالها عن أهداف مختلفة، فقد يكون تعبيراً عن أحاسيسه ومشاعره، وما يجيش في نفسه من تطلعاتٍ وآمالٍ لإنتاج أغراض للاستخدام الذاتيّ تلبّي احتياجاته الذاتية و الأسرية، أو لإنتاج أغراض للترفيه عن النفس، أو بهدف تلبية احتياجٍ اقتصاديٍّ يتكسّب منه ماديةً تساعده في مكافحة الفقر من أجل حياة أفضل، وتُــعــدّ هذه الحِرَف متحرّرةً تحرّرًا شبه كاملٍ من تحكّم الآلة وسيطرتها، وغير مقيد بالأساليب والنُّظم الاقتصادية الحديثة[37].

تعريف الحِرَف:

تعــرَّف الحِــرف بأنهــا «الصِّناعــات التقليديــة ذات الامتــداد التاريخــيّ التــي تقــوم عــلى تحويــل المــادة الخــامّ إلى منتــجٍ مُــــصنّع يدويــاً يعكــس طابعــاً تراثيــاً فلســطينياً»، بحيــث تحمــل هــذه المنتجــات تعابــيرَ وملامــحَ تاريخيــةً أو تراثيــةً أو دينيــةً تصنّــف بالصِّناعــات التقليديــة في فلســطين، ولهــا عــدة فــروع، منهــا:

الخــزف والزجــاج التقليــديّ، والفَخّــــار، والتطريــز النســوي، والبُســط والســجاد اليــدويّ، ومنتجــات خشــب الزيتــون، ومنتجــات الصّــدف والخيــزران، والقــشّ، والشــمع بأنواعــه[38].ومــن خــلال التمحيــص والتدقيــق تبــيّن أنّ هــذه الحــرف احتكمــت واســتندت للطبيعــة ومــا فيهــا مــن مــوادّ خــام، بالإضافــة إلى حاجــة الإنســان مــن أدوات [39]مــن هُــــنا نجــد أنّ الحِــرف والصِّناعــات التراثيــةَ عكســت الــتراث والحضــارة ، وخاصّــة الحضــارة الدينيــة التــي وفــرت لهــا الأعمــالَ اليدويــةُ التذكاريــةَ الدينيــةَ التــي يقتنيهــا السـيّاح والحُجّــــاج و بخاصّــة في مدينتي القــدس وبيــت لحــم.

تعتــبر هــذه الحِــرف ضاربــةً أعماقهــا بالتاريــخ حســبما ورد في بعــض الروايــات، وخاصّــة في مدينتــي بيــت لحــم وبيــت ســاحور التــي وُضِعــت ببراعــة، حيــث اعتمــد نَجّــاش الحبشــةعلى بنّــــائين ونَحّــــاتين وحفّــــارين ماهريــن لبنــاء قصــوره وتشــييدها وتزيينهــا، في حــين ذهبــت روايــات أخــرى إلى أنّ إبراهيــم باشــا عندمــا تــرك مــدن الشّــام السّــورية اصطحــب ثُــلّــــةً مــن هــؤلاء الحِرفيين إلى مــصر لينــشرَ فيهــا الحَــف اليدويّــةَ[40].

نســتنتج مــن هــذه الروايــات مــدى الشُّــهرة والأهميّــة التــي وصــل إليهــا الحِــــرفيون في فلســطين، ومــدى جــودة أعمالهــم.

أمّــا في العهــد العثمانــيّ، فرغــم التحديّــات التــي واجهــت صناعــة الحِــرف، فقــد زَيّــــنوا البنــادق وزخرفوهــا بالصّــدف، فالاتجــاه نحو الحــرف في فلســطين تقليد

قديم له ما يبرزه لتغطية حاجات الاستهلاك، ويوفّر فرص عمل للعديد من الفئات المهّمشة، مثل النساء، وذوي الاحتياجات الخاصّة، والمتقاعدين وغالباً من اتخذ الصّفة العائلية في الإنتاج، وبخاصّة في المدن الفلسطينية التي امتهنت الحِرف، حيث أُطلقت أسماء الحِرف على العائلات، مثل: النقّاش، والنجّار، والدبّاغ، والصّيّاغ، والجوهريّ، وغيرها[41]،ويدلّ هذا على مدى امتزاج هذه الحِرف بالواقع الاجتماعيّ للعاملين فيها، بل تعدّى الأمر ذلك إلى إطلاق هذه الأسماء على الأماكن والأسواق التي يتمّ العمل فيها، مثل: سوق القَزازين في مدينة الخليل، وسوق القطانين في مدينة القدس.

وجدر الإشارة إلى أنّ ثَمّة طقوساً للتّدريب، بحيث يتمّ تعلّمُ على مراحل عدةٍ، تنتهي بحفلة يُقدّم فيها الحِرَفيّ لمعلّمه في الحِرفة حفلةً فيجيزه بعدها، ويسمح له بممارسة الحرفة، وهذا ما يطلق عليها (حفلة الشّدّ) - الذي استخدم في القرن السابع عشر الميلاديّ- وتكون شرطَ الإجازة للمهنة[42].

أمّا المبرّر الرئيس لتوجّه الحرفيّين إلى الحِرف، إضافةً للحفاظ على التراث والهوية كان بُغية تلبية المتطلبات الحياتية، مثل صناعة الأواني والأدوات من الفُخّار، وسلال القشّ، وكذلك الأمر بالنسبة إلى أدوات الصّيد، خاصّة في مدن السّاحل الفلسطينيّ وتلك الأدوات المتعلّقة بالزراعة كالمحراث، وأدوات الحصاد وجمعه، ولم تخلُ من أدوات الزينة، سواء كانت الزينة الشّخصيّة أو البيتية، أو تلك الأدوات التي لها علاقة بالحُجّاج والرموز الدينية [43]، كما كان هناك ميزات للحِرف والصِّناعات اليدوية، من أهمّها بروز الطّبيعة الخاصّة بالفنّ والإبداع والجمال التي لها علاقة بالثقافة، إبّانَ تلبيتها للطقوس الدينية والاجتماعيّة. وكذلك بساطتها في بعدها عن استخدام التقنيات الحديثة، وعن والتدخّلات الأجنبية، أمّا الأيدي العاملة فقد ذكرت سابقاً أنها تعتمد على العائلة وفئاتٍ اجتماعيةٍ محدودةٍ، لهذا تبتعد عن استخدام الأيدي العاملة الكبيرة ويقتصر العمل فيها على أعدادٍ محدودة [44].

خصائص الصّناعات الحِرفية:

تمتاز الصِّناعات الحِرفية بخصائصَ جعلتها تختلف عن غيرها من حيثُ الانتشارُ والقدرةُ الإنتاجيّةُ والأيدي العاملة، وإسهامها في الدخل القوميّ، فهي صّناعات ذات إنتاج وأجور منخفضة للأسباب التي ذُكرت سابقاً، كما أنّها تعتمد على الأيدي العاملة النسوية في الغالب رغم اتساع مجال العاملين

فيها خلال العقدين الأخيرين، وبالإمكان إنجاز هذا النوع من الصِّناعات في أي مكان، مثل: البيت أو الدكّان، كونها لا تحتاج إلى مساحاتٍ واسعةٍ أو مشاغلَ كبيرةٍ، خاصّة وأنه يغلب عليها الطّابع العائليّ- كما ذكرنا سابقاً- فيعمل بها أبناء الأسرة الواحدة الذين توارثوها عن آبائهم، معتمدين على المواد الخامّ الأولية البسيطة المتوفّرة في الطبيعة المحيطة والبعيدة عن التعقيدات[45]، وتتأثر هذه الحِرف بذوقِ الحِرَفيّ نفسِهِ الذي يصنعها، كذلك تتمتّع بمرونةٍ عاليةٍ من ناحية استخدام الأيدي العاملة.

أنواع الصِّناعات الحِرَفية في فلسطين:

ثَمة العديد من الحِرف في فلسطين اكتسبت وجودها عَبر التاريخ بصورةٍ تراكميةٍ إلى أن وصلت إلى ما هي عليه الآن، وهي على النّحو الآتي:

1 - صناعة التطريز والأزياء الشّعبية:[46]

تطورت هذه الصِّناعات لتغطية الحاجات المحلّية من الألبسة، سواء كان ذلك للنساء أو للرجال، وأصبحت تُعبّر عن تراثٍ شعبيّ يعكس الهُويةَ الشّعبيةَ لكلّ محافظة على حدّ سواء، كون الأزياء تختلف من مدينة إلى أخرى.

2 - الصِّناعات الخشبية:[47]

على الرّغم من اختلاف الحِرف والصناعات الخشبية وتنوعها في فسطين، إلّا أنّ أكثرها شهرةً هي صناعةُ خشب الزيتون التي تمثل رمزيةً دينيةً، خاصّةً في مدينة بيت لحم والقدس، مثل السّجادات الدينية والمسابح والعديد من التشكيلات الأخرى التي تعتمد على خشب الزيتون بشكل أساسيّ.

3 - صناعة الخزف والزجاج والفُخار:

إنّ صناعة الخزف والزجاج والفُخّار[48]كان أقدمها صناعة الفُخّار ثمّ تبعها الزجاج، ومن ثم الخَزف، وتُعدّ هذه من أقدم الحِرف في فلسطين وبالذات صناعة الزجاج في مدينة الخليل وغزة، ويافا،كان الزجاج يُصدر إلى كل من مصر وسوريا وتركيا والحجاز، حتّى وصل إلى رومانيا في القارة الأوربية زمن الدولة العثمانية، وما زالت صناعة الزجاج مستمرةً إلى وقتنا الحالي في فلسطين، وخاصّة في مدينة الخليل بأشكالٍ مختلقةٍ منذ ما يزيد على ألف عام ماضية.وصناعة الخيزران والشّمع والقشّ والصِّناعات المعدنية. ازدهرت صناعة الزجاج والفُخّار في المناطق القريبة من الرمل ونباتات الأشان الذي يُستعمل موادّ خامّ لصناعة الزجاج، وبخاصّة في مدينة الخليل[49]، فقد اشتهرت

بصناعته، حتى أُطلِق على حيّ كان يقيم فيه الحِرَفيون الذين يعملون في الزجاج(حي القزازين) في البلدة القديمة من المدينة، وكانت صناعات الخليل تسدّ حاجة السّوق المحلّيّ، ويُصَدّرُ إلى الخارج - كما ذكرنا سابقاً-وتحولت صناعة الزجاج إلى الصِّناعات السّياحية لتلبي حاجة السّياح بعد انتشار السّياحة في فلسطين، وخاصّة السّياحة الدينية.

أمّا صناعة الفُخّار، فقد كانت لتغطية احتياجات السّكان من الأدوات التي يستخدمونها، باعتماد الدولاب الذي يدار بالأرجل، ثم تُنقش عليه الزخرفات باليد، ويُسوَّى في أتونٍ قليلِ الغَوْر وتحته توقد نار،[50]ومعظم العاملين في هذا المجال هم من النساء و الأولاد، واشتهرت غزة بتصدير الفُخّار إلى العديد من المدن في بلاد الشّام، مثل شرق الأردن، وحوران في سوريا، وحمل أهل غزة صناعة الفُخّار مع هجرتهم، وأينما حلّوا وبخاصّة بعد الحرب العالمية الأولى نجد أنّ هناك معاملَ في مدينة الخليل، ومدينة الناصرة ونابلس[51] وأُطلق عليه أسماء عدّة منها البلبل حيث أطلق على ابريق الماء الصَغير المصنوع من الفُخّار والكراز على الإبريق متوسّط الحجم، والعسلية على الحجم الكبير، ثمّ الجرّة والزير الذي استُخدم لتخزين مياه الشّرب.

4_ صناعة النسيج والسّجاد اليدويّ:

ظهرت حِرفة النسيج في فلسطين قديماً أيام الكنعانيين الذين ابتكروا صناعة الأقمشة، وعند الحديث عن حِرفة النسيج، فلا بدّ من ذكر الحديث عن الأدوات التي استُخدمت في صناعته، ومنها:

أ. المغزل: يتكون المغزل من عمود خشبيّ، طوله (36-45سم) وتثبت في رأسه خشبة كالمظلّة قطرها (11-12سم) ، تُثبّت في أعلى العمود مسمار حديديّ، يطلق عليه اسم (السّنارة).

ب. النول : وهي عبارة عن آلة لنسج القماش، فقد استخدمت الأنوالُ في فلسطين قبل ما يزيد على خمسة آلاف عام ، وللأنوال أنواع منها: النوال الرأسيّ، والنوال الأرضين والنوال الأفقيّ[52].

مراحل صِّناعة النسيج:

يتمّ إحضار المادة الخام الخاصّة بالنسيج من وبرِ الجِمال، أو صوف الخِراف، أو شعر الماعز، ومن ثَمّ يتم تتولّى النساء والكهول غزلها بالمغازل البدائية، أيّ تحويل الصّوف والوبر إلى خيوط، وبعدها ينسج بالأنوال لتحوّل إلى سُروج للخيل، وبيوت من الشَّعر، وبسط، وعباءات، وسجاجيد، وألعاب ومراجيح للأطفال[53].

من أشهر المدن الفلسطينية في صِّناعة المنسوجات هي مدينة المجدل، كان فيها- قبل النكبة - ما يزيد على (800) آلة نسيج، وتتبعها مدينة الناصرة، وصفد، وبيت لحم، ومجد الكروم، ونابلس، والخليل، بينما تميّزت غزة بصناعة أنواع أخرى من النسيج ذي الجودة العالية التي غالباً ما كانت تُصدَّرُ إلى الخارج. وثَمة طريقتان لصِّناعة النسيج، هما: صناعة الخيط قبل نسجه، والثانية صِّناعة النسيج بعد الحياكة[54].

5-صناعة الجلود والدباغة:

تضمّ صناعة الجلود، الدباغة، وصناعة الأحذية والحقائب والمحفظات والأحزمة والفراء، تتميّز هذه الصِّناعة بأنها غير مخصّصة إلى طبقة معينة، بل يمتهنونها في المدن والأرياف على حدٍّ سواء[55].وتجدر الإشارة إلى أنّ ثّمّة مجموعةً من الصِّناعات الحِرفية الأخرى.

6- صِّناعة الصّابون:

تُعدّ مدينة نابلس من أشهر المدن الفلسطينية في صناعة الصّابون من بقايا زيت الزيتون، وينبغي إعادة تحديث الصناعات القائمة حالياً لعمل صيانة لها من أجل رفع مستوى الجودة والمنافسة، كما أنّ هناك حاجةً للاهتمام بتعدّد أشكال الصّابون المنتَج وأنواعه وأحجامه، وتبرز الأهميّة في إضافة بعض المعطرات على الصّابون والمواد التي تسهم في جذب شريحةٍ كبيرةٍ من المستهلكين، وبالإمكان البحث عن أسواقٍ خارجيةٍ حفاظاً على هذه الحِرفة من الاندثار[56]، وثَمّة العديد من الحرف الأخرى، مثل التطريز على البيض بعد أن يقوموا بثقب البيض بإبرةٍ دقيقةٍ، واستخراج الزلال منها، ويطرزون قشرتها بالإبرة العادية لرسم رسومات وزهور وغيرها، أو تقوم بعض النساء بتطعيم البيض المصنوع من الشّمع بالخرز الأزرق، ثمّ تُلصق عليه صورة دينية، مثل صُور تسبيح، إضافية إلى أعدادٍ كبيرةٍ من الصِّناعات التذكارية الحديثة [57]. مثل: الصّابون النابلسّي التي اشتهرت به مدينة نابلس، ويعتمد على بقايا زيت الزيتون

إنّ وجود الحِرف في فلسطين وبقاءَها مرتبطٌ ارتباطاً وثيقاً بوجودعواملَ رئيسةٍ في وجودها واستمرارها مثل الحاجة، فالحاجة أم الاختراع، وإنّ الحاجة هي التي دعت الإنسان إلى التفكير بإنتاج ما يحتاجه من أدوات وأوانٍ بأبسط الوسائل، وأقل التكاليف، مستخدماً المواد الخامّ المتوفّرة لديه في البيئة المحلّية بهدف تحويلها إلى أدوات يُستفاد منها، مثل القشّ والطّين...إلخ[58]

فقد أبدعت المرأة الفلسطينية على مرّ العصور في صناعة هذه الأدوات، فباتت حرفتها الأساسيّة بحيث أقنعت الرجل على العمل فيها بسبب الظّروف الصّعبة التي واجهتها هذه الحِرف والصِّناعات، كما أفضت بالحرفيين والصّناع إلى التكيُّف مع الأوضاع لإيجاد حلول إبداعية لمواجهة الأزمات المحلّية والخارجيّة وتجاوزتها.

تَمّةَ الكثير من المعيقات والمشكلات التي تواجه قطاع الصِّناعة والحِرف في فلسطين منذ نهاية العهد العثمانيّ حتّى يومنا، وتختلف باختلاف الفترة الزمنية، فمشكلة عدم الحماية لهذه المنتجات مثلاً متجذّرة منذ زمن الحكم العثمانيّ حتّى العصر الحالي، مع اختلاف أسباب عدم الحماية في كلّ فترة.

المشكلاتُ والمعيقات التي تواجه الصِّناعات والحِرَف في فلسطين:

من المعيقات الرئيسة التي يُعاني منها قطاع الصِّناعات نُدرة المواد الخام وشحّها منذ الحكم العثمانيّ، قد تعززت هذه المشكلة في الحرب العالمية الأولى (1914-1918م)، كما ساعد في عدم حماية المنتجات قيام قناصل بعض الدول الأجنبية ووكلائهم في البلاد، وبتجارة الاستيراد والتصدير، وهم مُعْفَوْنَ من الضّرائب[59] وفي المقابل كان الحكم العثمانيّ يجني رسوماً ضريبيةً ما بين(2-10 %) من الدخل، الأمر الذي ساعد في ارتفاع التكلفة، في حين كان الاتجاه العام للعائلات الارستقراطية في فلسطين التوجّه أكثر إلى امتلاك الأراضي رغم ماعاناه هؤلاء من غارات البدو المتكررة على الأهالي، والتي منعتهم من استثمار أموالهم في الصِّناعة، ويضاف إلى ما ذُكِر تردّي البنية التحتية، وبخاصّة الطرق والمواصلات والكهرباء[60].

إنّ تآكل الاستثمارات المتراكمة وتعبئة المدّخرات وعدم تحديثها أدى إلى ضعف الإنتاجية واعتمادها على خبرات ذاتية وعائلية غير قابلة للتطور، مما أفضى إلى إرهاق هذا القطاع.

لا شكّ في أنّ الازدواجية والمحاباة التي فرضتها بريطانيا فترة الانتداب في فلسطين حتى عام 1948م ومِنْ بَعدها أصبح الاحتلال الصّهيونيّ لفلسطين المعيق الرئيس لقطاع الصِّناعات والحِرف من خلال السّياسات التي اتبعها، وحذّر من الاستثمار بشكل عام، والاستثمار الصناعيّ بشكلٍ خاصّ أيضاً[61]، وبذلك تكون دولة الاحتلال الإسرائيليّ استجابت لجماعة الضّغط الصّهيونيّ داخلها المطالبة بمنع قيام صناعاتٍ فلسطينية منافسةٍ، وأوجدت حالةً من قلّة رأس المال، وفقدان المواد الخامّ بعد سيطرتها الكاملة على ما نسبته (78 %)

مـن مسـاحة فلسـطين، وعـدم قيامهـا بتطويـر النظـام البنكـيّ، واللجـوء إلى اعتمـاد سياسـة فـرض الضرائـب بنسـبٍ غـير مبّـــررةٍ [62].

أمّـا مـا يتعلّـق بقطـاع الحِـرف في فلسـطين فقـد واجـه أربـع مشـاكل رئيسـةٍ: مـن أهمّهـا: المـواد الخـام، والأيـدي العاملـة، والإنتـاج والتسـويق، علمـاً بـأنّ ضعـف التسـويق المحـلّيّ يُـعدّ مـن أهـمّ مسّـببات اختفـاء الحِـرف وضعفهـا مـع عـدم وجـود مواصفـاتٍ ومقاييـسَ محـددةٍ للجـودة منعـاً للتقليـد، كـلّ ذلـك أفْـضى إلى صعوبـة بالتميـز بـين الصِّناعـات الحِرفيّـة التـي تعتمـدُ عـلى الآلـة وتلـك التـي تعتمـد عـلى الأيـدي العاملـة الماهـرة، وتحصـل عـلى المـواد الخـام مـن خـلال الناتـج المحـلّيّ في البيئـة المحيطـة وتُـعدّ العامـل المشـترك في جميـع الفترات التـي شكّـلت تحديـاً كبـيراً لتطـور الصِّناعـات والحِـرَف هـي الاضطرابـات السّياسـيّة وسياسـة الإقطـاع.

الخاتمة:

يتضـح ممّـا سـبق أنّ هنـاك جهـوداً مكثفـة بذلـت في تأسـيس المناطـق الصِّناعيّـة، وتكلّلـت هـذه الجهـود بوضـع الأنظمـة والقوانـين والحوافـز الناظمـة في السياسـات العامّـة للاسـتثمار. ومـن خـلال المقارنـة تبـيّن أنّ هـذه الأنظمـة الناظمـة والحوافـز تقـلّ عـن مسـتوى الحوافـز والأنظمـة في الـدول التـي نجحـت فيهـا هـذه التجربـة التـي أدت إلى نمـوٍّ اقتصـاديّ [63].

لقـد مـرت الصِّناعـات والحِـرف في فلسـطين بتغـيراتٍ مهنيـةٍ وسياسـيّةٍ أثـرت عـلى تطورهـا التراكمـيّ، وقلّلـت مـن جودتهـا، وجعلـت غالبيتهـا تنحـصر داخـل الأسرة الواحـدة، بـل توارثهـا الأبنـاء عـن الآبـاء.

وقـد كان لضعـف رأس المـال دور رئيـس في تعثّـر الصِّناعـات والحِـرَف ولـولا ارتباطهـا بالرمـوز الدينيـة والهُويـة الفلسـطينية لمـا اسـتطاعت الاسـتمرار خاصـة في ظـلّ اضطرابـاتٍ سياسـيّةٍ قويـةٍ منـذ نهايـة الدولـة العثمانيـة، مـروراً بالانتـداب البريطانـيّ بعـد الحـرب العالميـة الأولى، ووصـولاً إلى الإجـراءات الإسرائيليـة التـي جعلـت مـن الصِّناعـات والحِـرَف الفلسـطينية اسـتهلاكية، إنّ سـيطرة إسرائيـل عـلى الأراضي الفلسـطينية وتحكّمهـا بالمعابـر جعـل تطـور الصِّناعـات والحِـرَف الفلسـطينية مُهمّـــةً صعبـةً للغايـة.

ورغـم محـاولات السـلطة الوطنيـة الفلسـطينية الاهتمـام بهـذا القطـاع في العقديـن الأخيريـن، إلّا أنّ غيـاب تراكميّـة التطـور عن الصِّناعـات والحِرَف في فلسـطين

جعل من الصّعب الحصول على بياناتٍ شاملةٍ وخاصّةُ في ظلّ حالات الإغلاق في زمن وباء ((Coved 19))، الذي أخّر، بل عطّل دَورانَ عجلِ الصِّناعات والحِرَف، وجميع مناحي الحياة.

ونتيجة لما ذُكر، يوصي الباحث بما يلي:

1. إعداد تسجيل لجميع الصِّناعات والحِرَف بأنواعها.
2. عمل إطارٍ نقابيّ للحِرَف بحيث يكون للصِّناعات.
3. إيجاد بيئة عمل مناسبة ترعاها الحكومة، وتشغيل أيدٍ عاملة مُدربةٍ، وعدم الاقتصار على الإطار الأُسريّ.
4. فتح آفاق تسويق خارجية لتسويق المنتجات الصِّناعيّة والحرَفيّة.
5. إعطاء امتيازاتٍ ضريبيةٍ خاصّةٍ لأصحاب الحِرَف.

ولعمل ما ذُكر يقتضي دعماً حكوميّاً رسميّاً؛ لأنّ الصِّناعات والحِرَف ليست أساس التنمية فقط، بل هي الماضي والحاضر والمستقبل من خلال حفاظها على الهُوية الوطنية.

المصادر والمراجع:

(1) الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، ج1، 2003م:16.

(2) الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين،ج1، 2003م:17.

(3) الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، رام الله، فلسطين،2017م.

(4) عواد، عبد الحافظ، الجغرافيا الإقليمية لمحافظة الخليل، 1997م: 23.

(5) نصر الله، عبد الفتاح، وعواد طاهر، واقع القطاع الصناعي في فلسطين،2004م:9.

(6) السابق نفسه:7.

(7) سورة الرحمن، آية 14-15.

(8) ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، 1984م:399.

(9) حجة، حيدر رمضان حسين، الطاقات المعطلة والمستلبة في قطاع الصناعات التحويلية وتأثيرها على التنمية الاقتصادية في فلسطين، رسالة ماجستير، جامعة القدس، فلسطين،2016م:12.

(10) السابق نفسه:8.

(11) السابق نفسه:8.

(12) فيكتور، سحاب، الحياة الشعبية في فلسطين، المجلد الرابع، 1990م: 689.

(13) الجندي، إبراهيم رضوان، سياسة الانتداب البريطاني الاقتصادية 1922، 1986م: 25.

(14) حجة، حيدر رمضان حسين، الطاقات المعطلة والمستلبة في قطاع الصناعات التحويلية وتأثيرها على التنمية الاقتصادية في فلسطين، رسالة ماجستير، جامعة القدس، فلسطين،2016م:52.

(15) السفري، عيسى، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية،1981م:143.

(16) حجة، حيدر رمضان حسين، الطاقات المعطلة والمستلبة في قطاع الصناعات التحويلية وتأثيرها على التنمية الاقتصادية في فلسطين، رسالة ماجستير، جامعة القدس، فلسطين،2016م:53.

(17) الجندي، إبراهيم رضوان، سياسة الانتداب البريطاني الاقتصادية(1922-1935م)، 1986م:37.

(18) الجندي، إبراهيم رضوان، سياسة الانتداب البريطاني الاقتصادية(1922-1935م)، 1986م: 18.

(19) http—info.wafa.ps

(20) نصر الله، عبد الفتاح وطاهر، عواد، واقع القطاع الصِّناعيّ في فلسطين،2004م:12 و حجة، حيدررمضان، الطاقات المعطلة والمستلبة في قطاع الصِّناعات التحويلية وتأثيرها على التنمية الاقتصادية في فلسطين، رسالة ماجستير، جامعة القدس، فلسطين، 2016م:55.

(21) حجة، حيدر رمضان حسين، الطاقات المعطلة والمستلبة في قطاع الصِّناعات التحويلية وتأثيرها على التنمية الاقتصادية في فلسطين، رسالة ماجستير، جامعة القدس، فلسطين2016م:56.

(22) حجة، حيدر رمضان حسين، الطاقات المعطلة والمستلبة في قطاع الصناعات التحويلية وتأثيرها على التنمية الاقتصادية في فلسطين، رسالة ماجستير، جامعة القدس، فلسطين، 2016م:56.

(23) نصر الله، عبد الفتاح وطاهر، عواد، واقع القطاع الصّناعيّ في فلسطين،20014م:2.

(24) أحمد، عوض الله محمد،ضعف القطاعات الإنتاجية الفلسطينية وأثرها على الصّادرات، رسالة ماجستير، جامعة الازهر، غزة، فلسطين، 2017م: 40.

(25) السابق نفسه:41.

(26) أحمد، عوض الله محمد، ضعف القطاعات الإنتاجية الفلسطينية وأثرها على الصّادرات، رسالة ماجستير، جامعة الازهر، غزة، فلسطين، 2017م:41.

(27) السابق نفسه: 45.

(28) الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، أداء الاقتصاديّ الفلسطينيّ عام 2019م، والتنبؤات الاقتصادية للعام 2020م،2011م:21.

(29) فيلكير، قطاعات الاقتصاد الفلسطيني،2018م:2.

(30) الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، أداء الاقتصاديّ الفلسطينيّ عام 2019م، والتنبؤات الاقتصادية للعام 2020م،2019م:37.

(31) السابق نفسه:3.

(32) مركز الإحصاء، تقرير نيسان،2020م.

(33) نصر الله، عبد الفتاح وطاهر، عواد، واقع القطاع الصِّناعيّ في فلسطين، 2004م:3.

(34) الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، أداء الاقتصاد الفلسطيني، 2011م: 32، نصر الله، عبد الفتاح وطاهر، عواد، واقع القطاع الصِّناعيّ في فلسطين، وزارة الاقتصاد الوطني، فلسطين،2004م: 15.

(35) الجهاز المركزي، 2011م: 32، نصر الله، عبد الفتاح وطاهر، عواد، واقع القطاع الصّناعيّ في فلسطين، (2004م):14.

(36) المؤتمر العلمي الفني الفلسطيني الأول، الحرف اليدوية الشّعبية الفلسطينية، 2009م: 8.

(37) السابق نفسه:9.

(38) الموسوعة، الحرف اليدوية، 2020م:1.

(39) فيكتور، سحاب، الحياة الشّعبية في فلسطين، المجلد الرابع،1990م: 683.

(40) السابق نفسه: 688.

(41) فيكتور، سحاب، الحياة الشّعبية في فلسطين، المجلد الرابع،1990م: 684.

(42) السابق نفسه: 684.

(43) السابق نفسه:683.

(44) 44Takafasa: 2007: 3

(45) حامد، مهند، الصناعات التراثية في الأراضي الفلسطينية فرص وآفاق الاستثمار للصناعات متناهية الصّغر والصّغيرة والمتوسّطة، 2011م:15.

(46) حامد، مهند، الصِّناعات التراثية في الأراضي الفلسطينية فرص وآفاق الاستثمار للصِّناعات متناهية الصّغر والصّغيرة والمتوسّطة،2011م:11

(47) فيكتور، سحاب، الحياة الشّعبية في فلسطين، المجلد الرابع،1990م:683.

(48) حامد، مهند، الصِّناعات التراثية في الأراضي الفلسطينية فرص وآفاق الاستثمار للصناعات متناهية الصغر والصغيرة والمتوسطة،2011م:32.

(49) السابق نفسه:685.

(50) فيكتور، سحاب، الحياة الشّعبية في فلسطين، المجلد الرابع،1990م:684.

(51) السابق نفسه: 684.

(52) حامد، مهند، الصناعات التراثية في الأراضي الفلسطينية فرص وآفاق الاستثمار للصِّناعات متناهية الصغر والصغيرة والمتوسطة،2011م: 52.

(53) فكتور، سحاب، الحياة الشّعبية في فلسطين، المجلد الرابع، 1990م: 689.

(54) بدر، نضال جبريل كاتبة، الحارات العتيقة في مدينة الخليل العريقة (1967-1986م)،2018م:221.

(55) السابق نفسه: 219.

(56) ماس، 2006م: 71.

(57) فيكتور، سحاب، الحياة الشّعبية في فلسطين، المجلد الرابع، 1990م: 688.

(58) المؤتمر العلمي الفني الفلسطيني الأول، الحِرَف اليدوية الشّعبية الفلسطينية، مركز المعلومات الوطني الفلسطيني- وفا-، رام الله، فلسطين، 2009م:2.

(59) الجندي، إبراهيم رضوان، الصِّناعة في فلسطين إبان الانتداب البريطانيّ، 1986م: 13.

(60) السابق نفسه: 17.

(61) صبيح، ماجد وآخرون، الاقتصاد الفلسطينيّ،2008م:49.

(62) السابق نفسه:50.

(63) عيطاني، نصر، مدى جذب المناطق الصّناعية للاستثمار،2018م:6.

قائمة المصادر والمراجع

الكتب والمراجع:

(1) القرآن الكريم

(2) بدر، نضال جبريل كاتبة، الحارات العتيقة في مدينة الخليل العريقة(1967-1987م)،(د.ن)، الخليل، 2018م.

(3) الجندي، إبراهيم رضوان، سياسة الانتداب البريطاني الاقتصادية(1922-1935م)، منشورات دار الكرمل، صامد، 1986م.

(4) الجندي، إبراهيم رضوان، الصّناعة في فلسطين إبان الانتداب البريطانيّ، منشورات عمّان، دار الكرمل، صامد،1986م.

(5) الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، الطبعة الجديدة،ج1، دار الهدى م.ض، كفر قرع (2003م/2002م).

(6) ابن خلدون، عبد الرحمن، مقدمة ابن خلدون، دار القلم، بيروت، لبنان، 1984م.

(7) السفري، عيسى، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية، منشورات صلاح الدين-القدس، 1981م.

(8) صبيح، ماجد وآخرون، الاقتصاد الفلسطيني، جامعة القدس المفتوحة – فلسطين،2008م.

(9) عواد، عبد الحافظ، الجغرافيا الإقليمية لمحافظة الخليل، ط1، مطبعة زلوم، الخليل،1997م.

(10) فيكتور، سحاب، الحياة الشعبية في فلسطين، المجلد الرابع، 1990م.

الرســـائل الجامعيـّة:

-1أحمد، عوض الله محمد، ضعف القطاعات الإنتاجية الفلسطينية وأثرها على الصّادرات، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، غزة، فلسطين، 2017م.

-2حجة، حيدر رمضان حسين، الطاقات المعطلة والمستلبة في قطاع الصِّناعات التحويلية وتأثيرها على التنمية الاقتصادية في فلسطين، رسالة ماجستير، جامعة القدس، فلسطين، 2016م.

الدراسات والأبحاث:

1. عبد الفتاح نصر الله وعواد طاهر، واقع القطاع الصِّناعيّ في فلسطين، وزارة الاقتصاد الوطنيّ، فلسطين،2004م.

التقارير:

(1) الجهاز المركزيّ للإحصاء الفلسطينيّ، أداء الاقتصاد الفلسطينيّ، رام الله، فلسطين، 2011م.

(2) الجهاز المركزيّ للإحصاء الفلسطينيّ، سلطة النقد، أداء الاقتصادي الفلسطينيّ عام 2019م، والتنبؤات الاقتصادية للعام 2020م، رام الله فلسطين، 2019م.

(3) الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطينيّ، مسح القوى العاملة، آذار2019م، رام الله، فلسطين، 2019م.

(4) حامد، مهند، الصِّناعات التراثية في الأراضي الفلسطينية فرص وآفاق الاستثمار للصِّناعات متناهية الصِّغر والصّغيرة والمتوسّطة، معهد الأبحاث السياسية والاقتصادية(ماس) رام الله، فلسطين، 2011م.

(5) الخالدي، رجا، وآخرون، تنافسية القطاع الخاص الفلسطيني: تحليل من منظور اقتصادي سياسي، معهد أبحاث السياسات الاقتصادية (ماس)، رام الله، فلسطين، 2017م.

(6) عيطاني، نصر، مدى جذب المناطق الصِّناعية للاستثمار، معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطينيّ، ماس، رام الله، فلسطين، 2018م.

المؤتـمرات العلميـّـــة:

-1 المؤتمر العلميّ الفنيّ الفلسطينيّ الأول، الحِـرَف اليدوية الشّعبية الفلسطينية، مركز المعلومات الوطنيّ الفلسطيني- وفا-، رام الله، فلسطين، 2009م.

المواقع الإلكترونيـــــّـة:

(1) http—info.wafa.ps

(2) takafasa: 2007

(3) فلكير، قطاعات الاقتصاد الفلسطيني

الوجود الهولندي في البحر الأحمر
(1602 – 1815م)

د.عادل علي وداعة عثمان

أ.مشارك –قسم الجغرافيا والتاريخ-كلية التربية-

جامعة سنار

المستخلص :

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على الوجود الهولندي في منطقة البحر الأحمر والقرن الإفريقي والتي يرجع تاريخها إلى القرون الوسطى إبان الحروب الصليبية التي اندلعت في منطقة الشرق الأوسط في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، واشترك فيها جنود ورجال دين من هولندا. وبذلك عرفت هولندا طريقها إلى البحر الأحمر واكتشفت أهميته الاستراتيجية وقيمته التجارية، وتزايدت أهمية البحر الأحمر إبان الصراع الدولي الأوربي حوله وذلك في إطار حركة الكشوف الجغرافية، وخاصة البرتغال رائدة حركة الكشوف الجغرافية والتي أولت اهتمامها بسواحل القارة الإفريقية. ويعتبر عام 1498م عاماً حاسماً في تاريخ منطقة القرن الإفريقي وساحل البحر الأحمر باكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح على يد فاسكو دي جاما، ومن ثم الوصول إلى سواحل البحر الأحمر من الناحية الجنوبية. وبداية السيطرة البرتغالية على مداخل وموانئ البحر الأحمر، وبعدما تحطمت قوة البرتغال وتقلص دورها في إفريقيا بدأت هولندا في وراثتها فانطلقت حملاتها الجادة نحوها، وتأسست شركة الهند الشرقية الهولندية في عام 1602م والتي على عاتقها اكتمل النفوذ الهولندي على ساحل البحر الأحمر والقرن الإفريقي الذي استمر حتى عام 1738م. وتكمن أهمية هذه الدراسة في تناولها وإبرازها لأهمية البحر الأحمر كحلقة وصل بين الشرق والغرب، والمميزات الاقتصادية والتجارية والجغرافية له قديماً وحديثاً مما جعله موضعاً للصراع الدولي، ومجالاً حيوياً للهيمنة عليه، واتبعت الدراسة منهج البحث التاريخي والوصفي لإبراز الحقائق التاريخية والأحداث التي وقعت في تلك الفترة وتوثيقها، ومن أهم النتائج التي توصلت لها هذه الدراسة هيمنة هولندا على الموانئ الواقعة على ساحل البحر الأحمر والقرن الإفريقي عبر شركة الهند الشرقية الهولندية تلك الهيمنة التي استمرت حتى عام 1794م وبالتالي أصبحت هولندا هي المتحكمة في طرق الملاحة والتجارة الدولية الرابطة بين غرب أوربا والشرق الأقصى، وتوصي الدراسة بالاهتمام بهذه المنطقة وتسليط الضوء البحثي حولها لأهميتها الاستراتيجية.

Abstract:

This study aims to explore and ensure the Dutch existence in the red sea Area، and in the African Horn in the Middle Centuries during the Crusades which broke up in the Middle East in the eleventh and twelfth centuries. A number of soldiers and religious men from Holland were Participants in those wars. Thus Holland found way to the red sea and discovered its strategic importance and commercial value. The importance of the red sea developed during the international European conflict towards it regarding geographical discoveries، of which Portugal was Particularly the pioneer. Portugal gave priority to the coasts of the African Continent. Year 1498 – AC was crucial in the history of the African Horn according to the discovery of the way to the Cape of good Hope by Vasco De Jama ، then the access to the red sea from the southern direction which helped a start of a Portuguese domination over the ports and entries of the red sea. After the damage of the Portuguese power and the decrease of its role in Africa، Holland began to take place، and their actual expedition set out to Africa، and the Dutch Company of Eastern India was established in 1602 AC.This study is significant for that it tackles and highlights the importance of the red sea as a link between the East and the West، and that its economic، commercial and geographical characteristics have made it-in the past and nowadays – a locus of international conflict، and vital target to take hold of it، and to take control of its port. This study adopted a historical descriptive method of research to show out and document the historical facts and the events at that time. The most important findings show that the domination of Holland over the ports at the red sea Coasts and the African Horn was supported through the Dutch Company of Eastern India، and this domination continued until 1794 AC. So، Holland Took control of the ways for navigation and trading which connected Western Europe and the far East. the study recommends throwing light upon this area for more research because of its strategic and commercial importance.

مقدمة :

أطلق الجغرافيون القدامى من إغريق ورومان على البحر الأحمر أسماء عدة، فالمؤرخ الإغريقي اغاثار خيدس أشار إلى أن كلمة ارتريان (ارتريا الحالية) والتي كانت يوماً ما اسماً للبحر الأحمر تعني في اللغة الفارسية بحر الملك الأحمر [1]. ومن الأسماء التي أطلقت على البحر الأحمر بحر القُلزم نسبة لمدينة القُلزم المصرية، وبحر القرما وهي ميناء مصري قديم يقع على الطرف الشمالي للبحر الأحمر، وسماه ابن جبير بالبحر الفرعوني، وعرف أيضاً عند بعض الجغرافيين ببحر عيذاب، وبحر الحجاز، وبحر إيلة، والملاحظ أن هذه الأسماء اعتمدت على المدن الساحلية التي تطل على البحر الأحمر، وأما تسميته بالبحر الأحمر نسبة لوجود نسبة كبيرة من الطحالب التي يميل لونها إلى الأحمر نتيجة لعملية التمثيل الضوئي النشطة بفضل المادة المكونة لأنسجتها وهذه الطحالب عادة تكون قريبة من سطح البحر فينعكس لونها على مياهه[2]. ويمتد البحر الأحمر طولياً ما بين السويس الواقعة في أقصى شماله، وباب المندب الواقع في أقصى جنوبه، وكلتاهما تمثلا خانقاً قابضاً يحصر مياه البحر الأحمر طبيعياً ويحاصره جغرافياً ويتحكم فيه وبالتالي يحوله إلى بحيرة مستطيلة مغلقة، وبهذا الموقع الجغرافي المحكم يتصل البحر الأحمر من ناحية الشمال بخليج السويس وخليج العقبة، كما يتصل من ناحية الجنوب بخليج عدن والمحيط الهندي ويضم على سواحله ثماني دول أربع في الساحل الإفريقي من الشمال إلى الجنوب مصر والسودان وارتريا وجيبوتي وأربع على الساحل الآسيوي فلسطين والأردن والمملكة العربية السعودية واليمن[3]. ويقول الجيولوجيون عن طبيعة تكوين البحر الأحمر إنها جاءت نتيجة لانفصال شبه الجزيرة العربية عن القارة الإفريقية في الحقبة الايوسينية ، ومن خلال عمليات جيولوجية بدأت منذ حوالي عشرين مليون سنة، ونتج عنها نظام من التصدعات الهائلة في القشرة الأرضية. ويعد البحر الأحمر بما في ذلك خليج عدن وخليج العقبة جزءاً من هذا النظام الواسع، فيما يعد البحر الأحمر استمراراً للأخدود الجيولوجي العظيم والذي يمتد شمالاً وجنوباً على طول وادي الأردن والبحر الميت ثم وادي عربة إلى خليج العقبة عند رأس البحر الأحمر ليتصل الشق السوري – الفلسطيني بالصدع الارتري المتسع والذي يضم خليج السويس الضحل ثم البحر الأحمر العميق،

إلى أن يصل إلى باب المندب ليتصل بأخاديد شرق إفريفيا، وتبلغ مساحة البحر الأحمر حوالي مائة وثمانية وسبعين ألف ميل مربع، ويمتد بين خطي عرض 12° إلى 36° شمال خط الاستواء، ويبلغ طول البحر الأحمر من باب المندب جنوباً إلى خليج السويس شمالاً حوالي ألف وثلاثمائة وثمانين ميلاً ، ويختلف عرض البحر الأحمر من منطقة لأخرى لكن متوسطه يبلغ حوالي مائة وسبعين ميلاً[4].وقديماً أدرك البشر الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر، والمميزات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية له، فمنذ أربعة آلاف سنة تقريباً وربما خلال الألف الثانية قبل الميلاد اكتشف الفراعنة هذه الأهمية عبر أسطول الملكة حتشبسوت والذي كانت وجهته بلاد بونت (الصومال) ، كما كان للفينيقيين في عصور ما قبل التاريخ رحلاتهم البحرية لاكتشاف الشواطئ الإفريقية، ومن خلال هذه المحاولات الفرعونية والفينيقية لتحديد مسالك الملاحة البحرية في البحر الأحمر كان الهدف الاقتصادي والسياسي ماثلاً ومحدداً في عقول أولئك الذين قاموا بهذه المحاولات في بحار مظلمة ومجهولة [5]. ويذكر أيضاً أن الأهمية التجارية للبحر الأحمر كانت واضحة وبينة فقد كانت وظيفته الأولى خدمة تجارة المنطقة التي تحيط به إذ كان عدد سكان العالم محدوداً ، وكانت احتياجاتهم محدودة أيضاً ، فقد أبحر الفراعنة في مياه البحر الأحمر قاصدين جنوب شبه الجزيرة العربية وبلاد بونت باحثين عن البخور والتوابل، ويقال أن أولى الحملات العسكرية التي قام بها الفراعنة تمت بين عامي 1980 ق.م و 1935 ق.م [6] ومع تطور الأحداث التاريخية وتسارعها ظهرت في الأفق قوى سياسية جديدة وقتئذ باحثة عن السيطرة والنفوذ على المناطق الاستراتيجية في العالم، كانت هذه القوى السياسية الجديدة هي الامبراطوريات الأوربية الناشئة المتطلعة إلى بسط نفوذها وسيادتها على الطرق التجارية، وتعتبر تلك الفترة فترة حاسمة في تاريخ الشعوب المطلة على ساحل البحر الأحمر والمحيط الهندي فقد كانت لرحلة بارثلميو دياز * في عام 1487م أثرها الفعال في تمهيد الطريق أمام البرتغاليين للانطلاق نحو الشرق، وعلى الرغم من وصول البرتغاليين إلى المحيط الهندي وسواحل شرق إفريقيا، فإنهم ظلوا ينهلون من ثقافة المسلمين الملاحية، وخير دليل على ذلك تلك الخريطة التي أرسلها فاسكو دي جاما في عام 1512م وهي لملاح من الشرق موضحاً عليها رأس الرجاء الصالح والبحر الأحمر والمسالك الملاحية إلى الصين وجزر فور موزا [7].وباكتشاف طريق رأس

الرجاء الصالح كرابط بين الشرق والغرب وحرص البرتغاليين على حرمان المسلمين من مزاياه الاقتصادية سهل عليهم بسط نفوذهم على المسلمين.

الجذور التاريخية للوجود الأوربي في شرق إفريقيا وساحل البحر الأحمر :

افتتح البرتغاليون الاستعمار الأوربي الحديث للقارة الإفريقية باحتلالهم قلعة سبتة في المغرب عام 1415م ولقد سبق البرتغاليون غيرهم من الدول الأوربية لعدة أسباب منها أن البرتغال استكملت وحدتها واستقلالها في القرن الثالث عشر الميلادي بالإضافة إلى طغيان الحماس الديني للقضاء على المسلمين في الغرب، واهتمام ملك البرتغال يوحنا بهذه العملية، وساعدت العوامل الجغرافية كقرب البرتغال للساحل الإفريقي على هذه النزعة التوسعية، وقد أدركت البرتغال أن الدويلات الإسلامية في شرق إفريقيا تعتمد على تجارة التوابل في اقتصادها فزاد حماسها لاحتكار تلك التجارة في الساحل الإفريقي، ويقضون بذلك على الأرباح الكبيرة التي كانت تحصل عليها الدويلات الإسلامية [8].

وحاول البرتغاليون الابتعاد عن ساحل شبه الجزيرة العربية ومنافذ البحر الأحمر، وكانت سفنهم تحرص على الابتعاد عن تلك السواحل قدر الإمكان، ولعل البرتغاليين قد وجدوا أن السيطرة على مياه المحيط الهندي كفيلة في تحقيق أهدافهم وإخفاء نواياهم الحقيقية، ولم يرغب البرتغاليون في إظهار نواياهم الاستعمارية تجاه المسلمين فلم يتعرضوا لسفنهم المحملة بالبضائع أثناء رحلاتها التجارية بين الهند ومصر ، وركز البرتغاليون في تلك الفترة على زيادة أسطولهم وانتشاره في مياه المحيط الهندي لدعم سيادتهم في شرق إفريقيا أملاً في احتلال بعض المواقع الاستراتيجية لسد منافذ البحر الأحمر [9].

بارثلميودياز: ملاح برتغالي ولد في عام 1450م ، قام في سنة 1486م برحلة على امتداد ساحل إفريقيا الغربي ثم هبت عاصفة أبعدت سفنه عن الساحل فاكتشف رأس العواصف والذي أطلق عليه رأس الرجاء الصالح – توفي في مايو 1500م.ومع بداية السيطرة البرتغالية على المحيط الهندي وداخل الخليج والبحر الأحمر كان الخطر على الأماكن المقدسة قد أصبح واضحاً للجميع، ويظهر ذلك من خلال رسالة ملك البرتغال عمانويل في عام 1555م للبابا بوليوس الثاني حينما طلب منه البابا إيقاف الحملات العسكرية حتى تتحسن علاقات دول البحر الأبيض المتوسط مع دولة المماليك في مصر، فكان

رد الملك عمانويل أنه ليس عازماً على المضي في قفل التجارة المملوكية فقط بل أنه سيجاهد في سبيل نشر المسيحية حتى يجعل من مكة هدفاً لمدافعه وجنوده [10].

وتصدى العرب والإفريقيون للاستعمار البرتغالي في سواحل شرق إفريقيا ووجدوا المساندة والعون من سلطان عمان حيث تم وضع الأساس لحكم عربي امتد على جزء كبير من شرق إفريقيا، وقد تحرر العمانيون من السيطرة البرتغالية في الخليج العربي منذ عام 1650م وتم طرد البرتغاليين نهائياً من مسقط في عام 1658م، وقد شجع ذلك الانتصار سكان ساحل شرق إفريقيا على أن يطلبوا مساعدة العرب، وحاول البرتغاليون منع أي اتصال بينهم وبين سكان شرق إفريقيا ولكن محاولاتهم باءت بالفشل، وأخذ التغلغل العماني في تزايد ووضع نهاية كاملة على التفوق البرتغالي في ساحل شرق إفريقيا والبحر الأحمر [11].

انطلاق هولندا للسيطرة على شرق إفريفيا والبحر الأحمر :

وبعدما تحطمت قوة البرتغال على أيدي أسبانيا، بدأت هولندا في الانقضاض على أملاك البرتغال في أنحاء العالم حتى تقلصت أملاكها ففي إفريقيا انحسر دورها في ساحل الذهب وجزيرة موريشيوس [12]. وتعد هولندا من الدول البحرية المهمة في القارة الأوربية فهي تقع في نهاية الشريان الملاحي المهم الذي يمثله نهر الراين، وأدت موانئها (امستردام ونتردام) دورها في النشاط البحري لكن الهولنديين تأخروا في ميدان التجارة الشرقية عن طريق رأس الرجاء الصالح لأن هولندا كانت تابعة للتاج الأسباني وأخذ الهولنديون يحصلون على احتياجاتهم من السلع الشرقية من الأسواق البرتغالية ففي عام 1594م تمرد الهولنديون على الأسبان وأعلنوا استقلالهم وقامت أسبانيا بإغلاق الأسواق البرتغالية في وجه الهولنديين الأمر الذي دفعهم إلى الاتجاه نحو الشرق عبر رأس الرجاء الصالح، وأسست شركة للاتجار مع الشرق هي شركة فانفير التي أرسلت أول رحلة لها بقيادة هوتمان في عام 1595م. إن النشاط الاقتصادي للشعوب الأوربية والاسكندنافية شكل محور علاقاتهم الخارجية وكانت الملاحة والتجارة يؤلفان نشاطاً اقتصادياً اساسياً مهماً، فكان الملاحون يطوفون بسفنهم حول العالم وعلى هذا النحو تشكلت العلاقات الخارجية للشعوب الاسكندنافية مع الشرق البيزنطي والإسلامي الذي تصعد منتجاته مع نهر

الفولجا والدنيير وبلغ شواطئ البالطيك، ويتميز تاريخ الشعوب الاسكندنافية بكثرة حملاتها البحرية فقد كانت الملاحة والتجارة الخارجية تشكلان نشاطاً اقتصادياً لسكان الشواطئ في اسكندنافية وكانت للحروب الدينية التي حدثت في أوربا في القرن السابع عشر الميلادي خيراً على هولندا حيث كانت خاضعة للسيطرة الأسبانية، ولكن بعد انتهاء حرب الثلاثين عاماً 1618م إلى 1648م. وهي حرب أهلية لكنها اتسعت لتشمل عدداً من دول أوربا مثل الدنمارك والسويد وفرنسا إلى جانب ألمانيا التي كانت مسرحاً للعمليات واتخذت هذه الحرب الطابع الديني ولكن سرعان ما اتضحت الأهداف السياسية لكل دولة، وإسبرام صلح وستفاليا عام 1648م، حرب الثلاثين: هي حرب قامت في الفترة 1618-1648م وحدثت وقائعها في أرض ألمانيا واشتركت في هذه الحرب معظم القوى الأوربية الموجودة في ذلك العصر، واندلعت الحرب بسبب ديني بين الكاثوليك والبروتستانت ولكن التنافس السياسي زاد من أوارها. وقد صاحبت هذه الحرب أوبئة ومجاعات كانت نتائجها مدمرة ومهلكة. صلح وستفاليا:معاهدة أبرمت في شمال ألمانيا في 30يناير 1648م أنهت حرب الثلاثين عاماً ووقعها مندوبون عن الامبراطورية الرومانية وفرنسا والسويد والإمارات البروتستانتية التابعة للامبراطورية الرومانية .

حصلت هولندا على استقلالها واتجهت نحو تجارة التوابل مع الشرق الأقصى وبدأت التجارة تتحول إلى هولندا بعدما كانت في لشبونة، ويقول بعض المؤرخين أن القرن السابع عشر الميلادي هو قرن هولندا الاستعماري لأن هولندا بعد أن كانت خاضعة لأسبانيا وبلجيكا هب الشعب الهولندي واستطاع الحصول على الاستقلال وبداية صفحة استعمارية في عام 1595م ونجح الهولنديون في أخذ مواقع لهم على الساحل الإفريقي ومن ثم الوصول إلى سواحل الهند الشرقية، وتأسيس عدد من الشركات الهولندية هناك وتأسست شركة الهند الشرقية في عام 1602م وكان تأسيسها بداية لبسط النفوذ الهولندي على مناطق كثيرة فيما وراء البحار ومنحت الحكومة الهولندية الشركة امتيازات كبيرة فيما يتعلق بالملاحة والتجارة في المحيط الهندي وساحل البحر الأحمر واخذت الشركة بتسيير سفنها إلى جنوب شرقي آسيا عبر طريق رأس الرجاء الصالح، وفي عام 1648م غرقت إحدى سفن الشركة في خليج تيبل قرب مدينة الكيب فأقام بحارتها في المنطقة أكثر من عام، وعندما عاد هؤلاء التجار إلى

هولندا صوروا ذلك الموقع وظروف الحياة فيه تصويراً بلغ حماسته أن قررت الشركة أن تقيم فيه موقعاً دائماً فأرسلت بعثة من ثلاثة سفن بقيادة فان ريبيك بإنشاء محطة لتمويل السفن وكانت هذه البداية للاستعمار الهولندي لجنوب إفريقيا والذي استمر ما يقارب المائة وخمسين عاماً [17].

وحلت هولندا محل الدول الأوربية الكبرى في التجارة الشرقية، وخاصة في السواحل الإفريقية والشرق الأقصى، وبحلول منتصف القرن السابع عشر الميلادي كانت هولندا هي الدولة الأوربية المستفيدة من المستعمرات الأسبانية والتجارة البرتغالية، ولهذا كانت أغنى دولة في أوربا في عهد الإمبراطور شارل الخامس، ولما شنت هولندا الحرب على فيلب الثاني وأحفاده كانت النتيجة هي المنتصرة، ومنذ عام 1593م بدأت هولندا بتجارة الرقيق في ساحل غينيا في إفريقيا الغربية. وفي عام 1595م بدأت أول حملة هولندية إلى الهند وجزر الهند الشرقية، وبعده تأسست شركة الهند الشرقية الهولندية، وتمكنت من طرد البرتغاليين من جزر سيلان وجاوا وسومطرة وملاقا وبالانتصار الذي أحرزه الأسطول الهولندي أمام الأسطول البرتغالي الأسباني في عام 1606م، وانهزام أسبانيا في جبل طارق أمام الأسطول الهولندي في عام 1607م، كان له الأثر الكبير في سيطرة هولندا على البحار والطرق التجارية [18].

والواقع أن العلاقات بين هولندا وبلاد الشرق ترجع جذورها التاريخية إلى القرون الوسطى، فقد قام الحجاج منذ تلك الفترة بالسفر إلى فلسطين، وقد اشترك في الحروب الصليبية فرسان هولنديون جنود ورجال دين وبذلك عرفت هولندا طريقها إلى ذلك الجزء من العالم العربي عبر الأحمر [19]. وفي خلال العصور الوسطى تعرض الشرق الإسلامي لأخطار خارجية ففي القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، اجتاح الصليبيون الوطن العربي وهاجموا خطوط التجارة العربية وقوافل الحجيج إلى الأرض المقدسة، وتمركز أسطولهم في البحر الأحمر وهاجموا الشعوب الواقعة على شاطئيه، ثم نقلوا خطوط التجارة الشمالية إلى جنوب البحر الأحمر حيث كانت هجماتهم ضد العرب منطلقة من دوافع سياسية وأهداف اقتصادية أكثر من كونها دينية، ومن هنا كانت رغبة الصليبيين في احتلال مصر حتى يتسنى لهم السيطرة على البحر الأحمر ومنافذه [20].

شركة الهند الشرقية الهولندية: هي شركة هولندية تأسست على غرار شركة الهند البريطانية في عام 1602م فقد اجتمع كبار التجار الهولنديين بامستردام في عام 1592م وقرروا ضرورة إنشاء شركة للتجارة مع الهند ومنذ ذلك الحين أخذت هولندا تتطلع إلى الشرق، وفي20 مارس 1602م صدر مرسوم من الحكومة الهولندية بتأسيس الشركة والتي بمقتضاه كان للشركة حق عقد

المعاهـدات مـع حـكام الـشرق واحتـكار التجـارة وبنـاء القـلاع وتعيـين الحـكام في المواقـع التابعـة لهـا باسـم الحكومـة الهولنديـة. وعـلى عاتـق الشركـة تـم التوسـع الاسـتعماري الهولنـدي. ويعـود تاريـخ أولى البعثـات الهولنديـة التجاريـة إلى جنـوب شـبه الجزيـرة العربيـة إلى عـام 1614م عندمـا توجـه بيـتر فـان دن بروكـة وهـو أحـد أهـم رجـالات الشركـة الهنديـة الهولنديـة في آسـيا مـع عـدد قليـل مـن السـفن للاطـلاع عـلى الأوضـاع في كل مـن شـمال غـرب الهنـد وجنـوب شـبه الجزيـرة العربيـة، ومنـع مـن القيـام بـأي عمـل تجـاري في كل مـن عـدن وبـاب المنـدب خوفـاً مـن الاصطـدام مـع السـلطات التركيـة التـي لـم تكـن ترغـب في السـماح بدخـول الهولنديـين في الـصراع حـول مداخـل البحـر الأحمـر [21].وكانـت اليمـن تشـكل بعـداً اسـتراتيجياً مهمـاً في المنطقـة، وتعتـبر مفتـاح البحـر الأحمـر وكانـت السـيطرة العثمانيـة عليهـا في بدايـة الأمـر ضعيفـة بسـبب الصراعـات الداخليـة إلى جانـب نفـوذ الإمامـة الزيديـة بـين قبائـل الجبـال، فضـلاً عـن الخطـر البرتغـالي الـذي كان يهـدد السـواحل اليمنيـة ممـا دفـع السـلطان العثمانـي إلى ارسـال قـوة بحريـة إلا أنهـا فشـلت في المهمـة، ثـم ارسـل السـلطان العثمانـي قـوة اخـرى كان هدفهـا احتـلال اليمـن وبخاصـة عـدن ثـم إغـلاق مضيـق بـاب المنـدب أمـام السـفن البرتغاليـة، ودخـل العثمانيـون عـدن، وظلـت اليمـن في فـترة خضوعهـا للحكـم العثمانـي 1538-1635م تتنازعهـا قـوى العثمانيـين والائمـة الزيديـة، واسـتفاد العثمانيـون مـن وجودهـم في اليمـن فقامـوا بحمـلات بحريـة لتخفيـف الضغـط البرتغـالي والهولنـدي عـلى المنطقـة [22]. وعـلى الرغـم مـن ذلـك اسـتمرت محـاولات الهولنديـين ولمـدة طويلـة مـن أجـل الوصـول إلى حالـة مـن التبـادل التجـاري مـع جنـوب شـبه الجزيـرة العربيـة، ولكـن دون نجـاح يذكـر، فحـاول الهولنديـون في بدايـة الامـر تصديـر المنتجـات الاسـيوية إلى اليمـن ولكنهـم وجـدوا منافسـة عنيفـة مـن مسـلمي غـرب الهنـد، وحـاول الهولنديـون الابقـاء عـلى مركزهـم التجـاري في اليمـن ولكنهـم اضطـروا في عـام 1739م إلى إلغائـه نهائيـاً ومـع ذلـك اسـتمر ارسـال السـفن إلى الموانـئ اليمنيـة المطلـة عـلى البحـر الأحمـر عـلى مـدى عشريـن سـنة أخـرى. ولـم يجـذب الجـزء المتبقـي مـن الشـاطئ العربـي للبحـر الأحمـر إلا اهتمامـاً هولنديـاً ضعيفـاً، فقـد منـع العثمانيـون الأتـراك أي قـوة مـن الابحـار في البحـر الأحمـر، وابـدى الهولنديـون في بعـض الاوقـات اهتمامـات مـن أجـل المنتجـات القادمـة مـن شرق آسـيا كانـت تصـدر إلى بلـدان البحـر الأبيـض المتوسـط عـبر

موانئ جدة والسويس، وفي سنة 1665م كان القنصل الهولندي في مصر قد بدأ بممارسة التجارة عبر البحر الأحمر ولكنها انتهت إلى إفلاس، وفي سنة 1729م وجه حاكم جدة دعوة إلى الهولنديين من أجل إرسال سفنهم إلى جدة ، فأرسلت شركة الهند الشرقية الهولندية بعثتين تجاريتين إلى جدة في عامي 1752 1551-م ولكن البعثتين لم تصلا إلى نتائج تذكر فقد اكتشف قادة البعثات أن سفن القطاع الخاص الهولندي قد سبقتهم إلى البحر الأحمر [23].

لقد كانت التجارة هي سبب ثروة مدن إفريقيا وأساس التطور الاجتماعي والثقافي للمجتمع الساحلي، وأتاحت التجارة بحكم طبيعتها الاتصال بحضارات مختلفة وجعل المنطقة موضعاً للصراع الدولي بين القوى العربية والفارسية والأوربية للظفر بالطرق التجارية والسيطرة عليها، كان التطور الاجتماعي والاقتصادي لمنطقة القرن الإفريقي معتمداً على ثرواته وأهميته الاستراتيجية، وظلت المنافسة حادة بين القوى العالمية الأوربية للظفر به [24]. وفي عام 1660م وجه الهولنديون أولى حملاتهم الاستكشافية إلى المناطق الشمالية من إفريقيا تمهيداً إلى الوصول إلى جنوب إفريقيا ومن ثم التوجه إلى شرقها والسيطرة التامة على المعابر البحرية والطرق التجارية المؤدية إلى الشرق الاقصى، وبالفعل تمكن الهولنديون عام 1685م من الوصول إلى مناجم النحاس في إفريقيا والسيطرة على اقليم ناتال وخليج ديلا جور وفي عام 1736م نجحت هولندا في التغلغل وسط قبائل البانتو في جنوب إفريقيا، وتواصلت الهجمات الهولندية في المنطقة وترتب عليها السيطرة على نهر الاورنج والاراضي الواقعة حوله [25].

غير إن اندلاع الحرب الهولندية الفرنسية في عام 1672م قد أثر بطبيعة الحال على مجريات حركة الاستكشافات الهولندية في شرق إفريقيا ، فقد اعتقد لويس الرابع عشر ملك فرنسا أن هولندا قد لعبت دوراً كبيراً في قيام الحلف الثلاثي الأوربي المناوئ لفرنسا ، ولهذا قرر تأديب هولندا، وشجعه على ذلك أن هولندا كانت تعمل على الكيد لفرنسا بإيوائها المضطهدين الفرنسيين وبث الدعاية التي تسيء إلى النظام الملكي، اضافة إلى أن هولندا كانت قوة بحرية تجارية لا يستهان بها، وهدفت فرنسا إلى تحطيم هذه القوة تمهيداً لوراثتها ولم يكن سبب قوة هولندا البحرية القوة العسكرية فحسب ولكن لعدم وجود من يقف امامها من الدول الاوربية الكبرى. فقد كانت إنجلترا وفرنسا وأسبانيا وغيرها من الدول الأوربية في حروب قارية متتالية. في الوقت

الذي كانت فيه هولندا تدعم استقلالها ووحدتها والانطلاق خارج اوربا وبناء المستعمرات ، ولكل هذا فكر لويس الرابع عشر في الدخول في مباحثات مع ملك إنجلترا شارل الثاني وعقد معه معاهدة دوفر السرية عام 1670م التي تم فيها الاتفاق على أن تقدم فرنسا الأموال والدعم اللازم لإنجلترا لجعلها كاثوليكية، ومن الجانب الآخر تعهدت إنجلترا بعدم مساعدة هولندا ، ولكل هذا كان على هولندا مواجهة الخطر الفرنسي وحيدة دون قوة مساعدة لها، فانتشرت القوات الفرنسية في الاراضي الهولندية حتى اوشكت على الدخول إلى امستردام الا أن الشعب الهولندي قتل مستشاره جون دكاويت وخلفه وليم أورانج الذي استطاع استقطاب الدعم لبلاده وكون تحالف لاهاي الذي ضم الدنمارك واسبانيا مما أجبر فرنسا على عقد صلح مع هولندا عام 1678م وانهاء الحرب الفرنسية الهولندية [26].

واصلت هولندا توسعها الاستعماري في شرق إفريفيا وتمكنت من الاستيلاء على جزيرة مور تيوس وزعزعت نفوذ البرتغاليين في شرق القارة الإفريقية. وفي الوقت نفسه سعى الهولنديون لتقوية حصونهم في منطقة الكيب لمواجهة هجمات القبائل الإفريقية والمنافسة الاستعمارية من قبل الدول الأوربية الأخرى التي أخذت تظهر في الميدان ونجحت شركة الهند الشرقية الهولندية في تشجيع جماعات من الهولنديين للهجرة إلى منطقة الكيب، واستقرت هذه الجماعات في المناطق الزراعية في الشمال والشرق وأطلق على هؤلاء الزراع اسم البوير، وشجعوا الآسيويين على الهجرة إلى الكيب فتوسع النشاط الهولندي وأصبحت الشركة تدير هذه المنطقة عن طريق مجلس إدارتها في أمستردام ونجحت في السيطرة على المنافذ التجارية في المحيط الهندي والبحر الأحمر [27]. واستمرت السيطرة الهولندية على السواحل الإفريقية والمعابر التجارية في شرق إفريفيا حتى غزو فرنسا لهولندا عام 1794م وهروب المستشار الهولندي وليم أورانج إلى أنجلترا ليشكل حكومة هولندية في المنفى، فاتفقت إنجلترا مع وليم أورانج على أن يحتل الأسطول الانجليزي منطقة الكيب ليحول دون سيطرة فرنسا على هذه المنطقة. واستمر هذا الاحتلال حتى عام 1802م وطبقاً لصلح اميان بين إنجلترا وفرنسا أعادت بريطانيا منطقة الكيب لهولندا. وفي عام 1803م استأنفت بريطانيا الحرب ضد فرنسا. وتوالت الأحداث حتى مؤتمر فيينا في عام 1815م والذي أقر ضم مستعمرة الكيب لإنجلترا [28]. وتميز الاستعمار الهولندي بسياسة الاستغلال الاقتصادي لأهالي المستعمرات بعد أن وجدها أربح له من التجارة المباشرة حيث تقلل لهم الإنفاق المالي، وتصدت شركة الهند الشرقية الهولندية لهذه المهمة فقامت بدفع

أثمان المحاصيل والبضائع التجارية مقدماً ولسنوات لضمان الاحتكار، وفي القرن الثامن عشر الميلادي رأت الإدارة الخاصة بالشركة الاستعمارية الهولندية أن السيطرة المباشرة على الأراضي في المستعمرات الهولندية عن طريق نقل الملكية إلى تجار هولنديين أجدى من السيطرة المباشرة ومن ثم بدأ الهولنديون في نقل ملكية المناطق الاستراتيجية إلى هولندا ومن ذلك فقد تم نقل ملكية الجزر والطرق الاستراتيجية التي تربط شرق إفريفيا بالشرق الأقصى إلى تجار هولنديين وأصبح التجار هم من يحتكرون ويتحكمون في هذه الطرق والمناطق وفقاً لخطة الحكومة الهولندية [29].

نهاية الوجود الهولندي :-

وبعد تفاقم الأوضاع في أوربا واندلاع الحروب بين دولها، وتزايد حدة الصراع الدولي حول المستعمرات وهيمنة فرنسا على مجمل الأوضاع الأوربية في عهد نابليون بونابرت ولمعالجة كل هذه الأوضاع توافقت الدول الأوربية على عقد مؤتمر عام للصلح في مدينة فيينا بالنمسا لحل مشاكل القارة الأوربية وانعقد هذا المؤتمر في عام 1815م بحضور مائة واربعين وفداً، وتمخض عن هذا المؤتمر أن أجبرت فرنسا إلى العودة إلى حدودها قبل الثورة الفرنسية التي اندلعت عام 1789م، ودمجت بلجيكا وهولندا في دولة واحدة واعطى عرشها إلى آل أورانج. وحصلت إنجلترا على مقاطعات جديدة لم تكن تابعة لها من قبل، وهكذا نجد أن زعماء أوربا رسموا خريطة جديدة لأوربا توخوا فيها العودة إلى الشرعية التقليدية القديمة، والمحافظة على التوازن بين الدول الأوربية حتى يتبدد اندلاع الحرب مرة أخرى[30].وصفوة القول عن الاستعمار الهولندي فإن منشأ هذه الحركة الاستعمارية هو تذمر التجار الهولنديين من احتكار تجارة البرتغاليين للتوابل. وبعد أن تأسست شركة الهند الشرقية الهولندية في عام 1602م والتي حصلت على امتياز احتكار التجارة وعزو الاراضي وعقد المعاهدات وبناء الحصون بدأت هذه الشركة في دخول الهولنديين إلى المستعمرات، وبعدما توالت المحطات التجارية البرتغالية في السقوط وانتقلت تجارة الهند الشرقية إلى هولندا انتقالاً تاماً. وقامت الشركة بعملية مسح دقيقة لساحل البحر الأحمر ورسم خرائط جغرافية للمنطقة، فعن طرق القوة البحرية ظهرت هولندا قوة عظمى في أواخر القرن السادس عشر الميلادي وهيمنت على التجارة العالمية

في منتصف القرن السابع عشر، ولكن فقدت هولندا الكثير من حيازتها الاستعمارية فضلاً عن حالتها كقوة عالمية لصالح بريطانيا عند سقوطها على ايدي الجيوش الفرنسية في عام 1794م [31].

خاتمة :-

كانت التجارة والسيطرة على الطرق المؤدية إلى مناطقها هي الهدف الذي بنت عليه هولندا استراتيجيتها التوسعية في منطقة البحر الأحمر والقرن الإفريقي، وتولت شركة الهند الشرقية الهولندية والتي تأسست في عام 1602م هذه المهمة العسيرة، وعن طريق القوة البحرية الضاربة والسطوة التجارية ظهرت هولندا كدولة عظمى منذ أواخر القرن السادس عشر الميلادي، وهيمنت على حركة التجارة العالمية، فضلاً عن تحكمها في الطرق التجارية، فعن طريق الاستغلال والاحتكار نجحت هولندا في بسط نفوذها الاقتصادي على ساحل البحر الأحمر والقرن الإفريقي حتى أواخر القرن الثامن عشر الميلادي.

النتائج والتوصيات:

أ/ النتائج:

1. للبحر الأحمر أهمية استراتيجية على مر العصور التاريخية منذ عصور ما قبل التاريخ وحتى عصرنا الحاضر.
2. تعود معرفة هولندا بسواحل البحر الأحمر إلى القرون الوسطى إبان الحروب الصليبية بمشاركة فرسان هولنديين فيها.
3. اندلاع المنافسة والصراع الدولي حول البحر الأحمر بسبب أهميته السياسية والجغرافية والاقتصادية والتجارية.
4. بدأ بسط النفوذ الهولندي على شرق إفريقيا وسواحل البحر الأحمر على شركة الهند الشرقية والتي تأسست في عام 1602م.
5. تميز الاستعمار الهولندي في شرق إفريقيا بالاستغلال الاقتصادي والاحتكار لحركة التجارة الدولية.

ب/ التوصيات:

تــوصى الدراســة بتســليط البحــث العلمــي حــول البحــر الأحمــر لأهميتــه السياســية والاقتصاديــة والاســتراتيجية.

المصادر والمراجع:

(1) **عبدالله عبدالمحسن السلطان:** البحر الأحمر والصراع العربي الاسرائيلي، الطبعة الثالثة، مركز دراسات الوحدة العربية، يونيو 1988م، ص 25.

(2) **السيد عبدالعزيز سالم:** البحر الأحمر في التاريخ الاسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، 1993م، ص3.

(3) **صلاح الدين حافظ:** صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي، الطبعة الأولى، عالم المعرفة، يناير 1982م ص56.

(4) **عبدالله عبدالمحسن السلطان:** مرجع سبق ذكره، ص ص26،27.

(5) **صلاح الدين حافظ:** مرجع سبق ذكره ص39.

(6) **عبدالله عبدالمحسن السلطان**، مرجع سبق ذكره ص39.

(7) **غسان علي محمد الرحال:** صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر (خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي، جامعة الملك عبدالعزيز، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، 1401هـ، 1981م ص64.

(8) **محمد عارف الكيالي:** الاسس الاقتصادية للاستعمار البرتغالي، الجزء الأول رأس الخيمة الامارات العربية المتحدة ص108.

(9) **محمد عبدالعال أحمد:** البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية للسيطرة عليه، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،1980م ص76.

(10) **غسان علي محمد الرحال:** مرجع سبق ذكره ، ص105.

(11) **عبدالفتاح مقلد الغنيمي:** الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، الطبعة الثانية، عالم الكتب، القاهرة،2007م ص188.

(12) **عبدالعزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين:** التاريخ الأوربي الحديث (من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى)، الطبعة الاولى، دار الفكر العربي، 1419 هـ /1999م ص 71.

(13) **جعفر عباس حميدي:** تاريخ إفريفيا الحديث والمعاصر، الطبعة الاولى، دار الفكر للطباعة والنشر، التوزيع عمان 1422هـ /2002م، ص77.

(14) **نور الدين حاطوم:** تاريخ العصر الوسيط في أوربا، الجزء الأول، دار الفكر دمشق 1402هـ/1982م، ص386.

(15) **عبدالعزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين:** مرجع سبق ذكره ص 71.

(16) **شوقي عطا الله الجمل وعبدالله عبدالرازق ابراهيم:** تاريخ إفريفيا الحديث والمعاصر، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات القاهرة، 2004م، ص29.

(17) **جعفر عباس حميدي:** مرجع سبق ذكره، ص77.

(18) **محمد محمد صالح**: تاريخ أوربا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية 1500-1789م، الطبعة الثانية، دار المجلة أبوظبي، 2005م، ص428.

(19) **نيقولا فان دام وآخرون**: هولندا والعالم العربي (منذ القرون الوسطى وحتى القرن العشرين)، هولندا، 1987م ص49.

(20) **عبدالله عبد المحسن السلطان** : مرجع سبق ذكره ص48.

(21) **عبدالعزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين**: مرجع سبق ذكره ص30.

(22) **علي محمد الصلابي** : الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط، الطبعة الأولى، شركة الأمل للتجهيزات الفنية ، 1421ه / 2001م ، ص192.

(23) **عبدالعزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين**، مرجع سبق ذكره ص32.

(24) **ف – ماتفيف**: تاريخ إفريفيا العام، المجلد الرابع، اليونسكو 1988م، ص466.

(25) **فرغلي علي هريدي**: تاريخ إفريفيا الحديث والمعاصر (الكشوف – الاستعمار – الاستقلال)، الطبعة الأولى ، مطبعة الجلال الاسكندرية، 2008م ص71.

(26) **عبدالعزيز سليمان نوار**، محمود محمد جمال الدين: مرجع سبق ذكره ص ص 177-178.

(27) **جعفر عباس حميدي**: مرجع سبق ذكره ص78.

(28) **شوقي عطا الله الجمل وعبدالله عبدالرازق إبراهيم**: مرجع سبق ذكره ص30.

(29) 29/ **عبدالعزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين**، مرجع سبق ذكره ص73.

(30) **عبد العزيز سليمان نوار وعبدالمجيد نعيمي**: التاريخ المعاصر أوربا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر بيروت، 1973م ، ص144.

(31) **المرجع نفسه** ، ص 32.

المصادر والمراجع:

(1) **السيد عبدالعزيز سالم**: البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، 1993م.

(2) **جعفر عباس حميدي**: تاريخ إفريفيا الحديث والمعاصر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (عمان)، الطبعة الأولى 1422هـ 2002م.

(3) **شوقي عطا الله الجمل وعبدالله عبدالرازق ابراهيم**: تاريخ إفريفيا الحديث والمعاصر، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات القاهرة،2004م.

(4) **صلاح الدين حافظ**: صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي، عالم المعرفة الطبعة الاولى، يناير 1982م.

(5) **عبدالعزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين**: التاريخ الأوربي الحديث (من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى)، دار الفكر العربي الطبعة الأولى 1419هـ /1999م.

(6) **عبدالفتاح مقلد الغنيمي**: الإسلام والمسلمون في شرق أفريقيا، عالم الكتب القاهرة، الطبعة الثانية 2007م.

(7) **عبدالله عبدالمحسن السلطان**: البحر الأحمر والصراع العربي الاسرائيلي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثالثة 1988م.

(8) **علي محمد الصلابي**: الدولة العثمانية، عوامل النهوض وأسباب السقوط، شركة الامل للتجهيزات الفنية، الطبعة الاولى 1421هـ/2001م.

(9) 9/ **ف – ماتفيف**: تاريخ إفريفيا العام، المجلد الرابع اليونسكو 1988م.

(10) **فرغلي علي هريدي**: تاريخ إفريفيا الحديث والمعاصر الكشوف – الاستعمار – الاستقلال)، مطبعة الجلال الاسكندرية ، الطبعة الأولى 2008م

(11) **محمد عارف الكيالي**: الأسس الاقتصادية للاستعمار البرتغالي الجزء الأول، رأس الخيمة الامارات العربية المتحدة 1401هـ/1981م.

(12) **محمد عبدالعال أحمد**: البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية للسيطرة عليه، الهيئة المصرية العامة للكتب 1980م.

(13) **محمد محمد صالح**: تاريخ أوربا من عصر النهضة وحتى الثورة الفرنسية1500-1789م، دار المحجة أبوظبي، الطبعة الثانية 2005م.

(14) **نور الدين حاطوم**: تاريخ العصر الوسيط في أوربا، دار الفكر دمشق، الجزء الأول 1402هـ /1982م.

(15) **نيقولا فان دام وآخرون**: هولندا والعالم العربي (منذ القرون الوسطى حتى القرن العشرين)،1987م.

رسائل جامعية :

(1) **غسان علي محمد الرحال**: صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر (خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي)، رسالة ماجستير غي منشورة، جامعة الملك عبدالعزيز، كلية الشريعة والدراسات الاسلامية، قسم التاريخ الاسلامي 401هـ /1981م .

الدول المطلة على البحر الأحمر وأهم الجزر فيها:

د. خالد عبدالله عبدربه طوحل

أ. التاريخ الحديث والمعاصر المشارك- كلية الآداب - جامعة عدن- اليمن

المستخلص:

تناول البحث الدول المطلة على حوض البحر الأحمر وأهم الجزر فيها، وتسعى الورقة إلى أبراز الموقع والأهمية الاستراتيجية والتاريخية للبحر الأحمر والدول المطلة على البحر الأحمر وأهم جزرها مع توضيح لتكوين حوض البحر الأحمر عبر العصور التاريخية وتوضيح لأهم الجزر والخلجان والثروات الطبيعية الحية والغير حية فيه، موضحاً الثوابت والقوانين واحترام حقوق الجوار بين الدول المطلة على حوض البحر الأحمر عبر العصور التاريخية، حتى تتحقق الاستفادة منه ويعم السلام والأمن والاستقرار لجميع الدول القاطنة على ضفافه دون استثناء. واستعرض البحث المطامع الاستعمارية من قبل الدول الكبرى على السيطرة على المضائق والخلجان والجزر وأهم الموانئ في حوض البحر الأحمر على مر العصور حتى القرن العشرين. ففي **المحور الأول** تحدثنا عن الدول التي تطل على البحر الأحمر على الساحل الشرقي وأهم الجزر فيها وهي:

1. **الجمهورية اليمنية**، وأهم جزرها وتوضيح موقعها الجغرافي كبوابة للبحر الأحمر من جهة الشرق.
2. **المملكة العربية السعودية** وأهم الجزر فيها.
3. **المملكة الهاشمية الأردنية**، ووضحنا موقعها الجغرافي.
4. **الكيان الصهيوني** الغاصب(إسرائيل) للأراضي الفلسطينية موضحين تاريخ قيام دولة أسرائيل على أنقاض أرض شعب الفلسطيني. وفي **المحور الثاني**: استعرض البحث الدول المطلة على الساحل الغربي وهي:

1. جمهورية مصر العربية، موضحين أهم الجزر فيها وموقعها الاستراتيجي كبوابة لحوض البحر الأحمر من جهة الغرب.
2. جمهورية السودان، ووضحنا أهم الجزر فيها وأهميتها.
3. جمهورية إريتريا، وأهم الجزر فيها موضحين استقلالها عن أثيوبيا وما تشكله من خطورة على حوض البحر الأحمر بالقرب من مضيق باب المندب.
4. جمهورية جيبوتي، وأهم الجزر فيها.

وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج وتوصيات ومن أهم النتائج:

1. أثبتت الدراسة أن للبحر الأحمر والدول المطلة عليه والجزر أهمية استراتيجية وعالمية

منذ القدم حتى الآن مع وجود الأطماع والمخاطر من قبل الدول العظمى للهيمنة على دول الحوض وجزره.

2. وضحت الدراسة مدى التشتت والتشطر في دول حوض البحر الأحمر وستظل القوى العظمى تسعى جاهدة في تعميق حالة التجزئة والصراعات الطائفية والمناطقية مستخدمة سياسة فرق تسد لتعمق وجودها فيها ما لم تفعل دول حوض البحر الأحمر على حلها مشاكل واحترام حقوق الجار وردم أية فجوات تظهر هنا أو هناك.
3. بينت الدراسة ضعف الدول العربية ولاسيما في القرن الـ 20-21م وعدم التعاون والتكاتف فيما بينها كالجسد الواحد في حماية شعوبها وأراضيها من الهيمنة الاستعمارية وآلت للتجزئة والتفتيت.وقد أوصت الدراسة بإنشاء مراكز علمية متخصصة في شتى المجالات العلمية ودعمها وتشجيعها من قبل دول حوض البحر الأحمر بإجراء المزيد من البحوث والدراسات عن البحر الأحمر والدول المطلة وأهم الجزر فيها واستثمارها وتطويرها للاستفادة من المميزات الضخمة التي يتمتع بها، لخدمة الشعوب المطلة عليه.

Abstract:

The research dealt with the countries bordering the Red Sea basin and its important islands. The paper seeks to highlight the geographic location and strategic and historical significance of the Red Sea and bordering countries of the Red Sea and their important islands. In addition, it will present the formation of the Red Sea basin in historical eras, the most important islands, bays, and natural resources, explaining the principles, laws and respect of neighborhood rights between the countries bordering the Red Sea basin in historical eras in order to benefit from it. Consequently, peace, security and stability will prevail over all countries located at its shores without exceptions.The researcher presented the colonial ambitions of the great nations to control the straits, gulfs, islands, and the most significant seaports of the Red Sea basin in history.

Section one presented the countries bordering the Red Sea east coast and the most important islands as follows: 1- Republic of Yemen: most important islands, explaining its geographic location as a gate to the Red Sea from the east. 2- Kingdom of Saudi Arabia most important islands. 3- Hashemite Kingdom of Jordan geographic location. 4- Zionist Entity (Israel) usurper of the Pal-

estinian lands, explaining the history of Israel establishment over the rubble of the land of the Palestinian people. Section two presented the countries bordering the west coast as follows:

1. **Arab Republic of Egypt**: explains its most important islands and strategic location as the gate of the Red Sea basin from the west.
2. **Republic of the Sudan**: explains its most important islands and their significance.
3. **Eretria**: explains its most important islands and independence from Ethiopia and how this country is risky for the Red Sea basin near the Bab Al-Mandeb Strait.
4. **Republic of Djibouti**: explains its islands. The study concludes with a number of findings. The most important ones are:

1. The study proves that the Red Sea, its bordering countries and islands have an strategic and international importance in history with the presence of ambitions and risks to control over the countries bordering the basin and its islands.
2. The study shows the dispersion and division of the Red Sea countries and the great nations pursuance to deep the situation of division and sectarian and regional conflicts using the divide and rule policy to root and enhance its existence unless the Red Sea bordering countries work to solve their problems and respect the neighbor's right.
3. The study shows the weaknesses of the Arab countries particularly in the 20-21 centuries and the uncooperative and lack of solidarity situation between them as one body in proctoring their peoples and lands from the colonial domination and mechanisms of division and fragment.

The study recommends to establish specialized scientific centers in different scientific fields and to support and encourage them by the countries of the Red Sea basin to do more research and stud-

ies on the Red Sea, bordering countries and the most important islands to invest and develop them to benefit from the vast characteristics that they it enjoys to serve its bordering peoples.

المقدمة:

يُعَدَّ البحر الأحمر مجراً بحرياً مهماً في الملاحة العالمية؛ فعلى مياهه تمرَّ السفن التجارية العملاقة رابطة الشرق بالغرب. أما موقعه فهو يربط بين المحيط الهندي وبحر العرب جنوباً مع البحر الأبيض المتوسط شمالاً، وللبحر الأحمر أهمية استراتيجية فهو يعدَّ شرياناً مهماً للمواصلات والتبادل التجاري، واكتسب أهمية سياسية واستراتيجية واقتصادية منذ عصور التاريخ السحيق. وله أهمية تاريخية ؛ إذ إنَّ في الموقع ثوابت بذاتها لا تتغير، وإن تغيرت مظاهر النشاط البشري من مرحلة إلى أخرى. وبعد مرحلة جمع المادة العلمية للبحثَ تَمَّ توزيعها على تمهيد ومحورين وأنهيت البحث بخاتمة شملت:النتائج والتوصيات، واعتمد البحث على المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي، والمنهج التحليلي. واعتمد البحث على مصادر ومراجع وموسوعات تاريخية وجغرافية ولغوية.

الموقع والأهمية الاستراتيجية والتاريخية للبحر الأحمر:

أولاً : الموقع:

يقع البحر الأحمر بين دائرتي العرض12.40-28.00شمالاً تقريباً، بين باب المندب جنوباً ورأس محمد- الذي يمثل الطرف الجنوبي لشبه جزيرة سيناء- شمالاً، ويفصل جنوب غربي قارة آسيا عن شمال شرقي إفريقيا، ويمثل الحد الغربي لشبه الجزيرة العربية، ويعد الذراع الرئيس للمحيط الهندي، إذ يربط بين المحيط الهندي وبحر العرب جنوباً، مع البحر الأبيض المتوسط شمالاً. ويمتد البحر الأحمر باتجاه عام بين الجنوب الشرقي حيث مضيق باب المندب إلى الشمال الغربي، حيث يقسمه رأس محمد على فرعين: ذراع شمالي شرقي هو خليج العقبة، وذراع شمالي غربي هو خليج السويس، تفصل بينهما جزيرة سيناء. والبحر الأحمر من البحار الطويلة ويبلغ طول البحر الأحمر من مضيق باب المندب حتى رأس محمد نحو1100ميل بحري(2037كم[1].

ويتميز البحر الأحمر عن غيره من بحار العالم بموقعه الفريد والتميز، وزادت أهميته عندما افتتحت قناة السويس في العام 1869م[2]، عندما جمع بحار العالم لثلاث قارات (آسيا، إفريقيا، أوروبا)، ويُعَدَّ من أهم شرايين المواصلات في العالم حيث يربط البحار المتصلة بالمحيط الهندي عن

طريق باب المندب وقناة السويس فالبحر الأبيض المتوسط[3]. وتبلغ مساحته نحو437969كم2، ويتراوح عرضه بين402كم في النصف الجنوبي إلى209 كم عند خط45/27شمالاً[4]. ويتفرع البحر الأحمر في الشمال على فرعين، الذراع الشمالي الشرقي فهو خليج العقبة الذي يبلغ طوله أكثر من 100ميل، ويبلغ مجموع شواطئه23ميلاً موزعة بين مصر التي تقع على الشاطئ الغربي لخليج العقبة الذي يبلغ طوله زهاء125ميلاً. أما الساحل الشرقي لخليج العقبة فتقع عليه أراضي الحجاز، ويبلغ طوله حوالي 95ميلاً. أما رأس خليج العقبة فيبلغ طوله زهاء 10 أميال، منها أربعة أميال ضمن المملكة الأردنية الهاشمية، وستة أميال هي طول الساحل الفلسطيني (الأراضي المحتلة)[5].أما خليج السويس فيبلغ طوله من نهايته إلى رأسه عند مدينة السويس حوالي175ميلاً، ويتراوح اتساعه مابين10 إلى 12ميلاً، توجد في قمته العديد من الجزر والنتوءات الصخرية التي تجعل الملاحة فيه صعبة إلى حد كبير، ويتراوح عمق مياهه مابين156-220 قدما، وتفصل بين خليجي العقبة والسويس شبه جزيرة سيناء[6].ويوجد عند إلتقاء خليج العقبة والبحر الأحمر مضيق تيران الذي يتكون من مضيق تيران الغربي وهو الممر المائي الوحيد الصالح للملاحة،وهو يوازي ساحل سيناء شمال شرم الشيخ. أما مضيق تيران الشرقي فتكاد تسد مجراه الصخور والحواجز المرجانية، ولا يتجاوز عرضه الـ800متر[7].أما خليج السويس فيمتد ساحله الجنوبي الغربي على الساحل الإفريقي من شبه جزيرة شمال الزيات إلى جزيرة شدوان لمسافة 30 ميلاً (48كم) من اتجاه الجنوب الشرقي.أما ساحله الشرقي فيحده ساحل جزيرة سيناء، وتحيط به عدد من الجزر الصغيرة وسلسلة من الصخور، كما تتميز مياهه بالضحالة[8].أما في طرفه الجنوبي فنجد مضيق باب المندب الذي يتمتع بأهمية كبيرة؛ لأنه يعد المدخل الجنوبي للبحر ألأحمر.ويعد البحر الأحمر بحراً شبه مغلق، شديد الملوحة، لوقوعه في المنطقة المدارية، وهي منطقة مناخية شديدة الحرارة ويعد من أكثر بحار العالم ارتفاعاً في درجة الحرارة والملوحة[9].

أما نشأة البحر الأحمر وجزره فقد تماثل وتوازي شاطئ البحر الأحمر وشاطئ خليج عدن وقد لفت انتباه الجيولوجيين القدامى ومنهم «ويجنير» إذْ إنه من الأمثلة التطبيقية للحدوث ولنظرية الزحزحة القارية التي طورت مؤخراً إلى نظرية جديدة تعرف باسم التحركات الكتلية[10]. ومن المعروف أن البحر الأحمر من حيث طريقة تكوينه الجيولوجي الفريد قد تكون على طول خط عميق انغلقت فيه القشرة الأرضية وانفصل شرقها عن غربها فإذا

بـه بحـراً أخدوديـاً عميقـاً ليـس لـه جـرف قـارئ بالمعنـى العلمـي والقانونـي[11] ويـرى الكثـير مـن الجيولوجيـين أن يكـون البحـر الأحمـر بفعـل الانكسـار العظيـم الـذي حـدث في قـشرة الأرض خـلال العـصر الكريتـاسي، وأوائـل الزمـن الثالـث، وهـو يحتـل الجـزء الأوسـط مـن ظاهـرة الأخـدود الإفريقـي العظيـم الـذي يمتـد مـن بحـيرة نياسـا جنوبـاً حتـى الشـاطئ الشرقـي مـن البحـر الأبيـض المتوسـط شـمالاً، وقـد أدى هـذا الانكسـار إلى تباعـد شـاطئ البحـر الأحمـر وتكـوّن فجـوة امتـلأت بالميـاه في مـدد متعاقبـة. وصاحـب تكويـن هـذا الأخـدود ظهـور انكسـارات شـديدة عقـدت مـن مظاهـر السـطح إلى جانـب خـروج لوافـظ بركانيـة مـن باطـن الأرض سـببت في ارتفـاع مناطـق عديـدة وظهـور قمـم جبليـة مرتفعـة عـلى جانبـي البحـر الأحمـر في المرتفعـات الغربيـة مـن اليمـن وهضبـة الحبشـة وجبـال البحـر الأحمـر في كل من السـودان ومـصر[12].

وهكـذا تكونـت الصفيحـة التكوينيـة العربيـة شـبه الجزيـرة العربية-عـن الصفيحـة الإفريقيـة-في القـارة الإفريقيـة-في العـصر الأيوسـيني خـلال الزمـن الثالـث قبـل نحـو مـا بـين (27-25) مليـون سـنة. وكان عـلى هيئة غـور، ثـم توالـت عمليات الخسـف التـي أدت إلى دخـول ميـاه البحـر المتوسـط إليـه عـبر خليـج السـويس وذلك خـلال عـصر الأليجوسـين، وكان الاتصـال بينهمـا ضعيفـا؛ لأن الإمـداد المائـي كان أقـل مـن معـدل التبخـر، ثـم حدثـت حـركات أرضيـة أدت إلى ارتفـاع بعـض الأراضي الواقعـة بينهمـا فقطعـت الاتصـال، في حـين أدت حـركات أرضيـة أخـرى وإزاحـة في جنـوب البحـر الأحمـر إلى اتصالـه بالمحيـط الهنـدي مـن خـلال نشـأة مضيـق بـاب المنـدب، واتخـذ شـكله الحـالي مـع بدايـة الزمـن الرابـع، وتشـير الدراسـات إلى تطابـق الصفـات الجيولوجيـة للأقاليـم المواجهـة عـلى سـاحلي البحـر الأحمـر، كمـا تتجانـس خطـوط السـاحل في بعـض المواقـع المتقابلـة عـلى السـاحلية، حيـث لـو قـدر لهمـا أن يلتقيـا فإنهمـا يتطابقـان إلى حـد مـا. وأثبتـت الدراسـات للنباتـات السـاحلية تشـابه نباتـات الأقاليـم المواجهـة؛ ممـا يؤكـد اتصـال الكتلتـين العربيـة والإفريقيـة قبـل حـدوث صـدع البحـر الأحمـر الـذي أدى إلى تصـدع الـدرع العربـي الإفريقـي إلى شـطرين، همـا: الـدرع العربـي شرق البحـر الأحمـر، والـدرع الإفريقـي غربـه، وتحـد سـواحله خطـوط الصـدوع مـن الجانبـين، وتمثـل الجبـال الممتـدة عـلى كلا جانبـي البحـر الأحمـر جوانـب الأخـدود المرتفعـة، تاركـة بينهمـا السـاحل سـهولاً سـاحلية ضيقـة، وتتضـح فيهـا مؤثـرات البحـر الأحمـر المناخيـة مـن حيـث ارتفـاع الحـرارة والرطوبـة[13].

ويـرى بعـض الجيولوجيـين أن حـوض البحـر الأحمـر يتسـع سـنويًا بسـبب إزاحـة أفقيـة تحـدث في الكتلـة العربيـة باتجـاه الشـمال. ويقـدَّر الدكتـور «روبـرت

رايلنجر» من جامعة «MIT» الأمريكية أن حركة اتساع البحر الأحمر في الجنوب تزداد بنحو 5ملم، في حين تزداد في الشمال ما بين 2-3 ملم تقريباً[14].

ويعد البحر الأحمر جزءاً من الأخدود الجيولوجي العظيم الذي يمتد شمالاً عبر خليج العقبة ووادي عربة والبحر الميت إلى نهر الأردن، وجنوباً عبر خليج عدن إلى أخاديد شرق إفريقيا، وهو أكثر أجزاء الأخدود اتساعاً وعمقاً، ويتركز وجود المناطق شديدة العمق في وسط البحر الأحمر على هيئة نطاق طولي موازٍ للساحلين يمثل الحوض الرئيس (Main Trough) ويحدده خط العمق المتساوي 1000م، وهو الحد الفاصل بين الصفائح الجيولوجية، ويقع ضمن هذا الحوض الفالق المحوري المركزي (Central Axial Trough) بعرض40 كم تقريباً الذي يحدد الأخدود (Riftzone) بوضوح، وتتراوح الأعماق في الفالق المحوري المركزي بين 1000-2500م تقريباً، ويشكل هذا الفالق ظاهرة جيومورفولوجية تعكس جيولوجية القاع في البحر الأحمر، ويعد من الفوالق المميزة في محيطات العالم لاتساعه الواضح[15]. وتبلغ مساحة المسطحات المائية في البحر الأحمر نحو 450 ألف كم2، ويتميز قاعه بوعورة تضاريسه وعدم انتظام أعماقه، إذ يتدرج بين حافات وتلال قاعية قد يقترب بعضها من السطح، تخترقها الأخاديد والأودية وتزداد وعورة قاع البحر الأحمر باتجاه الجنوب، فتصبح الملاحة فيه بالغة الصعوبة لاسيما قرب مضيق باب المندب ورغم ذلك فقد ظل البحر الأحمر يؤدي دوره بوصفه ممرًا ملاحيًا بحرياً مهماً[16]. ويصل عمق البحر الأحمر إلى أكثر من 2000م في الوسط، وتبلغ أعمق نقطة فيه نحو2597م؛ وسط البحر الأحمر شرق ميناء بورتسودان، قرب تقاطع دائرة العرض 19,40شمالا مع خط الطول 38,45شرقاً.[17] يضم ساحلي خليج العقبة والبحر الأحمر ومعالم ومظاهر بحرية متنوعة، منها الخلجان والرؤوس والشروم والخيران والغبب والمراسي وغيرها. كما يضم الساحل بعض المعالم والمظاهر البرية الملاصقة له أو القريبة منه التي تحمل أسماء معروفة، ومن تلك المعالم الجبال والآبار والأودية والسبخ وغيرها[18].

وتمتد بمحاذاة ساحلي البحر الأحمر سلاسل جبلية تتدرج في ارتفاعها باتجاه الجنوب، يصل ارتفاع بعض جبالها إلى أكثر من 3000م، وتسمى السلاسل المحاذية للساحل الغربي التي تقع في الأراضي المصرية والسودانية والإرترية:»جبال البحر الأحمر»، في حين تسمى السلاسل الجبلية المحاذية للساحل الشرقي التي تقع في الأراضي الأردنية والسعودية واليمنية: «جبال الحجاز»؛ لأنها تحجز بين تهامة ونجد. وتنقسم جبال الحجاز داخل الأراضي

السعودية على ثلاثة أقسام، وهي: جبال مدين؛ وتقع في المملكة وتمتد من الحدود السعودية الأردنية في الشمال إلى قرب دائرة العرض 28شمالاً باتجاه الجنوب، وجبال الحجاز الوسطى؛ وتمتد من قرب دائرة العرض28 شمالاً في الشمال إلى الطائف باتجاه الجنوب، وجبال السروات؛ وتمتد من الطائف شمالاً إلى الحدود اليمنية باتجاه الجنوب. ويتدرج ارتفاع هذه الجبال باتجاه الجنوب، وتقع أعلى قمة في هذه الجبال في المملكة العربية السعودية في جبل السودة الواقع شمال غرب أبها وتصل إلى نحو (3015م)[19].

الأهمية الاستراتيجية:

منذ أقدم العصور والبحر الأحمر يعد شرياناً حيوياً للمواصلات والتبادل التجاري، واكتسب البحر الأحمر أهمية سياسية واستراتيجية واقتصادية منذ عصور التاريخ السحيقة، لذا فإن القدماء عرفوا فيه ميزة الربط بين الساحل الآسيوي والإفريقي، وعرفوا فيه كذلك ميزة الربط بين المحيط الهندي جنوباً والبحر الأبيض المتوسط شمالاً، بوصفه أقصر خط ملاحي دولي للملاحة والتجارة العالمية[20]. ولمنطقة دول حوض البحر الأحمر أهمية جيو اقتصادية بوصفها ممراً للنفط المستخرج من دول الخليج العربي والقرن الإفريقي والمنتجة إلى دول أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية والصين والهند وغيرها، كما أنه شريان ناقل للتجارة العالمية شرقاً وغرباً وكان يعرف بطريق الذهب والحرير[21]. وهكذا فإن الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر ترتكز بوجود تلك المضائق والخلجان، والجزر والموانئ، التي لها الدور الكبير في السيطرة على الملاحة الدولية في البحر الأحمر، وأن سماتها وخصائصها ذات تأثير عال تجاوز محيطها الإقليمي، وقد أبدت القوى الدولية الكبرى اهتماماً كبيراً بتلك المضائق والخلجان والجزر والموانئ[22]، وقد دفعت الدول العظمى على مر العصور وفي نهاية المطاف إلى اتباع عدة أساليب وطرائق تكتيكية لاحتلال تلك السواحل منها سياسة الاحتواء، التي تعني التحكم في البحر الأحمر والسيطرة المباشرة على الدول المطلة عليه عن طريق القوات المسلحة، واستراتيجية الاقتراب غير المباشر، التي تعني التحكم في دول المضائق والمنافذ البحرية والجزر الاستراتيجية التي تتحكم في سواحل البحر الأحمر، والحصول على قواعد عسكرية وتسهيلات بحرية في الموانئ المتاخمة لها لفرض نفوذها السياسي والاقتصادي، من خلال عقد اتفاقيات وتأجير وخلق أنظمة سياسية موالية لها[23].

ويحوي البحر الأحمر وخلجانه وجزره ثروات طبيعية حية وغير حية متنوعة، وقد اهتمت بعض الدول المطلة عليه بالبحث والتنقيب

والاستكشافات عن تلك الثروات التي تشمل على الثروات الطبيعية غير الحية ،وتشير الدراسات والأبحاث والاستكشافات التي تمت في البحر الأحمر إلى وجود أنواع عديدة من الثروات المعدنية والبترول في قاع البحر الأحمر وخلجانه وجزره وسواحله يمكن إجمالها في الزنك والنحاس والذهب، والفضة، والرصاص، والمنجنيز، والكوبالت، والنيكل، والبلاتين، والزبرجد، والزجاج البركاني الذي يرتكز في بعض الجزر البركانية، كما اكتشفت أيضًا كميات من الملح الصخري، والبوتاسيوم، في بعض سواحل البحر الأحمر وجزره. وتنتشر مواقع الجبس على الساحل السعودي ومنها المناطق الواقعة بالقرب من رأس الشيخ حميد، ومن أغنى مناطق البحر الأحمر بالثروات المعدنية الغور الممتد بين الساحلين السعودي والسوداني ضمن الأخاديد الموجودة في وسط البحر، وقد وقعّت الحكومتان السعودية والسودانية في العام 1974م اتفاقاً بشأن الاستغلال المشترك للثروات الطبيعية الموجودة في القاع وتحت القاع في المنطقة المشتركة بينهما، والمحصورة فيما بين خطوط مناسيب الأعماق ألف متر تقريباً، وأنشئت بموجب ذلك هيئة مشتركة بين البلدين للقيام بالأعمال المتعلقة بالتنقيب والاستكشافات عن الثروات المعدنية في تلك المنطقة. واكتشفت (14) موقعاً لرسوبيات الكبريت والحديد والخارصين والنحاس والفضة والذهب والكوبالت[24]، وفي مجال النفط والغاز، تعد جمهورية مصر العربية من أوائل الدول المطلة على البحر الأحمر في اكتشاف النفط والغاز وعثرت عليه بكميات تجارية كبيرة. وتتركز معظم اكتشافات مصر من البترول والغاز حول خليج السويس، حيث يمثل نحو 90% من إنتاج مصر. وفي المملكة العربية السعودية اكتشف الغاز والمكثفات في بئر برقان رقم(1) في العام1969م في حقل برقان الواقع في الطرف الشمالي الشرقي للبحر الأحمر بالقرب من جزيرة برقان، كما اكتشفت شركة أرامكو - حديثاً- حقل الوجه على الساحل. أما باقي الدول المطلة على البحر الأحمر وهي اليمن والسودان وإرتريا فقد منحت حكوماتها امتيازات للتنقيب عن البترول في البحر الأحمر على سواحله لشركات عالمية إلا أن النتائج لم تكن مشجعة حيث لم يكتشف فيها حتى الآن أية كميات تجارية[25]. وفي مجال الثروة السمكية فإن أسماك البحر الأحمر من أقدم الكائنات الحية التي تمت دراستها وتصنيفها بطرائق علمية، ويعد العالم «بيترفورسكال» أول من وصف وأطلق أسماء علمية على 151 نوعا من أسماك البحر الأحمر وكان ذلك في العام1761م، ثم توالت دراسات وتصنيف أنواع الأسماك حتى العام1983م إذْ قام«جون راندل»بوضع دليل لتعريف ووصف أسماك البحر الأحمر حوى على356نوعا، وفي العام1984م قام «دوروجورين»

بنشر قائمة تحوي نحو1000نوع من أسماك البحر الأحمر، أتبعها بقائمة أخرى في العام 1994م حوت على1284 نوعا وبناء على ذلك يصل عدد أسماك البحر الأحمر حتى الوقت الحاضر إلى (1284) نوعا تنتمي إلى 532 جنسا موزعة على (171) عائلة[26].

الأهمية التاريخية:

كان من البديهي على الباحث في تاريخ البحر ودوله وجزره أن يتعرف على تاريخ البحر الأحمر والموقع والموضع عند دراسة تاريخ أية أمة أو دول أو بحرًا وجزر، ؛ لأنهما من العوامل الأساسية في تشكيل الأحداث التاريخية، فإنه من البديهي أيضاً أن يدرك الباحث أن في «الموقع» و «الموضع» «ثوابت» بذاتها لا تتغير، وإن تغيرت مظاهر النشاط البشري من مرحلة إلى أخرى طبقاً للتغيرات التكنولوجية السريعة التي شهدها العالم منذ بداية الانقلاب الصناعي حتى الآن. ونرمي من وراء هذا، أن «الموقع و «الموضع» يحتويان على «ثوابت» رغم ما يتراكم فوقهما من متغيرات مما يستجد على الحياة من مظاهر أو إمكانات حديثة وتنطبق هذه على أحواض البحار والأقاليم والأفراد. وإذا أردنا نطبق ما نرمي إليه من دراسة على دول حوض البحر الأحمر وجزره، فيمكن القول بأن لحوض البحر الأحمر «ثوابت» مهما أتت عليه من متغيرات. وأولى هذه الثوابت أن هذا البحر يمثل بحيرة شبه مغلقة نظراً لضيق مساحتها، وعاش على ضفافها شعوب بذاتها منذ القدم وحتى الآن. وقد تبادلت هذه الشعوب المصالح والهجرات وأحيانًا الغزوات، لكن ما تبادلوه من غزوات كان محدوداً بين أبناء هذا الحوض- أي بين بعضهم البعض- حتى بدايات التاريخ الحديث والمعاصر. وكانت هذه البحيرة ممراً في الوقت نفسه، يربط بين شرق العالم وغربه، واحتفظ هذا الممر بأهميته العالمية رغم اكتشاف طريق جديد حول رأس الرجاء الصالح، وحتى بعد اكتشاف ما عُرف بالقارات الجديدة، وقد استفاد سكان حوض البحر الأحمر من وراء هذا الممر إذ جاءتهم بضائع الشرق والغرب لاستعمالها أو للتجارة بها مع كل من الطرفين على السواء. وقد أدى الاحتكاك التجاري بين سكان الحوض وبين الشرق والغرب إلى رفع شأن هؤلاء القوم حضارياً واقتصادياً ورسم الملمحان «البحيرة والممر» الخطوط العريضة لتاريخ حوض البحر الأحمر عبر العصور، فكانا مصدر خير لدول وشعوب حوض البحر الأحمر طالما حافظ هؤلاء على التوازن بين الملمحين، أي ابقوا على أن يكون بحيرة وممراً معاً. أما إذا اختل التوازن وعملت إحدى الدول الحوض على أن تحوله إلى»بحيرة» خاصة فقط، وتهمل جانبه الآخر - الممر- فسوف تفقد دول البحيرة الاستفادة من البحر،

وبالقدر نفسه ـ إذا عملت إحدى قواه أو قوة خارجية على أن تحوله إلى ممر فقط لخدمة مصالح ذاتية فقط فسوف تتضرر شواطئ دول هذا الحوض وتسود فيها الاضطرابات والحروب والقرصنة والفوضى، وقد تقع الدول والشواطئ والجزر أو بعضاً منها فريسة سهلة في أيدي ذلك المستأثر. وأما جزر هذا البحر الكثيرة والممتدة أمام شواطئه فيجب أن ينظر إليها بوصفها أدوات زينة لجمالها الطبيعي أو محطات اتصال أو للسياحة والترفيه أو مراكز للحماية، لا أن تكون بؤراً للقرصنة أو للصيد تنفجر من حين إلى آخر، فتكون مصدراً آخر للمتاعب داخل هذا الحوض. وهكذا نرى أن للبحر الأحمر ثوابته وأنظمته وقوانينه واحترام حقوق الجوار حتى تتحقق الاستفادة منه ويعم السلام والأمن والاستقرار والخير لجميع الدول القاطنة على ضفافه دون استثناء.

أما إذا فقد هذا الحوض ثوابته أو إذا اختل توازنهما، فسنجد أن أمواجه تهدر وتزمجر، وتضطرب شطآنه ودوله بالحروب والقرصنة والإرهاب وتنهار المصالح المشتركة، ويعم الخراب على جميع الدول المطلة على سواحله، وتضيع الفائدة على الجميع. وأن لهذا الحوض تاريخاً عريقاً منذ القدم فقد كانت أولى الرحلات للمملكة الفرعونية «حتشبسوت 1486-1468 ق.م» من ملوك الأسرة الثامنة عشرة التي أرسلت سفنها من شماله إلى جنوبه- أي بلاد بونت- لتنقل إليها اللبان والبخور[27]، ومن البديهي ألا تكون هذه أول مرة اتصلت فيها مصر بالبحر الأحمر عبر قناة تخرج من النيل إليه[28]. فقد كانت هناك قناة سبقت هذه وسلكتها سفن حتشبسوت لتذهب إلى بلاد «بونت» محملة بسلع مصرية ولتعود بحمولتها الغالية من البخور والعطور والأشجار الثمينة[29]. وازدهر حوض البحر الأحمر كذلك عندما اهتم الفراعنة بإنشاء موانئ على ساحله مينائي «عيذاب والقصير»، وكان الأول يقع عند نهاية وادي العلاقي الذي كان يمتد إلى أسوان إذْ كان يستخرج الذهب والزمرد اللذان يتوافران بهذا الوادي، وظل هذا الميناء مزدهراً في العهدين البطلمي والروماني لكن ضعف شأنه في العهد البيزنطي[30] ثم عادت له أهميته في فجر الإسلام لقربه من ميناء جدة وموانئ اليمن[31]. أما ميناء القصير الذي عرف في العصر الفرعوني باسم «ناوو» وفي العصر البطلمي باسم «فيكوس ليمون» فهو يقع عند نهاية وادي الحمامات الذي يربط مدينة طيبة بالبحر الأحمر. ومازالت صخور هذا الوادي تحتفظ بنقوش فرعونية ويونانية ورومانية وإسلامية تعبيراً عن أهميته بوصفه درباً تسلكه القوافل التجارية والباحثون عن الذهب والزمرد[32]. أما على الساحل اليمني فقد اشتهر ميناء «المخأ» الذي عرف في الإسلام كما ذكر في المصادر الكلاسيكية «موزا» في مدينة المخأ نفسها التي ذكرتها النقوش

اليمنية القديمة باسم «مخون»[33]. وقد ورث البطالمة -خلفاء الفراعنة- في ارتياد البحر الأحمر وفي الاهتمام بموانئه. ونتيجة لحضارتهم الهلينية، فقد طوروا بناء السفن وبذلوا جهوداً أكبر من ذي قبل في اكتشاف ساحلي البحر الأحمر الغربية والشرقية، وقد نشطت التجارة بين شمال البحر الأحمر وجنوبه ، وقد اكتشف هيبالوس البطلمي الرياح الموسمية في المرحلة الأخيرة من عهد البطالمة في العام 116 ق.م[34]. وورث الرومان حكم البطالمة في مصر وقد اهتم الرومان بالبحر الأحمر وبتجارته، وكان دافعهم إلى ذلك دافعاً مادياً بحتاً يعكس الحال أيام البطالمة حيث كان للرومانسية وحب المعرفة والاكتشافات دور كبير في ارتياد مجاهل هذا البحر[35] وعمل الرومان على احتكار ثوابت البحر الأحمر لمصلحتهم فقد مدوا نفوذهم إلى ميناء - أدوليس وهو ميناء زولا بالقرب من مصوع - الذي كان الميناء الرئيس لدولة « أكسوم» الناشئة التي لم تحاول تحدي النفوذ الروماني بل عملت المصالح الاقتصادية على الربط بينهما[36]. ووصل نفوذ الرومان إلى ميناء «رابتا» الشهير جنوب الصومال وهو آخر ميناء عرفه «دليل الملاحة في البحر الأحمر» فقد قيل أن بعده بدأ للمحيط الذي لا يعرف مداه أحد، وكانت هذه المنطقة هي محطة وصول السفن من المحيط الهندي وبعدها تدخل السفن إلى البحر الأحمر[37]. وقد عاصر سيطرة الرومان على مصر ازدهار دولة الحميريين في اليمن التي استطاعت في توحيد دويلات شبه الجزيرة العربية في العام 300م وسيطرتها على الطرق التجارية البرية والبحرية في جنوب غرب الجزيرة العربية[38]، وقد أصدر الامبراطور أغسطس أمرا إلى قنصل مصر «أليوس غاليوس» في العام 24 ق.م للقيام بحملة إخضاع اليمن قوامها عشرة آلاف جندي وبعض القوات المساعدة من مصر وكان الهدف من هذه الحملة سيطرة الرومان الكاملة على تجارة البحر الأحمر وحرمان اليمنيين من مصدر ثرائهم، وقد بنى جاليوس (80)بارجة و (130)سفينة لنقل الجنود وخرج بهم من ميناء كليوباتريس بالقرب من السويس واتجه إلى ميناء لبوكي كومي النبطي وكان الهدف من وراء هذا إرهاب الأنباط واليمنيين معاً في استعراض عسكري في الساحل الشرقي وقد خسرت الحملة بعضاً من سفنها وأثناء رحلتها من الميناء المصري إلى الميناء النبطي، كما خسرت الكثير من رجالها نتيجة قلة الماء وشدة الحر وتأثير الخيانة حتى وصلت إلى وادي نجران فاستولت على عدة قرى صغيرة ولكنها هزمت هناك في النهاية، رغم تلك الأقوال بأنها واصلت إلى نجران، وقد استغرقت رحلة العودة ستين يوماً، بينما استغرقت رحلة الذهاب ما يقارب ستة أشهر[39]. أما تدمير ميناء عدن فلم يحدث إلاّ فيما بعد عندما قرر الرومان الالتفاف حول الجزيرة العربية

لمحاصرة الفرس ولتأمين طريقهم إلى الهند. فقد خافوا من منافسة عدن التي كانت إحدى المحطات المهمة لاستقبال التجارة الشرقية قبل دخولها إلى البحر الأحمر، كما خافوا أن تصبح عدن بؤرة لمقاومة النشاط البحري الروماني ولاسيما بعد حملة «اليوس جاليوس» على شمال شرق صنعاء، وهناك تصدى اليمنيون للحملة الرومانية ببسالة[40]. وهكذا تحول البحر الأحمر إلى بحيرة رومانية فيما بعد، وفرضوا مكوساً مالية على بعض الموانئ التجارية المهمة به لزيادة دخل خزائنهم، ولكن لم يستمر هذا طويلاً بسبب الحروب الداخلية والأهلية التي أصابت امبراطوريتهم، ولانهيار عملتهم في الأسواق الداخلية والخارجية، ثم لانقسام امبراطوريتهم في عهد «تيودوس» على قسمين إلى شرقية وغربية، وأصبح البحر الأحمر تابعاً للقسم الشرقي منها أي بيزنطة التي استمرت في حروبها مع فارس[41]. وشهد البحر هجرة بعض أبناء الجزيرة العربية- ولاسيما في جنوبها- إلى شاطئه الغربي، للتجارة وللإقامة، ونقلوا معهم لغتهم وحضارتهم، وأسسوا هناك مملكة «أكسوم»من اليمن والجزيرة العربية[42]. وبعد مدة من الزمن انتقل «أبرهة» بحملته المعروفة إلى اليمن، ولكنه لم يمكث بها إلا بعض الوقت وتم طرد الأحباش في العام 575م. ويلحظ أن الصدام الذي حصل على أرض اليمن بين المسيحية واليهودية، ودخول الأحباش إليها، إنما كان تنافساً بين قوتين كبيرتين، هما بيزنطة وفارس، حول الحوض الجنوبي للبحر الأحمر[43]. ولا شك أيضاً أن تقارب المسافة بين شواطئ حوضه الجنوبي، إلى جانب التآلف بين سكان هذا الحوض نتيجة الهجرات القديمة والامتزاج المستمر، وكان هذا كله مشجعاً على إرسال الهجرة الإسلامية الأولى إلى الحبشة للاحتماء بنجاشيها، إلى جانب أنه كان من أهل الكتاب. وقد مهدت هذه العوامل لأن يجد الإسلام فيما بعد تربة خصبة للانتشار على الساحل الغربي للبحر الأحمر[44]، بل وإلى جنوب فتحته الجنوبية - أي جنوب باب المندب.واستمرت الحركة التجارية مزدهرة في البحر - بين شواطئه- وعبره بوجه عام طوال القرون التالية لظهور الإسلام إلى مطلع القرن السادس عشر الميلادي - العاشر الهجري - الذي يُعَد بداية التاريخ الحديث، الذي بدأت عنده القلاقل فمن ناحية، تأثر النشاط التجاري نسبياً في البحر الأحمر- عند انتقال مركز الخلافة من دمشق إلى بغداد نظراً لانتقال السلطة والثروة إلى هناك. فازداد النشاط التجاري في الخليج العربي عن مثيله في البحر الأحمر مؤقتاً[45]. كما أن قيام الخلافة الفاطمية بالمغرب ثم انتقالها إلى مصر قد أعاد التوازن ثانية بين المنفذين البحريين ولاسيما لأن الفاطميين كانوا على علاقة روحية وثيقة مع الدولة الصليحية في اليمن، مما دفعهم إلى الاهتمام

بموانئ هذا البحر وتجارته[46]، وبعد ذلك أتى جسم غريب إلى حوض هذا البحر-وهو الحملات الصليبية- التي احتلت مناطق الشام مدة من الزمن، فتعكر بذلك صفوة البحر وحوضه والدول المطلة عليه، فقد نجوا لمدة قصيرة في احتلال منفذ بحري عند رأس خليج العقبة، وهددوا عندئذ بمهاجمة مكة والمدينة، كما أشاعوا أنهم عاملون على احتكار تجارة البحر الأحمر بالتعاون مع دولة «القديس يوحنا» في الحبشة. غير أن مشروعاتهم قد أخفقت، إذ سرعان ما أقام صلاح الدين الأيوبي قلعة حصينة فوق جزيرة فرعون - التي تقع إلى الجنوب قليلاً من طابا المصرية الحالية - وحصنها بالمدافع الضخمة لضرب أية سفينة صليبية تخرج من هذا المنفذ، وأسرع كذلك إلى إرسال أخيه على رأس حملة عسكرية إلى اليمن للقضاء على بقايا النفوذ الفاطمي فيه بعد القضاء عليه في مصر، ولتأمين مدخل البحر الأحمر الجنوبي ضد أي تحالفات معادية لهذه البحيرة والممر[47]. وكانت أسباب الضعف قد دبت في أوصال الدولة الصليحية أواخر عهد الملكة «السيدة أروى»، واستقل عمالها -آل زريع- بحكم مدينة عدن، ومنعوا إرسال إيرادات المدينة إليها[48]. ويعتقد أن ما أحدثه صلاح الدين الأيوبي في جزيرة فرعون هو أول تغيير بارز - على حسب ما يتوفر من معلومات - تحدثه أيدي بشرية على سطح إحدى جزر البحر الأحمر الصغيرة القاحلة. أما جزر البحر الكبيرة نسبياً، التي وفرت نوعاً مأمن مقومات الحياة البدائية وعلى رأسها جزر فرسان وجزيرة كمران وبعض جزر أرخبيل دهلك، فلم تشهد تغييرات فوق سطحها إلا بعد ذلك بقرون، وإن قبل أن بعض الحكام جزر (دهلك وسواكن وسقطرى) منفى للمغضوب عليهم عبر العصور لبعدها عن بعض عواصم الدول ولسوء مناخها[49]. وقد عادت للبحر الأحمر أهميته وتوازن ثوابته بعد إخراج الصليبيين من شماله، وترتب على ذلك نهاية حكم الأيوبيين في مصر واليمن بعد أن ظهرت دولتان قويتان في كل من الإقليمين هما المماليك والرسوليون. وقد عملت كل من الدولتين على الاستفادة من عودة النشاط والهدوء إلى البحر الأحمر، كما أبديتا اهتماماً كبيراً بتجارته وموانئه، وقد أدى ما حققاه من ازدهار اقتصادي في حوض البحر الأحمر إلى التنافس السياسي بينهما لزيادة المكاسب الاقتصادية في حوض البحر إذ دار هذا التنافس في إطار سلمي، فقد حرص المماليك على مد سيطرتهم إلى الحجاز لأهميتها الدينية ولثراء ميناء جدة بإيراداته، وحاول الرسوليون الوصول إلى ذلك، لكن السبق والغلبة كانت لصالح المماليك. وكانت فلول الخلافة العباسية قد انتقلت إلى القاهرة بعد سقوط بغداد، ومد المماليك نشاطهم التجاري إلى جنوب البحر، فكان لهم

نشاط اقتصادي في موانئ ساحله الغربي ابتداء من سواكن ومصوع شمالاً إلى عصب وزيلغ جنوباً، ولكن الغلبة كانت لصالح الرسوليين للقرب الجغرافي ولكثافة الهجرة اليمنية إلى تلك المناطق منذ قرون طويلة، وقد ورث الطاهريون الرسوليين في حكم اليمن بعد أن كانوا عمالاً لهم في عدن، فواصلوا الاهتمام بالتجارة، وحافظوا على العلاقات الودية والحميمة مع دول حوض البحر الأحمر ولاسيما شرق إفريقيا[50]. وأما العثمانيون فقد عرفوا أهمية الساحل الإفريقي بعد وصولهم إلى اليمن في العام1540م وقد زاد إحساس الوالي العثماني أزدمر باشا في العام (1549-1554م) بأهمية ساحل البحر الأحمر الإفريقي وعزله من ولاية اليمن ليتم للعثمانيين التحكم في مدخله الجنوبي ولغلقه في وجه البرتغاليين[51]. وقد نجح أزدمر باشا في مهمته،وكون في تلك المنطقة ما عُرف باسم ولاية «الحبش» وارتبطت إدارياً بوالي جدة العثماني. وهكذا فقد حوض البحر الأحمر استقلاله وازدهاره الاقتصادي عند أوائل القرن 16م فقد حرمه البرتغاليون حينذاك من أن يكون «ممراً» وحوله العثمانيون عندئذ إلى «بحيرة» بعد أن أخفقوا في إبعاد البرتغاليين عن حوض المحيط الهندي[52]. ومهما يكن الأمر فقد عجز الطاهريون عن مواجهة البرتغاليين لفقدانهم الثروة وتكنولوجيا ذلك العصر-السفن الحربية والأسلحة النارية -حتى أن ابن الديبع -وصف آخر سلاطينهم الأقوياء عامر بن عبدالوهاب أنه قد مدّ يده إلى مال الأوقاف في أواخر حياته، وذلك تعبيراً عن الضيق الاقتصادي الذي مرت به اليمن حينذاك، ويذكر بومخرمة كذلك أن هذا السلطان منع أهالي الساحل المواجه لجزيرة كمران من مهاجمة البرتغاليين في أثناء وجودهم في العام1513م في الجزيرة، عندما طلبوا الإذن لهم بذلك ومدهم بالسلاح؛ لأنه كان يدرك مدى قوة وحداثة الأسلحة البرتغالية[53]. وقد عجز المماليك عن مواجهة البرتغاليين، فقد دفع التحول التجاري من السلطان الغوري إلى زيادة الضرائب ومصادرة الأموال، فزادت الاضطرابات والثورات داخل سلطنته الواسعة وفي تلك السنة 1517م كان حوض البحر الأحمر يلفظ أنفاسه الأخيرة ، فقد ترنحت في شماله السلطنة المملوكية تحت ضربات السلطان سليم الأول العثماني وقد اعترفت القوة المملوكية في زبيد بالسيادة الجديدة- العثمانية - في القاهرة ولكنها كانت سيادة اسمية حتى العام1538م فتحولت إلى سيادة فعلية، وحرصت السلطة العثمانية على إنشاء (جمرك) في أول جزيرة كبيرة بالقرب من الساحل اليمني عند مدخل البحر الأحمر الجنوبي وهي جزيرة «جبل زقر» وكذلك مثل «أسكلات» (جمارك) المخأ والحديدة وكمران وعدن وكشن (قشن)وجيزان[54]. وظل البحر مجرد بحيرة محمية فقط أكثر من قرن من الزمان[55].

وطوال القرون الثلاثة الأولى (16-18م) من التاريخ الحديث، التي فقد فيها البحر الأحمر أهميته فالبحيرة خضعت لسيطرة العثمانيين، والممر فقد أهميته لسيطرة القوى البحرية الأوروبية على مصادر التجارة الشرقية ومراكزها واستئثارها لنفسها، فقد شهد القرن الـ19م أحداثاً كثيرة زلزلت كيان البحيرة المحمية من ناحية، وحولت البحر إلى ممر لغير صالح سكانه من ناحية أخرى. فقد سيطرت قوى أوروبية على بعض أجزاء البحر شمالاً وجنوباً، ونجحت تلك القوى في أن تجعله «ممراً» خاصاً لتجارتها وليس لصالح الدول المطلة عليه، كما كان من قبل. فقد شاهد فجر هذا القرن مجيء الحملة الفرنسية إلى مصر، ثم خرجت منها نتيجة تعاون بريطانيا مع السلطة العثمانية (1798-1801م). وأسرعت بريطانيا عندئذ إلى احتلال جزيرة ميون اليمنية في العام(1799م) لمدة قصيرة لصعوبة الإقامة فيها، واحتلت عدن فيما بعد بالقوة في العام (1839م). كما شاهد هذا القرن أيضاً خطوات محمد علي والي مصر إلى الجزيرة العربية بناء على طلب السلطان العثماني، فترتب على هذا امتداد سيطرته إلى تهامة اليمن في المدة (1818-1820م) ثم سلم ما تحت يده إلى الإمام القائم هناك حينذاك[56] وعاد محمد علي ثانية إلى اليمن - عند مطاردة قائد التمرد الذي فر من الحجاز إلى الحديدة، وبقي فيها في المدة (1834-1840م) للاستفادة من تجارة البحر الأحمر ولاسيما في ميناء المخأ، وكانت السلطة قد كافأت ابنه إبراهيم باشا على أعماله في الجزيرة العربية بتعيينه والياً على جدة وملحقاتها الإفريقية - ولاية الحبش- التي كانت سواكن ومصوع من أهم موانئها. وقد أزعج بريطانيا كثيراً وجود محمد علي في سواحل البحر الأحمر، والخليج العربي ، وهذا ما جعلها تستميت في القضاء على قوة محمد علي في المنطقة[57]. وكان القرن الـ19م شاهداً على بداية ضعف السلطة المركزية في صنعاء، وعلى تفتيت البلاد بين عدد من المراكز القوى المحلية، مما جعل الأطراف موضع قمع القوى الأجنبية، وسارعت بريطانيا إلى احتلال عدن والمحميات بعقد اتفاقيات حماية مع القوى المحلية في جنوب اليمن، وانتهزت السلطات العثمانية فرصة هذا الضعف ولجوء بعض القوى الداخلية إليها، لتمتد سيطرتها من الحجاز إلى تهامة اليمن ثانية في العام (1849م) ثم إلى صنعاء في العام (1872م) ومن هنا بدأ التنافس بينها وبين بريطانيا في تحديد مناطق النفوذ في اليمن، وتم التقسيم في أوائل(1914م)[58]، وما تلاه من تفتيت لوحدة العرب واقتسام تركة الرجل المريض في سياقات توقيع اتفاقية سايكس-بيكو في 16مايو1916م بعد طوال تردد في ذلك بناء على حرب التوازنات الأوربية[59]، وما تلاه من الإعلان

عن قيام دولة إسرائيل في العام1948م التي قامت على أنقاض أرض الشعب الفلسطيني الذي تم تهجيره إلى بقاع الأرض دون اعتبار لإنسانيته وغرس خنجر في قلب الأمة العربية والإسلامية وعلى منابع المائية الإقليمية [60]. وهكذا فقد كان القرن 16 هو بداية الانقلاب التجاري، فإن القرن 19 كان بداية الانقلاب الصناعي، وكما كان الانقلاب الأول بداية تغييرات اقتصادية وسياسية في حوض البحر الأحمر، فإن الانقلاب الثاني كان أشد تغييراً وأعمق أثراً ليس في مصير البحر الأحمر فقط، بل وفي مصير العالم كله ولاسيما بعد أن تسارعت خطواته - أي الانقلاب الصناعي - منذ بداية القرن 20. فقد تحول هذا الحوض من بحيرة محمية، إلى البحيرة المستعمرة بعد أن سقطت أغلب أجزائه تحت السيطرة الأوروبية الكبرى، فأصبح «الممر» من ثّم في خدمة أصحاب تلك المستعمرات، الذين غنموا في الواقع - دون سكانه - جميع الفوائد الاقتصادية المترتبة على ثوابته. ويعني هذا من ثَمّ أن دخول أجسام غريبة إلى جسد الحوض - بالمفهوم الذي سبق عرضه - قد جعل هذه الأجسام الغريبة تستأثر بكل خيرات البحر الأحمر وفوائده ، ومما زاد من ضعف دول الحوض اقتصادياً وسياسيًا. وما تلاه من حروب وصراعات وقرصنة في مطلع القرن 21 ولاسيما اليمن والصومال وإثيوبيا وإرتريا ما يثير القلق لاسيما في ضوء التهديدات في منطقة مضيق باب المندب وخليج عدن، بفعل الأوضاع السائدة في اليمن ولاسيما بعد الانقلاب الحوثي على حكومة الشرعية اليمنية المدعوم من إيران وهروب الرئيس عبدربه منصور هادي إلى المملكة العربية السعودية، وما تلاه من تشكيل تحالف عربي لدعم الشرعية في اليمن في 26مارس2015م بقيادة المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة، والأردن والكويت والبحرين وقطر[61]. وتدخل فيما بعد بعض القوى الإقليمية خلال خمس سنوات من الحرب وما تلاه من الأطماع التوسعية لبعض القوى الإقليمية والعربية لاسيما (قطر والإمارات العربية المتحدة) التي انحرفت عن مسار التحالف العربي وأهدافه المشروعة وهو استعادة الشرعية الدستورية، مما يؤثر سلباً في دول الحوض وباب المندب والممر والتجارة الدولية العالمية عبرهما، وهو الأمر الذي يفاقم المخاطر التي تواجه دول الحوض والأمن القومي الإقليمي، مما يتعين على دول الحوض المتابعة الدقيقة و لتطوراته المستقبلية ومساعدة اليمن في إيقاف الحرب واستقراره؛ لأن استعادة الدولة وجهود مكافحة الإرهاب والقرصنة في اليمن وفي خليج عدن لا يتم التنسيق بشأنهما فيما بين الدول المعنية، ومِنْ ثَمّ فقد ترك الباب مفتوحاً لدول أخرى من خارج المنطقة لتأمين سفنها التجارية العابرة من وإلى خليج عدن

والبحر الأحمر من خلال قواعدها العسكرية التي رغم كثرتها في باب البحر الأحمر الجنوبي في باب المندب وجيبوتي وارتريا ويظل التحدي الأمني ماثلاً للعيان على دول حوض البحر الأحمر إلى الآن[62].

الدول المطلة على البحر الأحمر وأهم الجزر فيها:

وتطل على حوض البحر الأحمر وخليجي العقبة والسويس ثمان دول، منها ست دول عربية واثنتان غير عربية[63]: إذ تطل المملكة العربية السعودية على معظم الساحل الشرقي لخليج العقبة والبحر الأحمر بحوالي 930 ميل، كما تطل الجمهورية اليمنية على جزء من جنوب الساحل الشرقي بساحل طوله تقريباً 300 ميل،وتطل المملكة الأردنية الهاشمية على الجزء الشمالي الشرقي من خليج العقبة بحوالي 13ميلا،وتطل إسرائيل المحتلة للأراضي الفلسطينية على جزء من الطرف الشمالي لخليج العقبة بحوالي 4 أميال، كما تطل جمهورية مصر العربية على الساحل الغربي لخليج العقبة وعلى ساحلي خليج السويس والجزء الشمالي من الساحل الغربي للبحر الأحمر بساحل طوله 750 ميلا، وتطل كل من جمهورية السودان 40ميلا، ودولة إرتريا بـ435ميلا بحريا وجمهورية جيبوتي على بقية الساحل الغربي للبحر الأحمر حتى نهايته الجنوبية على التوالي بساحل طوله 20ميلا[64]. ودولتان غير عربيتين، هما:إسرائيل وإرتريا. وتقع أربع من هذه الدول في قارة إفريقيا على الساحل الغربي وهي: مصر، السودان جيبوتي، إرتريا، والأربع الأخرى في قارة آسيا على الساحل الشرقي هي: الجمهورية اليمنية، المملكة العربية السعودية، المملكة الأردنية الهاشمية، إسرائيل[65].

الجمهورية اليمنية :

تعد اليمن[66] من خمس دول متشاطئة على البحر الأحمر على الساحل الشرقي بساحل طوله (442كم) وتتمتع بموقع استراتيجي مهم، يتحكم بعدد من المواقع ذات الأهمية الاستراتيجية كونه يطل على البحر الأحمر غرباً والبحر العربي وخليج عدن جنوباً، ويمتلك عدد من الجزر المهمة وتنتشر الجزر الساحلية على طول الساحل ومعظمها قريبة منه وأكبر هذه الجزر هي جزيرة (كمران) وهي ثاني أكبر الجزر اليمنية بعد جزيرة (سقطرى) بمساحة تبلغ (205كم2)[67]. واليمن تمتلك موقعاً جغرافياً متميزاً منذ عصور سحيقة، فالجمهورية العربية اليمنية كانت تقع في الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية ويحدها من الجنوب والجنوب الشرقي الشطر الجنوبي من اليمن ومن الشمال المملكة العربية السعودية ومن الغرب البحر الأحمر ومن الشرق صحراء الربع الخالي[68]، وبعد الوحدة اليمنية في 22مايو 1990م امتدت الجمهورية اليمنية في المنطقة الجغرافية الواقعة في جنوب غرب شبه

الجزيرة العربية التي تشمل أراضي حضرموت والمهرة المتاخمة لسلطنة عمان شرقاً وعدن حتى باب المندب غرباً بامتداد ساحل المحيط الهندي جنوباً، كما شملت كل المحافظات الشمالية، التي تحدها المملكة العربية السعودية من الشمال والشرق ويحدها البحر الأحمر بامتداد الطرف الجنوبي عن ساحله الشرقي حتى باب المندب[69]، وتميز موقع اليمن البحري بأنه يتكون من جبهتين مائيتين بالإضافة إلى تحكمه بمضيق باب المندب أحد المضائق المائية المهمة بوصفه عنق الزجاجة للبحر الأحمر، الذي يتحكم بالطرق التجارية بين الشرق والغرب، ويمر عبره (3.3) مليون برميل نفط يوميا بما نسبته 4% من الطلب العالمي على النفط، وتمر عبره(21) ألف سفينة سنوياً وتمثل الشحنات التجارية التي تمر عبر الممر بما يعادل10% من الشحنات التجارية العالمية مما يجعله يحتل المرتبة الثالثة عالمياً بعد مضيق هرمز ومضيق ملقا من حيث كمية النفط التي تعبر يوميا، مما زاد أهميته الاستراتيجية العالمية[70].

أهم الجزر اليمنية في البحر الأحمر:

يمتلك اليمن الكثير من الجزر في البحر الأحمر والمحيط الهندي وخليج عدن، حيث يبلغ عدد الجزر اليمنية (110)جزر حيث تتفاوت فيما بينها من حيث الطبيعة والمساحة والأهمية الاستراتيجية والجيوبوليتيكية من حيث خطوط الملاحة وموقعها، والبعض منها لا توجد لها تسمية نظراً لصغر مساحتها وقلة أهميتها[71]، للجزر اليمنية أهمية خاصة كونها امتداداً لسيادتها وإضافة مهمة لثروتها الطبيعية، وتتحكم بشريان مواصلاتها البحرية الوطنية منها والدولية، والجزر اليمنية في البحر الأحمر تمتلك ميزة إضافية وهي تحكمها بالخط الملاحي الدولي الذي يربط الشرق بالغرب عبر مضيق باب المندب والجزء الجنوبي من البحر الأحمر، وتنتشر في أرجاء مياه ساحل البحر الأحمر لليمن مجموعة كبيرة من الجزر المختلفة في المساحة والارتفاع، وتبعا لموقعها الفلكي والجغرافي يمكن تقسيمها على ست مجموعات نعرضها على النحو الآتي :

مجموعة الجزر الصغيرة المنتشرة قبالة ميناء ميدي:

وهي جزر رملية سهلية لا يزيد ارتفاعها عن 22متراً فوق سطح البحر، ويتوسطها خط طول 42.30 شرقاً وخط عرض 16.20شمالاً وأهم هذه الجزر الموجودة في هذه المجموعة (دجيله وسمير وباري وبكلان ودحراب وفاشت والبيضاء)، وهي جزر غير مأهولة بالسكان ويتجنبها الصيادون لانتشار الشعاب المرجانية حولها لاسيما في الجزء الشمالي والشرقي، ولعل جزيرة (دوحراب) تمثل أهم جزر هذه المجموعة لإشرافها على الممر الملاحي

في هذه المنطقة، وتبعد عن الساحل بحوالي84كم، ولإحاطتها بالشعاب المرجانية وتوجد فيها مصائد غنية بالأسماك مما يؤدي إلى تردد الصيادين اليمنيين عليها باستمرار، كما تأتي جزيرة (بكلان) الواقعة على بعد34كم من الساحل اليمني في المرتبة الثانية من حيث الأهمية، ولوفرة الأحياء البحرية، وتتوافر فيها محطة لتحلية المياه لخدمة الصيادين المترددين عليها، وجزر هذه المجموعة تقع جنوب خط الحدود البحري المرسوم بين الجمهورية اليمنية والمملكة العربية السعودية بموجب المعاهدة الموقعة بينهما في 12 يونيو2000م[72].

مجموعة الجزر المقابلة لميناء اللحية والصليف :

وهي أكثر اتساعاً من المجموعة الأولى وأُكبرها جزيرة كمران الواقعة على خط طول31-42شرقاً وخط عرض15.20شمالاً، وتأخذ امتدادا طوليا من الشمال إلى الجنوب وهي جزيرة سهلية لا يزيد ارتفاعها عن 24متراً فوق سطح البحر، وتحيط بها الشعاب المرجانية من الجوانب كافة عدا الجانب الشرقي المواجه لميناء الصليف وتبلغ مساحتها 205 كم2[73]، وتبعد 100كم شمالي مضيق باب المندب[74]، وتبعد عن الساحل اليمني 12كم، وهي مأهولة بالسكان[75]، وقد قدر عدد سكانها في العام 1974م بحوالي 3500نسمة .سميت الجزيرة بقمران ؛ لأن ظل القمر يظهر في بحرها كأنه قمران وليس قمرا واحدا، وقد احتلتها بريطانيا بعد الاستيلاء على عدن، واستعملتها محجراً للحجاج وبوصفها قاعدة بحرية للسفن الصغيرة[76].

من الجزر القريبة لكمران جزيرة عثمان رامز التي تقع في الخليج الشمالي للجزيرة وتبلغ مساحتها 6 كيلو مترات، وإلى الغرب منها تقع جزيرة عقبان الصغرى، وإلى الشمال الغربي تقع جزيرة البوصني التي تأخذ شكل حدوة حصان وإلى الغرب منها تقع جزيرة عقبان الكبرى، وشمالاً تقع جزيرة كدمان الكبرى وكدمان الصغرى ومن الجزر المواجهة لميناء اللحية تقع مجموعة من الجزر تتوسطها جزيرة انتوفاش الرملية التي يصل أعلى ارتفاع فيها إلى 36 متراً فوق سطح البحر وتبلغ مساحتها 28كم وهي طولية الشكل إلى الغرب منها تقع جزيرة الكدما وإلى الشمال منها تقع جزيرة بري واللبان ، وفي أقصى شمال هذه المجموعة تقع جزيرة الرمال، وإلى الغرب من هذه المجموعة وفي الجزء العميق من البحر الأحمر، تقع جزيرة جبل الطير التي تقع على خط طول41-45شرقاً وخط عرض15.35شمالاً، وهي عبارة عن جبل بركاني يوجد على قمته فنار لإرشاد،السفن المتجه إلى شمال البحر الأحمر وجنوبه،وهي جزيرة استراتيجية لوقوعها بالقرب من خط الملاحة الدولي، تبلغ

مساحتها15كم وبالرغم من عدم وجود سكان فيها؛ إلا أنه يتوافر فيها ساحل رملي صغير يسمح برسو السفن الصغيرة لتموين طاقم تشغيل الفنار بالمؤن والإمدادات المتنوعة، وقد كانت بريطانيا تدير هذا الفنار منذ نهاية 1962م نيابة عن الدول البحرية حتى عاد هذا الحق إلى اليمن في العام1989م[77].

مجموعة جزر الزبير:

تقع هذه الجزر بين خطي عرض15شمالاًو15.20شمالاً وتقع في الجزء العميق من البحر الأحمر، ومعظمها جزر بركانية تكونت بفعل الثورانات البركانية القديمة، ولوجود هذه الجزر في الجزء العميق من البحر فإن شواطئها تكاد تكون خالية من الشعاب المرجانية مما يجعلها صالحة لرسو السفن الصغيرة والمتوسطة،ومن أهم هذه الجزر في هذه المجموعة هي جزيرة الزبير التي يصل أقصى ارتفاع لها في الأجزاء الجنوبية إلى224متراً ويوجد على الجزيرة فنار، وفيها مرسى للسفن الصغيرة التي من خلالها يتم إيصال الإمدادات للفنار.

مجموعة جزر أرخبيل حنيش:

تنحصر هذه الجزر بين خطي طول30-42 شرقاً و43 شرقاً وبين خطي عرض20-13شمالاً و 10-14 شمالاً وهي جزر استراتيجية لوقوعها بالقرب من خط الملاحة الدولي. وتتكون هذه المجموعة من أربع جزر رئيسة وأخرى ثانوية، حيث تقع جزر أبوعلي في الجزء الشمالي الشرقي من المجموعة، ويغلب على سطحها الصخور البركانية، ويفصلها عن جزيرة زقر مسافة3.5 ميل وهذه المسافة هي الممر الوحيد للسفن التي تعبر المنطقة للاسترشاد بالفنار الموجود على أعلى هذه الجزيرة والبالغ117متراً، وللجزيرة مرسى للسفن لإمداد طاقم الفنار بالتموينات الضرورية، ويقع إلى الجنوب الغربي منها جزيرة زقر التي تقع على خط طول45-42شرقاً وعلى خط عرض 14 شمالاً، وهي أكبر الجزر حيث يصل طولها من الشمال إلى الجنوب حوالي20كم وأقصى عرض لها 12كم وتبلغ مساحتها 130كم2 وهي عبارة عن جبل بركاني يصل ارتفاعه إلى 571متراً وينحدر بشدة نحو البحر في الجهة الشمالية بينما ينحدر بصورة تدريجية في الجهة الجنوبية، ويوجد في الجزيرة فنار لإرشاد السفن كما يوجد في الجزء الجنوبي الغربي منها خليج صالح لرسو السفن الصغيرة، وبمواجهة الخليج توجد جزيرتان صغيرتان هما اللخم والجزيرة القريبة، أما في الجزء الجنوبي الغربي وتقع جزيرة اللسان وعلى بعد3كم ونصف من طرف جزيرة زقر تقع جزيرة حنيش الصغير، وهي جزيرة بركانية تبلغ مساحتها 7كم2 ويصل ارتفاع أعلى قمة فيها191مترا، وإلى الجنوب منها تقع

جزيـرة «حنيـش الكـبرىHanish Al-Kabir «عـلى خـط طول42.43شرقـاً وخـط عـرض13.45 شـمالاً، وتمتـد الجزيـرة باتجـاه شـمالي شرقـي وجنوبـي غربي،يبلـغ أقـصى طـول لهـا 19كـم وأقـصى غـرض لها6كـم، ومسـاحتها الاجمالية68كـم وهـي عبـارة عـن جبـل بركانـي يصـل ارتفـاع قمته406أمتـار فـوق سـطح البحر،وينحـدر بصـورة تدريجيـة في الاتجاهـات كافة،وتبعـد 140 كـم عـن جزيـرة ميـون ،وعـن الشـواطئ اليمنيـة حـوالي 25كـم وهـي الأقـرب إلى السـاحل اليمنـي[78]. وتوجـد فيها بعـض أشـجار النخيـل، ومـن طرفهـا الجنوبـي يمكـن مراقبـة الحركـة الملاحيـة للسـفن العابـرة للبحـر الأحمـر الأمـر الـذي يمنحهـا ميـزة اسـتراتيجية خاصة،وتقـع الجزيـرة وسـط شـعب مرجانيـة تحيـط بهـا مـن كل الجوانـب، ممـا يسـاعدها عـلى تنـوع الأسـماك في مياهها القريبـة، فيـتردد الصيـادون اليمنيـون عليهـا في مواسـم اصطيـاد الأسـماك[79]وتنتشر في الجهـة الشرقيـة مـن الجزيـرة مجموعـة مـن الجـزر الصغـيرة .

جزيرة ميون(بريم)[80]:

تقـع جزيـرة ميون(بريـم)في الزاويـة الغربيـة لشـبة الجزيـرة العربيـة في مضيـق بـاب المنـدب وتـشرف عليـه إشرافـاً كامـلاً[81] وتقـع ضمـن الميـاه الإقليميـة اليمنيـة، بـل وتمثـل امتـداداً بريـاً لـلأراضي اليمنيـة، وتبعـد بحـوالي 3كـم عـن رأس جبـل الشـيخ سـعيد[82] وتقـع فلكيـا عنـد تقاطـع خـط عـرض12.40 شـمالاً وخـط طول43.25شرقاً،وتبلـغ مسـاحتها (13كـم2)، وهـي مـن أهـم الجـزر اليمنيـة في البحـر الأحمـر تتمتـع بأهميـة اسـتراتيجية، وجيوبوليتيكيـة نظـراً لموقعهـا في مضيـق بـاب المنـدب، وهـي جزيـرة قاحلـة تتخـذ شـكل الهـلال وهـي مليئـة بالصخـور البركانيـة وتفتقـر إلى الميـاه الصالحـة للـشرب، ويسـكن جزيـرة بريـم حـوالي 300نسـمة مـن أجنـاس مختلفـة غالبيتهـم مـن العـرب [83]، إلا أنـه يوجـد فيهـا بعـض مـن الخزانـات ومكثفـات الميـاه، ويبلـغ طولهـا 5كـم وعرضهـا 3.2كم، وأعـلى قمـة في الجزيـرة تعلـو سـطح البحـر بـ71مـتراً، ويوجـد فيهـا فنـار لإرشـاد السـفن تقـوم بتشـغيله هيئـة الموانـئ لخدمـة الملاحـة الدوليـة[84]، وتحتـوي الجزيـرة عـلى مرفـأ صغـير عنـد طرفهـا الجنوبـي الغربي.تتحكـم جزيـرة ميـون بالجهـة الجنوبيـة للبحـر الأحمـر، لوقوعهـا في مضيـق بـاب المنـدب الممتـد مـن السـاحل اليمنـي عنـد جبـل الشـيخ سـعيد حتـى السـاحل الإفريقـي جهـة الغـرب، وتقسـم الجزيـرة مضيـق بـاب المنـدب إلى شـطرين أو قناتـين غـير متسـاويتين إحداهمـا: صغـرى وتسـمى (1) قنـاة اسـكندر وتقـع بـين سـاحل الجزيـرة واليمـن ويبلـغ طولهـا3 أميـال وعرضهـا نحـو (3كـم) وعمقهـا(26) مـتراً[85]. (2) القنـاة الكـبرى وتقـع بـين السـاحل الغربـي لجزيـرة بريـم والشـواطئ الإفريقيـة طولهـا (10,5)

أميال[86] وهي الممر المائي الدولي لمضيق باب المندب، ويبلغ اتساعها 20 كم وعمقها 300م صالحة للملاحة[87]. وتنبع أهمية مضيق باب المندب من أنه يربط البحر الأحمر بالمحيط الهندي عبر بحر العرب والقرن الإفريقي وبحر عمان ويربط الخليج العربي بالبحر الأحمر ومنه إلى البحر الأبيض المتوسط، ويقع في منتصف الطريق بين السويس وبومباي، ويبلغ طول المضيق (50)ميلاً وعرضه (19,5) ميلا بما في ذلك جزيرة بريم[88]. ونظراً لموقعها الجيوبوليتيكي المؤثر في محيطها الإقليمي والدولي فقد تعرضت الجزيرة لعدة غزوات، إذ احتلها البرتغال في العام1513م ومن بعدهم الفرنسيون في العام1738م[89]، ومن ثم احتلها البريطانيون في العام1799م لعرقلة الملاحة الفرنسية في البحر الأحمر وتأمين مستعمراتها في الشرق، إلا أن بريطانيا انسحبت منها في العام نفسه لعدم صلاحيتها للسكن، إلا أنها احتلتها مرة أخرى في العام1857م[90] وبقيت تحت سيطرتها حتى الاستقلال الوطني في 30 نوفمبر من العام1967م[91].

جزيرة سقطرى:

تقع في المحيط الهندي وتبعد على الساحل اليمني الجنوبي(حضرموت المهرة) بحوالي400كم، وتبعد عن الصومال بـ250كم من رأس جواردفوي (حافون) وتعد جزيرة سقطرى أكبر الجزر اليمنية، وتقع بين خطي عرض (12.18-12.24) شمال خط الاستواء وخطي طول (53.19-54.33) شرق جرينتش وتبعد (380كم) من رأس فرتك بمحافظة المهرة بوصفه أقرب نقطة للساحل اليمني، كما تبعد عن محافظة عدن بحوالي (553ميلاً)[92]. وكانت جزيرة سقطرى من الجزر المهمة في التاريخ القديم[93]، وسماها قدماء المصريون، والهنود، واليونان، والرومان باسم «جزيرة السعادة»[94] وكانت المصدر الرئيس بإنتاج (المّر واللبان والصبر والعنبر والزباد[95] من الجزر اليمنية المهمة التي تتمتع بموقع استراتيجي فهي تقع بمحاذاة الساحل الشرقي الإفريقي وخليج عدن، يبلغ طولها42 وعرضها135كم، وتبلغ مساحتها (3650)كم2[96]. وتتبعها عدد من الجزر هي) :جزر عبدالكوري وسمحه ودورسي وسمبويه وصخورفروق وفرعون)[97] ومن الناحية الجغرافية تشكل جزءاً من إفريقيا الشمالية الشرقية، وتبرز أهميتها الجيوبوليتيكية في تأثيرها في الطريق التجاري المار من البحر الأحمر إلى الهند، وتعد الجزيرة بحكم موقعها من مناطق التحكم في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر فهي تتعدى بأهميتها الجيوبوليتيكية محيطها الإقليمي إلى الدول صاحبة المصلحة السياسية والاقتصادية في البحر الأحمر؛ لأنها نقطة خنق وتحكم في المدخل الجنوبي، والجزيرة مأهولة بالسكان ويتجاوز عدد سكانها بالمائة ألف نسمة في العام2012م[98]. وقبل الوحدة اليمنية كانت تتبع

محافظة عدن منذ الاحتلال البريطاني لعدن في العام 1839م، ثم تحولت أخيراً إلى محافظة المهرة التي ارتبطت بها تاريخياً وسكانياً، وهي قريبة منها، وكانت منذ أزمنة طويلة تابعة لها[99]. وبعد توحيد اليمن في 22مايو1990م، تعد المحافظة الثانية والعشرون في الجمهورية اليمنية بحسب القرار الجمهوري رقم (31) للعام 2013م الموافق18ديسمبر2013[100]، وهي منطقة زراعية تزرع فيها النخيل والذرة والحنطة إلى جانب تربية الحيوانات، وبالوقت نفسه تعد منطقة تجارية لكونها محطة للسفن القادمة من شرق إفريقيا[101]وتشتهر بشجرة اللبان ودم الأخوين.[102]

المملكة العربية السعودية:

تتمتع المملكة العربية السعودية بموقع استراتيجي متميز، إذ تقع في شبه الجزيرة العربية، في أقصى جنوب غربي آسيا، وتغطي مساحة المملكة العربية السعودية - التي تبلغ مليوني كيلومتر مربع - نحو ثلثي مساحة شبه الجزيرة العربية، وتنحصر بين الخليج العربي من الشرق، وخليج العقبة والبحر الأحمر من الغرب، ونتيجة لهذا الموقع المتميز والمساحة الواسعة تمتلك المملكة ثلاث واجهات بحرية، يبلغ طول سواحلها نحو3400كم، إحداهما على البحر الأحمر، والأخرى على الخليج العربي[103] . وتطل المملكة العربية السعودية من الغرب على خليج العقبة والبحر الأحمر بساحل يبلغ طوله نحو2400كم، وتحتل المرتبة الأولى بين الدول المطلة على ضفتي البحر الأحمر من حيث طول الساحل، ويمثل طول ساحلها على البحر الأحمر نحو80% من الساحل الشرقي للبحر الأحمر[104]. وقد انعكس هذا الطول على عدد الجزر التي تمتلكها المملكة العربية السعودية على ساحل البحر الأحمر ويبلغ عدد جزر المملكة العربية السعودية ذات الأسماء المعروفة والمشهورة (405) جزر، تمثل نحو (35%) من مجمل جزر المملكة الموضحة على خرائط المصادر، منها(376) جزيرة في خليج العقبة والبحر الأحمر[105]. ومعظم جزر المملكة العربية السعودية تقع على مسافة بعيدة من الخطوط الملاحية الرئيسة الطولية في البحر الأحمر. ولا تشكل تهديداً مباشراً للملاحة الدولية فيه نظراً إلى عدم تحكمها في مضائق أو نقاط اختناق، ويمكن استغلال هذه الجزر بوصفها مواقع أمن متقدمة للدفاع عن الساحل السعودي[106], وتختلف الجزر السعودية من حيث النشأة والتكوين، فمعظمها مرجانية النشأة، وبعضها رملية النشأة، وأخرى قارية النشأة، وكذلك بركانية النشأة. ويغلب على معظم الجزر السعودية استواء السطح، غير أن هناك بعض الجزر في البحر الأحمر ذات سطح مرتفع، تظهر عليه بعض المرتفعات، كجزر : ثيران(518م)،

وصنافر(112م)، ويبوع(112م)، والنعمان(43م)، وجبل حسان(165م). وتتركز معظم جزر المملكة العربية السعودية قرب السواحل نظراً لاتساع الجرف القاري. وتعد جزيرة (البغلة) - وهي إحدى جزر أرخبيل فرسان - أبعد الجزر في البحر الأحمر عن الساحل، إذ تبعد عنه نحو 57,8ميلاً بحرياً[107]، ونظراً لطبيعة تكوين جزر المملكة وظروفها المناخية وقلة مواردها الاقتصادية، فإنها غير مأهولة بالسكان باستثناء جزر « فرسان الكبير» وسجيد وقمّاح وهي من جزر أرخبيل فرسان في البحر الأحمر[108] .

أهم جزرالمملكة العربية السعودية:

جزر أرخبيل فرسان[109]:

هي مجموعة من الجزر ومنها: جزر فرسان الكبير تقع غرب مدينة جيزان، وتنحصر بين دائرتي العرض 35,16 و 16,54شمالاً، وخطي الطول41،45 و 42,12شرقاً تقريباً، تبلغ مساحتها نحو (380كم2)، وهي قلب جزر فرسان وأكبرها حيث تحيط بها بقية الجزر التابعة لها ويبلغ إجمالي مساحتها مع الجزر التابعة لها بـ(1050كم2)[110]. ولذا سميت المجموعة باسمها، وهي أكبر وأهم الجزر السعودية في البحر الأحمر[111]، وأخذت اسمها من اسم العشيرة العربية التي كانت تسكنها المأهولة بالسكان التي اشتهر أهلها باستخراج اللؤلؤ[112]، ويتبع جزر فرسان الكبير عدد من الجزر أهمها جزيرة السجيد، وفرسان الصغرى، وقمّاح، وجزيرة أبوغنم، وجزيرة زفاف وهي جزر مأهولة بالسكان وغالباً ما تكون مناطق سياحية[113] ومن الجزر الأخرى هي الدسان، وسيبارة، وحاطبة، وساسوه الغربية، ومشاية، وشريفة، وام ورمة، ودمسك، ورأس الرحيب، وسويحل، وجميع تلك الجزر تقع على البحر الأحمر إلا أن أهميتها قليلة لصغر مساحتها فجميعها لا تزيد مساحتها على 1كم2[114]. إضافة إلى جزيرة النعمان، وجزيرة جبل حسان -الواقعتين شمال البحر الأحمر- حيث يوجد عليهما بعض أكواخ الصيادين ويقدر عدد سكانها بحوالي4600نسمة تقريباً وهي تتمتع بموقع استراتيجي على البحر الأحمر حيث يمكن من خلالها الإشراف على الممر الملاحي في البحر الأحمر وتوجد بها عدد من المنتجعات السياحية[115].

جزر ساحل ينبع وجدة:

وهي مجموعة من الجزر الصغيرة، واحدة منها كبيرة ومهمة تقع مقابل ساحل ينبع، وثلاث أخرى مقابل ميناء جدة وكانت تستعمل بوصفها محجراً طبياً لحجاج بيت الله الحرام القادمين من البحر.[116]

3 - جزيرة حسان:

تقع مقابل الساحل الحجازي بين الوجه وينبع، وهي شبه خالية استعملت رمالها فيما سبق لصنع الزجاج[117].

جزر تيران، وصنافر:

تشير الخرائط والمراجع السعودية الرسمية الحديثة إلى أن جزر (تيران/ ثيران THIRAN وصنافر SANAFR) جزر تابعة لها[118]، وهي التي تقع ثيران/تيران بين خطوط العرض 34،56 و27. وخط الطول (34.00،34) وتقدر مساحتها بحوالي (61,5كم2)، وجزيرة صنافر بين دائرة العرض (56,00و27) وخط الطول (30،34,42)، وتبلغ مساحتها (24,5كم2)[119]. بينما تشير بعض المصادر والمراجع التاريخية إلى أن الجزر تتبع مصر[120] وتشير الباحثة السودانية سلوى عثمان إلى أن الخلاف في هاتين الجزيرتين الاستراتيجيتين كان دائراً بين المملكة العربية السعودية ومصر، كما أصدرت مصر بياناً يحدد جزيرتي (تيران وصنافير) في المياه الإقليمية السعودية، وتنوعت مواقف السلطات المصرية الرسمية الثلاث فيما يتعلق بأمر الجزيرتين، فيما أيدت السلطة التنفيذية منح الجزيرتين للسعودية وعارضت السلطة القضائية المصرية وفي المنتصف وقفت السلطة التشريعية مابين مؤيد لإجراءات السلطة التنفيذية ومعارض لها. وقضت محكمة القاهرة للأمور المستعجلة في يوم الأحد 2 إبريل2017م بتبعية جزيرتي تيران وصنافير للسعودية ليسقط كما تقول المحكمة قرار سابق صادر عن المحكمة الإدارية العليا بترسيم الحدود مع السعودية والإبقاء على الجزيرتين تحت السيدة المصرية وعدّت محكمة الأمور المستعجلة حكم المحكمة الإدارية العليا منعدما[121]. ولكن الكاتب والمؤرخ محمد حسنين هيكل لم يشر في كتابه - سنوات الغليان - إلى أن جزيرتي (تيران وصنافر) سعوديتان بل يشير إلى وثائق أمريكية تشير إلى صراع – أمريكي روسي - في حوض البحر الأحمر ولاسيما مضائق (العقبة وتيران) وتحث على استعمال القوة من جانب إسرائيل في حال عجزت الأمم المتحدة بصورة فعالة عن تسوية نزعات المنطقة ولاسيما في خليج «العقبة وتيران» وتؤكد أن الملاحة في الخليج لا يمكن تركها تحت رحمة قرار مصري فإن الأمم البحرية قد يكون عليها أن تقرر استعمال القوة للإبقاء على مضائق تيران وخليج العقبة مفتوحة، لاعتقاد بأن هذا حق صريح لها، ولأن معركة القرن تدور رحاها في منطقة الشرق الأوسط وهدفها استعادة وتثبيت سيطرة الغرب (الولايات المتحدة بالذات) على المنطقة وأن المطلب الأول لها هو تصفية الوضع الثوري في مصر؛ لأن هذا الوضع الثوري يهدد بأحد أمرين من وجهة النظر الأمريكية: أن تستطيع مصر تكتيل تيار قومي عربي قادر يمنع تحقيق الحلم الامبراطوري الأمريكي - والأمر الآخر هو أن مصر في محاولتها سوف تفتح الباب لدور سوفيتي على الأقل لكي توازن به المخطط الأمريكي

- وهـذا محظـور لا بـد مـن التصـدي لـه. وأن الملـك سـعود هـو الشـخص البديـل عربيـاً لنـاصر وأن لنـاصر تأثـيراً شريـراً في المنطقـة كمـا يشـاطرون البريطانيـين والفرنسـيين الأمريـكان آراءهـم في نـاصر إلى حـد كبـير[122]. ومهمـا يكـن الأمـر فـإن الأمـر يرجـع للبلديـن العربيـين المتجاوريـن في تسـوية قضيـة الجـزر لخدمـة مصلحتهـم ومصلحـة الأمـة العربيـة والإسـلامية ودول حـوض البحـر الأحمـر.

ومـن الجـزر السـعودية المهمـة الأخـرى جزيـرة (بيـت الجرمـل) وهـي تتمتـع بموقـع اسـتراتيجي مهـم كونهـا تـشرف عـلى الممـر الملاحـي في البحـر الأحمـر ولأهميتهـا فقـد اسـترعت انتبـاه الألمـان أثنـاء الحـرب العالميـة الأولى فقامـوا ببنـاء مسـتودع كبـير لهـم فيهـا، وهـذا يعنـي أنهـا تصلـح نقطـة مراقبـة وقاعدة عسـكرية لأمـن البحـر الأحمـر.[123]

المملكة الهاشمية الأردنية :

تتـوزع جـزر البحـر الأحمـر عـلى الـدول المطلـة عـلى البحـر الأحمـر ماعـدا المملكـة الأردنيـة الهاشـمية الوحيـدة مـن دول حـوض البحـر الأحمـر مالكـة لأي جزيـرة ومـن ثـم تكـون الدولـة الأكثـر تـضرراً لاسـيما إذا قابلنـا مـع إسرائيـل الجـارة لـلأردن التـي تسـتأجر أربـع جـزر مـن إريتريـا مـن جـزر دهلـك تحديـدا، وتقيـم فيهـا قواعـد عسـكرية بحريـة ومـزارع وتتحكـم ومـن ثـمّ بأمـن البحـر الأحمـر وبـاب المنـدب وتحـوز مـن ثـمّ عـلى مكانـة اسـتراتيجية في البحـر الأحمـر لاسـيما وأن إسرائيـل بحوزتهـا غواصـات نوويـة هـي غواصـات الدولفـين، ونظـراً لمـا لجـزر البحـر الأحمـر مـن أهميـة للـدول المالكـة والمطلـة والمسـتأجرة لهـا مـن نواحي عديـدة منهـا العسـكرية والأمنيـة والاقتصاديـة وغيرهـا[124].

وتـشرف الأردن عـلى خليـج العقبـة الـذي يقـع إلى الـشرق مـن جزيرة سـيناء وإلى الغـرب مـن شـبه الجزيـرة العربيـة عـلى امتـداد تلاقـي الصفيحتـين التكوينيتـين العربيـة والإفريقيـة لينتهـي شـمالاً إلى وادي عربـة؛ الحـد الشرقـي لصحـراء النقـب في فلسـطين، ويُعَـدّ مضيـق تـيران الحـد الجنوبـي للخليـج، ويبلـغ طـول خليـج العقبـة مـن مضيـق تـيران جنوبـاً إلى وادي عربـه شـمالاً (160)كـم. أمـا عرضـه فيصـل إلى 24كـم. وأعمـق نقطـة في الخليـج (1,850)مـتر تحـت سـطح البحـر. تطـال عـلى الخليـج أربـع دول تمتـد سـواحل السـعودية ومـصر عـلى جانبيـه الشرقـي والغربـي، وتنحـصر سـواحل الأردن والأراضي المحتلـة الفلسـطينية (إسرائيـل) عـلى شريـط ضيـق في أقـصى شـمال الخليـج، وخليـج العقبـة هـو حـوض مائـي شـبه مغلـق متصـل عـبر مضيـق ضحـل نسـبيا مـع باقـي البحـر الأحمـر، هـذا المضيـق الرابـط مـع البحـر الأحمـر لـه تأثـير نشـط وحيـوي في الخليـج مـن خـلال عمليـة المـد والجـزر، وفي الجهـة الشـمالية مـن الخليـج توجـد ثـلاث مـدن مهمـة وهـي: طابـا في

مصر والعقبة في الأردن وإيلات في إسرائيل هذه المدن الثلاث تعتبر اليوم مرافئ تجارية استراتيجية مهمة لهذه الدول المطلة على حوض البحر الأحمر، حيث إن ميناء العقبة هي المنفذ البحري الوحيد للأردن وميناء إيلات هو المنفذ البحري الوحيد لإسرائيل على البحر الأحمر[125].

الكيان الصهيوني الغاصب (إسرائيل) :

تم الإعلان عن قيام دولة إسرائيل في العام 1948م[126]، ولقد قامت على أنقاض أرض الشعب الفلسطيني الذي تم تهجيره إلى شتى بقاع العالم دون مراعاة لإنسانيته وحقوقه المشروعة ويشكل تهجير الشعب الفلسطيني مأزقاً للإنسانية جمعا[127]، كما أن استمرار الوضع على ما هو عليه يشكل مناخات مناسبة لبروز الإرهاب[128]، ويسكن أغلب سكان الشعب الفلسطيني في مخيمات للجوء تتوزع على الضفة الغربية وقطاع غزة والأردن وسوريا ولبنان، ويعد الشعب الفلسطيني من بين الشعوب الأكثر علما وثقافة في الشرق الأوسط، ولقد امتلك أهل المخيمات الفلسطينية مزارع وبيارات امتدت إلى سواحل البحر الأبيض المتوسط، ومارسوا الزراعة وعرفوا التمدن، كما ارتادوا البحر من أجل التجارة وصيد الأسماك، وتبلغ مساحة فلسطين التاريخية (27300كم2) تتضمن سهولاً خصبة جدا منها مدرج ابن عامر وجبال صالحة لزراعة التين والزيتون وساحل على البحر الأبيض المتوسط يبلغ طوله حوالي (270كم2)، وعند انسحاب إسرائيل من قطاع غزة في العام 2005م حصل القطاع على (32كم) من الساحل، مما أدى إلى تقلص طول الساحل الإسرائيلي على البحر الأبيض المتوسط إلى (238كم). ولقد أعطى وعد بلفور أرض فلسطين للمنظمة الصهيونية العالمية من أجل إنشاء دولة فيها ولقد تحقق لهم ذلك بتخاذل دولي وعربي، وأيدت الأمم المتحدة قيام دولة إسرائيل وانشغل العرب عن فلسطين وشعبها بحروبهم البينية على الأراضي التي خلفها العثماني[129]. وقامت إسرائيل في العام 1949م بعد التوقيع على هدنة رودس بينها وبين مصر إثر هزيمة الجيوش العربية بالتقدم نحو قرية أم الرشراش لاحتلالها[130] بواسطة لوائي النقب وجولاني تحت غطاء المناورة، وتمكن اللواءان من السيطرة على أم الرشراش بقيادة «اسحاق رابين» وأطلق على عملية الاستيلاء على ام الرشراش عملية عوفيدا، وغيرت إسرائيل اسم أم الرشراش إلى (إيلات) وكان ذلك في العام1952م، لتطل إسرائيل من ثَمّ على البحر الأحمر، ولتصل إلى المحيط الهندي مما يحقق لإسرائيل ميزات عسكرية كبيرة[131]. وانطلاقاً من إيلات البالغ طول ساحلها (11كم)، تبحر من هناك إلى جزره الإثيوبية الإريترية ولتتصادم مع مصر في سبيل تأمين طريقها في

حوض البحر الأحمر، وفي شق (قناة البحرين»[132] وتمتلك إسرائيل قوة بحرية أدواتها الغواصات النووية من طراز دولفين، مما يجعل لإسرائيل إمكانية ارتياد البحار العليا، والإبحار في المياه الزرقاء، ولإفريقيا مكانة خاصة في الفكر الاستراتيجي الإسرائيلي، فمن إفريقيا تتمكن إسرائيل من محاصرة الدول العربية، من الناحية الغربية للبحر الأحمر ، وفي إفريقيا تستطيع إسرائيل أداء دور الشرطي النائب عن الولايات الأمريكية المتحدة فيما يتعلق بالحد من إمكانية دخول أي قوى أجنبية أخرى ، ومن القارة الإفريقية تستطيع إسرائيل توفير مواردها الأولية منها اليورانيوم والنفط والمعادن ،كما أن للسلاح والمخدرات الإسرائيلية رواجاً في الداخل الإفريقي، وكل ما سبق لا يتحقق لإسرائيل دون وجودها على البحر الأحمر وفيه، كما أن قضية التحكم بمياه النيل من استراتيجيات إسرائيل اليوم[133].

الدول المطلة على الساحل الغربي :

جمهورية مصر العربية:

تقع مصر في الركن الشمالي الشرقي من القارة الإفريقية، ويحدها من الشمال البحر الأبيض المتوسط، ومن الجنوب السودان، ومن الغرب الصحراء الليبية، ومن الشرق البحر الأحمر، وخليج العقبة، وفلسطين[134]، وتُعَدّ بسبب النيل الممتد نحو الجنوب المدخل الرئيس للقارة، وهي أيضاً ممر رئيس يصل بين البحر الأحمر، والمحيط الهندي من جهة، والبحر المتوسط، فالمحيط الأطلسي من جهة أخرى[135]. ويشغل الموقع المصري جغرافياً، قطر مربع الشكل وتبلغ مساحة مصر (1.002.000كم2) وتمتد بين دائرتي عرض 30-31شمالاً، 22جنوباً (شمال خط الاستواء) وبين خطي طول 36،30شرقاً، 25غرباً (شرق جرينتش)[136]، وتطل مصر على البحر الأبيض المتوسط من خلال ساحل يبلغ طوله (950كم)،[137] كم تطل مصر على البحر الأحمر من خلال ساحل يبلغ طوله من طابا حتى الحدود السودانية بنحو (1950كم) ويشكل نسبة25% من مجموع طول سواحل البحر الأحمر[138]. لذلك فإن الموقع المصري على الرغم من غلبة أطوال حدوده البرية فقيمته الحقيقية تبدو في إطلالته البحرية، إذ إن حدوده هذه تتيح له فرصة الاتصال الخارجي بعالم البحر المتوسط، ودول ساحلي البحر الأحمر والخليج العربي وبلاد شرق الأقصى، وأصبحت مصر من خلال موقعها هذا، دولة ذات جهتين أو ساحلين بحريين، وفي ذات الوقت محوراً ملاحياً قصيراً يسهل الوصول من وإليه بحرياً، وتبعاً لهذا الموقع الممتاز والفريد من نوعه أصبحت مصر حسبما عبر عنها «جمال حمدان» بقولة إنها عين القلب، حيث تجتمع فيها القارات الثلاث.[139] ويعد البحر الأحمرأساسيا للأمن القومي المصري فهو الطريق من وإلى قناة السويس[140].

الجزر المصرية:

توجد في المياه الإقليمية المصرية مجموعة من الجزر في البحر الأحمر ست وعشرين جزيرة، تتفاوت مساحاتها، ويختلف تكوينها الجيولوجي، ويقع أغلبها قريباً من خط الساحل المصري، وعند مداخل خليجي العقبة والسويس، حيث تزداد أهميتها الدفاعية والإستراتيجية وفي ما يلي أهم هذه الجزر:

أ- جزيرة تيران: هي جزيرة تقع في مدخل مضيق تيران الذي يفصل بين البحر الأحمر من خليج العقبة، وتبلغ مساحتها حوالي 80كم2 (30ميل مربع). وهي جزء من محمية رأس محمد الوطنية. جزيرة تيران لها أهمية استراتيجية في المنطقة،كما أنها تشكل أضيق جزء من مضيق تيران، وهو ممر بحري مهم إلى الموانئ الرئيسة من العقبة في الأردن وإيلات في إسرائيل. الجزيرة حالياً مأهولة فقط من قبل الأفراد العسكريين من مصر والقوة المتعددة الجنسيات والمراقبون (MFO)[141].

ب- جزر»جوبال»: هي مجموعة صغيرة من الجزر،أهمها «جوبال الكبيرة»و «جوبال الصغيرة»[142]. وتبتعدان عن الساحل مسافة 30كم، وهما يمثلان الجزء الشمالي من مضيق جوبال، وتبرز أهميتهما الاستراتيجية بحكم موقعهما فهما نقاط تحكم في المدخل الشمالي للبحر الأحمر، ومن الناحية الجيوبوليتيكية يتعدى تأثيرهما المحيط الإقليمي لهما إلى الدول صاحبة المصالح السياسية والاقتصادية. وتبلغ مساحة جوبال الكبيرة 9.6كم2. ويصل جوبال الصغيرة حاجز مرجاني ضحل. والجزيرتان تسيطران على ممرات الملاحة الرئيسة، عند المدخل الجنوبي لخليج السويس[143]. وجزر أم الحميات الكبيرة والصغيرة، وتبعدان عن الساحل 408كم، وهما جزر مرجانية تتصلان مع جزيرة القيسوم بحاجز مرجاني عميق، وجزر طوال، والحمراء، وأم البيان، تبتعد عن الشاطئ بمسافة22,5كم, وجزر سيول الكبرى والصغرى وتبتعدان عن الساحل بمسافة 30كم وتقعان في منتصف المسافة بين شدوان وجوبال وهما جزيرتان تصلحان للسياحة في الأعم الأغلب، وجزيرة أم قمران، تبعد عن الساحل 6كم وهي جزيرة مرجانية التكوين تقع غرب جزيرة أم قمر[144]. زد على ذلك جزيرة الزبرجد التي تقع بالقرب من رأس باناس وهي جزيرة تكونت بفعل الصخور البركانية غير مأهولة السكان[145].

ج- جزيرة طويلة: تقع جنوب جزيرة جوبال بنحو 3.2كم. ومساحتها19.2كم2. وهي ذات أهمية عسكرية، نظراً إلى وقوعها بين جزيرة جوبال الكبيرة وجزيرة شدوان، وقربها من خط الملاحة الرئيس، ووجود مرفأ صغير ونقطة حراسة فيها[146].

د- جزيرة شدوان:

وهي من أكبر الجزر المصرية تقع عند مدخل خليج السويس تبعد عن الغردقة 35 كم، وبحكم موقعها تتحكم بالمدخل الشمالي للبحر الأحمر[147] يبلغ طولها

14-16كم، ويتراوح عرضها مابين 35-40كم، ويبلغ ارتفاعها300م فوق سطح البحر، وتبلغ مساحتها70كم2، ويمكن أن نعزو السبب الذي قطع الصلة بينهما وبين اليابس إلى عوامل التعرية، وتكمن أهميتها الجيوبوليتيكية كونها الممر الرئيس لنقل النفط والبضائع التجارية، لذلك فإن تأثيرها من الناحية السياسية والاقتصادية يتعدى محيطها في القرن الإفريقي إلى الدول الأوربية التي لها مصالح اقتصادية وسياسية في البحر الأحمر[148]. وتبلغ مساحتها 38.4كم2. وتتألف كتلتها الرئيسة من الصخور الجرانيتية. وفيها سلسلة جبلية، يبلغ أقصى ارتفاع لها300متر. وتمثل الجزيرة بداية المدخل الجنوبي لمضيق جوبال، بين خليج السويس والبحر الأحمر، ويقع في طرفها الغربي الممر الملاحي الرئيس، الذي تبعد عنه جزيرة جوبال الكبيرة مسافة لا تزيد على 2كم. وهي محاطة بمياه عميقة بـ (200م). وفيها منارة بحرية ومنشآت عسكرية ومهبط للطائرات ومرسى بحري. وللجزيرة أهمية إستراتيجية كبيرة. فهي تتحكم في الحركة الملاحية المتجهة إلى مضيق جوبال. كما تتحكم في الممرات المائية الصالحة للملاحة، التي تتخلل الشعاب المرجانية[149]. وهناك جزر تقع على الشواطئ وهي تصلح للتجارة والسياحة معاً لكونها تقع على الشواطئ وتمتد من ساحل الغردقة حتى منطقة حلايب عند حدود السودان، وأغلبها عبارة عن نتوءات صخرية وهي جزيرة جفتون الصغير، تبلغ مساحتها 3كم2، وتقع إلى الجنوب الشرقي من جزيرة جفتون الكبير، وكانت جزءاً منها انفصلت بفعل عمليات التصدع، يبلغ طول ساحلها 8كم وتزداد اتساعاً في الجنوب أكثر من الشمال،وجزيرة أبو رماثي مساحتها 1,2كم2 وطولها1,2كم وعرضها 12م مربع، وجزيرة سفاجا تقع في مواجهة ميناء سفاجا، مساحتها13كم2، وطول سواحلها 35كم، وجزيرة أبو منقار تقع أمام ساحل غردقة مساحتها 2كم2، وتغطي سطحها تكوينات مرجانية ورمال[150]. ومن الجزر الأخرى جزيرة مجاويش مساحتها 40 ألف متر مربع، منخفضة السطح طول ساحلها1كم، هذا إلى جانب جزر صغيرة جداً لها سمات الجزر وهي جزيرة طوبى وجزيرة أم الجرصان، وجزيرة وادي الجمال، وجزيرة قلعان، وجزيرة مكوع، وجزيرة ماريو، وجزيرة سيال، وجزيرة حلايب، وأغلبها مناطق سياحية مأهولة السكان[151].

هـ- جزرالجفاتين:

هي ثلاثة جزر في مواجهة الساحل، عند مدينة الغردقة. أهمها جزيرة «جفتون الكبير» التي تبلغ مساحتها 12.8كم2، وتبعد عن مدينة الغردقة 5كم. وجزيرة الجفتون الصغير أمام ساحل الغردقة، وجزيرة أبو منقار أمام شيراتون الغردقة، وجزيرة الفناديـر، وجزيرة تيران، أيضًا توجد في مصر جزيرة الأخوين وتقع مابين سفاجا والقصير وهي واحدة من أفضل التجمعات المرجانية وأسماك القرش وواحدة من أفضل مناطق الغطس وهي منطقة للجذب السياحي[152].

جمهورية السودان:

وتطل السودان على البحر الأحمر بشاطئها طويلاً يبلغ طوله (717) كم[153]، ويبلغ عرض شريط السهل السوداني في القطاع الجنوبي فيما بين رأس قصار على الحد السياسي لإريتريا وبين الشرم الذي تقع عليه بورتسودان حوالي 55كم، يضيق من القطاع الأوسط فيما بين بورتسودان ورأس أبو شجرة إلى حوالي 25 كم فقط، ثم يتسع مرة أخرى في الأطراف التي هي خط العرض 22ش إلى الحد الفاصل بين الأراضي المصرية والسودانية[154]. ويمتاز الساحل السوداني بالنمو المرجاني مما أكسبه ميزة خاصة تتعلق بالملاحة من جانب، وقيام الموانئ من جانب آخر، حيث ينتشر عدد كبير من الموانئ الطبيعية التي تحميها الحواجز المرجانية من خطر الأمواج .[155]

أهم الجزر السودانية:

وتمتلك السودان 59 جزيرة على ساحل البحر الأحمر، متفاوتة من حيث المساحة والأهمية الإستراتيجية والاقتصادية بما تحتوي عليه من ثروات اقتصادية بالإضافة إلى ثرواتها فيها تصلح مراكز للمراقبة لخطوط الملاحة الدولية في البحر الأحمر ومن أهم تلك الجزر هي جزيرة الريح التي تبعد عن الساحل السوداني واحد كيلومتر، وهي تصلح للمراقبة[156]، وأكبر الجزر السودانية جزيرة «مكور» التي تبلغ مساحتها 16.5كم2. وكما توجد بعض الجزر لا أسماء لها، ومن الجزر السودانية المعروفة في البحر الأحمر:

مجموعة جزر سواكن:

وهي مجموعة كبيرة من الجزر صغيرة المساحة. وتبتعد عن الساحل السوداني مسافات متفاوتة، يبلغ أقصاها 160كم شرقاً. وتنتشر فيما بين هذه الجزر والشعاب المرجانية والصخور، التي تشكل عقبات ملاحية. ولكنها تشكل، في الوقت نفسه، مانعاً طبيعياً ضد أي اعتداء يأتي من جهة البحر، وذلك لصعوبة الملاحة فيها[157].

جزيرتا «سواكن» و«قوارنتين» جزيرتان صغيرتان قريبتان من مدخل ميناء سواكن. وقد تَمّ وصلهما بالميناء بسكة حديد وطرق معبدة. وأصبحت الجزيرتان موضعاً لأحياء سكنية تابعة لمدينة سواكن. جزيرة سواكن من أقدم المدن والموانئ السودانية قديمة قدم التاريخ ويرجع تاريخها حسب بعض الروايات إلى عهد سيدنا سليمان بن داود «عليه السلام» أي في القرن العاشر. ق.م، وكانت ميناء لعدة حضارات متتالية وكانت محطة لخدمة السفن التجارية العابرة للبحر الأحمر حيث يتم تزويد هذه السفن بالمياه والمواد الغذائية، كما أنها كانت تعد من أفضل المراسي في البحر الأحمر للحماية من العواصف البحرية، وكانت تشبه عيذاب في نشأتها وطبيعتها، والمكانة التي وصلت إليها، واستفادت سواكن من الخراب الذي حل بميناء عيذاب على يد المماليك في العام 1426م. ويسكن مدينة سواكن قبائل البجة الهندوة والأمرار والبشاريين والحضارمة من حضرموت، إلا أنها لم تزدهر إلا في العهد العثماني الذي شيد مدينة جميلة من مباني متعددة وكان أوج ازدهارها في الأعوام(1835-1860م) ثم تم خرابها بعد ذلك ثم ظهرت بورتسودان وتطورت على حساب سواكن ولم يتبق منها اليوم إلا الأطلال[158].

ج ـ جزيرة الريح:

سميت بهذا الاسم للرياح القوية المستمرة التي تهب عليها من البحر الأحمر من اتجاه رأس الشيطان(رأس هدربا) وهي بركانية، وتبعد عن الساحل 1كم عند أدنى جزر وتتسع المسافة عند أعلى مد للبحر وتبعد حوالي (204) كم عن بورتسوان يبلغ طولها نحو 6كم وعرضها 4كم وهي لا تبعد سوى بضع كيلومترات جنوب خور نورات[159].

د-خور نورات:

منطقة ساحلية عبارة عن خليج تتوسطه جزيرة أبو العباس وسميت بهذا الاسم لوجود خور موسى، تبعد المنطقة حوالي 5كلم من قرية عقيق وتبلغ أبعاد نورات نحو 14/7كلم وإبعاد جزيرة أبو العباس المأهولة بالسكان وآبار مياه، ومن الممكن أن تكون منطقة سياحية مستقبلاً على ضفاف البحر الأحمر[160].

د- جزيرة تلاتلا:

جزيرتان الصغرى والكبرى، وهي جزر رملية جرداء، تقع جزيرة تلاتلا الكبرى في الإحداثي 3809شرقا / 1850شمالاً، وتلاتلا الصغرى في 3800شرقا /1846شمالاً، وتبعد الجزيرتان عن بعضهما البعض حوالي (14كلم) وهاتان الجزيرتان موقعهما استراتيجي وتستعملان في عمليات التهريب[161].

هـ - جزر بار موسى وسيل عدا:

تعد هذه الجزر من الجزر المهمة بوصفها نقطة مراقبة لخط الملاحة الدولية، وكذلك لمراقبة السفن والغواصات والقرصنة وغيرها، لذا بقاء هذه الجزر معزولة ومهملة من قبل الدولة السودانية تشكل خطر على خط الملاحة كما يرى بعض الباحثين في هذا المجال[162]، وتتمتع هذه الجزر برمال بيضاء ومياه صافية ومواقع للغطس وشعب مرجانية خلابة، ويمكن استثمارها سياحياً[163]. بينما باحث آخر يرى عكس ذلك بأن هذه الجزر السودانية لا تشكل أي خطر أو تهديد للملاحة البحرية ولا أهمية استراتيجية، نظراً إلى بعدها عن الخطوط الملاحية. كما أنها لا تصلح لإقامة قواعد عسكرية فيها[164].

جمهورية «إرتريا ERITREA»:

تقع إرتريا على الساحل الغربي للبحر الأحمر المقابل لشبه الجزيرة العربية وتُعَدّ إرتريا من الدول البحرية، حيث تشرف بساحلها الشرقي على البحر الأحمر، بالقرب من مضيق باب المندب بطول قدره (1012كم2) ويعد موقع إرتريا ذا أهمية استراتيجية، نظرا لتحكمه في أحد أهم المضايق العالمية وهو مضيق باب المندب[165]. وكان يطلق على إرتريا (زيلع)[166] تبلغ مساحتها تقريبا 120000كم2، ولها ساحل بحري على البحر الأحمر طويل يمتد حوالي 1200كم على البحر الأحمر مما يجعل من موقع إرتريا موقعا مهماً واستراتيجيا. وتقع شرق إفريقيا على ساحل البحر الأحمر على خط عرض 12شمالاً وخط طول38 شرقاً[167]. وأعلنت إرتريا استقلالها عن إثيوبيا في العام 1993م[168]، وتولى أسياس أفورقي مقاليد الحكم فيها[169]. ولقد توجه أسياس أفورقي للتعاون مع إسرائيل ورحبت إسرائيل بذلك رغبة منها في الإبقاء على وضع يدها على جزر دهلك التي استأجرتها من أثيوبيا قبل استقلال ارتريا عنها في العام1993م وذلك من أجل ضمان استمرارية النفوذ البحري الإسرائيلي في البحر الأحمر[170]، ولقد رأت إسرائيل مصلحتها في التعاون مع نظام أفورقي ومع الدولة الجديدة لتحقيق مصالحها ومشجعة سياسة التفتيت لدول المطلة على البحر الأحمر وسياسة فرق تسد هي والولايات المتحدة الأمريكية ولم تعلن إرتريا نفسها دولة عربية وفضلت أن يكون انتماؤها

إفريقياً نظراً للمعطيات الجغرافية[171] ، وذلك بعد أن كان الموقف الإسرائيلي معارضاً للاستقلال الإرتري عن إثيوبيا قبل العام 1993م[172]. وهكذا فقد احتلت العلاقة الإسرائيلية مع إثيوبيا وكذلك مع إرتريا موقعاً خاصاً في سلم الأولويات الإسرائيلية، التي اعتبرت الدولتين بمنزلة رأس جسر لها في إفريقيا وموطئ قدم لتثبيت وضع عسكري استراتيجي في مدخل البحر الأحمر مع نشر العقيدة المسيحية واليهودية على قول «منيليك الثاني» القائد الذي وحد أثيوبيا بقوة السلاح، والذي يشتهر بعبارته التي قالها ذات يوم (إن أثيوبيا واحة مسيحية في وسط محيط ملحد) وهي العبارة التي هذبها الإمبراطور «هيلاسلاسي» عندما قال إن (أثيوبيا وسط محيط إسلامي)[173]. ويمتد الساحل الإرتري فيبدأ من رأس قصار على الحدود السودانية خط عرض 24 و12 ويمتد لمسافة 1008كلم[174]. ويمتاز هذا الساحل باستوائه تقريبا من الشمال وبكثرة تعاريجه من الجهات الوسطى، أما الجهة الجنوبية منه فتعاريجها قليلة, كما تكثر فيه الرؤوس البحرية والخلجان والجزر، ولاسيما من الساحل الأوسط[175].

الجزر الإرترية:

توجد في ساحل إرتريا أكثر من (126) جزيرة وأهمها أرخبيل دهلك وبه نحو 25 جزيرة ، وأهمها من الناحية الاستراتيجية «فاطمة «و»حالب «جزيرة تختلف من حيث الحجم والمساحة ويمكن تقسيمه على ثلاث مجموعات رئيسة:

مجموعة جزر أرخبيل دهلك:

تقع في مواجهة مجموعة جزر حنيش اليمنية[176] و (تقابل الساحل بين رأس قبع وخليج الدناكل) وتحتوي على أكثر من 30 جزيرة أبرزها وأكبرها جزيرة دهلك الكبير وهي أكبر الجزر الإرترية. فمساحتها تقدر بحوالي 450 ميل مربع، وتبعد عن ميناء مصوع بحوالي 35ميلاً. وعلى ساحلها عدد من المراسي للسفن التي تتجه إلى ميناء مصّوع، وأراضيها صالحة للزراعة. ويبلغ عدد سكانها 10 آلاف نسمة[177]، وأغلب سكانها مسلمون من أصل عربي (اليمن والسودان)، ويعملون في الزراعة والصيد والرعي. وفي الجزيرة عدة قرى، منها: دهلك الكبير، كوباني، دوبيلو، سلات، دروبوشات، مملا. ونظراً إلى موقع الجزيرة الاستراتيجي القريب من باب المندب، ومن خطوط الملاحة الرئيسة في البحر الأحمر[178]. ويعد أرخبيل دهلك الإريري مانعاً طبيعياً، يصعب اختراقه، وترجع أهميته الاستراتيجية إلى أن معظم جُزره صالحة للزراعة لاسيما - دهلك الكبرى والصغرى - ويقال أن فيها مخزونا نفطياً كبير، كما أن المنطقة غنية بالثروة السمكية. وكان يتمركز في تلك المنطقة، حينما كانت تابعة لإثيوبيا

قـوات سـوفيتية بحريـة وجوية. وكانـت الجزيـرة مركـز مراقبة واسـتطلاع روسـية[179].

مجموعة جزر الدناكل: تقع (بين رأس لماتكيتو ورأس عنداده) وفيها حوالي عشر جزر[180].

ج- مجموعة الجزر الساحلية: تنتشر من رأس قصار في الشمال إلى درعيى من الجنوب[181]. ونلاحظ أن مجموعة جزر دهلك تقع أمام ميناء مصوع، ونظراً لكثافتها فتبدو وكأنها تضيف امتداداً للساحل الغربي للبحر الأحمر إلى وسط البحر، ويشكل تناثرها المتقارب وقربها من الساحل حماية طبيعية وفريدة لميناء مصوع. والجدير بالذكر أن عدد الجزر التي يوجد بها سكان لا يزيد عن ثمان من مجموع هذه الجزر، ولا يزيد سكانها عن الـ300نسمة، يعيشون على الصيد وتربية الإبل والماعز، ويتألف السكان من مزيج من الدناكل الصوماليين والعرب وبعض أفراد قبائل سمحار. أما لغتهم الرئيسة فالتيغرية، ولو أن اللغتين الدنكالية والعربية تستعملان في التفاهم أيضاً[182]. وجزر الساحل الإريتري تحتل أهمية استراتيجية وتتحكم بمدخل مضيق باب المندب، ولاسيما جزيرة حالب وفاطمة تقع جزيرة حالب في مواجهة جزر حنيش، وقد استأجرتها إسرائيل وأقامت عليها قاعدة عسكرية[183]، وتستمد «جزيرة دوميرا» أهميتها من أنها أقرب الجزر الإريترية إلى المدخل الجنوبي للبحر الأحمر وتقع إلى الجنوب الشرقي وهي أقرب الجزر التي تسيطر عليها إريتريا إلى باب المندب[184]. فهي تبعد عن جزيرة بريم حوالي (27)كم، وتبعد عن الممر الملاحي للسفن 13كم.لذلك تشكل تهديداً مباشراً لجزيرة بريم اليمنية. أما جزيرتا حالب وفاطمة، فتقعان داخل الخليج، جنوبي ميناء عصب، وترجع أهمية حالب إلى أنها تصلح لاستعمالها بوصفها ميناء عسكري، ولإنشاء مطار ورادارات بحرية فيها، وقد أشارت المصادر إلى أن إثيوبيا كانت قد سمحت لإسرائيل ببناء قاعدة جوية في جزيرتي حالب وفاطمة[185].

جمهورية جيبوتي:

تبلـغ مسـاحة الجمهوريـة الجيبوتيـة حـوالي بـ (23000كـم2) بمـا فيهـا جـزر سـبأ التـي يبلـغ عددهـا سـت جـزر صخريـة صغـيرة جنـوب مدخـل بـاب المنـدب، أي جنـوب جزيـرة بريـم اليمنيـة.[186]، وتقـع جيبوتـي عـلى السـاحل الغربـي لمضيـق بـاب المنـدب فيبلـغ دول سـاحلها حـوالي (370كـم)، حيـث يمتـد مـن (رأس دامـيرا) في الشـمال إلى منطقـة (لـوى عـدى) في الجنـوب الشرقـي. عـلى خـط عـرض 12شـمالاً وعـلى خـط طـول 42شرقـاً[187]. وهـي تمتـع بموقـع اسـتراتيجي لقربهـا مـن بـاب المنـدب[188]. ويلاحـظ أن السـبب في طـول السـاحل يرجـع إلى وجـود خليـج تاجـوره الـذي يتصـل بخليـج قبـة الخـراب ويتجـه نحـو الداخـل غربـاً[189]. والسـاحل في جيبوتـي يتسـع مـن الشـمال عنـد رأس دامـيرا حيـث يبلـغ عرضـه حـوالي 20 كـم،ُ ثـمّ يتناقـص إلى 3كـم مـن الجنـوب عنـد الحـدود مـع جمهوريـة الصومـال[190]. ثـم يـلي المنطقـة السـاحلية سلسـلة جبـال بركانيـة، صخورهـا سـوداء تنـدرج في الانحـدار تجـاه الجنـوب الشرقـي. وتشـق هـذه السلاسـل

وديان جافة، وهي أنهار موسمية تنخفض تدريجياً تجاه البحر بحيث ما يصل إليها من مياه يصب في البحر الأحمر[191]. استقلت جيبوتي عن فرنسا في العام 1977م، وعلى الرغم من استقلالها إلا أن الروابط الجيبوتية الفرنسية تعد من أقوى الروابط التي تقيمها جيبوتي مع دول العالم وتتمتع جيبوتي بمناخ سياسي مستقر ويعود الفضل في ذلك إلى الوجود العسكري الفرنسي الكبير على أراضيها إلا أن حدودها غير مستقرة[192]. ولقد أرادت فرنسا من وراء أحكام قبضتها على جيبوتي وموانئها التصدي للطريق البحري التجاري البريطاني بين الهند وبريطانيا، لاسيما بعد افتتاح قناة السويس في العام 1869م[193]، تحد إريتريا جيبوتي من الشمال، ولقد اصطدمت إريتريا معها للسيطرة على جزيرة دوميرا، وتحدها إثيوبيا من الناحيتين الجنوبية والغربية، وتحدها الصومال من الجنوب الشرقي والبحر الأحمر من الشرق، وللإضرابات والصراعات العديدة التي تشهدها المنطقة الجغرافية المحيطة بجيبوتي، أصبح لها أهمية استراتيجية كبيرة في حوض البحر الأحمر، وتستفيد جيبوتي من مكانتها الاستراتيجية وذلك بقيامها بتأجير مساحات من أراضيها للدول الراغبة في إنشاء قواعد عسكرية، كما أن جيبوتي قد قامت بتوقيع مع شركة موانئ دبي العالمية من أجل إدارة مينائها الوحيد- ميناء جيبوتي ومطاريها الدوليين - [194].

أهم الجزر الجيبوتية:

تمتلك جيبوتي 6 جزر في البحر الأحمر أهمها جزر سيبا ومولية (أم ليلة) شرقية،[195] بركانية تمتد حوالي 10كلم من الشرق للغرب، أيضًا توجد الجزيرة الغربية والحمراء والجزيرة المزدوجة، الجزيرة السلفي، والجزيرة الكبرى، والجزيرة الجنوبية، أما الجزر السبع فهي تل بركاني على الحافة الشمالية لشبه جزيرة سيان والجزيرة الغربية التي تقع على بعد 4,5 كلم شرق شبه جزيرة سيان و 6 كم شمال شرق الساحل الجيبوتي، وجميع الجزر محاطة بشعاب مرجانية مائلة للون البني عدا الجزيرة الكبرى التي تميل للون الأصفر، وتوجد علامة بناء على قمة الجزيرة الكبرى عندما وصل التنافس الفرنسي الإنجليزي على أحكام السيطرة على مناطق النفوذ في حوض البحر الأحمر وعندما كلفت فرنسا قنصلها في عدن للبحث عن موطئ قدم لها على سواحل البحر الأحمر والتحكم في المناطق الاستراتيجية لمنافذ البحر الأحمر وعليه احتلت فرنسا تجورة في العام1862م، إذ وضعت يدها على ميناء أبخ من خلال اتفاقية أبرمتها مع شيوخ المنطقة[196]، وفي العام2008م برز خلاف حدودي بين إرتريا وجيبوتي على رأس دميرة وجزيرة دميرة وقد توسط أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة

آل ثان في أثناء زيارته للبلدين في إبريل 2008م وعليه انسحبت إريتريا من رأس دميرة الاستراتيجي بينما ينظر إليه البعض بأنه يأتي في إطار السباق بين إرتريا وإثيوبيا للسيطرة على منطقة دميرة بكاملها. أما جيبوتي فقد نسبت الأمر إلى مؤامرات إسرائيلية تهدف إلى السيطرة على باب المندب عن طريق إرتريا الحليف الإستراتيجي للكيان الصهيوني في حوض البحر الأحمر[197].

الخاتمة:

تناولت الدراسة الدول المطلة على البحر الأحمر وأهم الجزر فيها، حيث توجد على البحر الأحمر ثمان : دول ست دول عربية، واثنتان غير عربية وتوجد في تلك الدول عدد من الجزر ذات الموقع الاستراتيجي والجغرافي المؤثر في السياسات العالمية؛لأن البحر الأحمر ممر مائي مهم يربط بين ثلاث قارات، وظل التنافس والصراع على الوجود في هذه الدول والجزر والممرات المائية، وتكالبت الدول العظمى بشتى الطرائق والأساليب على دول حوض البحر الأحمر وجزره ذات المواقع الاستراتيجية من أجل تكريس وجودها والسيطرة على هذا الممر الدولي العالمي، وخلصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات:

النتائج:

1. أثبت الدراسة أن للبحر الأحمر والدول المطلة عليه والجزر أهمية استراتيجية وعالمية منذ القدم حتى الآن مع وجود الأطماع من قبل الدول العظمى للهيمنة على دول الحوض وجزره.
2. وضحت الدراسة مدى خطورة التغلغل الإسرائيلي في البحر الأحمر على الدول والجزر وتهجير شعب من أراضيه واختراقاً كبيراً لسيادة الدول المطلة عليه بتعاون بعض القوى العظمى والمنظمة العالمية وبعض من دول الحوض.
3. بينت الدراسة ضعف الدول العربية ولاسيما في القرن الـ20-21م وفي عدم التعاون والتكاتف فيما بينها وحماية شعوبها وأراضيها من الهيمنة الاستعمارية وآلت للتجزئة والتفتيت.
4. أثبتت الدراسة ضعف دور الجامعة العربية في خلق وعي عربي وروابط ثقافية عربية قوية ومتينة بين شعوب الدول المطلة على البحر الأحمر وعدم الحفاظ والاهتمام بالصومال الكبير وما كان يعانيه من مشاكل وصراعات، وفيما بعد بعدم ضم إثيوبيا وإرتريا إلى العضوية العربية والإسلامية على الرغم أن أغلبية سكانها من العرب والمسلمين.
5. بينت الدراسة مدى التشتت والتشطر في دول حوض البحر الأحمر وستظل القوى العظمى تسعى جاهده في تعميق حالة التجزئة والصراعات الطائفية والمناطقية مستخدمة سياسة فرق تسد لتعمق وجودها واكترث منه ما لم تفعل دول حوض البحر الأحمر على حلها مشاكل واحترام حقوق الجار وردم أية فجوات تظهر هنا وهناك.

التوصيات:

1. من خلال قراءاتي أرى العمل عاجلاً على شراكة في بوتقة واحدة تجمع دول حوض البحر الأحمر من خلال آليات مدركة وواعية في شتى المجالات لأهمية منطقة حوض البحر الأحمر والحد من الأخطار المحدقة بها مستقبلا.
2. إنشاء مراكز علمية متخصصة في شتى مجال الحياة ودعمها من قبل دول الحوض لتوثيق العلاقات السياسية والثقافية والاجتماعية بين شعوب دول حوض البحر الأحمر.
3. إيجاد آلية مشتركة بين دول الحوض لحفظ الأمن والاستقرار وحل المشكلات والمعضلات التي تنشأ بين الحين والآخر ولاسيما حول الحدود والجزر والقرصنة البحرية والتقليل من الأساطيل والبوارج والقواعد العسكرية التي حلت في حوض البحر الأحمر وجزرها ومن هذا المنطلق فإن بعض دول الحوض الذين يظنون وهماً بأن حماية أمنهم ودولهم سيتحقق من خلال الوجود الأجنبي فهم واهمون ولن يتحقق الأمن والاستقرار ولن يعم الأمن والسلام إلا بآلية مشتركة من دول الحوض.
4. تنشيط دور الجامعة العربية وتجاوز الخلافة العربية وإنشاء منظومة عسكرية عربية موحدة بحيث تكون الأولوية لدول الحوض لحفظ أمن البحر الأحمر والجزر والمضائق المطلة عليها.
5. الاهتمام بالجزر في البحر الأحمر واستغلال الثروات بها وتشجيع الهجرة إليها مع توفير مصادر الحياة عليها.
6. دعم إعلان الرياض لإقامة تكتل لدول حوض البحر الأحمر وبعث الروح فيه بوصفها نواة صالحة لتكريس الأمن القومي العربي بعد إحساس الرياض والدول المطلة على البحر الأحمر بالخطر بعد الانقلاب الحوثي المدعوم من إيران على الشرعية الدستورية باليمن وتهديد دول الجوار وأمن البحر الأحمر بعد أن أعلنت إيران أنها تسيطر على ثاني مضيق في العالم وثالث دولة عربية.
7. إن مصلحة دول حوض البحر الأحمر تكمن في مراعاة حقوق الجار فيما بينهما البين، ولا تطغى دولة على أخرى مهما كان ثقلها وقوتها العسكرية والاقتصادية، والحذر من الدس، وتشجيع روابط الأخوة والوحدة وقرارات هذه الشعوب سواء في إطارها العربي أو الإقليمي، مع التأكيد على ضرورة وجود دراسات استراتيجية تنمي شعوب دول الحوض وتوحدهم في المصالح المشتركة على مدى عشرين عاماً قادمة.

المصادر والمراجع

1. مجموعة مؤلفين ،جزر المملكة العربية السعودية،في البحر الأحمر والخليج العربي ،كتاب صادر عن هيئة المساحة الجيولوجية،الطبعة الأولى1428هـ/2007م،ص29. وجرادات،وليد محمد،الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر، الدوحة،قطر،ط1986،1م،ص27.
2. طوحل، خالد عبدالله،مصر واليمن1934-1967م دراسة تاريخية سياسية،مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر،القاهرة،ط2020،1م،ص62-63.
3. Farid,Abdel MAJID,THE RED SEA PROSPECT FOR STABILITY-ST,MARTIN,S PRTESS,LONDON.P.L
4. السيد، عاطف، البحر الأحمر والعالم المعاصر، دار عطوة للطباعة، ط، 1،1985م، ص13.النجم، عبد الباري، خليج العقبة ومضائق تيران، مطابع الجمهورية، الموصل ، ط 1968 ،1م، ص15.
5. النجم، المرجع نفسه،ص17.
6. محمود، توفيق محمود، البحر الأحمر في الاستراتيجية الدولية، السياسة الدولية العدد، 57، 1979م، ص28.
7. 8ESCHAL BASHER, RUTHLAPIDOTH, THE RDE SEA AND EHE GULF OF ADEN MARTINUS NJHOFF PUBLISHERS, LONDON,1982,p15.
8. منهل، علي عجيل، البحر الأحمر وجزره، مركز دراسات الخليج العربي، السلسلة الخاصة العدد 40 ،1980م، ص32.، السيد، عاطف، البحر الأحمر والعالم المعاصر، مرجع سابق،ص14.
9. R.W.Girdler.The Sea- Ageopolitical Backg round,"New York:Hot للمزيد ينظر: عافيه، محمد سميح،»نشأة البحر الأحمر.Brines,1983.pp38-55 وتطورها الجيولوجي«جزر البحر الأحمر الملف العلمي،-القاهرة –جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربيةMagazine,Red Exploration, Vol.425.No5,Nov.1971..Mining،ط1989،1م،ص3
10. R.W .Girdler,OP.Cit. pp38-65.,
11. ابو العلا، محمود طه، جغرافية شبه الجزيرة العربية، ج3، جامعة الكويت، ط1972،1م،ص8،ومنهل،علي عجيل،البحر الأحمر وجزره،مرجع سابق،ص32.
12. ECHAL BACHR,op,cit,P.1,مجموعة مؤلفين، جزر المملكة العربية السعودية،مرجع سابق ،ص31.،والشامي، صلاح الدين،السودان دراسة جغرافية،منشأة المعارف،الاسكندرية،ط1973،2م،ص44

13. مجموعة مؤلفين، جزر المملكة العربية السعودية ،مرجع سابق،،ص31-32.
14. مجموعة مؤلفين، جزر المملكة العربية السعودية،مرجع سابق ص32.
15. السيد، عاطف،البحر الأحمر والعالم المعاصر،مرجع سابق،ص14.
16. مجموعة مؤلفين ،جزر المملكة العربية السعودية ،ص33.
17. محمود ،توفيق محمود، البحر الأحمر في الاستراتيجية الدولية، مرجع سابق، ص32.، ومجموعة مؤلفين ، جزر المملكة العربية السعودية ، مرجع سابق، ص33.
18. مجموعة مؤلفين، جزر المملكة العربية السعودية،مرجع سابق،ص34.
19. ابراهيم،عبدالفتاح،على طريق الهند،»رسائل الأهالي»بغداد،الطبعة الثانية،1935م،ص22
20. محمد آمال، ابراهيم محمد،الصراع الدولي حول البحر الاحمر،مركز الدراسات والبحوث اليمني،الطبعة الأولى ،1993م،ص30،ابراهيم ، عبدالفتاح،على طريق الهند،مرجع سابق،ص21-22.الشاذلي، خالد علي،»بوليانو الشرق،أنسجة الذهب والحرير،مجلة اليمن،مركز البحوث والدراسات اليمنية-جامعة عدن،العدد الثلاثون،أكتوبر2012م-مارس2013م،ص219 ومابعدها.
21. غزيل،سلام داود،السياسة الخارجية للسعودية تجاه دول منطقة البحر الأحمر1964-1975م،رسالة ماجستير»غيرمنشورو»،المعهد العالي للدراسات الدولية، الجامعة المستنصرية ،2005م،ص17.
22. عبدالله، زكريا محمد،أمن البحر الأحمر والامن القومي العربي، مجلة شؤون عربية، العدد88، كانون الأول1996م،ص156.محمود، توفيق،محمود،البحر الأحمر في الإستراتيجية الدولية، مرجع سابق،ص40.،
23. ينظر:مجموعة مؤلفين،جزر المملكة العربية السعودية ،مرجع سابق،ص60-61،محمد،آمال ابراهيم،الصراع الدولي حول البحر الأحمر،مرجع سايق،ص22.
24. مجموعة مؤلفين،جزر السعودية،مرجع سابق ،ص61.
25. مجموعة مؤلفين،جزر المملكة العربية السعودية،مرجع سابق ،ص61-62.
26. طوحل ،خالد عبدالله، مصر واليمن ،مرجع سابق،ص19-20،والزوكة،محمد خميس، جغرافية البحر الأحمر،دار المعرفة الجامعية، القاهرة،ط2003،1م،ص10،شهاب،حسن صالح، من تاريخ الملاحة القديمة في البحر الأحمر،مركز الشرعبي للطباعة والنشر، صنعاء،ط2002،1م،ص6-7.
27. طوحل، خالد عبدالله، مصر واليمن ،مرجع سابق،ص17،وطوحل ، خالد عبدالله،دور اليمن البحري مع دول حوض البحر الأحمر (الساحل الغربي)بحث مقدم للمؤتمر العلمي الأول لدول حوض البحر،المزمع انعقاده -قريبا- بعد جائحة كورونا بالعاصمة السودانية الخرطوم،برعاية مركز بحوث ودراسات حوض دول البحر الاحمر،بعنوان (دول حوض البحر الأحمر الماضي- الحاضر-المستقبل)، بالتعاون مع جامعة الزعيم

الأزهري،وجامعة، ص4،وعاقل نبيه، تاريخ العرب القديم والعصر الجاهلي،جامعة دم سق،ط1980م،ص15.،الشماحي،عبدالله ين عبدالوهاب،اليمن الانسان والحضارة،دار الكلمة،صنعاء،،ط1985،3 م،ص21.

28. عبدالعليم،مصطفى كمال،دور البحر الأحمر في تاريخ مصر على عهد البطالمة، ندوة البحر الأحمر بجامعة عين شمس،10-15مارس1979م،ص10-11.
29. فرج ، أبو اليسر، تاريخ مصر في عهد البطالمة، عين للدراسات والبحوث، القاهرة، ط2002،1م ص137.،والنعيمي،قبان موفق،وآخر، تاريخ اليونان والرومان، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان ،ط 2013م، ص194.حلاق، حسان، مقدمة في تاريخ الحضارات السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري،دار النهضة العربية، بيروت2010م،ص135-136.
30. الأندلسي، أبوعبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد البكري، المسالك والممالك،دار العرب الإسلامي، 1992م، ج1، ص327. وبدران، عبدالقادر أحمد، منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، تحقيق:زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت الطبعة الثانية ،1985م، ص21. والهمداني،الحسن بن أحمد، صفة جزيرة العرب، مطبعة بريل-ليدن،1884م،ص52.، وابراهيم،بشير بشير، عيذاب: حياتها الدينية والأدبية،مجلة الدراسات الإفريقية والإسلامية-جامعة الخرطوم، ، العدد2لشهر يوليو1979م،مج1،ص54-55،وشهاب،حسن صالح، لمحات من تاريخ الملاحة،مرجع سابق،ص64،شهاب، حسن صالح،أضواء على تاريخ الملاحة في اليمن،دار الفارابي-بيروت لبنان،ط1997،1 م،ص137.
31. سالم، عبدالعزيز، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي،مؤسسة شباب الجامعة،الاسكندر ية،ط1993م،ص63-64.
32. عبدالله، يوسف محمد عبدالله، أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، بحوث ومقالات ،ج2،دار الفكربيروت،ط1990،1م، ح2،ص340،وشهاب،حسن صالح، اضواء على تاريخ اليمن البحري، مرجع سابق، ص238،وشهاب، حسن صالح، تاريخ الملاحة، مرجع سابق،ص65.
33. الزوكة، محمد خميس، مرجع سابق،ص12.
34. الناصري،سيد أحمد، الرومان والبحر الأحمر،ندوة جامعة عين شمس، إشراف د.أحمد عزت عبدالكريم،1980م ،ص31. ويحيي جلال،البحر الأحمر والاستعمار، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر،القاهرة،ط1986،1م،ص7
35. يحيى،جلال البحر الأحمر والاستعمار،مرجع سابق،ص7.
36. الناصري،سيد أحمد علي، الرومان والبحر الأحمر، مرجع سابق،ص38.
37. 38الزبيدي ، كريم مطر حمزة ، الصراع في البحر الأحمر،جامعة بابل،ط2014م ،ص80

38. شهاب، حسن صالح،فن الملاحة عند العرب ،(ت،ط)،ص40-41. والناصري،سيد أحمد علي، الرومان والبحر الأحمر، مرجع سابق47-49، ومكاوي، فوزي،الشرق الأدنى في العصرين الهلنسيني والروماني، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، ط1،1999م،ص10.
39. مكاوي،فوزي، الشرق الادنى في العصرين الهلنسيتي والروماني، مرجع سابق،،ص10.
40. رحماني، بلقاسم،واخر،الدور المصري في جنوب شبه الجزيرة العربية والشرق الأدنى، مراجعة سيد أحمد علي الناصري، مكتبة زهراء ، القاهرة ،ط1997م،،ص46
41. الحافظ،صلاح الدين،صراع القوى العظمى حول القرن الإفريقي،سلسلة عالم المعرفة رقم(49)الكويت،ط1982م،ص19.
42. العصيمي، عبدالله علي عبدالله ، عدن ونشاطها التجاري من القرن الثالث-التاسع الهجري ،التاسع-الخامس عشر الميلادي ،رسالة ماجستير»غير منشورة»كلية الآداب –جامعة بغداد،2004م ، ص237-247
43. ابن هشام اليمني،السيرة النبوية لابن هشام ،ج1،تحقيق مسطفى السقا وإبراهيم الأنباري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولادة بمصر،ط2،1955م،ج1،ص330-340،الحربي،عاتق،معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية،دار مكة للنشر والتوزيع،ط1982م،ص91،والحافظ، صلاح الدين،صراع القوى في القرن الافريقي،مرجع سابق،ص82،27.قاسم جمال زكريا،الاصول التاريخية للعلاقات العربية الإفريقية دار الفكر العربي،مدينة نصر،مصر،ط1996م،ص61.
44. سالم، عبدالعزيز السيد، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، ، مرجع سابق،ص24-26.
45. المرجع نفسه،ص27.
46. الكبسي،عبدالله بن محمد بن محمد بن عبدالله، اللطائف السنية في أخبار الممالك اليمنية،مطبعة السعادة، القاهرة،ط1984م،ص54،والمقريزي، تقي الدين أبو العباس، الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك،مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر،القاهرة،1955م،ص71
47. طوحل ، خالد عبدالله، مصر واليمن ، مرجع سابق،ص28.
48. ضرار، محمد صالح، تاريخ مدينة سواكن، الدار السودانية للكتب –الخرطوم، ط1، 1981م، ص110.
49. الشناوي ، عبدالعزيز محمد،الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، ،مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة،ط1960م،ج1،ص286
50. النهر والي،قطب الدين، البرق اليماني في الفتح العثماني، مخطوطه، ص18أ18-ب (ت،ط).
51. وحتى لانخوض في الكثير من الأحداث والانقلاب التجاري الذي أدى بدوره إلى الاستعمار الأوربي نكتفي بالاشارة إلى بعض أعمال» الفونس ودا البوكيرك» الذي يشار إليه بأنه»

مؤسس الاستعمار الغربي في الشرق، الذي قادته أعماله حقاً إلى تحطيم كيان حوض البحر الأحمر، وكانت مهمة البوكيرك عند وصوله لأول مرة إلى الشرق ضمن حملة كبيرة هي الاستيلاء على جزيرة سوقطرى،واتخاذ الجزيرة مقر اً له لمطاردة السفن التجارية أمام السواحل العربية الجنوبية وقد قام بأشد أنواع القسوة خلال السنوات الثلاث(1506-1509م) التي قضاها في تلك المهمة، فلم يتوقف عند حدود إغراق السفن وأسر من فيها لاستعمالها في سفنه، بل هاجم الموانئ الممتدة على ساحل الجزيرة العربية الجنوبي مثل مسقط وغيرها على ساحل عمان حتى وصل إلى جزيرة هرمز،فكان يضرب المدن بمدافع السفن ويخرب مبانيها ثم يحرق مايجده من سفن ويغرقها،ثم ياسر الشباب للخدمة في سفنه،أما الشيوخ والنساء فكان يقطع أنوفهم وآذانهم لإثارة الرعب والانهيار في نفوس الأهالي. للمزيد ينظر:Willson,Arn0ld,:The Persian Gersian Guif,an Historicl sketch from the curliest times to the bcginning of Twentieth century.London.George Alle and unwin Ltd,second Impression,1949.

52. بامخرمة، أبو الطيب بن أحمد بن علي قلادة النحر في وفيات أعيان الدهر(مخطوطة) في ثلاثة أجزاء في مجلدين مصورة ومحفوظة بدار الكتب بالقاهرة تحت رقم167،ج2،،ص195.
53. صالح، محمد أمين،تجارة البحر الأحمر في عصر المماليك،مجلة الدارة،العدد2 السنة6 الرياض1981م،ص32.بامخرمة،أبومحمد عبدالله،قلادة النهر في وفيات الدهر،»مخطوطة»رقم(88)بمكتبة جامع اسطنبول مصورة برقم(167)دار الكتب، ص157 ومابعدها.
54. Haji Khalifeh: The History of the Maritime wars of the Turks, Translated from The Turkish of Haji Khalifeh by James milchel,London,A.J.VaLpy,1831.
55. البطريق،عبدالحميد، من تاريخ اليمن الحديث1517-1840ممعهد البحوث والدراسات العربية،ط1960،2م،،ص51.
56. اباظة، فاروق عثمان،عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر1839-1918م، مصر،ط1976م، ص113، طوحل، خالد عبدالله، مصر واليمن، مرجع سابق، ص30، فاسيليف، تاريخ العربية السعودية،ترجمة خيري الضامن، دار التقدم،موسكو، ط1 ،1986م، ص207.
57. ينظر:طوحل،خالد عبدالله،الصراع البريطاني الإمامي1918-1967م،بحث مقدم للمؤتمر العلمي»شبوة تاريخ وحضارة،المزمع انعقاده بعد جائحة فايروس كورونا في عاصمة المحافظة شبوة،برعاية مركز عدن للدراسات والبحوث،عدن ،ص11.
58. بوزيدي، يحيى،وآخر،سايكس بيكو ومشاريع التقسيم في الماضي والحاضر، المؤامرة الخارجية والاستعدادات الداخلية،مركز البيان للبحوث والدراسات،ط1،1438هـ،ص 99ومابعدها

59. ينظر:الزعبي، الأرقم، الغزو اليهودي حلم توراتي قديم وعمل لتحقيقه مستديم،دار النفائس ط، 1،ص 58 ومابعدها ، وعياد، خالد حماد أحمد، أهمية جزر البحر الأحمر في الأمن القومي العربي جزيرة حنيش الكبرى وتيران وصنافر دراسة حالة 1956-2017م، أطروحة دكتوراه ،جامعة موته كلية الدراسات العليا» غير منشورة،2017م ص69
60. طوحل، خالدعبدالله،»السياسة الاقتصادية في اليمن ودورها في اعتناق الفكر الإرهابي المتطرف خلال المدة1967-2017م اليمن أنموذجاً»المؤتمر العلمي الدولي السادس لمركز لندن،المنعقد في البحرين من21-23نوفمبر2017م بعنوان:التداعيات الاجتماعية والاقتصادية للإرهاب في ظل التطورات الإقليمية والتحولات الدولية»،ص47ومابعدها.
61. ينظر:»ندوة مشتركة حول « التطورات في منطقة القرن الإفريقي وأمن البحر الأحمر « المجلس المصري للشؤون الخارجية ، والجامعة البريطانية في مصر،تقريرللسفير على الحفني،وآخر ، يوليو2019م ص5.ومابعدها.
62. العثمان،سامي عبدالعزيز،أمن البحر الأحمر أبعاد ومخاطر،مرجع سابق،ص39-40. الزبيدي،كريم مطر حمزة،الصراع الدولي في البحر الأحمر بين الماضي والحاضر،مرجع سابق،ص237.
63. مجموعة مؤلفين،جزرالمملكة العربية السعودية،ص29
64. العثمان، سامي عبدالعزيز ،أمن البحر الأحمر(أبعاد ومخاطر)،مرجع سابق، ص67
65. مساحة اليمن التاريخي عند الكثير من المؤرخين ليس بمساحة اليوم التي أوردها الهمداني واليعقوبي وغيرهم والتي تقدر (بمليون وستمائة وعشرون ألفاً وستمائة وخمسون كيلومتر مربعاً)،ويبدو إن أرض اليمن(العربية السعيدة) في القرن العاشر الميلادي.وفي مراحل أخري أيضاَ قد تغيرت كثيراً للمزيد ينظر:،محمد،ظافر عبدالله ،نزهة المشتاق لليمن حدود وخرائط وشؤون اليمن في البلدانيات (من القرن التاسع وحتى الرابع عشر الميلادي)مكتبة خالد بن الوليد ،صنعاء الطبعة الأولى2017م ، ص61-62
66. نجاد، عبدالله محمد علي، الأهمية الاستراتيجية للجزر اليمنية في البحر الاحمر وخليج عدن، دائرة التوجيه المعنوي ،صنعاء 2006م، ص15ومابعدها.
67. الشامي،صلاح الدين،وآخر،جغرافية الوطن العربي الكبير، دار المعارف-القاهرة، ط1،1985م،ص58،الجهاز المركزي للتخطيط، كتاب الإحصاء السنوي، صنعاء 1989م،ص6
68. القاسمي، خالد بن محمد،الوحدة اليمنية حاضراً ومستقبلاً، دار الثقافة العربية – الشارقة،ط1،1988م،ص23.
69. الوشلي، يحيى أحمد حسين، اليمن دراسة سياسية بناء قوة الدولة، دراسة جيو

استراتيجية،الشروق للطباعة والنشر-صنعاء،ط1،ص119ومابعدها.للمزيد ينظر الخريط الدول المطلة على البحر الأحمر.

70. نجاد،عبدالله محمد علي،الأهمية الاستراتيجية للجزر اليمنية في البحر الأحمر وخليج عدن ، مرجع سابق،ص19

71. ثابت، عبدالرقيب سعيد، الجغرافي، الجمعية الجغرافية اليمنية ،العدد الثالث يناير2001م،ص3.

72. بلفقيه، عيدروس علوي،جغرافية الجمهورية اليمنية،سلسلة الكتاب الجامعي،دار جامعة عدن،ط1997،1م،ص308.

73. العثماني، سامي عبدالعزيز،أمن البحر الأحمر أبعاد ومخاطر،مرجع سابق،ص141،الزبيدي،كريم مطر حمزة،الصراع الدولي في البحر الأحمر، ،مرجع سابق،ص36-39.

74. ينظر: سري الدين،عايده علي ،جزر حنيش وأمن البحر الأحمر،دار الكتب الوطنية، ابوظبي،ط1996،1م،ص35.

75. البار، محمد علي، عدن في العصر الحديث»من الاحتلال البريطاني1839م إلى الاستقلال 1967م.ونتائجه ،كنوز المعرفة-جدة،ط2012،1مج3،ص48-49.

76. بورجي،عبدالله علي، الجزر اليمنية في البحر الأحمر،منشورات26 سبتمبر-صنعاء، ط1، ص18.

77. ينظر: سري الدين، عايدة علي، جزر حنيش وأمن البحر الأحمر، مرجع سابق، ص7ومابعدها، العثماني، سامي عبدالعزيز، أمن البحر الأحمر أبعاد ومخاطر، مرجع سابق ،ص141،نجاد،عبدالله محمدعلي، ص33-35،والسامرائي، لمى فائق أحمد، التجارة في موانئ البحر الأحمر، مرجع سابق،ص27

78. الأصبحي،أحمد محمد،إطلالة على البحر الأحمر والنزاع اليمني الإريتري،دار النشر،عمان1996م،ص98.

79. لقد اطلق العرب على الجزيرة اسم (ميون)نسبة للقرية التي يقيم فيها سكان الجزيرة، أما الغربيون فأطلقوا عليها اسم(بريم)وهي مكونة من الصخور البركانية القائمة. محمد،آمال إبراهيم،الصراع الدولي حول البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، مركز الدراسات والبحوث اليمني، الطبعة الأولى،1993م،ص21.

80. نجاد،عبدالله محمد،الاهمية الاستراتيجية للجزر اليمنية في البحر الأحمر وخليج عدن، مرجع سابق،ص32.

81. جبل الشيخ سعيد :منطقة جبلية وموقع حصين مقابل باب المندب ارتفاعة 3000متر فوق سطح البحر وفي شرقه يقع جبل المنهلي والشيخ سعيد تقابل جزيرة ميون.ينظر: الحميري،أمل، النشاط الفرنسي في الموانئ والجزر اليمنية1869-1918م، اطروحة دكتوراه»غيرمنشورة»جامعة صنعاء،كلية الأداب،2013م،ص8.ينظر الخارطة.

82. منهل،علي عجيل، البحر الأحمروجزره، مرجع سابق، ص30،السامرائي، لمى فائق أحمد،التجارة في موانئ اليمن،مرجع سابق،ص25-26.
83. نجاد،عبدالله محمد، مرجع سابق، ص36.
84. طوحل، خالد عبدالله ،مصر واليمن،مرجع سابق، ص 35-36،العثماني، سامي عبدالعزيز، أمن البحر الأحمر أبعاد ومخاطر،مرجع سابق،ص140
85. العثماني،سامي عبدالعزيز، أمن البحر الأحمر أبعاد ومخاطر، مرجع سابق،ص141، طوحل، خالد،عبدالله،مصر واليمن، مرجع سابق، ص37.
86. طوحل، خالد عبدالله، مصر واليمن ،مرجع سابق،ص 36ومابعدها،العثماني، سامي عبدالعزيز،أمن البحر الأحمر أبعاد ومخاطر،مرجع سابق،ص140
87. 88محمود،توفيق،محمود، المدخل الجنوبي للبحر الأحمر،دارسة في الجغرافيا السياسية والجيوبوليتكس،دار المريخ للنشر-الرياض،ط1983م،ص18 ومابعدها. العثماني، سامي عبدالعزيز،أمن البحر الأحمر أبعاد ومخاطر،مرجع سابق،ص140
88. القاسمي،الاحتلال البريطاني لعدن، مرجع سابق،ص46
89. Gavin.R.J:Adan under British ruol 1839-1967,London,Hurst,C.and -29.company.1975,p212.Ibid-30
90. السمرائي، لمى فائق أحمد، مرجع سابق،ص26، عبدالله، شيما طالب، مرجع سابق، ص6، اليوسفي،أمين محمد، النظام القانوني للمضايق العربية، دار الحداثة، بيروت، ط1988م، ص126.
91. طوحل ،خالد عبدالله،دور اليمن البحري مع دول حوض البحر الأحمر»الساحل الغربي»مرجع سابق،ص4،طوحل، خالد عبدالله، مصر واليمن،مرجع سابق،ص422.و العثماني، سامي عبدالعزيز،أمن البحر الأحمر أبعاد ومخاطر،مرجع سابق،ص 144،والمركز الوطني للمعلومات رابط الكتروني: https://yemen
92. طوحل ، خالد عبدالله، دور اليمن البحري مع دول حوض البحر الأحمر»الساحل الغربي» بحث مقدم للمؤتمر العلمي الأول لدول البحر الأحمر،مرجع سابق ،ص4.الجرو،أسمهان سعيد،دراسات في التاريخ الحضاري،دار الكتب الحديث،القاهرة،ط1،2003م،ص15.
93. لبار، محمد علي، عدن في العصر الحديث، مرجع سابق،ص60، وطوحل ،خالد عبدالله ،دور اليمن البحري مع دول حوض البحر الأحمر»الساحل الغربي»مرجع سابق،ص4.
94. البار،محمد علي،سقطرى الجزيرة السحرية،منشورات العصر الحديث،بيروت لبنان،ط1،1996م،ص10 ومابعدها،بامطرف،محمد عبدالقادر، لمحات من تاريخ سقطرى، دار حضرموت،ط1،2001م،ص7ومابعدها، والقاسمي، سلطان بن محمد، الاحتلال البريطاني لعدن1839م،دار الشارقة للنشر، ط2،1992م، 9 ومابعد.طوحل، خالد عبدالله،مصروالیمن،مرجع سابق،ص18-19.

95. المركز الوطني للمعلومات رابط الكتروني: https://yemen
96. البار، محمد علي،عدن في العصر الحديث من الاحتلال البريطاني1839إلى الاستقلال 1967م.ونتائجة، مرجع سابق،ص60.، طوحل، خالد عبدالله، مصر واليمن، مرجع سابق،ص37-38.
97. البار، محمد، عدن في العصر الحديث، مرجع سابق،ص61.
98. البار، محمد علي، عدن في العصر الحديث، مرجع سابق،ص61.
99. ينظر: أخبار طيف «اصدقاء سقطرى،على الموقع الكتروني: http://www.friend-sofsoqotra.org/Activities/pdfs/Tayf%2011%20Arabic%20FINAL.pdf
100. ينظر: السامرائي، لمى فائق أحمد، النشاط التجاري في البحر الأحمر خلال العصر العباسي،مرجع سابق ، ص28-29.شهاب، حسن صالح، اضواء على تاريخ اليمن البحري مرجع سابق، ص76-77.
101. شهاب، حسن صالح،لمحات من تاريخ الملاحة القديم في البحر الأحمر،مرجع سابق، ص16-17.
102. مجموعة مؤلفين، جزر المملكة العربية السعودية في البحر الأحمر والخليج العربي، مرجع سابق،ص21
103. مجموعة مؤلفين، جزر المملكة العربية السعودية في البحر الأحمر والخليج العربي، مرجع سابق، ص21.
104. مجموعة مؤلفين، جزر المملكة العربية السعودية في البحر الأحمر والخليج العربي، مرجع سابق، ص24.
105. العثمان، سامي عبدالعزيز، أمن البحر الأحمر» أبعاد ومخاطر»مرجع سابق،ص89.
106. مجموعة مؤلفين، جزر المملكة العربية السعودية،في البحر الأحمر والخليج العربي، مرجع سابق،ص24.
107. مجموعة مؤلفين، جزر المملكة العربية السعودية،في البحر الأحمر والخليج العربي، مرجع سابق،ص25
108. تشير المصادر التاريخية إلى أنه اثناء النزاع الإيطالي العثماني في طرابلس الغرب،قامت القوات الإيطالية بضرب ميناء جيزان،فأخذه العثمانيون وسيطر عليه محمد الإدريسي،ودخلت كل من جيزان،وميدي، وشقيق والبرك،والقور،تحت نفوذه. وكان هدف إيطاليا هو فتح جبهة عسكرية جديدة تشغل العثمانيين عن استرداد طرابلس الغرب إلى جانب بسط نفوذها على المناطق المواجهة لمستعمراتها في إريتريا على الساحل الغربي للبحر الأحمر.وعقد الإدريسي معاهدة مع بريطانيا في العام1915م وجددها في العام1917م اعترفت بريطانيا بسيادة الإدريسي على جزر فرسان،وبأنها

أصبحت جزءاً من المخلاف السليماني ومنحته بريطانيا حق السيادة على تهامة من اللحية إلى القنفدة شمالا وتعهدتً بحمايته من أي تعد خارجي ومن جانبه تعهد بألا يقيم أي علاقة تجارية أو سياسية مع أي دولة أجنبية إلا بعد الرجوع إلى الحكومة البريطانية وموافقتها،ورحب الإنجليز بتحالفهم مع الإدريسي ضد الدولة العثمانية. كعمل وقائي ضد أية محاولة معادية يبديها الإمام يحيى ضدهم، وأستمر التحالف بين الإدريسي والإنجليز حتى نهاية الحرب العالمية الأولى،وخروج الاتراك من اليمن،وبعد ذلك زحفت القوات اليمنية نحو الحديدة واستولت عليها وعلى باجل وعلى ساحل البحر الأحمر،وطلب الإدريسي النجدة من «عبد العزيز ابن سعود» وعقد معاهدة حماية معه والتي عرفت بمعاهدة»مكة المكرمة في أكتوبر من العام1929م،ومنذ ذلك اليوم أصبحت جزر أرخبيل فرسان تابعة للملكة العربية السعودية وتلاها فيما بعدد عدد من الاتفاقيات والتفاهمات اليمنية السعودية. للمزيد ينظر:العقاب،عبدالوهاب آدم،تطور العلاقات اليمنية السعودية،1900-1970م،سلسلة تاريخ شبه الجزيرة العربية،دارسلان،ب(ت،ط)ص49 ومابعدها.

109. مفتاح،ابراهيم عبدالله ، هذه بلادنا فرسان جزائر اللؤلؤ والأسماك المهاجرة،مطابع جامعة الملك سعود، الرياض1404هـ،ص12-13.

110. مجموعة مؤلفين، جزر المملكة العربية السعودية،في البحر الأحمر والخليج العربي، مرجع سابق،ص221.

111. كحالة،عمر رضا،جغرافية شبه جزيرة العرب، المطبعة الهاشمية،دمشق،ط1،19 44م،ص285،ومجموعة مؤلفين،جزر المملكة العربية السعودية،مرجع سابق،ص78.

112. الشريف،عبدالرحمن صادق،جغرافية المملكة العربية السعودية ،دار المريخ للنشر، الرياض1984م،ج2،ص176-177.

113. النملة،حمود بن إبراهيم،وآخرون،المملكة العربية السعودية حقائق وارقام،مطبعة هيئة المساحة، السعودية ،2012م ،ص77.

114. مجموعة مؤلفين،جزر المملكة العربية السعودية،ص82-83.،مفتاح،إبراهيم عبدالله، هذه بلادنا فرسان جزائر اللؤلؤ والأسماك،مرجع سابق،ص12-13.

115. محمد،آمال إبراهيم،الصراع الدولي حول البحر الاحمر،مرجع سابق،ص26.

116. جرادات،وليد محمد،الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر،دار الثقافة-الدوحة، ط1،1986م،ص27.

117. مجموعة مؤلفين،جزر المملكة العربية السعودية، صادر عن هيئة المساحة والجيولوجية بالمملكة العربية السعودية،مرجع سابق،ص26.

118. مجموعة مؤلفين،جزر المملكة العربية السعودية،مرجع سابق،ص26. الزبيدي،كريم مطر حمزة، الصراع الدولي في البحر الأحمر مرجع سابق،ص28.

119. تتضارب المصادر والمراجع التاريخية حول ملكية جزيرتي(تيران وصنافر) منها من يقول: ان الجزيرتين تتبع المملكة العربية السعودية وأن مصر في العام1948م طلبت من السعودية الاستعانة بهاتين الجزيرتين في حربها مع إسرائيل وفي العام1951 اقدمت مصر على منع إسرائيل من المرور في خليج العقبة بوصفه خليجاً عربياء وأبدت السعودية ذلك وقام الملك السعودي الراحل فيصل بن عبدالعزيز بمنح تلك الجزيرتين لمصر لمنع مرور السفن الإسرائيلية إلى ميناء ايلات، وبعد العدوان الثلاثي على مصر في العام1956م وبعد نكسة حزيران عام1967م بقي خليج العقبة مفتوحاً أمام إسرائيل وبقي الصراع بين مصر وإسرائيل مستمراً بسبب دخول القوات الإسرائيلية إلى الجزيرتين واحتلالهما وانتهى النزاع بإتفاقية كامب ديفيد في العام1978م ونصت على فتح خليج العقبة بوصفه ممراً دولياً، وبإشراف قوات تابعة للأمم المتحدة وتمركزت في منطقة شرم الشيخ وانسحبت إسرائيل من تلك الجزيرتين ومنعت مصر من وجود قواتها فيها منذ ذلك الوقت تمسكت مصر بأعلان السيادة على الجزيرتين ولاتزال، انها ترد في كثير من المصادر بأنها مصرية، للمزيد ينظر: صحيفة الشرق الأوسط،العدد9281، بتاريخ 24 إبريل 2004م، حافظ،صلاح الدين،مرجع سابق،ص79. وعبد الشافع ،بوبكر فضل محمد،أمن الطاقة والصراع الاستراتيجي للقوى العظمى في منطقة حوض البحر الأحمر،مجلة القلزم،مرجع سابق،ص185. الزبيدي،كريم مطر حمزة، الصراع الدولي في البحر الأحمر مرجع سابق،ص28.

120. أحمد،سلوى عثمان، الأهمية الاستراتيجية لجزر البحر الاحمر،مرجع سابق،ص40

121. هيكل، محمدحسنين، سنوات الغليان»حرب الثلاثين سنة1967م«مركز الأهرام للترجمة والنشر،ط1988،1م،ج1،ص188-191.

122. ينظر:مفتاح،إبراهيم عبدالله،هذه بلادنا فرسان جزيرة اللؤلؤ والأسماك،مرجع سابق،ص15.

123. عياد، خالد حماد،أهمية جزر البحر الأحمر،مرجع سابق،ص58.

124. يعد الخط الملاحي البحري للأردن في عرض البحر الأحمر شريان رئيس للمستوردات العامة ويشكل التصدير والاستيراد عبر الشحن البحري الحصة الأكبر في الميزان الأقتصادي بشكل عام،عدا أنه يُعَدّ ممرا للسياحة الدينية العابرة للأراضي الحجازية وللسياحة الداخلية القادمة من شبه جزيرة سيناءوميناء نويبع المصري حيث يخدم الخط الملاحي مابين ميناء العقبة ونويبع حوالي مليون مسافر سنويا مابين ركاب متنقلين وحجاج ومعتمرين،زد على ذلك150 ألف سيارة وشاحنة تنتقل عبر الأردن من وإلى مصر وليبيا والسعودية والعراق وكذلك عبر سوريا وتركيا والتي تُعَدّ سوقا كبيرا وممرا لعبور البضائع من و إلى تركيا وأوروبا ولبنان.وفي البحر الأحمر وهناك مشروع سيلحق خسائر اقتصادية فادحة بالأردن إذا ماتم،وهو الجسر الرابط

الذي تم الاتفاق على إنشائه مؤخراً مابين مصر والسعودية مباشرة فوق المياه الدولية الذي سيربط الأراضي السعودية بمناطق شمال سيناء،وسيكون هذا المشروع حال تنفيذه فاتحة عبور مباشرة بين البلدين ستلغي كثيراً من الحقوق والامتيازات التي هي من حق الأردن.

125. للمزيد من التفاصيل حول حرب 1948م ينظر: حسين،عدنان السيد،التوسع في الاستراتيجية الإسرائيلية،دار التنائس،بيروت،ط1986م،ص106،والخولي،حس ين صبري،سياسة الاستعمار الصهيوني اتجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين،دار المعارف –مصر،ط1973م،ص46.

126. ينظر: كتيب بعنوان ،فلسطين الشهيدة،سجل مصور لبعض فظائع الانكليز واليهود 1921-1938م النسف، الحرق، التخريب، النهب،تدمير المدن والقرى، والتشوية والتعذيب،وقتل النساء والاطفال،واهانة كتاب الله،تخريب المساجد، ب(ت،ط)ص1 ومابعدها.

127. عياد،خالد حماد، سياسة الولايات المتحدة الامريكية اتجاه عملية السلام العربية الاسرائيلية ، رسالة ماجستير علوم سياسية –جامعة الشرق،ط1،2014م،ص2

128. بوزيدي، يحيى، وآخر،سايكس بيكو ومشاريع التقسيم في الماضي والحاضر، مرجع سابق،ص15 ومابعدها.

129. القيسي، عبد الحميد،وآخر،البحر الأحمر اهميته الاقتصادية والإستراتيجية،منشورات مركز دراسات الخليج ،جامعة البصرة،ط1986م ص107،والجزار،محمد،الجذور التاريخية للصراع العربي الإسرائيلي،مركز الكتاب للنشر،مصر،ط1986م،ص132.

130. جرادات،وليد ،الاهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر،مرجع سابق ،ص316.

131. بدأت فكرة إنشاء قناة تصل بين البحر الأبيض المتوسط و البحر الميت في العام1850م عندما اقترح»وليام ألن» عضو جمعية المهندسين البريطانية فكرة انشاء قناة تبدأ عند ميناء»حيفاء»في فلسطين، كون بريطانيا تحتل فلسطين حينها،وتصل إلى البحر الميت، بعد أن تمكنت بريطانيا من السيطرة على قناة السويس، وما إن علم الصهاينة الأوائل بفكرة المشروع حتى تبنّوه وعدوه من المشاريع المائية المستقبلية التي سينفذونها على أرض الميعاد.وأن شق القناة يخلق ممراً مائياً جديداً ويجعل من البحر الميت ميناء بحرياً وسوف يكون له عوائد اقتصادية كبيرة على إسرائيل في حوض البحر الاحمر. ينظر الزعبي، الأرقم،الغزو اليهودي للمياه العربية، حلم توراتي قديم وعمل لتحقيقه مستديم،مرجع سابق،ص127.

132. الزعبي، الأرقم،الغزو اليهودي للمياة العربية، حلم توراتي قديم وعمل لتحقيقة مستديم ، مرجع سابق ،ص57ومابعدها،و العثمان،سامي،أمن البحر الأحمر أبعاد ومخاطر،مرجع سابق،ص19.

133. الخوند ،مسعود، الموسوعة التاريخية الجغرافية السياسية، الشركة العربية للموسوعات،لبنان-بيروت،ط2003،1م،ج18،ص190
134. البراوي،راشد،اقتصاديات العالم العربي من الخليج إلى المحيط ، دار الهلال-مصر،د.(ت)،ص297-298.
135. حمدان،جمال شخصية مصر» دراسة في عبقرية المكان،عالم الكتب، القاهرة،ط1981م،مج2،ص 497، وداجنت، روجيه جوانت ، تاريخ البحر الأحمر،مرجع سايق ص9،والعثمان، سامي عبدالعزيز،أمن البحر الاحمر أبعاد ومخاطر،مرجع سابق ،ص40 وعياد، خالد حماد،أهمية جزر البحر الأحمر،مرجع سابق،ص65
136. 137 العرموطي ،وآخرون،موسوعة العالم الاسلامي وكالة النعيم للطباعة والنشر،ط 1994م ص162
137. حمدان،جمال،شخصية مصر، دراسة في عبقرية المكان ،مرجع سابق ،ص497، وسعودي،محمد عبدالغني، الجغرافيا والعلاقات السياسية الدولية، المكتبة النموذجية، القاهرة ،ط1982م ،ص14-29. الخوند ،مسعود، الموسوعة التاريخية الجغرافية،ج18،مرجع سابق،ص190،والزبيدي، كريم مطر،الصراع الدولي في البحر الأحمر بين الماضي والحاضر،ص44،وغزيل،سلام داود،السياسة الخارجية للسعودية تجاه دول منطقة البحر الأحمر ،مرجع سابق،ص12
138. حمدان،جمال،شخصية مصر،،»دراسة في عبقرية المكان» مرجع سابق،ص494.
139. المهري،ص35، عياد، خالد حماد،أهمية جزر البحر الأحمر،مرجع سابق،ص65
140. ينظر: عياد، خالد حماد،أهمية جزر البحر الأحمر،مرجع سابق،ص66،و داجنت، روجيه جوانت ، تاريخ البحر الأحمر،مرجع سايق ،ص17،والعثمان،سامي عبدالعزيز،أمن البحر الاحمر أبعاد ومخاطر،مرجع سابق ،ص68
141. حوات، محمد علي،مضيق باب المندب، مرجع سابق،ص137.
142. الزبيدي، كريم مطر، الصراع الدولي في البحر الأحمر ،مرجع سابق ،ص 45، والهيصمي،خديجة،سياسة اليمن في البحر الأحمر،مكتبة مدبولي،ط1،2002م،ص64
143. حسين ،شيماءطالب عبدالله، السياسة البريطانية تجاه دول شرق البحر الأحمر1939-1956م،أطروحة دكتوراه ،»غيرمنشورة»كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد 2002م ص1
144. السلطان، عبدالله عبدالمحسن،البحر الأحمرو الصراع العربي الاسرائيلي، مرجع سابق،ص137ومابعدها
145. عياد، خالد حماد،أهمية جزر البحر الأحمر،مرجع سابق،ص66،والزبيدي،الصراع الدولي في البحر الأحمر،مرجع سابق،ص45.
146. السلطان،عبدالله عبد المحسن،البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي مرجع سابق،ص32.

147. علي، مهدي محمد ، جغرافية البحار والمحيطات، الجمهورية العراقية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي،د.ت،ص212، القيسي، عبدالحميد، وآخر، البحر الأحمر أهميته الاقتصادية والاستراتيجية،منشورات مركز دراسات الخليج العربي، جامعة البصرة، ط1986م، ص56
148. شاور، آمال، الإطار الجغرافي البحر الأحمر ومجموعاته الجزرية،جزر البحرالأحمر الملف العلمي،(القاهرة جامعة الدول العربية،معهد البحوث والدراسات العربي،1989م) ص161،بورجي، عبدالله،الجزر اليمنية في البحر الأحمر،مرجع سابق،ص22-25.
149. سالم، عبدالعزيز،البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي مرجع سابق، ،ص3،صحيفة الشرق الاوسط،العدد9281الموافق 24 نيسان 2004م،ص4.
150. صحيفة الشرق الاوسط،العدد9281الموافق 24 نيسان 2004م،ص4.
151. أحمد، سلمى عثمان،الأهمية الاستراتيجية لجزر البحر الاحمر،مرجع سابق،ص34
152. 153الزبيدي،كريم مطر، الصراع لدولي على البحرالأحمر،مرجع سابق،ص47،
153. 154الشامي، صلاح الدين،السودان دراسة جغرافية، منشأة المعارف،أسكندرية،ط2،1973،ص64.
154. الشامي، المرجع نفسه،ص13.
155. المنشاوي ،اماني أحمد ،الجغرافية الإقليمية ،دار النهضة ،بيروت ،ط2010م،ص9، وغزيل،سلام داود ،السياسة الخارجية ،مرجع سابق ،ص10-11.
156. الهيصمي،خديجة، سياسة اليمن في البحر الأحمر،مرجع سابق،ص65.
157. ينظر: ضرار، محمد صالح، تاريخ سواكن، والبحر الأحمر، الدار السودانية للكتب،الخرطوم،ط1991،م،ص، شقير،نعومة، جغرافية وتاريخ السودان،(تقديم) فدوى عبدالرحمن على طه ،دار عزة للطباعة والنشر، الخرطوم، ط2007م، ص10 ومابعدها، بوركهات، جون لويس،رحلات بوركهات في بلاد النوبة والسودان(1784-1817)، دار كنوز للطباعة والنشر، القاهرة، ط2012م، ص8 ،نصر، السيد يوسف، الدور الحضاري للجيش المصري في القرن التاسع عشر-في آسيا وأفريقيا، مكتبة مدبولي القاهرة، ط1 ،1993م،ص16 ومابعد، ومحمد، حاتم الصديق، إدارة سواكن في العهد العثماني(1520-1866م) مجلة القلزم، العدد الأول أبريل 2020م،مرجع سابق،ص48 ومابعدها.
158. أحمد، سلمى عثمان، الأهمية الإستراتيجية لجزر البحر الأحمر،مجلة القلزم، ربع سنوية ،العدد الأول-أبريل2020م،ص30
159. أحمد، سلمى عثمان ،المرجع نفسه،ص31
160. أحمد، سلمى عثمان ،المرجع نفسه،ص31
161. أحمد،سلمى عثمان،الأهمية الاستراتيجية لجزر السودان، مرجع سابق،ص31-32.
162. أحمد، سلمى عثمان، الأهمية الإستراتيجية لجزر البحر الأحمر،مرجع سابق،ص31

163. العثمان، سامي عبد العزيز، أمن البحر الأحمر وأبعاده،مرجع سابق،ص89
164. الزبيدي،الصراع الدولي في البحر الأحمر، مرجع سابق،ص238
165. زيْلَع:قرية على ساحل البحر من ناحية الحبش،قال ابن الحائك:ومن جزائر اليمن جزيرة زيلع،وليست جزيرة كما توهم الهمداني مؤرخ اليمن،أنما هي الميناء الأول للحبشة بعد اندثار ميناء عدول،وتقع اليمن في الصومال،وتعرف اليوم بـــ«Saylac»،ويعتقد بعض المؤرخين أنها ميناءAVALITES» المذكور في كتاب الطواف حول البحر الأرتيري(القرن الأول للميلاد)،وأن هذا الاسم مازال موجوداً على الساحل الشمالي في خليج زيلع بصيغة محرفة هي"ABALIT،وتطلق القبائل الصومالية على المكان اسم(أوسال) مما قد يؤمي إلى الاسم اليمني القديم(أوسان) والذي ورد أيضاً في كتاب الطواف.وقد كان الأوسانيون يسيطرون في تلك الأيام على معظم ساحل الشرق الأفريقي: للمزيد ينظر:،ظافر،عبدالله محمد،نزهة المشتاق لليمن ،مرجع سابق،ص44
166. العرموطي، وآخرون، الموسوعة الاسلامية ،مرجع سابق ،ص364.
167. كانت إريتيريا مستعمرة إيطاليةلاكثر من خمسين عاماً حتى العام 1941م وبعد ذلك أصبحت تحت الاحتلال البريطاني نظراً لاحتلال أراضيها من قبل القوات البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية حتى العام 1952م،إذ أخذت استقلالها من بريطانيا وتوحدت مع إثيوبيا في دولة اتحادية فقد قررت الجمعية العامة في العام 1950م أن تلحق إريتريا في اتحاد فيدرالي مع إثيوبيا لكن الإمبراطور الأثيوبي هيلاسيلاسي قام في العام1962م بدمج إريتريا في دولة واحدة مع إثيوبيا مخالف بذلك قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة مما أدى إلى اشتعال الحرب الأهلية حتى تم الانفصال عن إثيوبيا بموجب اتفاق عام 1993م. ينظر:نجاد،عبدالله محمد،الأهمية الاستراتيجية للجزر اليمنية في البحر الأحمر،مرجع سابق،ص81-84،صوار،أحمد، الصومال الكبيركتب سياسية،الكتاب121،ب(ط،ت)ص64ومابعد،وأيحوموبي،ساهيد،تاريخ إثيوبيا،ترجمة:مصطفى مجدي الجمال،المركز القومي للترجمة،ط1،2016م،ص25 ومابعدها،و.إدريس،عبدالله،إريتيريا ومسؤولية الاستقلال،رؤية مستقبلية،ب(د) الطبعة الأولى 1993م،ص25
168. Stansfield Gareth R.V.(2001)The 1995-96 Yemen Eritrea Conflict Over the Islands of Hanish And Jabal Zuqar:Ageoplitical Analysis,Durham Middle East,Major.School of Advanced Milieary Studies,p26
169. نشأ تحالف إسرائيلي إثيوبي ،وكانت أولى عملية التقارب من تخطيط أول رئيس وزراء إسرائيلي وهو بن غوريون وكان ذلك في العام1958م،وسعى بن غوريون من وراء ذلك إلى إقامة تحالفات مع دول غير عربية في حوض البحر الأحمر لضمان أمن إسرائيل،ولقد قامت إسرائيل علاقات جيدة بإريتريا بعد نيل الاستقلال عن إثيوبيا مع إلابقاء على علاقات جيدة مع إثيوبيا في الوقت نفسه ،ولقد اثمرت مساعي بن غوريون في مد جسور مع دول البحر الأحمر غير العربية، ففي العام 1973م وعند إغلاق مصر

لباب المندب أمام السفن الاسرائيلية سمحت إثيوبيا للسفن إلاسرائيلية بالتزود بالوقود من موانئ جزر حالب دهلك وفاطمة وجبل زقر وحنيش الكبرى، مقابل تزويد إسرائيل إثيوبيا بالسلاح. ينظر:StansfieeldGareth R.V, OP.CIT.,P28

170. حوات ،محمد علي، مضيق باب المندب..أهميته الإستراتيجية وتأثيرها في الأمن القومي العربي،مكتبة مدبولي،ب(ت)ص131.

171. وقد أصيب الرئيس الإريتري بمرض خطير في الدماغ وتوجه إلى الدولة الصديقة إسرائيل للعلاج إذْ اجريت له عملية جراحية دقيقة جدا تكللت بالنجاح، ونتج عن ذلك ترسيخ للعلاقات الإسرائيلية الإريترية, حوات،محمد علي ،العرب والعولمة شجون الحاضر وغموض المستقبل ، مكتبة مدبولي،ط2002،1م،ص151. والسلطان ، عبدالمحسن، البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي التنافس بين إستراتيجيتين مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،ط1984،1م،ص181-183.

172. ينظر:» الخطر تحت صفاء المياه ..البذور السوداء للصهيونية «مجلة العربي الكويتية،العدد510صفر1422هـ -مايو2001م،ص40،50.

173. ممتاز العارف،إريتريا بين احتلالين،دار الجاحظ للطباعة والنشر، بغداد،ط1،1979م،ص24،والهيتي،صبري فارس،الأهمية الجغرافية لمضيق باب المندب في الملاحة البحرية العربية،والمواصلات في الوطن العربي،مركز دراسات الوحدة العربية-بيروت1982م،ص14.

174. النجم،عبدالباري،إريتيريا شعباً وكفاحاً،مطبعة العاني، بغداد،ط1،1971م،ص27.

175. العثماني، سامي عبدالعزيز،أمن البحر الأحمر أبعاد ومخاطر،مرجع سابق،ص143

176. عياد، خالد حماد أحمد،أهمية جزر البحر الأحمر في الأمن القومي العربي، مرجع سابق ،ص165.

177. العثماني، سامي عبدالعزيز،أمن البحر الأحمر أبعاد ومخاطر،مرجع سابق،ص69.

178. الشيخ ،رأفت غنيمة،جزر البحر الأحمر الإفريقية مجلة المؤرخ العربي،العدد العشرين،1981م،ص92-93.النجم،عبدالباري،إريتريا شعباً وكفاحاً، مرجع سابق،ص47،ومحمد،آمال إبراهيم، الصراع الدولي حول البحر الأحمر، مرجع سابق،ص24.

179. العثماني، سامي عبد العزيز ، أمن البحر الأحمر أبعاد ومخاطر، مرجع سابق، ص69.، 143.

180. محمد،آمال ابراهيم، الصراع الدولي حول البحر الأحمر، مرجع سابق،ص24. النجم،عبدالباري،إريتريا شعباً وكفاحاً، مرجع سابق،ص47.

181. النجم، المرجع نفسه،ص47. محمد،آمال ابراهيم، الصراع الدولي حول البحر الأحمر، مرجع سابق،ص24.

182. العارف،إريتريا بين احتلالين، مرجع سابق،ص47.

183. العثماني، سامي عبدالعزيز،أمن البحر الأحمر أبعاد ومخاطر،مرجع سابق،ص143

184. الزبيدي، كريم مطر حمزة ،الصراع الدولي في البحر الأحمر،ص238.و العثماني، سامي عبدالعزيز،أمن البحر الأحمر أبعاد ومخاطر،مرجع سابق،ص139

185. العثماني، سامي عبد العزيز، أمن البحر الأحمر أبعاد ومخاطر،مرجع سابق،ص170
186. عياد، خالد حماد،أهمية جزر البحر الأحمر،مرجع سابق،ص66.
187. العرموطي ،وآخرين،مرجع سابق ص86
188. محمد، امال إبراهيم، الصراع الدولي حول البحر الأحمر،مركز الدراسات والحوث اليمني ،صنعا،ط1993،1م، ص25
189. طاهر، حمدي، جيبوتي أمن البحر الأحمر، المطبعة العربية الحديثة، القاهرة، ط1977م،ص35.
190. طاهر، حمدي،جيبوتي أمن البحر الأحمر، مرجع سابق،ص35
191. طاهر،حمدي،جيبوتي أمن البحر الأحمر،مرجع سابق ،ص36-37.
192. 192TallyMicheal J.The Feasibility of Djibouti As an Lntermeddi-ate Staging Base For U.s Land Force operations in The Middle East , Major School of Advanced Military Studies(2003),p6
193. TallyMicheal J,c??p>10
194. رأفت ، وآخرون، العرب والقرن الإفريقي جدلية الجوار والإنتماء، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،بيروت ط1،2013م،ص227.وطوحل، خالد عبدالله، دور اليمن البحري مع دول حوض البحر الأحمر»الساحل الغربي خلال المدة1504-1967م، بحث مقدم لمؤتمر دول حوض البحر الأحمر،المزمع انعقادة في العاصمة السودانية الخرطوم «قريبا،»برعاية مركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر –وكلية المناهل للعلوم، ص15.
195. الهيصمي،خديجة،سياسة اليمن في البحر الأحمر، مرجع سابق،ص65.،وعبد الشافع، ابوبكر فضل محمد، أمن الطاقة الاستراتيجي للقوى العظمى في منطقة حوض البحر الأحمر، مرجع سابق،ص185
196. حوات، محمد علي،مضيق باب المندب،مرجع سابق، ص31.
197. أحمد، سلمى،مجلة القلزم،مرجع سابق،ص35.

دور شريف مكة بركات بن محمد بن عجلان في مواجهة الاستعمار البرتغالي في البحر الأحمر (903 ـ 931هـ/1497 ـ 1525م)

د. جهان إبراهيم شار علي عبد الرحيم

أ. مساعد - التاريخ الحديث والمعاصر -

جامعة الطائف - المملكة العربية السعودية

المستخلص

إن لهذا البحث علاقة وثيقة بمركز بحوث ودراسات دول حوض البحر الأحمر، وموسوعة البحر الأحمر؛ لأنه يتحدث عن رمز من رموز هذا البحر العتيق، الذي قام بمواجهة الغزو البرتغالي للحجاز على السواحل الشرقية للبحر الأحمر، ففي عهد الشريف بركات بن محمد كانت بداية الغزو البرتغالي على المشرق العربي والإسلامي، وقد تصدت لهذا الغزو قوات المماليك، ثم القوات العثمانية، وكان هذا التصدي جميعه إبّان حكم الشريف بركات لمكة المكرمة.

Abstract

The role of the Sharif of Makkah Barakat bin Muhammad bin Ajlan in Facing the Portuguese colonization of the Red Sea 903-931 AH /14971525- AD)Summary Research title: The role of the Sharif of Makkah Barakat bin Muhammad bin Ajlan in facing the Portuguese colonization of the Red Sea (903-931AH / 1497-1525 AD).This paper has a close relation to the Red Sea Basin Countries Research and Studies Center and the Red Sea Encyclopedia. The study handles a symbol of this ancient sea, who faced the Portuguese invasion of the Hejaz area on the eastern shores of the Red Sea. During the era of Sharif Barakat bin Muhammad, the beginning of the Portuguese invasion of the Arab and Islamic East was faced by the Mamluk forces, then the Ottoman forces. Both confrontations were during the rule of Sharif Barakat of Makkah Al-Mukarramah.

شرافة مكة :

شريف مكة: وهو لقب يطلق في الحجاز على حكام مكة المكرمة من أبناء الحسن بن علي بن أبي طالب، حفيد الرسول محمد ﷺ.ومن الجدير ذكره أن هذه المنطقة لم تتمتع بالسيادة في معظم سنواتها، بل كانت دولة تابعة لسلطات أخرى([1]). وقد نشأت حكومة الأشراف في مكة بعد موت كافور الإخشيدي الذي حكم مصر باسم العباسيين في (355ـ357هـ / 966ـ 968م)، حين قام جعفر بن محمد بن الحسن بإمارة مكة؛ واختلف المؤرخون في التاريخ الدقيق لقيام جعفر بن محمد بتأسيس إمارته في مكة ما بين (357ـ358هـ/968ـ969م)، لكنهم مجمعون على أن قيام أول حكومة للأشراف في الحجاز كانت بعد موت كافور الإخشيدي([2])، وقد تزامن قيام حكومة الأشراف وسقوط مصر في يد العبيديين، وهذه الأسرة تمثل الطبقة الأولى من أربع طبقات من الأشراف حكموا مكة وأجزاء كبيرة من الحجاز في حقب متعددة، منذ قيام إمارتهم حتى القرن الرابع عشر الهجري، ويُطلَق على الطبقة الأولى «الموسويون» نسبة إلى جدهم (موسى الجون)، أما الطبقة الثانية فتسمى «السليمانيين» نسبة إلى جدهم (سليمان بن عبد الله الرضا) ، في حين سميت الطبقة الثالثة «الهواشم» نسبة إلى جدهم (أبي هاشم محمد الأمير بن الحسين الأمير)، وكانت الطبقة الرابعة تسمى «القُتَادات» نسبة إلى جدهم الشريف قَتَادة بن إدريس، الذي حكم مكة من العام(597ـ617هـ/1201ـ1220م)، ويكشف هذا أن الأشراف أمراء مكة ينتمون إلى الطبقة الرابعة من الأشراف الحسنيين الذين حكموا مكة([3]).

كان يحكم مكة عندما ظهر البرتغاليون في البحر الأحمر الشريف بركات بن محمد بن بركات بن حسن بن عجلان بن رميثة بن أبي نمي محمد بن أبي حسن بن علي بن أبي عزيز قتادة الحسني المكي([4])، المعروف ببركات الثاني أو بركات أفندي ([5])، ولد بمكة (861هـ /1457م) أمه الشريفة عمرة ابنة محمد آل أبي نمي. تعلم على يد مجموعة من العلماء والمشايخ، شارك والده في إمارة مكة وإدارة شؤونها مدة سبع وعشرين سنة، وتولى أمارتها بعد وفاة والده الشريف محمد بن بركات في 11 محرم 903هـ/ 8 سبتمبر1497م، نازعه على أمارة مكة أخوته : الشريف هزاع، ثم الشريف محمد الملقب بالجيزاني ، ثم الشريف حميضة بن محمد ، وقد مرت مرحلة ولايته بأوقات عصيبة قضى بعضها محبوساً في مصر، فقد استعان عليه المماليك بأخيه هزاع ، وقبضوا عليه سنة 907هـ /1501م وكبلوه بالحديد وحملوه إلى مصر، إلى أن فر منها عام (908هـ/ 1502م)، وقضى على منافسيه في عام 910هـ/1504م،

كما كسب ود السلطان المملوكي قانصوة الغوري([6]) الذي فوضه بشرافة مكة، وأشرك معه ابنه أبا نمي الذي أعجب به السلطان الغوري عند زيارته له في مصر مع مجموعة من الأمراء والقضاة ، وكان عمر أبي نمي في ذلك الوقت ثماني سنوات([7]).

كان الشريف بركات فاضلاً شجاعاً حسن التدبير. وعندما انتصر العثمانيون على المماليك (923هـ/1517م) في معركة الريدانية، أُرسِل الشريفُ بركات بن محمد وابنه السيدُ أبو نمي إلى السلطان سليم الأول([8]) في مصر ليعلن ولاءَه للدولة العثمانية، ولتهنئة السلطان سليم بانتصاره وتوليه حكم مصر، وقدم له مفاتيح مكة، وعندما علم السلطان سليم بقدومه أرسل الأغوات لاستقباله استقبالاً حافلاً، وقد استمر الشريف بركات في منصبه إلى أن توفي ليلة الأربعاء في الرابع عشر من ذي القعدة سنة ٩٣١هـ/ 1 سبتمبر 1525م بمكة، وله من العمر 71 سنة([9]).بوفاة الشريف بركات انتقل الأمر إلى أكبر أبنائه وشريكه بالأمس محمد أبي نُمي الثاني، وعمره إذ ذاك نحو عشرين سنة([10]). وقد تولى أبو نمي مهمة مواجهة الغزو البرتغالي بعد والده.

حافظ العثمانيون على الأوضاع السائدة في الحرمين الشريفين، لا سيما الوضع الثقافي والاجتماعي والإداري، وكان التقسيم الإداري في أوائل الحكم العثماني للحجاز يختلف عن آخره، فمع تسمية الوالي - الذي يتم تعيينه من إستانبول - في البداية بأمير الأمراء، وتسمية أمير المدينة المنورة ـ الذي يُعين من إستانبول – بشيخ الحرم، وتسمية أمير مكة المكرمة ـ الذي يُختار من الأشراف ـ بشريف مكة أو أمير مكة ، بيد أن تغيراً قد وقع على اسم بعض تلك الوظائف في العهد الأخير للدولة العثمانية ؛ إذ أصبح يُطلق على الوالي والي الحجاز بدلاً من أمير الأمراء ، وعلى أمير المدينة محافظ المدينة بدلاً من شيخ الحرم . أما بقية مدن الحجاز فهي تتبع لشريف مكة، وقد تخرج عنه، وقد يكون في بعضها حاكم محلي خاصّ بها، وكانت سلطة الشريف المكي تمتد وتقصر – مساحةً - حسب قوته، فتارة يحكم مكة وما حولها ، وتارة تتعدى سلطته الحجاز إلى نجد أو شرق الجزيرة العربية([11]) .

البحر الأحمر :

يطلق اسم البحر الأحمر اليوم على المسطح المائي الذي يفصل قارتي آسيا (من الشرق)، وأفريقيا (من الغرب)، وهو ذراع ضيق وطويل للمحيط الهندي يربط ما بين المحيط الهندي وبحر العرب (من الجنوب) والبحر الأبيض المتوسط (من الشمال)، ويفصل شبه الجزيرة العربية عن الشمال الشرقي الإفريقي، وهو يعد من أكثر الممرات المائية ازدحاماً في العالم؛ إذ تمر

بـه أغلـب التجـارة بـين أوروبـا وآسـيا، ويتصـل البحـر الأحمـر بالبحـر الأبيـض المتوسـط عـن طريـق قنـاة السـويس([12]).

تبلـغ مسـاحة البحـر الأحمـر قرابـة (456.000كـم2)، ويبلـغ عرضـه نحـو (350كلـم) في أوسـع نقطـة لـه([13])، يتمـدّد هـذا البحـر بانحنـاء نحـو الغـرب، مـن الجنـوب إلى الشـمال عـلى مسـافة تقـارب (1900 كلـم)، ويـراوح عرضـه مـا بـين (25 كلـم) عنـد مضيـق بـاب المنـدب، و(355 كلـم) مـا بـين إريتريـا واليمـن، وينتهي بخليجـي العقبـة، و السـويس، وعـبر قنـاة السـويس إلى البحـر الأبيـض المتوسـط. معـدل عرضـه زُهـاء (200 كلـم), أقـصى عمـق لـه هـو(2200م) في الوسـط، أمّـا معـدل العمـق فيبلـغ (200م) فقـط([14]). وفي البحـر الأحمـر تصـل درجـة حـرارة المـاء عـلى السـطح نحـو (29 درجـة مئويـة) في الصيـف، ومياهـه مـن أكثـر ميـاه العالـم ملوحـة. ومـن الشـائع أن البحـر الأحمـر قـد سـمي بهـذا الاسـم بسـبب نـوع مـن الطحالـب يكـون زبـداً بنيـاً يميـل إلى الحمـرة خـلال الصيـف([15]).

عُـرِف هـذا البحـر عـبر التاريـخ بأسـماء كثـيرة، منهـا «البحـر الكبـير» ، و»بحـر القلـزم» نسـبة إلى مدينـة القلـزم التـي تقـع عـلى طرفـه الشمالي(السـويس حاليـاً)، و»البحـر الحبـشي» ، كذلـك كان يعـرف بالبحـر الجنوبـي وفـق رأي المـؤرخ اليونانـي هـيرودوت، لتمييـزه مـن البحر المتوسـط الـذي كان يعـرف بالبحر الشـمالي. كمـا أن بعـض المؤرخـين والجغرافيـين القدمـاء أطلقـوا عليـه اسـم «بحـر العـرب»، أو «بحـر مـصر»، لأن عـلى شـاطئيه الشرقـي والغربـي شـعوبًا، في أغلبيتهـم شـعوب عربيـة([16]). أمّـا شـهرته بالبحـر الأحمـر فهنـاك خلاف في سـبب تسـميته بهذا الاسـم، فيذكـر بعـض الدارسـين أن التسـمية تعـود إلى أسـطورة فارسـية قديمـة تذكـر أن ملـكاً فارسـياً يدعـى الأحمـر سـيطر عـلى هـذا البحـر، وأطلـق عليـه اسـم «بحـر الملـك الأحمـر» ثـم أصبـح يطلـق عليـه اسـم البحـر الأحمـر، وذلـك أيـام إمبراطوريـة ميديـا([17])، ويذكـر دارسـون آخـرون أن التسـمية ترجـع إلى لـون بعـض الطحالـب التـي تنبـت وتنتـشر عـلى سـواحله، بالإضافـة إلى كثـرة الشـعب المرجانيـة التـي تعطيـه هـذا اللـون الأحمـر([18]). وهـذا هـو الـرأي السـائد لـدى النـاس جميعـا.

يقـع البحـر الأحمـر والنصـف الشـمالي منـه خاصة عـلى عقبـات كأداء، وشـعبٍ مرجانيـة ضخمـة تحفـه مـن كلا السـاحلين؛ وتغـوص إلى داخـل البحـر الأحمـر، وتجنب الاصطـدام بهـا يحتـاج مهـارة وحنكـة ودرايـة مـن أي مـلاح. وكانـت الملاحـة صعبـة أيضـاً لهبـوب الريـاح الشـمالية عـلى السـاحل الحجـازي جنوبـاً طَـوال العـام، ممـا أضطـر عـرب الجزيـرة إلى اتخـاذ طـرق بريـة للقوافـل محاذيـة للسـاحل الحجـازي تجنبـاً لمواجهـة أهـوال البحـر الأحمـر ([19]). وقـد أنشـأ محمـد عـلي باشـا في العـصر الحديـث أسـطولاً بحريـاً عـلى البحـر الأحمـر لتسـهيل التجـارة البحريـة فيـه ([20]).

وتهب عليه رياح موسمية دائمة شمالية وشرقية في فصل الصيف، متجهة إلى الجنوب الغربي، وتهب في الشتاء من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي. لذا يفضل الملاحون الإبحار في فصل الصيف في الجزء الجنوبي من البحر الأحمر، لتدفع هذه الرياح السفن إلى باب المندب، ومنه إلى المحيط الهندي، وفي الجزء الشمالي تكون العودة في فصل الشتاء، ما بين شهري (ديسمبر وفبراير). وقد اعتاد البحارة والتجار والمسافرون السفر في شهري (أبريل ويونيو)، والعودة من الجنوب شهري (يناير وفبراير)، لذا ارتبطت الملاحة في البحر الأحمر بالمخاطرة في العصور الوسطى. لكن العقبات الطبيعية لم تكن وحدها التي تشكل خطراً على الملاحة في البحر الأحمر، بل هناك أيضاً قراصنة البحر الذين كانوا يتعرضون السفن نهباً وقتلاً وسبياً، ويباع من يُسبى في أسواق العبيد نساء أو رجالاً[21]. نلاحظ من هذا الوصف للبحر الأحمر أن الملاحة فيه كانت في غالية الصعوبة، وإنها تتطلب مهارة عالية، لذلك سنلاحظ أن أغلب أسباب فشل الحملات البرتغالية على هذا البحر إما الرياح وإما الشعب المرجانية.

الموقع:

يقع البحر الأحمر بين أفريقيا في مصر، والسودان، وإرتيريا، وشبه جزيرة العرب في المملكة العربية السعودية، واليمن، كما يرتبط بخليج عدن، وبحر العرب، ومضيق باب المندب، وتحيط به صحارى وسهول شديدة الحرارة، وتجدر الإشارة إلى أنّ أهم موانئ البحر الأحمر هي: (بورتسودان) في السودان، و»الحديدة» في اليمن، وجدة في المملكة العربية السعودية، و»مصوع» في إريتريا، والسويس في مصر، و»إيلات» المحتلة من قبل الكيان الصهيوني [22] . كما يقع البحر الأحمر ما بين خطي الطول 32و44 شرقي خط غرينيتش، وما بين خطي العرض 12 و30 شمالي خط الاستواء[23].

أهمية البحر الأحمر الاستراتيجية:

تكمن الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر في مكونات الدول الواقعة عليه ومواردها ، وهذه الدول هي من الشرق: اليمن، والمملكة العربية السعودية. من الشمال الأردن، وفلسطين المحتلة، وشبه جزيرة سيناء المصرية. أمّا من الغرب فهي: جمهورية مصر العربية، وجمهورية السودان، وجمهورية إرتريا، ودولة جيبوتي الواقعة على مضيق باب المندب المدخل الجنوبي للبحر. يحتوي هذا البحر على عدد كبير من الجزر الاستراتيجية، أهمها: جزيرة بريم، الواقعة في فم مضيق باب المندب، وجزر فرسان السعودية، وجزر دهلك [24] الإريترية، وجزر حنيش اليمنية، بعد نزاع ما بين اليمن وإرتريا على

ملكيتها. وتمتلك السعودية أطول الشواطئ على هذا البحر، تليها مصر، ثم إرتريا والسودان، ثم اليمن، ثم جيبوتي، أما الدولتان الباقيتان (فلسطين، والأردن) فشواطئهما قصيرة نسبياً، لكنهما تتمتعان بموقع إستراتيجي (ميناء إيلات، والعقبة، وطابا، في الشمال)، وتتمتع إرتريا وجيبوتي واليمن في الجنوب أيضًا بموقع استراتيجي على المضيق، الذي يتحكم بحركة الدخول إلى هذا البحر، باتجاه الشمال وقناة السويس، ومنه إلى البحر المتوسط([25]).

كما أن البحر الأحمر بموقعه الجغرافي الوسيط يعد رابطاً ما بين المحيط الهندي وبحر العرب من الجهة الجنوبية والبحر الأبيض المتوسط من الجهة الشمالية عبر قناة السويس التي شكلت منذ إنشائها بعدًا استراتيجيًا، لأنها ربطته بالبحر المتوسط وأوروبا والغرب عبر أقصر الطرق، وسهلت حركة التجارة والانتقال ما بين هذه الدول وغيرها. أما البعد الآخر للقناة، ففي كونها تُشكل مع مضيق باب المندب في الجنوب، معبرين استراتيجيين متلازمين مهمين، كوّنا البعد (الجيوستراتيجي) للبحر الأحمر، باعتباره طريقاً آمن وقصيراً ما بين الشرق الأقصى والخليج العربي من جهة، وأوروبا والقارة الأميركية من جهة أخرى. وتختصر هذه الطريق آلاف الكيلومترات أمام حركة الملاحة البحرية لنقل البضائع، والبترول، والغاز، بدلًا من الدوران حول القارة الأفريقية([26]).

مضيق باب المندب :

يعدّ مضيق باب المندب، (25 إلى 29 كلم، عرضًا) من أهم المعابر المائية، الضرورية لحركة التجارة ونقل الطاقة، في العالم، إذ تتحرك عبره نحو 15% من السفن العالمية ذهابًا وإيابًا. ويقع المضيق ما بين سواحل اليمن من الشرق، وجيبوتي من الغرب، وتقع فيه جزيرة بريم اليمنية، التي تقسمه إلى معبرين: شرقيٍّ بعرض (3 كلم)، قليل العمق (30مترًا)، وغربيٍّ بعرض زهاء (22كلم)، وبعمق قرابة (300متر)، وهذا المعبر هو الأكثر اعتمادًا لحركة السفن. ولا يمكن فصل هذا المضيق من الناحية الاستراتيجية عن خليج عدن واليمن وبحر العرب والصومال من جهتي الجنوب والشرق، وكذلك عن إثيوبيا وإريتريا من جهتي الشمال والغرب([27]).

الصراع على البحر الأحمر:

لا تكمن أهمية البحر الأحمر بذاته فقط، بل بموقعه وموارد الدول الواقعة عليه أيضا، من مصر إلى السعودية واليمن والسودان، لم يكن البحر الاحمر طوال تاريخه خارج صراع الدول الموجودة على ضفافه، أو صراع الإمبراطوريات التي احتلت هذه المنطقة، فمنذ وجود الفراعنة قبل (3000

سنة قبل الميلاد) فإن البحر الأحمر يعدّ ممراً تجارياً ممتازا، تصارعت عليه الامبراطوريات القديمة مثل: الإمبراطورية الفارسية وإمبراطورية الإسكندر المقدوني وخلفائه، ثم الإمبراطورية الرومانية، فالدولة الإسلامية والعثمانية والبريطانية، ومن بعدها الأميركية في عصرنا الحاضر. شكل البحر الأحمر عنصرًا مهمًا في حركة التجارة والحروب ما بين القوى المتصارعة للسيطرة على حركة التجارة ما بين الشرق والغرب([28]). وعندما تم افتتاح قناة السويس في (1869م) زادت أهمية البحر الأحمر الاستراتيجية والتجارية؛ لأنه ربط الشرق بالغرب عبر أقصر الطرق وأسهلها لحركة الأساطيل التجارية والحربية للدول العظمى، وتأمين سرعة تحركها للتدخل في شؤون الأمم الشرقية من أفريقيا وحتى الصين، وصورة عن التنافس والصراع الاستعماري ما بين هذه الدول على الموارد والأسواق([29]). سنلاحظ في هذا البحث مدى الأهمية التاريخية والاستراتيجية للبحر الاحمر من خلال الصراع المستميت للبرتغاليين للسيطرة عليه، قبل افتتاح قناة السويس، وهذا يدل على قوة البحر الأحمر ومركزه في قلب العالم الإسلامي.

دور شريف مكة المكرمة في الدفاع عن البحر الأحمر في أواخر العهد المملوكي.

تمكن المماليك من السيطرة على البحر الأحمر، وأضاف سلاطينهم لقب خدام الحرمين الشريفين، وبحكم هذا اللقب عدوا أنفسهم حماة للمقدسات الإسلامية في الحجاز، وأصبح البحر الأحمر في صلب استراتيجياتهم العسكرية والأمنية لحماية الأماكن المقدسة هناك، وكان تأمين طرق التجارة البحرية كفيلاً بتحقيق الرخاء للمماليك. راجت التجارة البحرية في هذه الحقبة، وكان البحر الأحمر من البحار المهمة الذي يربط العالم بتجارة الشرق؛ فقد تبادل التجار العرب السلع الشرقية الآسيوية مع التجار القادمين إلى مصر من أوروبا كجنوة والبندقية وغيرها([30]).

بالنظر إلى ازدهار التجارة البحرية في العصر المملوكي بدأ يظهر الفكر البرتغالي الصليبي المشبع بروح الحقد الدفين، فقد عمل البرتغاليين على تطويق العالم الإسلامي ودولة المماليك خاصة، وعمل الاسبان والبرتغاليون على احتلال الموانئ الإسلامية على البحر المتوسط بعد سقوط الأندلس عام 897هـ/1492م، وقد أرسل البرتغاليون عدداً من الحملات الصليبية التي أطلقوا عليها اسم الكشوف الجغرافية، وكانت تهدف إلى السيطرة على طرق الملاحة البحرية التي كان يسيطر عليها المسلمون، وقد تمكن (فاسكو دي جاما) عام 902هـ/1497م من عبور رأس الرجاء الصالح والوصول إلى الشاطئ الغربي لشبة الجزيرة

الهندية([31]). ومن هنا بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الملاحة البحرية التي أضعفت العالم الإسلامي، بعد سيطرة البرتغاليين على تجارة التوابل بصفة خاصة وعلى الملاحة البحرية بصفة عامة، إذ يعدّ هذا هو الحلم الذي سعت الدول الأوربية لتحقيقه، لتضعف العالم الإسلامي بصفة عامة والمماليك بصفة خاصة. وهنا سيدخل العالم الإسلامي مرحلة جديدة من الحروب الصليبية للسيطرة على الطرق البحرية.

في عام 784هـ/1382م قامت دولة المماليك الجراكسة([32])، وكان أول سلاطينها السلطان برقوق([33])، الذي عمل على تأمين الثغور والموانئ الحجازية في البحر الأحمر، وكانت علاقة المماليك حسنة مع شريف مكة أحمد بن عجلان وابنه محمد([34])، وتعاون معهم في تأمين الموانئ الحجازية في البحر الأحمر في جدة وينبع التي أسهمت في ازدهار التجارة في الحجاز والبحر الأحمر، حيث ترد إليها السفن بالغلال كل سنة([35]). لكون البحر الأحمر الشريان الرئيس للتجارة العالمية في ذلك الوقت.

وقد تنافس على اغتنام مكاسب التجارة الشرقية عبر البحر الأحمر في عهد المماليك ثلاث قوى سياسية وهي: حكام المماليك في مصر ، وحكام الحجاز «الأشراف» ، وحكام اليمن الرسوليون، ثم جاء بعدهم الطاهريون، وكان يفترض أن يتم التعاون والتنسيق بين هذه القوى الثلاثة لتحقيق التكامل السياسي والاقتصادي بينهم ، لحماية المنطقة من الأعداء البرتغاليين، وللحفاظ على كيانهم السياسي، إلا أن خلاف ذلك حصل؛ فقد وقعت عدة صراعات سياسية وعسكرية أدت إلى اضطراب حال التُّجار وتنقلهم في موانئ البحر الأحمر الغربية والشرقية ؛ بحثاً عن الميناء الأكثر أمناً واستقراراً، فمن هروب من عدن إلى جدة إلى ينبع إلى عيذاب([36]). هذا التنافس أضعف المنطقة وأسهم إلى حد كبير في بحث التجار عن طرق جديدة للتجارة، لكن الذي جعل للبحر الأحمر أهمية كبيرة وجودُ الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة التي كان يصل إليها الحجاج عن طريق ميناء جدة الإسلامي على ساحل البحر الأحمر.

لقد كانت جُدة الميناء الرئيس في الحجاز، وميناء مكة المباشر منذ اتخذه الخليفة الثالث عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ ميناءً لمكة المكرمة عام 26هـ / 647م مما سهل على حجاج البحر سرعة الوصول وأمانة الطريق، ومن ذلك الوقت وحتى الوقت الحاضر يعدّ ميناء جُدة من أكبر الموانئ على الضفة الشرقية للبحر الأحمر وأهمها([37]). فهو المنفذ التجاري الذي يزود مكة ومعظم مناطق الجزيرة العربية بما تحتاجه من مواد غذائية وموارد اقتصادية، يضاف إلى هذا دوره الرئيس باعتباره الميناء لحجاج بيت الله الحرام

القاصدين مكة المكرمة. وتواصل نمو جُدة وكثرت تجارتها في العصر المملوكي، مما جعل سلاطين المماليك وأمراء مكة من الأشراف يدخلون في عدة صراعات بسبب العشور والمكوس من هذا الميناء، وتغيرت لغة المؤرخين عن جُدة في القرن التاسع الهجري، فأصبحوا يصفونها بأنها من أعظم المدن، وربما يردها في كل سنة ما يزيد على مائة مركب، فأصبحت مركزاً تجارياً هاماً، وخاصة بعد تحول البواخر من ميناء عدن إلى جُدة[38]. وقد حمى الله هذا الميناء حماية جليّة كما لاحظنا عندما تحدثنا عن الموقع حتى أصبح مقبرة للغزاة المارقين.

أما عن التجارة الكارمية[39] فقد تأثرت كثيراً في عهد المماليك الجراكسة للسياسة الاحتكارية التي اتبعها سلاطين المماليك، حيث أجبروا أشراف مكة على إشراكهم في المكوس بميناء جدة مما لم يسبق له مثيل في علاقة حكام مصر بحكام الحجاز، فاستولى حسين الكردي نائب المماليك على جدة على عشرة أمثال العشر، أي ما يعادل قيمة السلعة نفسها. ونتج عن كل ذلك انهيار التجارة الكارمية، وضاق جميعهم بهذه الإجراءات داخل السلطنة وخارجها، وأدى ذلك إلى ارتفاع أسعار التوابل والسلع الشرقية كافة، وانهارت الكارمية تجارياً على يد المماليك[40]، وكانت هذه بداية النهاية لدولة المماليك، فقد ضاق الناس ذرعاً بسبب زيادة الضرائب وانهيار الكارمية التي كانت تعتبر مصدر رزق للكثيرين.

بقيت جدة عاصمة التجارة الشرقية بلا منازع طيلة العهد المملوكي حتى اختفت بجوارها الموانئ الأخرى، وقد قال عنها الفاسي :» وجدة هي الآن ساحل مكة الأعظم» [41]، بل انتهت أمامها أهمية غيرها من الموانئ تماماً مثل عيذاب والقصير. كما بلغت ينبع أوج ازدهارها زمن سلاطين المماليك الجراكسة ؛ نتيجة للإصلاحات الكثيرة التي أدخلت على طريق الحج ، مما أدى إلى تدفق الحجاج ، فكانت ينبع محطة برية وبحرية في آن واحد لحجاج مصر والشام، وقامت بدور تجاري هام زمن المماليك، وأصبحت ينبع الميناء الثاني في الحجاز بعد جُدة ، إلا أن الصراعات السياسية بين المماليك والأشراف في ينبع أسهمت في الحد من دور ينبع ، وعلى وجه الخصوص في السنوات الأخيرة من حكم المماليك في القرن العاشر الهجري[42].

وللحفاظ على البحر الأحمر بعد محاولة الصليبيين غزو الحجاز خاصة مُنع دخول الفرنج لهذا البحر، لحماية الأراضي المقدسة في الحجاز، ولخوف أمراء مكة وسلاطين المماليك من القضاء على تجارة المسلمين عبر البحر الأحمر، وأيضاً لخوفهم من قيام تحالف مسيحي بين الحبشة وأوروبا،

بيد أن حكام مصر المماليك وفي أزمنة معينة سمحوا للإيطاليين عبور البحر الأحمر بإذن خاص، إلا أنه اكتشف وجود تحالف بين ملك الحبشة إسحاق والفونسو الخامس ملك أراجون للقيام بحملة صليبية عام (832هـ/1429م)، فأغلق البحر الأحمر في وجه الأوربيين، لكن محاولات الأوروبيين لدخول البحر الأحمر لم تنقطع حتى قدوم الغزو البرتغالي في القرن العاشر الهجري ([43]).

ولم يفطن المماليك لثراء هذا الميناء حتى الربع الأول من القرن التاسع، فقرروا مشاركة أمير مكة في العشور التي كان يدفعها التجار بجُدة ، فاتخذ السلطان المملوكي برسباي قرارات منها مشاركة أمير مكة في الحصول على أموال العشور، كما نظم السلطان طريقة أخذ عشور التجارة بجُدة، فعين إضافة إلى نائب الشريف بجُدة موظفاً لتحصيل العشور يسمى (شاد جُدة)، يشاركه في جمع العشور ومتابعة المرتبات والصيرفي والشهود الموجودين في جُدة إبان وصول السفن الهندية والصينية، فاتبع سلاطين المماليك منذ ذلك الحين سياسة احتكارية، تقوم على إجبار التجار على بيع بعض سلعهم بأسعار منخفضة لوكلاء السلطان، ثم يقومون ببيعها بأسعار أعلى([44]). وبقى الحال على هذا الأمر حتى نهاية الدولة المملوكية، لكن ظهور البرتغاليين في المحيط الهندي وجنوب البحر الأحمر ترك أثراً واضحاً على تجارة جُدة ، حيث حولت التجارة إلى طريق رأس الرجاء الصالح([45])، وقد تأثرت التجارة البحرية لليمن والمماليك، بل إن مدينة البندقية تأثرت تجارتها بسبب اكتشاف البرتغاليين راس الرجاء الصالح([46]).

وتزايد نشاط البرتغاليين التجاري في الهند، وسيطروا على تجارة التوابل، ففي سنة (908هـ/ 1502م) عادت سفن بيروت بأربع بالات من الفلفل، ولم تجد السفن في الإسكندرية ما تحمله، ولم تعد ترى السفن إلا مرة كل عامين، وواصل البرتغاليون استمالة الأوروبيين المتعاملين تجارياً مع المماليك كالبندقية وبقية الإيطاليين، وعملوا من جهة أخرى على تدمير الأساطيل التجارية للمسلمين من الأمراء الهنود، وترصدوا لسفن المسلمين عند مدخل البحر الأحمر ([47])، وقد استغل سلطان المماليك الغوري الأضرار التي تعرضت لها البندقية بسبب منافسة البرتغال لتجارتها، فعمل على استمالتها لعودة التجارة مع المماليك كسابق عهدها ، وطلب منهم إمداده بالأسلحة والأخشاب لبناء السفن التي يعتزم إرسالها لمحاربة البرتغاليين إلا ان البندقية اعتذرت عن عدم امكانية تقديم الأخشاب والأسلحة المطلوبة حتى لا تتهم لدى البابا بمساعدة المسلمين ضد الصليبين مما يثير غضب الكنيسة والدول الأوروبية المسيحية ضد البندقية([48]).

كثرت الأخبار عن فساد البرتغاليين وتعديهم على التجار خصوصاً في موانئ عدن والمخا وجدة، ([49]) . فما كان من السلطان الغوري وبعد فشل محاولاته استمالة الأوروبيين «البنادقة» إلا أن أعد أسطولاً حربياً بقيادة حسين الكردي([50]) خرج من ميناء السويس وعمل على تحصين ميناء جدة، استعداداً لمواجهة أي خطر برتغالي في المستقبل لمداهمة الأماكن المقدسة ، لذلك تزودت هذه الحملة بالفنيين اللازمين للقيام بتحصين ميناء جدة ، وأقام هؤلاء الفنيون بعض الاستحكامات هناك، ثم اتجهت الحملة إلى موانئ اليمن على البحر الأحمر حتى وصلت إلى عدن ، إذ أخبر الكردي حاكم عدن الطاهري أن الحملة تريد الذهاب إلى الهند لمحاربة البرتغاليين ، فأمده بما يحتاج إليه من طعام ومؤن([51])، وصل إلى جوجيرات عام (913هـ/ 1507م) ، فباغت الأسطول البرتغالي وهزمه عند شول ([52]) عام(914هـ/ 1508م)، إلا أن البرتغاليين انتقموا لهزيمتهم بهزيمة الأسطول المملوكي في معركة ديو([53]) وتدمير معظم سفنه عام(915هـ/ 1509م)، وانسحب حسين الكردي وتأثر السلطان المملوكي، وازداد طغيان البرتغاليين فترصدوا السفن العربية والمملوكية على مدخل البحر الأحمر ومدخل الخليج العربي ، واستولوا على حمولاتها، وانحصر دور المماليك في الدفاع عن البحر الأحمر ، بل انحصر في الدفاع عن جدة فقط بعد هزيمة ديو([54]).

كان البوكيرك([55]) يطمح أن يسيطر على مكة المكرمة عن طريق ميناء جدة، فقد بعث برسالة إلى ملك البرتغال يُرغبه في غزو الأراضي المقدسة في الحجاز وتدمير مكة، وذلك انطلاقاً من ميناء جدة، الذي لا يبعد عنها سوى عشرات الكيلومترات، لأن جدة كانت خط الدفاع الأخير عن الأراضي المقدسة من جهة البحر، وباحتلالها تصبح الطريق مفتوحة إلى مكة. وقد أكد البوكيرك لمليكه سهولة تحقيق هذه الخطة، لعدم وجود قوة عسكرية كافية في مكة لحمايتها، إذ إن أغلب من كان فيها هم الدراويش الصوفية، الذين لا يتقنون حرفة القتال ولا يحملون أي سلاح، ومستهيناً أيضاً بقوة القبائل العربية، التي يمكن أن تهب للدفاع عن الكعبة، لعدم امتلاك هذه القبائل للأسلحة النارية التي يمتلكها البرتغاليون، ولا شك في أن له جواسيس في مكة، وهم الذين زودوه بهذه المعلومات([56]). لقد تصدى أمير مكة الشريف بركات للبرتغاليين في الحجاز والبحر الأحمر، ففي عام (916هـ/1510م) حاول ثلاثة من الجواسيس الفرنج (البرتغاليين) الدخول إلى مكة، متظاهرين أنهم مسلمون، لكن الشريف ارتاب في أمرهم بالرغم من زيهم التركي، وعندما كشف عن ملابسهم وجدهم بغير ختان! فتأكد أنهم نصارى وغير مسلمين، فقبض عليهم ووضعهم في الحديد وأرسلهم إلى السلطان الغوري([57]). كان الشريف بركات يدرك مدى الخطر

الذي يحيط بالمدينتين المقدستين في مكة المكرمة والمدينة المنورة، لذلك لم يكن من السهل التصدي لمثل هؤلاء الجواسيس الصليبيين، الذين استغلوا انشغال المماليك في مصر والأشراف في الحجاز، فأخذوا ينشرون جواسيسهم ليعرفوا طبيعة المنطقة وسكانها فيسهل عليهم اقتحامها.

كان البوكيرك مقتنعاً غاية الاقتناع بنجاح خطته لتدمير مكة، ولذلك جاء في رسالته لملك البرتغال، ما يلي:»ليس في جدة ومكة أناس مسلحون بل دراويش، أما بلاد القديس يوحنا [ويقصد بها القدس](58)فتعج بالناس والخيول. وهل يستطيع ثلاثة آلاف من البدو أن يفعلوا شيئاً في مواجهة خمس مائة خيّال برتغالي؟ وإذا كان الخمس مائة عدداً غير كافٍ فلنأخذ ألفاً. من السهل تدمير مكة، وأظنها قد دمرت»(59).

وعندما علم المماليك بهذه الخطة قاموا بتحصين ميناء جدة، فقد أمر السلطان الغوري ببناء سور جدة(60)، فأنشأ حسين كردي هذا السور في أقصر وقت ممكن، حائطاً أحاط بجدة من جوانبها الثلاثة دون البحر، إذ بلغ طول الحائط المواجه لليمن ثماني مائة ذراع ، وبلغ طول الحائط الشرقي ست مائة ذراع، أما الحائط المواجه للشام فقد تجاوز ثماني مائة ذراع ، وعزز هذا السور بمجموعة من الأبراج بلغ ارتفاعها عن الأرض خمسةَ عشرَ ذراعا، أما البوابات فقد تم صنعها من الخشب المدرع المصفح، بالإضافة إلى خندق أحاط بسور البلد، وقد ساعد ملك جوجيرات السلطان محمد محمود شاه في الهند بإرسال معونات كان لها الدور في اكمال تحصينات جدة، وزودوها بالمدافع الثقيلة، كما قاموا بحصين مدينة ينبع خوفاً من نزول البرتغاليين بها(61).

كما تعاون السلطان العثماني مع المماليك في تحصين مدينة جدة، فقد أرسل السلطان بايزيد الثاني (886ـ918هـ/1481ـ1512م) قائد البحرية في الأسطول العثماني كمال رئيس إلى مصر ومعه ثلاث مائة مدفع ، ومائة وخمسون عاموداً لربط الأشرعة ، وثلاثة آلاف مجرفة، وكميات كافية من الأشرعة والاخشاب والفؤوس...وغيرها ، وأهدى ثماني سفن حربية إلى المماليك ، وأمر كمال رئيس الفنيين الذين في مصر بصنع ثلاثين سفينة حربية في السويس التي كانت تتبع للمماليك، لأن هذه القوة ستقوم بحماية التجارة الإسلامية في البحر الأحمر وخارجه في مواجهة البرتغاليين ، وهذا سيصب في صالح المماليك والعثمانيين والعالم الإسلامي أجمعه. وكلف السلطان بايزيد الثاني كذلك (أحمد أوغلو رئيس) بعدد من المهمات لإصلاح الأسطول المصري. وعندما أراد المماليك دفع ثمن هذه المهمات رفض قائلاً : «إن هذه قضية الإسلام المشتركة ضد الكفرة»(62). نلاحظ هنا رغبة العثمانيين للتعاون مع المماليك

في الدفاع عن البحر الأحمر والأماكن المقدسة وتجارة المسلمين التي تعد من أهم مصادر دخل المسلمين، غير أننا سنلاحظ فيما بعد تغير مجرى الاحداث بتعاون المماليك مع الصفويين ومحاولتهم القضاء عليهم، مما أدى الى هجوم العثمانيين على المماليك والقضاء عليها.

ولكن المماليك توقفوا عند هذا الحد، ولم ينتقلوا من حالة الدفاع إلى حالة الهجوم، وذلك لضعف دولة المماليك، وعجزها عن المواجهة، وأيضاً بسبب الخلافات الداخلية في الحجاز ، وفي مصر، حتى إنهم عجزوا عن حماية طريق الحج من الأعراب([63]).

محاولات البرتغاليين غزو جدة:

استغل البرتغاليون الخلافات الداخلية في دولة المماليك والضعف الذي أخذ يدب فيها، وبدأ البوكيرك والقادة البرتغاليون الذين جاءوا بعده يعدون العدة لتحقيق خطتهم في الهجوم على مكة المكرمة عن طريق البحر الأحمر، فقاموا بالعديد من المحاولات لعبور مضيق باب المندب، والتوغل في البحر الأحمر شمالاً، للوصول إلى ميناء جدة، ومن أشهر تلك المحاولات في العهد المملوكي ما يلي:

المحاولة الأولى في العصر المملوكي :

كانت في عام (919هـ/1513م)، ففي هذا العام خرج البوكيرك من الهند بعشرين سفينة بها ألف وسبعمائة برتغالي وألف مليباري، وحاصر عدن أربعة أيام، لكنه هُزم في معركة حامية دارت حول أسوارها، وكانت بينه وبين حاميتها الطاهرية، الذين لقنوا البوكيرك درساً قاسياً في عدن([64])، ثم اتجه اتجاهاً فيه مشقة نحو باب المندب مدخل البحر الأحمر، حيث توغل فيه شمالاً بمساعدة اليهود، واستولى على جزيرة كمران، التي كانت محطة بحرية مهمة بين جدة وعدن حينذاك، وقامت السفن البرتغالية ومن فيها ببعض عمليات القرصنة هناك، فقتلوا الكثير من سكان كمران ودمروا كل ما فيها من مظاهر الحياة، واستولوا على السفن التجارية القادمة من الهند والمحملة بالتوابل، وقطعوا آذان البحارة وأنوفهم ، وقاموا بإحراق السفن التي كانت إحداها تتبع للسلطان الغوري ، وقد مكث البرتغاليون في كمران بضعة أيام ، بيد أن محاولتهم انتهت في هذا المكان، ولم يستطع البوكيرك من مواصلة الإبحار إلى جدة التي كانت تعدّ هدفه الرئيس من هذه الحملة، لمعاكسة الرياح له، لذلك عاد أدراجه إلى قاعدته في الهند، وحمى الله بيته الكريم من شر هذا الغازي اللعين([65]).

بعد وصول البرتغاليين إلى البحر الأحمر وحصارهم لمدينة سواكن([66]) وتهديدهم ميناء جدة ، عزم السلطان الغوري على تجهيز طلائع جديدة، مزودة بالسلاح ورماة البندقية ، وأقامت تلك الطلائع في جدة لمكافحة المغيرين حتى إعداد حملة أخرى بقيادة الأمير حسين الكردي. بينما ازداد عبث البرتغاليين بموانئ البحر الأحمر، وفي أثناء ذلك تمت عملية بناء السفن التي صنعت في السويس، وجهزت بالمعدات والملاحين المهرة، وتسلم قيادة السفن «الريس» سلمان التركي، وأبحرت الحملة في رجب عام 921هـ/1515م([67]).

المحاولة الثانية في العصر المملوكي:

زاد إصرار البوكيرك على احتلال ميناء جدة، فأرسل إلى الملك أمانويل يطلب منه الإذن في احتلال جزر دهلك واتخاذها قاعدة حربية للاستيلاء على جدة. وقام بالفعل بتجهيز الحملة الثانية للهجوم على جدة في (عام 921هـ/1515م)، ففي مطلع هذا العام غادر البوكيرك الهند على رأس حملة بحرية مكونة من ستٍّ وعشرين سفينة، وألفٍ وخمسمائة برتغالي، إلى البحر الأحمر، وفي أثناء الطريق علم أن أهالي هرمز قاموا بثورة ضد البرتغاليين هناك واستولوا على المدينة، وصاروا يحاصرون الحامية البرتغالية في القلعة، لذلك اضطر البوكيرك لتغيير وجهته والانصراف إلى هرمز لقمع تلك الثورة، وفعلاً وصل إليها وقمع تلك الثورة قمعاً وحشيا، وأعاد هرمز السيادة البرتغالية من جديد، غير أن المرض اشتد به بعد ذلك هناك، فعاد إلى جوا (كوة)، مركز البرتغاليين في الهند، وتوفي بها في (15 ديسمبر 1515م)، بعد وصوله مباشرة، ونجاحه في أن يرسم لخلفائه خطة غزو البحر الأحمر إلى أقصى شماله، ولذلك زاد تركيز البرتغاليين بعد وفاته على احتلال جدة، كونها أصبحت المركز الرئيس للدفاع عن البحر الأحمر، بعد فشل المماليك في الاستيلاء على عدن([68]).

وإزاء تتابع التطورات ، عزم الغوري على الاستيلاء على اليمن، لتكون ملجأ له ولرجاله في حال سيطر العثمانيون على مصر، ولاستخدامها قاعدة هجومية ضد البرتغاليين، وللحد من تزايد نفوذهم السياسي والاقتصادي في المنطقة، لذلك عندما وصلت السفن المملوكية إلى كمران بقيادة حسين الكردي وسليمان التركي رفض عامر بن عبد الوهاب مدها بالقوات والمؤن، فهاجمه الكردي وساعده الزيديون من سكان الجبال، واستولت القوات المملوكية على زبيد في (عام 921هـ/1516م) ، وفر عامر إلى تعز، تاركاً بعض رجاله لإخضاع البلاد المجاورة. أما أمير البحر حسين الكردي ، فأبحر إلى عدن ، وسرعان ما قدّم الحكام والمشايخ خضوعهم له ، لكن عدن قاومت المدفعية المملوكية، فانسحب الأسطول المملوكي([69]). وهكذا نجد تغير الهدف المملوكي

من التصدي للبرتغاليين إلى محاربة الطاهريين، فقد تعرضت عدن لقصف الأسطول المملوكي الذي كان قد أُعد أساسا لمحاربة البرتغاليين في الهند، وهدم الأسطول المملوكي أجزاءً كبيرة من أسوار المدينة. ومع ذلك لم يستطع المماليك السيطرة عليها، وسقط عدد كبير من الجانبين: المملوكي واليماني، ووصلت نجدة من السلطان عامر بن عبد الوهاب الطاهري في جيش يقوده أخوه عبد الملك بن عبد الوهاب ودخل عدن. وهنا تسرب اليأس إلى سليمان العثماني وحسين الكردي من الاستيلاء على عدن؛ وذلك بفضل مناعة المدينة وقوة تحصيناتها، فتركا عدن بعد أن سلبا المراكب التجارية في الميناء وأخذاها معهما. وقد اقترح شريف مكة الشريف بركات سنة 1516 إرسال وفد الى السلطان سليم الأول طلباً للمساعدة العسكرية، غير أن السلطان المملوكي منع سفر ذلك الوفد([70]).

لقد رأينا كيف تميزت سياسة البرتغاليين بالعنف والقسوة والتعصب الديني والحقد الصليبي الدفين. واللافت أن المشرق العربي -عندما بدأت هجمات البرتغاليين تزداد حدتها- كان يعيش في مرحلة انحلال سياسي وعسكري، في حين كانت الدولة العثمانية في أوج قوتها، وقد تطلع شريف مكة الشريف بركات إليها لحماية الإماكن المقدسة من المخطط الصليبي عبر الخطر البرتغالي الذي كان يسعى الصليبيين إلى تحقيقه بالاستيلاء على مكة المكرمة والمدينة المنورة .

دور شريف مكة المكرمة في الدفاع عن البحر الأحمر بداية العهد العثماني.

توجهت الدولة ألعثمانية نحو المشرق العربي في عهد السلطان سليم الاول (1512- 1520م) وأحدث هذا التوجه انقلاباً في الاستراتيجية العثمانية، إذ توقف زحفها نحو الغرب أو كاد، واتجهت نحو المشرق العربي، ومهما تعددت الآراء واختلفت في تعليل هذه الظاهرة فأن هناك سببين أساسين: أولهما ظهور الدولة الصفوية في بلاد فارس، وثانيهما الغزو الأوربي ونخص الغزو الإسباني والبرتغالي للبلاد العربية. بالإضافة الى الخلافات بين الدولة الاسلامية آنذاك (الدولة العثمانية – الصفوية المملوكية)، والدولة المملوكية في مصر وبلاد الشام والحجاز واليمن، فقد شهدت تلك الحقبة نزاعات حول الإمارات الحدودية ونخص النزاعات بين العثمانيين والمماليك حول إمارة (ذي القدر)، وحدثت بين الطرفين حرب انتهت باستيلاء المماليك على الإمارة بالتعاون مع الصفويين الذي تحالفوا مع المماليك ضد الدولة العثمانية. وثمة سبب آخر عجل بدخول العثمانيين إلى المشرق العربي؛ وهو إيواء المماليك والصفويين للمعارضين والخارجين على السلطان العثماني ([71]) .فقد كانت الدولة العثمانية

ترغب بالتعاون مع المماليك لحماية البحر الأحمر والأماكن المقدسة التي أخذ البرتغاليون يهددونها. وقد وصل إلى السلطان سليم الأول ان السلطان الغوري قام بالتحالف مع الصفويين ضده بالطريقة التي ذكرناها، فما كان من السلطان سليم الأول إلا أن جهز جيشه وتوجه الى بلاد فارس، وانتصر على الصفويين في معركة جالديران (عام 919هـ/1514م)، ثم توجه إلى الشام وتمكن من السيطرة عليها بعد انتصاره في معركة مرج دابق (عام 921هـ /1516م)، ثم توجه إلى القاهرة وانتصر على السلطان الغوري في معركة الريدانية (عام 922هـ/1517م) ([72]).

أصبحت اليمن تابعة للعثمانيين بعد انتصارهم على المماليك، كذلك الحال بالنسبة للحجاز ليبادر شريف مكة، الشريف بركات، إلى إرسال ولده أبي نمي إلى السلطان سليم في مصر ليعلن خضوعه وولاءه للدولة العثمانية، فولاّه سليم الأول على ولاية الحجاز بكاملها، بما فيها جدة. نضيف إلى هذا أن الشريف بركات احتال على الأمير حسن باشا الكردي، حين طلب منه أن يأتي للتباحث معه في أمر جدة، فذهب حسين الكردي إلى الحجاز وقابل الشريف بركات في المدينة المنورة، وهناك دبر له الشريف مؤامرة للتخلص منه، فأرسله إلى مصر، ولما كان في عرض البحر قامت مجموعة من العبيد بإغراقه، وذلك انتقاما منه بسبب أعماله القاسية ضد أهل الحجاز وجدة أثناء ولايته عليها، حينما كان يأخذ أموالهم ليبني أسوار المدينة وحصونها. والحقيقة أنه لولا تلك التحصينات ـ التي يعود إليه الفضل في بنائها ـ لما صمدت جدة أمام الحملة البرتغالية الثالثة بقيادة سواريز (سنة923هـ/ 1517م)، وذلك باعتراف البرتغاليين أنفسهم([73]) .وهكذا انتهت حياة الأمير حسين باشا الكردي، ولم يبقَ من قادة الحملة المملوكية الثانية سوى الريّس سليمان العثماني الذي أعلن ولاءه للدولة العثمانية، وغير اسمه من (سليمان الرومي) إلى (سليمان العثماني)، وبقي في جدة مع أسطوله ثم عاد إلى مصر([74]).

المحاولة الأولى في العصر العثماني: كانت في (عام 923هـ/ 1517م)، أي غداة دخول السلطان سليم الأول مصر وسقوط دولة المماليك، في هذه الأثناء كان البرتغاليون بعد وصولهم إلى الهند قد نقلوا جزءاً من نشاطهم الحربي إلى الخليج العربي وبحر العرب، واستولوا على مسقط وهرمز والبحرين وقلهات على ساحل عمان، وصحار، وحور، وجزيرة سُقطرى، وضربوا ساحل عمان، وعلى الرغم من فشلهم في احتلال عدن، إلا أنهم نجحوا في دخول البحر الأحمر، بعد أن ضربوا بعض الجزر القريبة من مدخله الجنوبي وبعض ثغوره، ثم اتجهوا (عام 923هـ/ 1517م) لاحتلال جدة([75]). وقد قام البرتغاليون بقيادة

«لوبو سوريز»، نائب الملك على الهند، وخليفة البوكيرك، بتجهيز أربعين سفينة، وألفي مقاتل برتغالي، وتمكنت الحملة من عبور مضيق باب المندب، ومن ثم التوغل في البحر الأحمر شمالاً، والوصول إلى ميناء جدة([76])، واتجه سواريز نحو جدة فوراً، وكان يعلم أن الأسطول المملوكي يتركز فيها، وأن الوضع قد تغير بعد انتقال الحكم من المماليك إلى العثمانيين. وعلى الرغم من أن القوات المتمركزة في جدة بقيادة سليمان العثماني أعلنت ولاءها للدولة العثمانية، إلا أنها لم تتلقَ منها أي إمدادات أو تعزيزات جديدة، كما أن أهالي جدة كانوا يعانون من عبء الضرائب الجديدة الفادحة التي كان حسين باشا الكردي قد فرضها عليهم للإنفاق على تحصينات المدينة، يضاف إلى ذلك أن حملة سواريز كانت أول تحدٍ حقيقي لسلطة العثمانيين ووجودهم في مصر والحجاز، في عهد السلطان سليم الأول الذي حارب الصفويين والمماليك خلال الأعوام (1514 و 1517م) قتالا ضاريا، لكنه لم يفعل شيئا إزاء الخطر البرتغالي بعد مغادرته مصر عائدا إلى إسطنبول. وهنا تتدخل طبيعة البحر الأحمر ومناخه المتقلب في إعاقة الحملات البرتغالية عليه وعلى جدة تحديدا؛ فقد هبت عاصفة هوجاء على إسطول سواريز فشتّته في البحر، وساعدت صخور البحر وشعابه المرجانية في إعطاب جزء من سفن الأسطول البرتغالي وتخريبها أيضا. ولذا قرر سواريز الانسحاب فورا والعودة إلى كمران. وكان القبطان (الريّس) سليمان العثماني في جدة مع الجيش المملوكي ـ العثماني قد أعد عدته للمواجهة. وعندما شاهد البرتغاليين ينسحبون، طاردهم على ظهر مركبين مملوكيين ولحق بمؤخرة الأسطول البرتغالي عند ميناء (اللحية) شمالي اليمن قُبيل جزيرة كمران، وأسر إحدى سفنهم بعد أن ضربها بالمدافع، وكان على ظهرها سبعة عشر برتغاليا أخذهم معه إلى جدة ووضعهم في السجن بصفتهم أسرى حرب، ثم أرسلهم إلى القاهرة، ومن هناك أرسلهم إلى السلطان العثماني في اسطنبول ([77]).

بعد ذلك توجه سواريز نحو جزيرة كمران وظل فيها نحو ثلاثة أشهر لحين اعتدال الرياح. وفي هذه الجزيرة فقد أيضا عددا من بحارته بسبب الأمراض وشحة المياه الصالحة للشرب. وقبل أن ينسحب دمر التحصينات التي أقامها حسين باشا الكردي في الجزيرة، وأحرق النخيل، ثم غادر الجزيرة في جمادى الأولى (923هـ/ يونيو 1517) متوجها إلى زيلع التي وصلها في جمادى الأخرة (923هـ/ يوليو 1517م)، فقصفها وقتل عددا من أهاليها انتقاما من الفشل الذي أصابه في جدة، ثم عاد إلى باب المندب ومنها إلى عدن، ومن عدن قفل عائدا إلى الهند. ونتيجة لفشل سواريز في هذه الحملة عزله الملك البرتغالي

عمانوئيل من منصب نائب الملك في الهند بعد أقل من ثلاث سنوات لتوليه، وكان ذلك في بداية عام924هـ/ 1518م([78]).

بعد أن باءت هذه المحاولة بالفشل جعل العثمانيون مدينة جدة تابعة لهم مباشرة يعينون لها نائباً من طرفهم بعيداً عن نفوذ شريف مكة، وذلك بسبب وضعها الحربي وأهميتها الاقتصادية والإستراتيجية([79]).

في شهر جمادى الآخرة (عام 924هـ/ 1518م) أخذ خاير بك والي مصر في تجهيز معدات عسكرية وقوات على وجه السرعة لتعزيز الحامية العسكرية في جدة، بعد أن وصلته الأخبار من الحجاز على يد رسول شريف مكة بركات بأن سفن البرتغاليين تعبث بالبحر الأحمر قريباً من ميناء جدة ، وتقوم بقطع الطريق على المسافرين؛ فقام باستعراض بعض القوات العسكرية ثم عين منها فرقة للسفر على وجه السرعة لنجدة جدة، وكانت الفرقة تتكون من مائتين وخمسين جندياً، وكان منهم مجموعة من البحارة الجراكسة والمغاربة وغيرهم ([80]). وفي العام التالي (925هـ/ 1519م) وصلت الأخبار إلى القاهرة بأن البحرية البرتغالية قامت بتحركات حول جدة، فأمر خاير بك بإرسال قوة عسكرية أخرى إلى جدة مكونة من ثلاث مائة جندي من المماليك والأتراك، وعين نائباً جديداً لجدة هو حسين الكيخا أو حسين الرومي، وقد أمره خاير بك بأن يتوجه على رأس القوة العسكرية الجديدة بصحبة قافلة الحج المصرية، وضم له ولاية السواحل اليمنية إلى جانب ولاية جدة([81]) .

المحاولة الثانية في العصر العثماني : كانت في عام (926هـ/ 1520م)، أي بعد دخول العثمانيين مصر وامتداد نفوذهم إلى الحجاز واليمن بثلاث سنوات، حين وصلت إلى مدخل البحر الأحمر في أوائل هذا العام حملة عسكرية كبيرة أرسلها البرتغاليون ، بقيادة لوبر سوريز نائب ملك البرتغال في الهند مرة أخرى، وكان هدفها الأساس تدمير جدة، وفي أثناء سيرها في البحر الأحمر علمت بوجود حشود عسكرية كبيرة في جدة، لذلك لم تجرؤ على الاقتراب منها، فغيرت خط سيرها واتجهت إلى مصوع، لإنزال البعثة الدبلوماسية البرتغالية إلى ملك الحبشية، التي كانت على متنها([82]).وفي عهد السُّلطان سليمان القانوني (927 - 974هـ/1520 - 1566م) تمكَّنت الدَّولة العثمانيَّة من إبعاد البرتغاليِّين عن البحر الأحمر، ومهاجمتهم في المراكز الَّتي استقرُّوا بها في الخليج العربيِّ. فقد أدرك السلطان سليمان أنَّ مسؤوليَّة الدِّفاع عن الأماكن المقدَّسة هي مسؤوليَّة الدَّولة العثمانيَّة، فأصدر مرسوماً إلى سليمان باشا الخادم الذي عين واليا على مصر في سنة (931هـ /1525م) هذا نصُّه: «عليك يا بيك البكوات بمصر

سليمان باشا أن تقوم فور تسلمك أوامرنا هذه، بتجهيز حقيبتك، وحاجتك، وإعداد العدَّة بالسُّويس للجهاد في سبيل الله، حتَّى إذا تهيَّأ لك إعداد أسطول، وتزويده بالعتاد، والميرة، والذَّخيرة، وجمع جيش كافٍ، فعليك أن تخرج إلى الهند، وتستولي، وتحافظ على تلك الأجزاء، فإنَّك إذا قطعت الطَّريق، وحاصرت السُّبل المؤدِّية إلى مكَّة المكرَّمة تجنبت سوء ما فعل البرتغاليُّون، وأزلت رايتهم من البحر».[83]

وقام سليمان الخادم بتنفيذ أوامر السُّلطان العثمانيِّ، ووصل بعد سبعة أيام إلى جدَّة، ثمَّ اتجه إلى كمران، وبعد ذلك سيطر على عدن، وعيَّن عليها أحد ضباطه، وزوَّدها بحاميةٍ بلغ عدد جنودها ستمائة جنديٍّ، ثمَّ واصل سيره إلى الهند، وعند وصوله إلى ديو لم يتمكَّن من الاستيلاء عليها، وانسحب عائداً بعد أن فقد حوالي أربعمائة من رجاله، وحاول مرَّةً أخرى الاستيلاء على القلاع الأماميَّة؛ حتَّى استسلمت إحداها، وتمَّ أسر ثمانين برتغالياً، ولولا الإمدادات الجديدة للجيش البرتغالي لاستسلمت جميع القلاع، ولتمَّ طرد البرتغاليِّين من الهند، ولخضعت قلعة ديو للعثمانيِّين خضوعاً تاماً. وهكذا تمكَّن العثمانيُّون من صدِّ البرتغال، وإيقافهم بعيداً عن الممالك الإسلاميَّة، والحدِّ من نشاطهم، ونجحت الدَّولة العثمانيَّة في تأمين البحر الأحمر، وحماية الأماكن المقدَّسة من التوسُّع البرتغالي المبني على أهدافٍ استعماريَّةٍ، وغاياتٍ دنيئةٍ، ومحاولاتٍ للتَّأثير على الإسلام، والمسلمين بطرقٍ مختلفةٍ([84]).

بعد حملة سليمان باشا الخادم على الهند لم يفكر العثمانيون في سياسة هجومية ضد البرتغاليين وظلوا ينهجون سياسة دفاعية قوامها السيطرة على البحر الأحمر وإغلاقه في وجه الصليبيين، كما ترتب على هذه الهزيمة أيضاً أن قام البرتغاليون بشن هجوم كبير في سنة (948هـ/ 1541م) على البحر الأحمر، هدفه تحطيم الأسطول العثماني في ميناء السويس. وقد تعرض ميناء جدة لعملية تخريب أثناء مرور الحملة البرتغالية في طريقها إلى السويس، وتنبه شريف مكة الشريف محمد أبو نُمَي للخطر المحدق بجدة، وترتب على هذا الهجوم البرتغالي الشامل للبحر الأحمر أن عزم العثمانيون جدياً على إغلاقه بوجه البرتغاليين، وقطع الاتصال بين البرتغاليين والأحباش الذي صار تحالفاً أضر بالمسلمين، فنشطت السفن العثمانية في حصار السواحل الحبشية، وأخذت تطوف دوريات منتظمة في البحر الأحمر، حتى جعلت عملية الاتصال بين الأحباش والبرتغاليين نوعاً من المغامرة، كما بدأ العثمانيون يدعمون قواعدهم البحرية في اليمن، وعندما تمكن العثمانيون من إغلاق البحر الأحمر أصبحوا يحافظون على تدعيم وجودهم العسكري في عدن من آن لآخر،

فقد أصبحت عدن مركزاً لخط الدفاع الأول عن الحرمين الشريفين، ثم منعوا جميع السفن المسيحية فكان لا يسمح لها بالإبحار في البحر الأحمر ([85]).

إنّ جعل مدينة جدة تابعة للسلطان العثماني بعد تتابع الاحداث وكثرة الحملات على هذه المدينة التي تعد مفتاح العبور إلى الحرمين الشريفين قد أدى إلى كثرة الخلافات بين شريف مكة ونائب السلطان في جدة، وظلت هذه الخلافات والمشاحنات قائمة بينهما طوال فترة حكم الدولة العثمانية، وازدادت حدة هذه الخلافات في عهد نائب جدة العثماني حسين الرومي حتى وصلت إلى درجة نشوب قتال بين القوات العثمانية المرابطة في جدة وبين الشريف بركات وقواته([86]). توفي الشريف بركات عام (931هـ/1525م) وخلفه ابنه أبو نمي الثاني الذي أكمل مسيرة والده في مواجهة الغزو الصليبي البرتغالي.

الاستعمار البرتغالي وأطماعه في البحر الأحمر والحجاز:

من المعروف ان المسلمين كانوا يسيطرون على طرق التجارة البحرية؛ فقد كان البحر المتوسط والبحر الأحمر والخليج العربي تحت سيطرة المسلمين على مر العصور، لأن لهم دراية كبيرة في ركوب البحر، ولم تخرج الدول الأوربية ـ ونخص البرتغاليين والأسبان ـ إلى البحر المحيط إلا بعد أن سيطروا على الأندلس واستولوا على كل المخطوطات والخرائط التي كانت للمسلمين هناك، واستعانوا بها في ركوب البحر، ولم يكن وصول البرتغاليين إلى المحيط الهندي وسواحل العرب وشرق افريقيا إلا بمساعدة البحارة العرب. وعلينا هنا أن نشير إلى دور اليهود الذين طردوا من إسبانيا فلجأ بعض هؤلاء إلى البرتغال ونقلوا معهم الكثير من علوم العرب الملاحية ([87]). وقد لاحظنا عند حديثنا في المباحث السابقة إرسال البرتغاليين الجواسيس إلى الحجاز وكان كثير منهم من اليهود الذين يعرفون اللغة العربية لاختلاطهم بالمسلمين.

انطلق البرتغاليون يخوضون غمار الملاحة البحرية بعد سقوط الأندلس عام(897هـ/1492م) وكان هدفهم صليبياً بحتاً؛ إذ كانوا يطمعون في تطويق العالم الإسلامي ، والاتصال بيوحنا ملك الحبشة ليتعاونوا معه في تحقيق أهدافهم الصليبية ، بالإضافة إلى احتلال عدن والتحكم في مدخل البحر الأحمر، واحتلال مكة المكرمة لهدم الكعبة المشرفة، ثم مواصلة الزحف منها على المدينة المنورة لنبش قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم الاتجاه إلى الشمال ناحية بيت المقدس واحتلال القدس([88]). كان هذا الهدف الرئيس من هذه الحرب الصليبية في العصر الحديث التي تزعمها البرتغاليون ومن ثم الدول الاوربية، ونتج عنها استعمار سافر للعالم العربي والإسلامي.

بعد أن وصل المستعمرون الصليبيون البرتغاليون إلى منطقة البحر

الأحمر والتفوا حول القارة الإفريقية ، انتصروا على المماليك أصحاب النفوذ البحري في معركة ديو الحاسمة. وقد استطاع هؤلاء البرتغاليون الاستيلاء على مدينة (زيلع) وحرقها ، وشعرت ملكة الحبشة (بنشوة النصر الصليبي ، فتحركت ، وأرسلت رسالة إلى ملك البرتغال عمانوئيل تقول فيها :»بسم الله ، والسلام على عمانوئيل سيد البحر ، وقاهر المسلمين القساة الكفرة ، تحياتي إليكم ، ودعواتي لكم ، لقد وصل إلى مسامعنا أن سلطان مصر جهز جيشا ضخما ليضرب قواتكم ، ويثأر من الهزائم التي ألحقها به قوادكم في الهند ، ونحن على استعداد لمقاومة هجمات الكفرة (المسلمين) بإرسال أكبر عدد من جنودنا في البحر الأحمر ، وإلى مكة ، أو جزيرة باب المندب ، وإذا أردتم نسيرها إلى جدة أو الطور ، وذلك لنقضي قضاء تاما على جرثومة الكفر ، ولعله قد آن الوقت لتحقيق النبوءة القائلة بظهور ملك نصراني يستطيع في وقت قصير أن يبيد الأمم الإسلامية المتبربرة»([89]) .

استفاد البرتغاليون من التقنيات التي طورها المسلمون في الشؤون الملاحية؛ فقاموا بتنفيذ مخططهم الصليبي، وإشعال فتيل الحرب الصليبية ضد المشرق الإسلامي من جديد. وهكذا انطلقت الأساطيل البرتغالية، ذات التقنيات العالية، والمزودة بالمدافع العملاقة، عبر المحيط الأطلسي، ترفرف عليها راية الصليب، نحو إفريقيا، وعلى ظهرها آلاف البحارة المغامرين المشبعين بالحقد والكراهية والتعصب الديني ضد المسلمين، المتحفزين لقتلهم والثأر منهم واستئصال شأفتهم أينما وجدوا([90]).

بدأ الأمير البرتغالي هنري الملاح أولى الرحالات الصليبية عام (838هـ/ 1434م)، وفي عام (849هـ/ 1445م) أثمرت رحلاته عن اكتشاف الرأس الأخضر، وتواصل البحث بمحاذاة الساحل الإفريقي جنوباً، وفي عام(893هـ/ 1487م) وصلت رحلة الملاح البرتغالي بارثليميو دياز([91]) إلى أقصى الطرف الجنوبي وسماها ملك البرتغال «رأس الرجاء الصالح» استبشاراً بمستقبل هذا الطريق المكتشف، وفي عام (903هـ /1497م) تحركت رحلة فاسكو دي جاما متجهة إلى الهند الغربية، حيث التقى بالملاح العُماني أحمد بن ماجد ([92]) في «مالندي» في افريقيا الشرقية الذي أرشده إلى طريق كاليكوت في جنوب غرب الهند، وبذلك حقق البرتغاليون كشفا جديدا لهم، وفي عام (904هـ /1498م) تحول طريق التجارة عبر المحيطات مهملاً طريق البحر الأحمر ([93]).

وقد أقام البرتغاليون قواعد ثابتة لهم في سواحل الهند ، وهناك جدال كبير حول مدى صحة المساعدة التي قدمها ابن ماجد للبرتغاليين الذين أخذت سفنهم تنطلق من الهند للانقضاض على سواحل المسلمين الجنوبية

والشرقية، وإحراق المدن الوادعة، وإغراق سفن الحجاج في البحر، ومهاجمة السفن الإسلامية التجارية في المحيط الهندي بلا هوادة، وفعل الأفاعيل بالمسلمين، فهناك من أيد وهناك من عارض هذه المعلومة، غير أنه من الممكن لنا أن نبرر تصرف ابن ماجد بأنه حاول صرف البرتغاليين عن البحر الأحمر والأماكن المقدسة(94).

كان العثمانيون على الرغم من بعد دولتهم عن البحر الأحمر والبحر العربي، حيث كانت السفن البرتغالية تصول فيهما وتجول، كانوا أكثر وعياً من المماليك بالخطر البرتغالي على قلب العالم الإسلامي، وخصوصاً البقاع المقدسة، ولذلك فقد بدأ العثمانيون يتدخلون لمكافحة هذا الخطر منذ وقت مبكر نسبياً، فقدموا في البداية كل مساعدة ممكنة للمماليك للتصدي لهذا الخطر، وعلى وجه الخصوص بعد تدمير البرتغاليين للأسطول المملوكي في معركة ديو البحرية المشؤومة، في ساحل الهند عام (914هـ/1509م). وقد لاحظنا كيف حاول السلطان بايزيد الثاني مد يد المساعدة للماليك للتصدي للبرتغاليين.

وقد اتسمت الغزوات البرتغالية في البحر الأحمر بالقسوة والشراسة والوحشية، وفي عهد الفونسوا البوكيرك خاصة الذي أمسك زمام الحملات الصليبية البرتغالية بعد فاسكو ديجاما، كما لاحظنا سابقاً.

لقد كان ملك البرتغال عمانويل الأول الذي حكم البرتغال من سنة 1495م إلى 1531م والذي اطلق عليه اسم عمانويل السعيد لاكتشاف البرتغاليين في عهده طريق رأس الرجاء الصالح عن طريق البّحار البرتغالي فاسكوا ديجاما(95) -كان يحمل حقداً كبيراً على المسلمين؛ فهو صاحب فكرة التحالف مع مملكة الحبشة للقضاء على المسلمين في البحر الأحمر والمحيط الهندي(96). وقد ظهر ذلك جلياً في الرسالة التي أرسلتها هيلانة ملكة الحبشة في عام 1510م تطلب منه التعاون معها في محاربة المسلمين والهجوم على مكة المكرمة بمساعدة الأسطول البرتغالي، وقد استجاب لرغبتها الملك عمانويل(97)، الذي أعلن صراحة أن الهدف من الحملات البرتغالية نشر النصرانية والحصول على ثروات الشرق(98).

كان البوكيرك أشهر القادة البرتغاليين في المحيط الهندي، وكان في الوقت نفسه أشدهم وحشية ودموية، ونزعة صليبية، ورغبة جامحة في سحق المسلمين، وهو المؤسس الحقيقي للاستعمار الأوربي في الشرق، وعرّاب التحالف الإستراتيجي بين البرتغاليين والصفويين، وهو أول من نقل المعركة بين المسلمين والصليبيين إلى داخل البحر الأحمر. وكان لفرط تعصبه الديني ونزوعه الإجرامي

يحلم بأن يسيطر على مكة والقاهرة. وكان البوكيرك قبل تعيينه نائباً للملك البرتغال في الهند قد قضى عدة سنوات يتجول في البحر الأحمر والبحر العربي والخليج العربي ويمارس القرصنة في مياهها ضد السفن الإسلامية، ويهاجم القرى والمدن الساحلية على جوانبها، هجوماً وحشياً ليس له مثيل، ويمارس صنوف التعذيب بحق الصيادين العزل، وكان في الوقت نفسه يجمع المعلومات عن أحوال المسلمين وقدراتهم الدفاعية. وهذا يفسر اشتداد الخطر البرتغالي ضد المسلمين بعد تعيينه حاكماً على المستعمرات البرتغالية في الهند وشرق إفريقيا ، لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل تطوره في البحار الجنوبية والشرقية، ثم إنه لم يلبث أن بعث برسالة إلى ملك البرتغال يرغبه في غزو الأراضي المقدسة في الحجاز وتدمير مكة[99].فقد جاء في يومياته : « كان هدفنا الوصول إلى الأماكن المقدسة للمسلمين واقتحام المسجد النبوي وأخذ رفاة النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ رهينة لنساوم عليه العرب من أجل استرداد القدس»[100].

وبعد استيلاء السلطان سليم الأول على مصر مطلع سنة (923هـ/1517م)، وخضوع الحجاز واليمن للسيادة العثمانية، صار العثمانيون في مواجهة البرتغاليين في البحار الجنوبية والشرقية وجهاً لوجه، لكن العثمانيين لم يتعجلوا المواجهة العسكرية مع البرتغاليين، نظراً لضعف إمكاناتهم البحرية في البحر الأحمر، وأيضاً لانشغالهم بفتوحاتهم في شرقي أوربا، وبالحرب مع الدولة الصفوية المارقة، ولذلك اكتفى العثمانيون في بداية الأمر بتحصين ميناء جدة وشحنه بالمقاتلين الأشداء، واتخاذه قاعدة للدفاع عن البحر الأحمر، حيث عهد السلطان سليم الأول إلى القائد العثماني الكبير سلمان رئيس(العثماني) بأمر القيادة في هذا الميناء، لحماية الحرمين الشريفين بصورة خاصة والبحر الأحمر بصورة عامة[101]. بالطريقة التي أوردناها في المبحث السابق.

نتائج الصراع العثماني البرتغالي:

1. احتفظ العثمانيُّون بالأماكن المقدَّسة وطريق الحجِّ، وحماية الحدود البرِّيَّة والبحرية من هجمات البرتغاليِّين طيلة القرن العاشر الهجري / السَّادس عشر الميلادي.
2. استمرار الطُّرق التِّجارية الَّتي تربط الهند وأندونيسيا بالشَّرق الأدنى عبر الخليج العربيِّ، والبحر الأحمر. واستمرار عمليَّات تبادل البضائع الهنديَّة مع تجَّار أوروبا في أسواق حلب، والقاهرة، وإستانبول، ففي سنة (1554م) اشترى البندقيُّون وحدهم ستة آلاف قنطار من التَّوابل، وفي الوقت نفسه كانت تصل إلى ميناء جدَّة عشرون سفينةً محمَّلةً بالبضائع الهنديَّة (توابل، أصباغ، أنسجة) [102].

الخاتمة

يتضح لنا من خلال هذه الدراسة مدى الحقد الصليبي على الإسلام والمسلمين عند كشف تلك الغزوات الشرسة التي تزعمها البرتغاليون على العالم الإسلامي، ومحاولاتهم المستميتة في السيطرة على البحر الأحمر، والتسلل إلى الأماكن المقدسة في مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومحاولة السيطرة عليها، بهدف الزحف الى القدس واحتلالها، في إشارة صريحة لعودة الغزوات الصليبية في العصر الحديث. ونتبين كيف تصدى الشريف بركات لهذه المحاولات بمساعدة دولة المماليك البرجية، ومن ثم الدولة العثمانية.

ولاحظنا بعد وصفنا للبحر الأحمر الذي يعد مفتاح دخول الأماكن المقدسة عبر ميناء جدة في الحجاز- أن الملاحة في هذه البحر تتطلب مهارة عالية، بسبب رياحه العاتية وطبيعته الجغرافية الصعبة، ولعل هذا السبب الذي أدى الى فشل جميع الحملات الصليبية التي قادها البرتغاليون على هذا البحر، وأنه لولا وجود ملك الحبشة المسيحي ومساندته لهم، لغرقت جميع السفن البرتغالية في البحر الأحمر، أو تمكنت القوات الاسلامية (المملوكية والعثمانية) من القضاء عليها.

ونستنتج من هذا العرض التاريخي أنه يجب على المسلمين التعاون فيما بينهم حتى يتمكن العام الاسلامي من الوقوف في وجه الحملات الصليبية في العصر الحديث على الجبهات كلها، وذلك امتثالاً لقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (103).

المصادر والمراجع

1. (أحمد الشنتناوي وآخرون ، دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة العربية ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان ، ج13 ، ص270ـ271 ؛ طالب وهيم : مملكة الحجاز (1925/1916م) دراسة في الأوضاع السياسية، مركز دراسات الخليج العربي جامعة البصرة ، البصرة، ط1، 1982، الحاشية 1 ، ص 29
2. (تقي الدين محمد الفاسي : العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، مؤسسة الرسالة ، 2008م ، ج3، ص429ـ430 ؛ الشريف محمد بن حسن الحارثي : الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارث الأشراف ـ دراسة تاريخية وثائقية ، مؤسسة الريان للنشر ، ط2، 2012م، ص 104ـ105.
3. (الشريف محمد بن حسن الحارثي : الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارث الأشراف ، ص 104ـ105 ؛ الدور التاريخي للشريف محمد أبو نمي الثاني حاكم الحجاز وأمير الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي في التصدي للغزو البرتغالي للحجاز، Route Educational & So-cial Science Journal ,Volume 5(13),December 2018 , 328-329; عبد الله العثيمين : تاريخ المملكة العربية السعودية، مطابع الشريف ، ط5 ، 1993م، ج1، ص19ـ 22.
4. عز الدين عبد العزيز ابن فهد : غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، تحقيق فهيم شلتوت، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط1 ، 1988م ، ج2، ص506 ؛ أيمن سعد دالفنجان : بركات الشريف من أعلام الجزيرة العربية في القرن العاشر الهجري ، جريدة الرياض ، العدد 14137، 9 مارس 2007م، أنظر الرابط: http://www.alriyadh.com/231045
5. خير الدين الزركلي : الأعلام قاموس تراجم لأشهر النساء والرجال من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت ، ط12، 1997م، ج2، ص49 ويكيبيديا : https://ar.wikipedia.org/wiki/
6. السلطان قانصوه الغوري(850ـ922هـ/1446ـ1516م): كان من مماليك السلطان الأشرف قايتباي، ولذلك لقب بـ « الأشرفي «. من المماليك الجراكسة، في عصره كان المد البحري البرتغالي على السواحل الإسلامية وسيطرتهم على طريق التجارة الهندية عبر راس الرجاء الصالح ، و ظهور الصفويين الشيعة في إيران ، وتوسع العثمانيين في المشرق العربي. قاد جيش المماليك في 922هـ / أغسطس 1516م في معركة مرج دابق ضد العثمانيين، مات قهراً بعد هزيمة جيشه في حلب ، ولا يعرف مكان جثته. حكم بعده الأشرف أبو النصر طومان باي آخر سلاطين المماليك الشراكسة في مصر. أنظر : الزركلي : الأعلام ، ج5، ص187 ؛ ويكيبيديا الموسوعة الحرة : https://ar.wikipedia.org/
7. عز الدين بن فهد : غاية المرام ، ج3 ، ص7ـ9؛ علي بن تاج الدين السنجاري : منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم ، المحقق: جميل عبدالله محمد المصري ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1998م، ج3، ص 98ـ243 ؛ الزركلي : الأعلام ، ج2، ص49. .
8. السلطان سليم الأول(918ـ926هـ/ 1512ـ1520م) : تاسع السلاطين العثمانيين، قضى على دولة المماليك ودخل مصر والشام . انظر : محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية ،تحقيق : إحسان حقي ، دار النفائس، بيروت ، ط7 ، 1993م ، ص187ـ197 ؛ المنجد : في اللغة والأعلام ، دار المشرق بيروت ،ط36، 1997م، ص307.

9. علي السنجاري، المرجع السابق، ج3، ص 98ـ243 أيمن سعد دالفنجان : بركات الشريف.. أنظر الرابط: http://www.alriyadh.com/231045 .
10. علي السنجاري، المرجع السابق، ج3، ص243ـ247.
11. عبد الله الغازي: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى بإتمام الكلام، المحقق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة ، ط1، 2009م ،ج3، ص365 ؛ الشريف محمد الحارثي : الدور التاريخي للشريف محمد أبي نمي، ص330ـ331.
12. عبد اللطيف الحميد : البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط1، 1994م ، ص11.
13. إيناس خليفة : موسوعة البحار والمحيطات، دار زهران للنشر والتوزيع ، الاردن – عَمان، ص3
14. أحمد علو: البحر الأحمر صراع على طرق الموارد بين مضيقين ، دراسات وأبحاث، مجلة الجيش، لبنان، العدد 310 ، نيسان ـ إبريل 2011م. اقرأ المزيد على الرابط : https://www.lebarmy.gov.lb/ar/content/
15. إيناس خليفة :المرجع السابق، ص3.
16. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م، ج1،ص 21.
17. عطية القوصي : تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ص 10.
18. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت الحموي: المرجع السابق، ج1،ص 21 ؛ أسامة خميس: ما هو بحر القلزم ، 14 مارس 2018م أنظر الرابط : https://mawdoo3.com/.
19. (عطية القوصي : المرجع السابق، ص11، نور عبد العليم : الملاحة وعلوم البحار عند العرب، عالم المعرفة، الكويت ، 1990م ، ص21 ؛
20. عبد الرحمن الرفاعي: عصر محمد علي، دار المعارف ، القاهرة ، ط5 ، 1989م ، ص512.
21. عطية القوصي : المرجع السابق، ص11ـ13.
22. عنان أبودولة: كم عرض البحر الأحمر ٢٧ نوفمبر ٢٠١٨ ، انظر الرابط موضوع.كوم: https://maw-doo3.com/
23. أحمد علو: المرجع السابق ، انظر الرابط :أنظر الرابط : https://www.lebarmy.gov.lb/ar/content/
24. جزر دهلك: أرخبيل أريتيري يضم أكثر من مائة جزيرة، أهمها دهلك الكبرى ، وتقع قبالة مصوع على بعد ستين ميلاً ، وسكانها مسلمون يتحدثون العربية والأمهرية الحبشية، وتقع بعض جزر دهلك في المجرى الدولي للملاحة في البحر الأحمر. انظر: محمد حميد السلمان : الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة ما بين 1507ـ1525م ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، الامارات ، 2000م ، الحاشية رقم (2)، ص272.
25. عبد اللطيف الحميد : المرجع السابق ، ص12ـ14.
26. عطية القوصي : المرجع السابق، ص19 ؛ أحمد علو: المرجع السابق ، أنظر الرابط : https://www. /lebarmy.gov.lb/ar/content

27. خالد عياد: أهمية جزر البحر الأحمر في الأمن القومي العربي جزر حنيش الكبرى وتيران وصنافير دراسة حالة 1956ـ2017م، رسالة دكتوراه ، جامعة مؤتة ، 2017م ، ص 72.
28. عطية القوصي : المرجع السابق، ص19ـ22 ؛ خالد عياد: المرجع السابق ، ص29ـ30.
29. خالد عياد: المرجع السابق ، ص72ـ73 ؛ جمال حمدان : استراتيجية الاستعمار والتحرير، دار الشروق ، بيروت ، ط1، 1983م ، ص414ـ415.
30. خالد حماد عياد: المرجع السابق، ص30.
31. صالح المسلوت: معالم تاريخ أوروبا النهضة، مكتبة الرشد، 2009م، ص 59ـ 64 ؛ سعيد آل عمر : الخليج العربي تاريخه السياسي وعلاقاته بدول الشرق والغرب ، مكتبة المتنبي ، ص74ـ75.
32. المماليك الجراكسة أو البرجية (785ـ923هـ/1382ـ1517م): وطن الجراكسة هو الأرض المشرفة على البحر الأسود من جهة الشمال الشرقي، ولا تزال تعرف بهذا الاسم إلى اليوم. اشترى السلطان المنصور قلاوون أعدادًا منهم ليتخلص من صراع المماليك البحرية، وليضمن الحفاظ على السلطنة له ولأبنائه من بعده. وقد أطلق على هؤلاء المماليك الجدد المماليك الجراكسة نسبة إلى أصولهم التي ينتمون إليها، كما أطلق عليهم اسم المماليك البرجية نسبة إلى القلعة التي وضعوا فيها. وقد حرص المنصور قلاوون على تربية مماليكه التربية الدينية والعسكرية في وقت واحد، ولم يسمح السلطان لهؤلاء المماليك بمغادرة القلعة مطلقًا.ولما توفي قلاوون وخلفه ابنه الأشرف خليل سمح لهؤلاء المماليك بالنزول من القلعة، وبعد مدة أصبحت أعداد هؤلاء الجراكسة كثيرة، وغدوا أصحاب رتب عسكرية، ومنهم الأمراء والقادة، واستطاعوا أن يتسلموا السلطة ويحكموا البلاد. استمر حكمها مدة تزيد عن (131 سنة). للمزيد انظر: عبد الرحمن محمد بن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1971 م، ج5، ص472ـ 474 ؛ محمود شاكر: التاريخ الإسلامي، العهد المملوكي، المكتب الإسلامي، بيروت ، ط4، 1991م، ج7، ص69ـ 73.
33. السلطان برقوق(785 ـ 801هـ/ 1382ـ1399م): وهو السلطان الملك الظاهر سيف الدين برقوق الشركسي، وُلد في القفقاس عام 1340 م، وقدم القاهرة وعمره عشرون عاماً ليلتحق بالجيش المصري، هو أول سلطان من المماليك البرجية، حكم مصر على فترتين الأولى استمرت ست سنوات من عام (785ـ791هـ/ 1382ـ1389م) ، والفترة الثانية (792ـ801هـ/1390ـ1399م)، توفي عام (801هـ/1399م). انظر: محمود شاكر: التاريخ الإسلامي ، ج7، ص69ـ 73.
34. شريف مكة أحمد بن عجلان وابنه محمد: انفرد أحمد بن عجلان في ولاية مكة المكرمة سنة ٧٦٤ ـ ٧٧٨ هـ ، ثم شارك محمد بن أحمد بن عجلان أباه في الولاية ٧٧٨ ـ ٧٨٨ هـ ، واستمرت ولايتهما إلى أن توفي الشريف أحمد بن عجلان في 788هـ . أنظر : تقي الدين الفاسي : العقد الثمين ، ج3 ، ص90ـ96 ؛ علي السنجاري : المرجع السابق ، ج2 ، ص374ـ382.
35. النجم عمر بن فهد : إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق : فهيم شلتوت ، جامعة أم القرى مكة المكرمة ، ج3 ،ص341 ؛ محمد بن حسن الحارثي : الثغور البحرية الحجازية من البعثة النبوية إلى نهاية

العصر المملوكي (البعثة /611م ـ 923هـ/1517م)، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1422هـ ص183.

36. محمد بن حسين الحارثي: الملاحة في البحر الأحمر(الساحل الحجازي) عبر التاريخ الإسلامي حتى نهاية العهد المملوكي (دراسة تاريخية). انظر الرابط blog-/11/http://m-alshareef.blogspot.com/2017 post_11.html ، وللمزيد من المعلومات عن جدة أنظر : الثغور البحرية الحجازية، ص109ـ114.
37. تقي الدين الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تحقيق جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 2000م ،ج1، ص119.
38. 38ليلى أمين عبد المجيد : التنظيمات الإدارية والمالية في مكة المكرمة في العصر المملوكي(667ـ923هـ/1268ـ1517م)، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن، ط1، 2010م، ص98ـ105.
39. 39التجارة الكارمية أو الكارم : هم تجار التوابل وسلع الشرق الغالية في عصر الفاطميين والأيوبيين والمماليك، كانوا في أغلبهم من التجار المسلمين إلى جانب قلة من اليهود، لهم رئيس يسمى رئيس الكارم ، وقد نقلوا مركز نشاطهم من عدن إلى القاهرة في العصر الايوبي، حيث تمتعوا هناك بكثير من الامتيازات، كما كانت لهم قوافل تجارية ضخمة برية وبحرية. للمزيد من المعلومات انظر: صبحي لبيب : التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى ، ط1 ، ص5ـ53 ؛ زبيدة محمد عطا: اليهود وتجارتهم في مصر الإسلامية ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة، 2007م، ص76ـ77.
40. علي السيد علي محمود : جدة إحدى مراكز التجارة العالمية في العصور الوسطى، مجلة الدارة ، العدد الرابع ، شوال 1434هـ السنة التاسعة والعشرون ، ص49ـ63 ؛ أنور عودة الخالدي: التنظيمات التجارية بين الدولة المملوكية وأوروبا زمن سلاطين المماليك، مجلة المنار ، العدد الثالث ، أغسطس 2015م ، المجلد 21، ص16ـ17.
41. شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، ج1، ص119.
42. علي السيد علي محمود : المرجع السابق، ص 72ـ77.
43. محمد بن حسين الحارثي: الملاحة في البحر الأحمر(الساحل الحجازي) عبر التاريخ الإسلامي حتى نهاية العهد المملوكي (دراسة تاريخية). أنظر الرابط blog-/11/http://m-alshareef.blogspot.com/2017 post_11.html
44. جمال الدين أبو المحاسن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية ط1، 1992م ، ج14، ص145ـ146.
45. محمد بن حسين الحارثي: الملاحة في البحر الأحمر(الساحل الحجازي). أنظر الرابط http://m-blog-post_11.html/11/alshareef.blogspot.com/2017
46. علي الشراعي : المطامع البرتغالية حركها الحقد الصليبي وقاومتها شواطئ اليمن، البوابة الإخبارية اليمنية، 13 ديسمبر 2019م، أنظر الرابط: https://yemnews.net/index.php/ 04-21-18-13-12-reports/2019
47. إسماعيل ياغي: العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997م، ص 20ـ23 ؛ محمود شاكر : موسوعة تاريخ الخليج العربي ، دار أسامة للنشر ، عَمان ، ط5، 2011م، ج1، ص167.
48. صبحي لبيب: المرجع السابق ، ص52ـ53 ؛ علي الشراعي: المرجع السابق، انظر الرابط: https:// 04-21-18-13-12-yemnews.net/index.php/reports/2019

49. جمال كمال محمود: البحر الأحمر في الاستراتيجيا العثمانية (1801-1517)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، ط1، 2019م ، ص25ـ26.
50. بقيادة حسين الكردي: هو الأمير الحسامي حسن كردي ، كان كرديا دخيلا على طائفة الجراكسة عينه السلطان الغوري نائبا لجدة سنة ٩١١ هـ فاستمر فيها إلى سنة 129 هـ حيث خرج إلى الهند ثم عاد إلى مكة سنة ٩٢٢ هـ بعد انقراض دولة الجراكسة ، فصدر أمر بقتله من السلطان سليم خان ، فأخرج إلى بحر جدة حيث غرق هناك سنة ٩٢٣ هـ. وفي رواية أخرى أنه قتل قبل إصدار هذا الأمر بيد الرئيس سليمان العثمان، كان له الفضل في بناء سور جدة الذي حمى هذه المدينة بعد الله من هجوم البرتغاليين ، لكنه كان شديداً وغليظا، فيقال إنه بنى السور على أحد العمال وتركه حتى الموت لأنه تأخر في العمل .انظر: السنجاري : المرجع السابق ، الحاشية رقم (4)، ص172. .
51. أحمد السباعي : تاريخ مكة ، مكتبة إحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، ط8، 1999م ، ج، 1ـ2 ، ص316 ؛ جمال كمال محمود: المرجع السابق ، ص26ـ27.
52. معركة شول 914هـ/1508م: دارت معركة شول البحرية بين البحرية البرتغالية والبحرية الاسلامية المملوكية، في ميناء صغير تابع لمملكة الدكن، ويقع جنوب سلطنة كوجران، بالقرب من الساحل الغربي للهند. كانت القوات البرتغالية بقيادة (لورنسو ده ألميدا) – نجل نائب ملك البرتغال على الهند فرانسيسكو دي ألميدا- التي تقوم بعمليات سلب ونهب للسفن الإسلامية التجارية في المحيط الهندي ، تحرك الأسطول المملوكي قبالة سواحل ميناء "جاول" واشتبك في مناوشات غير حاسمة ليومين متتابعين مع البحرية البرتغالية ، إلى أن وصلت سفن القائد «مالك عياض» وألقت بثقلها في المعركة ولم تمض سوى ساعات حتى أبيد الاسطول البرتغالي وغرقت سفنهم المدمرة في البحر بجنودها ومعهم قائدهم ده ألميدا. أنظر: محمد حميد السليمان : الغزو البرتغالي.. ص71ـ73.
53. معركة ديو البحرية 915هـ/ 1509م: كانت معركة ديو بقيادة حسين كردي في ميناء على خليج ديو على ساحل بحر العرب في اقليم جوجيرات الذي يقع في الركن الشمالي الغربي للساحل الغربي للهند ، بين قوات المماليك والقوات البرتغالية، وتعد من المعارك الفاصلة في التاريخ المملوكي ، لأنها أنهت سيطرة المسلمين على خطوط التجارة البحرية مع أسيا ، فبعدها شرع البرتغاليون في احتلال الموانئ الإسلامية الرئيسة واحتكار البحر لمدة مائة عام . أنظر : محمد حميد السليمان الغزو البرتغالي ..ص73ـ76 ؛ نوال صيرفي : النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1980م ، ص102.
54. محمد بن حسين الحارثي: الملاحة في البحر الأحمر(الساحل الحجازي). أنظر الرابط -http://m blog-post_11.html/11/alshareef.blogspot.com/2017
55. الفونسوا البوكيرك: قائد بحري برتغالي ولد عام 1453م ، تولى منصب نائب الملك البرتغالي في الهند، وهو يعد من أشهر أعداء المسمين، فقد ارتكب الكثير من المذابح ضد المسلمين في جزر الهند الشرقية وفي الخليج العربي والبحر الأحمر. انظر: مفيد الزيدي : موسوعة تاريخ أوروبا: عصر النهضة (1500-1789م) ، دار أسامة للنشر ، الأردن ، ط1، 2003م ، ج2، ص18.

56. أحمد الظرافي : أبعاد الغزو البرتغالي لجدة ، مجلة البيان ، دراسات تاريخية ، العدد 370 ، 18/ 2/ 2018م ، انظر الرابط
: http://www.albayan.co.uk/mobile/MGZarticle2.aspx?ID=6155
57. محمد بن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1984م ، ج4 ، ص190ـ191 ؛ محمد حميد السليمان : الغزو البرتغالي.. ص77.
58. بلاد القديس يوحنا: ذكر الظرافي أنه يقصد بها القدس في هذه النص، بينما يقصد بفرسان القديس يوحنا الصليبين الذين أخرجوا من بلاد الشام واستقروا في مالطا. كما أطلق الأوربيون على بلاد الحبشة المسيحية اسم مملكة القديس يوحنا، وقد بحث البرتغاليون عن هذه المملكة بمساعدة اليهود الذين كانوا يتقنون اللغة العربية بغرض التحالف معهم للقضاء على المسلمين، وبالفعل تم التحالف بين الأحباش والبرتغاليين ضد المسلمين في حقبة الغزو الصليبي البرتغالي لبلاد المسلمين في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي. أنظر : محمد حميد سليمان : حكايات من زمن البرتغاليين ، وزارة الاعلام ، مملكة البحرين ، ص114ـ115 ؛ وكيبيديا الموسوعة الحرة https://ar.wikipedia.org/wiki/
59. أحمد الظرافي : المرجع السابق : http://www.albayan.co.uk/mobile/MGZarticle2.aspx?IDJ=6155
60. علي السنجاري المرجع السابق ، ج3، 171ـ172.
61. علي السنجاري المرجع السابق ، ج3، 171ـ172 ؛ غسان علي الرمال : صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر خلال القرن العاشر الهجري ـ السادس عشر الميلادي، رسلة ماجستير ، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة ، 1981م، ص 108ـ109.
62. يلماز أوزتونا : موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري 629ـ1341هـ/1231ـ1922م ، ترجمة: عدنان سلمان، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ط1، 2010م، ج1، ص323ـ324 ؛ جمال كمال محمود : المرجع السابق ، ص 26ـ27.
63. أحمد الظرافي : المرجع السابق : http://www.albayan.co.uk/mobile/MGZarticle2.aspx?ID=6155
64. 64 (للمزيد من المعلومات حول الهجوم على عدن. انظر : محمد حميد السلمان : الغزو البرتغالي..، ص261ـ268.
65. جمال كمال محمود: المرجع السابق ، ص27ـ28.
66. سواكن : مدينة سودانية مشهورة على ساحل البحر الأحمر، ترفأ إليها سفن الذين يأتون من جدة، وتقع جنوب بور سودان . انظر: المنجد ، ص 312 ؛ ابن فهد : المرجع السابق ، ج4، الحاشية رقم (4) ، ص487.
67. جمال كمال محمود: المرجع السابق ، ص.28
68. أحمد الظرافي : المرجع السابق : http://www.albayan.co.uk/mobile/MGZarticle2.aspx?ID=6155
69. جمال كمال محمود: المرجع السابق ، ص.28ـ 29.

70. أنيس القيسي: صفحات من تاريخ الغزو البرتغالي للخليج العربي والبحر الاحمر في مطلع القرن السادس عشر، ج 11، انظر الرابط : https://www.startimes.com/f.aspx?t=16159009
71. (ابن إياس : المرجع السابق ، ج5، ص 60ـ65 ؛ إسماعيل ياغي : الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط2، 2013م، ص58ـ59.
72. عبد الله الغازي: المرجع السابق ،ج3، ص355ـ356 ؛ أميرة مداح : نظرة متأنية في تاريخ الدولة العثمانية، إحياء التراث ، مكة المكرمة، ط2، 2018م،ص58ـ59
73. السنجاري : المرجع السابق ، ج3 ، ص207ـ232 ؛ محمد حميد السلمان : الغزو البرتغالي..، الحاشية رقم (2)، ص286 .
74. أنيس القيسي: المرجع السابق ، أنظر الرابط : https://www.startimes.com/f.aspx?t=16159009
75. عبد العزيز الشناوي: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، 1980م، ج2 ، ص699.
76. الشريف محمد بن حسن الحارثي: الدور التاريخي للشريف محمد أبونمي الثاني..، ص 337.
77. الشريف محمد بن حسن الحارثي: الدور التاريخي للشريف محمد أبونمي الثاني..،ص 337 ؛ محمد حميد السلمان : الغزو البرتغالي للجنوب ، ص275.
78. محمد حميد السلمان : الغزو البرتغالي للجنوب ، ص276ـ277.
79. عبد العزيز الشناوي: المرجع السابق ،ج2 ، ص699.
80. ابن إياس : المرجع السابق ، ج5 ، ص262 .
81. الشريف محمد بن حسن الحارثي: الدور التاريخي للشريف محمد أبونمي الثاني..،ص 338.
82. أحمد الظرافي : المرجع السابق : http://www.albayan.co.uk/mobile/MGZarticle2.aspx?ID=6155
83. علي الصلابي: الدولة العثمانية: عوامل النهوض وأسباب السقوط ، مكتبة حسن العصرية ، بيروت ، ج1 ، ص277 ؛ فوزية الجيب : تاريخ النفوذ البرتغالي في البحرين (1521-1602)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1، 2003م، ص188
84. علي الصلابي : الدولة العثمانية ، ص277.
85. يوسف فضل حسن: الصراع حول البحر الاحمر منذ اقدم العصور حتى القرن الثامن عشر، مجلة الدارة، مجلة فصلية محكمة ، العدد 3 ، ربيع الثاني 1403 ، يناير 1983م ، السنة 8، ص 103-128 ؛ الشريف محمد بن حسن الحارثي: الدور التاريخي للشريف محمد أبونمي الثاني، ص 338.
86. عثمان الصيني : تركيا والعرب التاريخ والحاضر(3) التاريخ العثماني في الحرمين الشريفين ليس خيرا كله، جريدة الوطن ، 15 إبريل 2019م . انظر الرابط: https://wtn.sa/a/1005856
87. غسان رمال: المرجع السابق، ص62ـ64.
88. عمر سالم بابكور: حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الجري ، جامعة أم القرى،

مكة المكرمة ، رسالة ماجستير ،1986م ، ص172ـ255 ؛ عبد العزيز الشناوي : المرجع السابق ، ج2، ص698 ؛ أميرة مداح : المرجع السابق ، ص56.

89. جمال مسعود ؛ وفاء جمعة : أفريقيا يُراد لها أن تموت جوعاً ، أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ ، الوفاء للطباعة والنشر، ص177 ؛ عبدالمجيد عابدين : بين الحبشة والعرب ، وكالة الصحافة العربية للنشر، ص2؛ صالح حسن المسلوت: معالم تاريخ أوربا، ص62.

90. أحمد الظرافي : المرجع السابق : http://www.albayan.co.uk/mobile/MGZarticle2.aspx?ID=6155

91. بارثليميو دياز: رحالة ومستكشف برتغالي ، طلب الملك جوان الثاني منه اكتشاف طريق جديد إلى الهند، وصل إلى رأس الرجاء الصالح وأطلق عليه اسم رأس العواصف 1488م. انظر : محمد خليفة : أوربا من الإمبراطورية البرتغالية إلى المجهول ، جريدة اليوم ، 14 يونيو 2005م. انظر الرابط : https://www./alyaum.com/articles/281913

92. أحمد بن ماجد : اسمه شهاب الدين أحمد بن ماجد يعرف بأسد البحر، من جلفار بعُمان ، برع في علم الفلك ، بنسب إليه أنه رافق البحار البرتغالي فاسكو ديجاما ، أشهر مؤلفاته الفوائد في أصول علم البحر والقواعد . انظر : المنجد ، ص13.

93. صالح حسن المسلوت : فصول من تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط2، 2016م، ص28ـ33 ؛ الشريف محمد الحارثي: الملاحة في البحر الأحمر ، ص 10.

94. للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع انظر : عمر بابكور : المرجع السابق ، ص96ـ100 ؛ سالم حميد : أحمد بن ماجد ملاح من جلفار، مركز المزمات ، دبي ، 2018م، ص43 ؛ عليان الجالودي : التحولات الفكرية في العالم الإسلامي ما بين القرن 10ـ12هـ /16ـ18م ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ولاية فرجينيا ، ط1، 2014م ، ص53ـ55 ؛ سلطان بن محمد القاسمي : بيان للمؤرخين الأماجد في براءة ابن ماجد، الشارقة ، 2000م، ص10ـ 35.

95. توفيق حبيب : أبو جلدة وآخرون ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ص30.

96. عبد المجيد عابدين : المرجع السابق ، ص3 ؛ بدر حسن شافعي : العلاقات العربية الإثيوبية ، ضمن بحوث العلاقات العربية ـ الإقليمية الواقع والآفاق ، مركز دراسات الشرق الأوسط ، الأردن ، 2018م، ص217

97. ممدوح الولي : إقتصاديات دول حوض النيل ، مكتبة جزيرة الورد ، مصر ، ط2 ، 2016م ، ص141.

98. إيناس البهجي : تاريخ الدولة العثمانية ، مركز الكتاب الأكاديمي، عَمان، 2017م، ص267

99. أحمد الظرافي : المرجع السابق : http://www.albayan.co.uk/mobile/MGZarticle2.aspx?ID=6155

100. إيناس البهجي : المرجع السابق، ص267

101. نادية محمود مصطفى : خبرة العصر العثماني : "من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية " ، مركز الحضارة للدراسات السياسية ، ص46ـ50.

102. علي الصلابي : العثمانيون يدافعون عن العالم الإسلامي أمام الغزو البرتغالي ، أنظر الرابط : https://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache:0S-t6qK6lscJ:https://www.turkpress.co/node/57839+&cd=6&hl=ar&ct=clnk&gl=sa

103. سورة آل عمران : الآية رقم (102 - 103).

المصادر والمراجع

(1) القرآن الكريم .
(2) ابن إياس ؛ محمد: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1984م ، ج4.
(3) تغري بردي ؛ جمال الدين أبي المحاسن: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق : محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية ط1، 1992م ، ج14.
(4) الحموي ؛ شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م، ج1.
(5) بن خلدون ؛ عبد الرحمن محمد : العبر وديوان المبتداء والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، 1971 م، ج5،
(6) السنجاري ؛ علي بن تاج الدين: منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم ، المحقق: جميل عبدالله محمد المصري ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1998م ، ج3.
(7) الفاسي ؛ تقي الدين محمد: العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين ، مؤسسة الرسالة ، 2008م ، ج3.
(8) الفاسي ؛ تقي الدين: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام ، تحقيق جماعة من العلماء ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 2000م ،ج1، ص119.
(9) ابن فهد ؛ عز الدين عبد العزيز: غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام ، تحقيق فهيم شلتوت، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط1 ، 1988م ، ج2.
(10) ابن فهد ؛ النجم عمر: إتحاف الورى بأخبار أم القرى ، تحقيق : فهيم شلتوت ، جامعة أم القرى مكة المكرمة ، ج3
(11) الغازي ؛ عبد الله: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام مع تعليقه المسمى بإتمام الكلام، محقق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة ، ط1، 2009م ،ج3.

المراجع :

(1) أوزتونا ؛ يلماز : موسوعة تاريخ الإمبراطورية العثمانية السياسي والعسكري والحضاري 629-1341هـ/1231-1922م ، ترجمة: عدنان سلمان، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، ط1، 2010م، ج1.

(2) البهجي ؛ إيناس : تاريخ الدولة العثمانية ، مركز الكتاب الأكاديمي، عَمان، 2017م.

(3) الجالودي ؛ عليان : التحولات الفكرية في العالم الإسلامي ما بين القرن 10-12هـ /16-18م ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ولاية فرجينيا ، ط1، 2014م.

(4) الجيب ؛ فوزية: تاريخ النفوذ البرتغالي في البحرين (1521-1602)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط1، 2003م.

(5) الحارثي ؛ الشريف محمد بن حسن: الاستشراف على تاريخ أبناء محمد الحارث الأشراف ـ دراسة تاريخية وثائقية ، مؤسسة الريان للنشر ، ط2، 2012م.

(6) حبيب ؛ توفيق : أبو جلدة وآخرون ، دار الكتب المصرية ، القاهرة .

(7) حمدان ؛ جمال: استراتيجية الاستعمار والتحرير، دار الشروق ، بيروت ، ط1، 1983م.

(8) حميد ؛ سالم: أحمد بن ماجد ملاح من جلفار، مركز المزمات ، دبي ، 2018م.

(9) الحميد ؛ عبد اللطيف: البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1994م.

(10) خليفة ؛ إيناس: موسوعة البحار والمحيطات، دار زهران للنشر والتوزيع، الاردن – عَمان.

(11) الرفاعي ؛ عبد الرحمن: عصر محمد علي، دار المعارف ، القاهرة ، ط5، 1989م.

(12) الزركلي ؛ خير الدين: الأعلام قاموس تراجم لأشهر النساء والرجال من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت ، ط12، 1997م، ج2.

(13) الزيدي ؛ مفيد : موسوعة تاريخ أوروبا: عصر النهضة (1500-1789م)، دار أسامة للنشر ، الأردن ، ط1، 2003م ، ج2.

(14) السباعي ؛ أحمد : تاريخ مكة ، مكتبة إحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، ط8، 1999م ، ج، 1-2 .

(15) السلمان ؛ محمد حميد : الغزو البرتغالي للجنوب العربي والخليج في الفترة ما بين 1507ـ1525م ، مركز زايد للتراث والتاريخ ، الامارات ، 2000م.
(16) السلمان ؛ محمد حميد: حكايات من زمن البرتغاليين ، وزارة الاعلام ، مملكة البحرين.
(17) شافعي بدر حسن : العلاقات العربية الإثيوبية ، ضمن بحوث العلاقات العربية ـ الإقليمية الواقع والآفاق ، مركز دراسات الشرق الأوسط ، الأردن، 2018م.
(18) شاكر ؛ محمود: التاريخ الإسلامي، العهد المملوكي، المكتب الإسلامي، بيروت ، ط4، 1991م، ج7.
(19) شاكر ؛ محمود: موسوعة تاريخ الخليج العربي ، دار أسامة للنشر ، عَمان ، ط5، 2011م، ج1.
(20) الشناوي ؛ عبد العزيز : الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلوا المصرية ، القاهرة ، 1980م، ج2.
(21) الشنتناوي ؛ أحمد وآخرون ، دائرة المعارف الإسلامية ، الطبعة العربية ، دار المعرفة ، بيروت ـ لبنان ، ج13.
(22) الصلابي ؛ علي: الدولة العثمانية: عوامل النهوض وأسباب السقوط ، مكتبة حسن العصرية ، بيروت ، ج1 .
(23) 23.عابدين ؛ عبدالمجيد: بين الحبشة والعرب ، وكالة الصحافة العربية للنشر.
(24) عبد العليم ؛ نور: الملاحة وعلوم البحار عند العرب، عالم المعرفة، الكويت ، 1990م.
(25) عبد المجيد ؛ ليلى أمين: التنظيمات الإدارية والمالية في مكة المكرمة في العصر المملوكي(667ـ923هـ/1268ـ1517م)، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي ، لندن، ط1، 2010م.
(26) العثيمين ؛ عبد الله : تاريخ المملكة العربية السعودية، مطابع الشريف، ط5 ، 1993م، ج1.
(27) عطا ؛ زبيدة محمد: اليهود وتجارتهم في مصر الإسلامية ، الدار الثقافية للنشر ، القاهرة، 2007م.
(28) آل عمر ؛ سعيد : الخليج العربي تاريخه السياسي وعلاقاته بدول الشرق والغرب ، مكتبة المتنبي.
(29) القاسمي ؛ سلطان بن محمد : بيان للمؤرخين الأماجد في براءة ابن ماجد، الشارقة، 2000م.

(30) القوصي ؛ عطية : تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، دار النهضة العربية ، القاهرة.

(31) لبيب ؛ صبحي: التجارة الكارمية وتجارة مصر في العصور الوسطى ، ط1.

(32) المحامي ؛ محمد فريد بك: تاريخ الدولة العلية العثمانية،تحقيق : احسان حقي ، دار النفائس، بيروت ، ط7 ، 1993م.

(33) محمود ؛ جمال كمال: البحر الأحمر في الاستراتيجيا العثمانية (1517-1801)، لمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ، ط1، 2019م .

(34) مداح ؛ أميرة : نظرة متأنية في تاريخ الدولة العثمانية ، احياء التراث ، مكة المكرمة، ط2، 2018م.

(35) مسعود ؛جمال ؛ جمعة ؛ وفاء : أفريقيا يُراد لها أن تموت جوعاً ، أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ ، الوفاء للطباعة والنشر،

(36) المسلوت ؛ صالح حسن : معالم تاريخ أوروبا النهضة، مكتبة الرشد، 2009م.

(37) المسلوت ؛ صالح حسن: فصول من تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط2 ، 2016م.

(38) مصطفى ؛ نادية محمود : خبرة العصر العثماني : "من القوة والهيمنة إلى بداية المسألة الشرقية " ، مركز الحضارة للدراسات السياسية.

(39) الولي ؛ ممدوح : اقتصاديات دول حوض النيل، مكتبة جزيرة الورد، مصر، ط2، 2016م .

(40) وهيم ؛ طالب: مملكة الحجاز (1916/1925م) دراسة في الأوضاع السياسية، مركز دراسات الخليج العربي جامعة البصرة ، البصرة، ط1، 1982م.

(41) ياغي ؛ إسماعيل: العالم العربي في التاريخ الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض، 1997م.

(42) ياغي ؛ إسماعيل: الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط2، 2013م.

الرسائل الجامعية :

(1) بابكور ؛ عمر سالم: حزام الأمن العثماني حول الحرمين الشريفين في القرن العاشر الجري ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، رسالة ماجستير، 1986م .

(2) الحارثي ؛ محمد بن حسن: الثغور البحرية الحجازية من البعثة النبوية إلى نهاية العصر المملوكي (البعثة /611م ـ 923هـ/1517م)، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1422هـ.

(3) الرمال ؛ غسان علي: صراع المسلمين مع البرتغاليين في البحر الأحمر خلال القرن العاشر الهجري ـ السادس عشر الميلادي، رسلة ماجستير ، جامعة الملك عبد العزيز، مكة المكرمة ، 1981م.

(4) صيرفي ؛ نوال: النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، رسالة ماجستير ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، 1980م .

(5) عياد ؛ خالد: أهمية جزر البحر الأحمر في الأمن القومي العربي جزر حنيش الكبرى وتيران وصنافير دراسة حالة 1956ـ2017م، رسالة دكتوراه ، جامعة مؤتة ، 2017م.

الدوريات :

(1) الحارثي ؛ الشريف محمد بن حسن: الدور التاريخي للشريف محمد أبونمي الثاني حاكم الحجاز وأمير الحرمين الشريفين في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي في التصدي للغزو البرتغالي للحجاز، Route Educational & Social Science Journal ,Volume 5(13),December 2018.

(2) حسن ؛ يوسف فضل: الصراع حول البحر الاحمر منذ اقدم العصور حتى القرن الثامن عشر، الدارة ، مجلة فصلية محكمة، العدد،3 ربيع الثاني 1403 ، يناير 1983م ، السنة8.

(3) الخالدي ؛ أنور عودة: التنظيمات التجارية بين الدولة المملوكية وأوروبا زمن سلاطين المماليك، مجلة المنار ، العدد الثالث ، أغسطس 2015م ، المجلد 21،

(4) خليفة ؛ محمد: أوربا من الإمبراطورية البرتغالية إلى المجهول ، جريدة اليوم ، 14 يونيو 2005م. أنظر الرابط : https://www.alyaum.com/articles/281913/

(5) الصيني ؛ عثمان : تركيا والعرب التاريخ والحاضر(3) التاريخ العثماني في الحرمين الشريفين ليس خيرا كله، جريدة الوطن ، 15 إبريل 2019م . أنظر الرابط: https://wtn.sa/a/1005856

(6) علو ؛ أحمد: البحر الأحمر صراع على طرق الموارد بين مضيقين ، دراسات وأبحاث، مجلة الجيش، لبنان، العدد 310 ، نيسان ـ إبريل 2011م. اقرأ المزيد على الرابط : https://www.lebarmy.gov.lb/ar/content/

(7) الفنجان ؛ أيمن سعد : بركات الشريف من أعلام الجزيرة العربية في القرن العاشر الهجري ، جريدة الرياض ، العدد 14137، 9 مارس 2007م، أنظر الرابط: http://www.alriyadh.com/231045

(8) محمود ؛ علي السيد علي : جدة إحدى مراكز التجارة العالمية في العصور الوسطى، مجلة الدارة ، العدد الرابع ، شوال 1434هـ، السنة التاسعة والعشرون.

مواقع الانترنت

(1) الحارثي ؛ الشريف محمد بن حسين: الملاحة في البحر الأحمر(الساحل الحجازي) عبر التاريخ الإسلامي ، حتى نهاية العهد المملوكي (دراسة تاريخية)، 11 نوفمبر 2017م، انظر الرابط .http://m-alshareef.blogspot.com/2017/11/blog-post_11.html#more

(2) خميس ؛ أسامة: ما هو بحر القلزم ، 14 مارس 2018م أنظر الرابط : https://mawdoo3.com/

(3) أبودولة ؛ عنان : كم عرض البحر الأحمر ٢٧ نوفمبر ٢٠١٨ ، انظر الرابط موضوع.كوم: https://mawdoo3.com/

(4) الشراعي ؛ علي : المطامع البرتغالية حركها الحقد الصليبي وقاومتها شواطئ اليمن، البوابة الإخبارية اليمنية، 13 ديسمبر 2019م، أنظر الرابط:

04-21-18-13-12-https://yemnews.net/index.php/reports/2019

(5) الصلابـــي ؛ عـــلي : العثمانيـــون يدافعـــون عـــن العالـــم الإســـلامي أمـــام الغـــزو البرتغـــالي ، أنظـــر الرابـــط : https://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache:0S-t6qK6lscJ:https://www.turkpress.co/node/57839+&cd=6&hl=ar&ct=clnk&gl=sa

(6) الظـــرافي ؛ أحمـــد: أبعـــاد الغـــزو البرتغـــالي لجـــدة ، مجلـــة البيـــان ، دراســـات تاريخيـــة ، العـــدد 370 ، 18/ 2/ 2018م ، انظـــر الرابـــط : http://www.albayan.co.uk/mobile/MGZarticle2.aspx?ID=6155

(7) القيـــسي ؛ أنيـــس: صفحـــات مـــن تاريـــخ الغـــزو البرتغـــالي للخليـــج العربـــي والبحـــر الاحمـــر في مطلـــع القـــرن الســـادس عـــشر، ج 11،أنظـــر الرابـــط : https://www.startimes.com/f.aspx?t=16159009

(8) وكيبيديا الموسوعة الحرة : https://ar.wikipedia.org/

البحر الأحمر ودوره في خدمة حجاج المغرب العربي

د.ربيعة أحمد المداح

أ. محاضر-قسم التاريخ- جامعة طربلس-ليبيا

المستخلص:

سلكت ركاب الحجاج المغاربة بعد وصولها للديار المصرية إلى الحرمين الشريفين مسارين رئيسين فرضتهما الظروف السياسية والأمنية داخل مصر وفي بلاد الحجاز، أحدهما بري يتجه شمالاً ويقطع سيناء وبلاد الحجاز وصولا إلى الحرمين، والثاني يتجه جنوبا نحو موانئ البحر الأحمر الجنوبية في القصير وعيذاب، ومنه يعبر المجاز الفاصل بين ضفتيه الشرقية والغربية. كما عبرت سفن الحجاج المغاربة البحر الأحمر من شواطئه الشمالية عبر مينائي الطور والسويس باتجاه الجنوب لترسو في موانئ الحجاز في ينبع وجدة. وبذلك نرى الدور المحوري الذي لعبه البحر الأحمر في شبكة طرق الحج بالمنطقة وربط بلاد الحجاز مع الجناح الغربي من العالم الإسلامي. ومن خلال المعلومات التي أوردتها كتب الرحلات و التاريخ نستطيع رسم ملامح من الترتيبات الخاصة بعبور الحجاج للبحر الأحمر، ولعل أهمها توفير وسائل النقل البحرية المختلفة، وإنشاء مراكز لتجمع الحجاج في المراسي والموانئ المطلة على ضفتي البحر الأحمر، وبناء دور للجمارك، ومراكز للكشف الصحي، والنظام البريدي. هذا إلى جانب الحاميات المتمركزة في هذه المراكز. هذه التجهيزات كانت تحد من فاعليتها الظروف الأمنية والسياسية بالمنطقة خاصة بعد تزايد وتيرة الحملات الصليبية، إلى جانب تأثير التحولات الدولية على طرق التجارة مع بداية العصر الحديث وتحول حركة التجارة من البحر الأحمر إلى رأس الرجاء الصالح.

Summary:

After arriving in Egyptian land, Moroccan pilgrims followed two main rode imposed by political and security conditions inside Egypt and in the Hejaz. One, which heads north and cross Sinai and al-Hijaz , the other is heading towards the southern Red Sea ports . Moroccan pilgrims also crossed the Red Sea from its north through the ports of El Taur and Suez in a southerly direction to

dock in the ports of Hejaz in Yanbu and Jeddah. We therefore see the central role played by the Red Sea in the network of pilgrimages to the region and the link of the Hejaz country to the western of the Islamic world.Through the information provided in history books, we are able to map out some of the arrangements for pilgrims to cross the Red Sea. The most important of these are the provision of various means of maritime transport, the establishment of pilgrims' gathering centres at anchors and ports bordering the Red Sea, the construction of customs houses, health centres and the postal system. These facilities were limited in their effectiveness by the security and political conditions in the region, especially after the increase in crusades, as well as the impact of international shifts in trade routes with the beginning of the modern era and the shift of trade from the Red Sea to the Cape of Good Hope.

المقدمة:

يعرض البحث الدور الذي لعبه البحر الأحمر في حركة تنقل الحجاج المغاربة والإجراءات المتبعة لتيسير رحلتهم ، وتتبع الدراسة أهم المعابر على ضفتي البحر والمرافق المتوفرة بها، والتي من أبرزها دور الجمارك، والرعاية الصحية، إضافة إلى البريد. ويعرض البحث وسائل النقل البحري والبري مبرزا انطباعات الحجاج عن الخدمات المقدمة لهم. والجانب الثاني الذي تناقشه الدراسة يتعلق بالترتيبات الأمنية المصاحبة لرحلات الحجاج . والمشاكل التي واجهت الدول والحجاج خلال رحلاتهم. للخوض في هذه المحاور استلزم اتباع المنهج الاستقرائي التحليلي للمصادر الجغرافية والتاريخية والرحلية.

طرق الحج المغربي:

سلك الحجاج المغاربة إلى الحرمين الشريفين دروبا امتدت على رقعة جغرافية كبيرة من القارة الإفريقية يمكن تحديدها في الطرق الآتية:

1. الطريق الساحلي، وهو ما يعرف بطريق الجادة، الذي يمتد من طنجة حتى الإسكندرية، وكانت تتصل به كل الطرق المنطلقة من المراكز الداخلية عند المدن الساحلية؛ كالجزائر، وتونس، وقابس، وطرابلس [1]، وقد سلكه الرحالة ابن بطوطة عام 725هـ/ 1325م[2].
2. طريق الهضاب الوسطى، الممتد من مناطق بلاد السوس الأدنى متخللا منطقة التلول والهضاب في بلاد المغرب الأوسط، ثم يتصل بالطريق الساحلي عند قابس أو بالقرب من طرابلس، وقد سلكه عددمن الحجاج منهم العبدري عام 688هـ/

1286م،[3] واليوسي -1101 1102هـ/ -1690 1691م[4]، وابن الطيب عام 1170هـ/ 1756م [5]، والورثيلاني 1179هـ/1756م[6].

3. الطريق المنطلق من شمال وادي درعة باتجاه الشمال الشرقي مخترقا بلاد توات ومنها يتجه شمالا ليرتبط مع الطريق الساحلي، وهو ما عرف بطريق الحج السجلماسي وقد سلكه عدد من الحجاج المغاربة منهم: العياشي بين عامي 1069-1071هـ/ 1661-1663م. [7] وأحمد بن ناصر الدرعي بين عامي 1191-1192/ 1609-1710م[8] ، وعبد السلام الناصري عام 1196هـ/ 1782م[9]. والحضيكي عام 1152هـ/1793م[10].
4. الطريق الصحراوي، وهو الذي يتجه من مدينة مراكش إلى بلاد توات شرقاً، ثم إلى فزان ومنها إلى سيوه بالبلاد المصرية، وهو ما عرف بطريق الحج المراكشي، وما وصلنا من رحلات اجتازت هذه المناطق تعود إلى القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي منها رحلة ابن مليح القيسي بين عامي1040-1042هـ/1630-1633م [11]، ورحلة المصعبي عام1197هـ/ 1782م [12]، ورحلة البرثلي عام 1204هـ/ 1789م[13] .

5- الطريق البحري:

عند تتبع خطوط طرق الرحلات البحرية إلى بلاد المشرق نجدها تسير في طريقين: أحدهما يقطع عرض المتوسط متتبعا جزر المتوسط، والآخر يسير في موازاة سواحل المغرب الشمالية متوقفاً عند بعض الموانئ المهمة.

الطريق عبر جزر البحر الأبيض المتوسط:

يخرج هذا الطريق من موانئ بلاد الأندلس أو المغرب الإسلامي، كميناء مدينة سبتة [14] على ساحل بلاد المغرب الأقصى، أو ميناء مدينة وهران، [15] أو هنين[16]،أو ميناء رادس ميناء ،[17] وكانت السفن تخرج من هذه الموانئ نحو أقرب جزيرة بالنسبة إليها وتبحر حتى تصل إلى جزيرة قبرص ومنها تتجه جنوباً إلى ميناء الإسكندرية. ومن بين الرحلات التي ابحرت عبر هذا الطريق رحلة ابن جبير الذي خرج من غرناطة ببلاد الأندلس 578هـ / 1182م ، قاصداً الحج ، حيث عبر مضيق جبل طارق إلى سبتة في المغرب، ومنها ركب البحر إلى جزيرة صقلية ثم الإسكندرية ،، ورحلة ابن رشيد السبتي الذي وصل مصر سنة 696هـ/ 1296م، ورحلة البلوي الذي غادر المرية ببلاد الأندلس سنة 736هـ/ 1335م، كان خط السير بعد خروجه من ميناء المهدية بإفريقية سنة 737هـ / 1336م عبر جزر: مالطا، كريت، أشقرباطة ، ومنها إلى جزيرة قبرص، ثم ميناء الإسكندرية [18].

الطريق عبر موانئ بلاد المغرب الإسلامي:

لقد ورد ذكر ما ينيف عن المائة موضع من الموانئ و المراسي موزعة على الساحل الشمالي لبلاد المغرب الإسلامي، وهي تتفاوت في أحجامها و إمكاناتها، ومن حيث قدرتها على استيعاب رسو السفن من حيث الحجم والعدد،[19] عرفت من بينها بعض المراسي التي شكلت نقاط انطلاق لرحلات سفن الحجاج باتجاه بلاد المشرق ومن أهمها ميناء سبتة، ووهران، وتونس، وطرابلس، أما المراسي الواقعة على ساحل بلاد برقة كانت ملجأ لمراكب الحجاج القادمة من الإسكندرية باتجاه الغرب في حال تعرضها للعواصف البحرية.[20]

وأحياناً كانت الرحلات تتبدى برية ثم تكمل طريقها عبر البحر كرحلة البلوي عام 737هـ/ 1336م الذي قطع الطريق من وهران إلى تونس عن طريق البر، ثم واصل طريقه بحراً إلى الإسكندرية.[21]

ورحلة القلصادي التي خرج فيها من مدينة غرناطة ببلاد الأندلس ثم توجه إلى سواحل بلاد المغرب ليخرج من ميناء مدينة وهران قاصداً مدينة تونس، ثم أبحر من مينائها قاصداً بلاد المشرق غير أن خط رحلته توقف عند مدينة طرابلس لمدة تقارب من ثمانية أشهر قبل مواصلته لطريقه، ثم أبحر من ميناء طرابلس إلى الإسكندرية سنة 542هـ/ 1447م. [22].

كما وردت إشارات في رحلة الورثيلاني سنة 1179هـ/ 1765م عن وجود مركباً كان يتجه عادة في شهر رمضان إلى ميناء الإسكندرية لنقل على متاع الحجاج من ميناء طرابلس إلى ميناء الإسكندرية، وممن لا يستطيع قطع الطريق البري من الحجاج، لأسباب صحية أو مادية وذكر أن المركب وصل الإسكندرية بعد ثلاثة عشر يوما فقط من خروجه من ميناء طرابلس.[23]

بعد وصول السفن إلى البلاد المصرية كانت ترسو عند ميناء الإسكندرية وبعد الاستراحة، يخرج الحجاج المغاربة عبر النيل أو الطريق البري قاصدين القاهرة، ومنها كانت أمام الحجاج المغاربة طريقين: إما الاتجاه شمالاً عبر سيناء ومواصلة الطريق براً عبر طريق الحجاز وهي تمتد لمسافة أربعين يوما [24].

أو الاتجاه جنوبا عبر نهر النيل حتى يصل إلى مدينة قوص ، والرحلة في الغالب تستغرق قرابة ثمانية عشر يوما حتى تصل إلى قوص التي تعد من المراكز التجارية النشطة في الجنوب، وملتقي الحجاج المغاربة والمصريين ، فمنها كان الحجاج يُكمِلون طريقهم برا عبر صحراء عيذاب حتى يصلوا إلى الساحل الغربي للبحر الأحمر، وهو خط رحلة التجيبي إلى الحج سنة

694-696هـ/1297م - 1295م، التي امتدت لسنتين، أدى فيهما فريضة الحج ودوّنها تحت اسم (مستفاد الرحلة والاغتراب)[25].

ويصف خديوي مصر عباس حلمي في رحلته طريق الحج ويحدد المسافة من القاهرة إلى قوص عبر نهر النيل ب 640 كيلومترا وكانت تقطع في نحو عشرين يوما، ثم تسافر القوافل عبر صحراء عيذاب مدة خمسة عشر يوما لتقطع مسافة130 كيلومترا حتى تصل إلى ميناء القصير على البحر الأحمر وكانت عملية النقل تتم بواسطة قبائل البجاة[26].وهذه المرحلة وصفت بأنها من المراحل الصعبة لقلة وجود المياه بالطريق وتقطع عادة في حوالي الشهر [27]، ثم يبحر الحجاج من ميناء عيذاب، أو من القصير اللذيْن يرتبطان بطريق بحري مع ميناء جدة [28].

أو الإبحار عبر البحر الأحمر من ميناء طور والاتجاه جنوباً حتى تصل المراكب إلى موانئ بلاد الحجاز[29]، وهذا الطريق هو الذي سلكه ابن خلدون في رحلته للحج سنة 789هـ/ 1387م[30].وفي القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي صار ميناء السويس المركز الرئيسي لخروج مراكب الحجاج، وهذا الطريق الذي سلكه جوزيف بتس (الحاج يوسف) في رحلته إلى الحج سنة 1091هـ/ 1680م[31]، وأبو القاسم الزياني الذي خرج فيه بصحبة والده عام 1169ه/ـ1755م إلى الحج[32].

طرق الحج في حوض البحر الأحمر:

مثل البحر الأحمر أهمية خاصة للحجاج المغاربة، فهو المرحلة الأخيرة في طريقهم إلى الحرمين الشريفين ، ووصف في كتابات الحجاج المغاربة بأنه متفرع من المحيط الهندي، ويسير شمالاً حتى مدينة القلزم الصغيرة، ويسمى هذا البحر بكل مدينة تقع عليه ،فيسمى القلزم، وعيذاب، وبحر النعام، وقيل أن به أكثر من ثلاثمائة جزيرة [33].

كما عكست لنا مشاهداتهم حجم التغير الذي طرأ على نفوذ القوى المسيطرة على حركة الملاحة العالمية آنذاك، وتأثر حركة النقل الإسلامي للحجاج المغاربة تبعا لذلك، ولعل في رحلتي ابن جبير والبلوي خير مثال على هذا التحول في حركة النقل البحري خلال العصر الإسلامي[34].وتبعا لهذه التحولات تأثرت حركة نقل الحجاج المغاربة في حوض البحر الأحمر فقد تعرضت موانئ البحر لعدد من الهجمات الصليبية بهدف السيطرة على حركة الملاحة بالبحر الأحمر ، والهجوم على المدينة المنورة ، من بينها الحملة المعروفة لحاكم أمارة الكرك، ففي عام 577هـ/1181 م هاجم أحد القادة الصليبيين ويدعى رينو الشاتيوني (Re-naud de Chatillon) المعروف في المصادر الإسلامية بالبرنس «أرناط» الصليبي حاكم أمارة الكرك الواقعة شرقي البحر الميت، مدينة عيذاب ، ودمر 16 سفينة كانت في الميناء، وفي هذه الموقعة طارد قائد الأسطول «حسام الدين لؤلؤ» وهزم القوات الصليبية وهم في طريقهم لتخريب المدينة المنورة[35]. والجدير بالذكر أن طريق حجاج المغرب الإسلامي عبر البحر الأحمر قد ظل مستخدما لفترة تقارب المائتي سنة حتى عهد السلطان المملوكي

الظاهر بيبرس[36] (658 – 676هـ/ 1259-1277م) عندما خرج للحج عبر طريق سيناء عقب انتصاره على الصليبيين في بلاد الشام سنة 666هـ/ 1267م، وبعد هذا التاريخ قل عبور الحجاج للطريق، وصارت القوافل تتجه شمالاً عبر سيناء سالكة طريق الحج الشامي المار ببلاد الحجاز.[37] وفي العصر الحديث بعد ظهور البواخر بدأ الحجاج في ارتياد الطريق البحري الممتد من السويس إلى ميناء جدة.

تتبع حركة النقل البحري للحجاج في حوض البحر الأحمر عدة مسارات بحرية، وهي:

الطريق البحري من الشمال إلى جنوب البحر الأحمر ويخرج من موانئ الطور والسويس وهي مراكز تجمع حجاج مصر وبلاد المغرب الإسلامي، وقد سُلك طريق في فترة مبكرة من التاريخ الإسلامي كما في رحلة ابن خلدون 789هـ/1337م إلا أن السفر عبره كانت تحفه مخاطر العواصف والصخور، وفي العصر الحديث نال هذا الطريق اهتماما خاصا من قبل الحكومات المصرية، فأنشئت به مراكز خاصة لخدمة الحجاج كتخصيص محاجر صحية، وإدارة جمركية، إضافة إلى المراكز البريدية.

الطريق الرابط بين ضفتي البحر الأحمر الغربية والشرقية وهو يرتبط مع طريق الحجاج العابر لنهر النيل والمتجه من القاهرة إلى مدينة قوص ، وبعد أن يعبر الحجاج الطريق الصحراوي الواصل إلى موانئ عيذاب والقصير تقطع المجاز الفاصل بين ضفتي البحر الأحمر ، وكانت مراكب الحجاج تشحن من موانئ عيذاب والقصير وتحط في مينائي ينبع ميناء المدينة المنورة، وميناء جدة فرضة مكة المكرمة، وعملية النقل تتم بواسطة سفن ومراكب بإشراف السلطات في مصر والنوبة.

معابر الحجاج المغاربة في حوض البحر الأحمر:

استغلت العديد من الموانئ و المراسي لخروج مراكب الحجاج المغاربة ، لاستكمال مراحل رحلتهم إلى الحرمين الشريفين، ومن أهم هذه المعابر:

ميناء الطور:

وصفت بإنها مدينة صغيرة تجلب إليها الفواكه والغلال من سيناء[38]، يتميز ميناؤها بكثرة مراسيه البرية، مما جعله مقصدا للسفن المحملة بسلع بلاد الشرق الأقصى، ومثلت في ذات مركز لتجمع الحجاج من بلاد المغرب الإسلامي، ومنه ابتدأ ابن خلدون رحلته إلى الحرمين الشريفين، ولكن بعد الهجوم البرتغالي على الميناء سنة 948هـ/ 1541م بقيادة القائد إستفيان دي جاما Stephan de Gama، أمر السلطان العثماني سليمان القانوني سنة 951هـ/ 1544م بنقل النشاط التجاري إلى ميناء السويس[39].

ميناء السويس:

برز دور الميناء التجاري بعد انهيار ميناء الطور في منتصف القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، وكان مركزا للتبادل التجاري بين مصر و الجزيرة العربية، كما استغل ليكون قاعدة حربية بحرية في العهد المملوكي والعثماني لمواجهة تغلغل النفوذ البرتغالي في المنطقة، ولذلك فقد كانت عادة تنقل التجارة إلى ميناء الطور، ولكن بعد هجوم البرتغاليين عام 948هـ/ 1541م على الطور وتخريبه انتقلت الحركة التجارية إلى ميناء السويس، وأضحى الميناء مقصد السفن التجارية الآتية من بلاد الحجاز في مواسم الحج. وللدور البارز للميناء في نقل الحجاج فقد انشئت به قلعة كبيرة لمراقبة الحدود الشرقية لمصر ولتكون الميناء مركزا لتجمع قوافل الحجاج من مصر وبلاد المغرب[40]، وكان الميناء يقدم خدمة تزويد الحجاج بالسلع والمؤن والماء، كما كان أمير الحاج يرسل ذخائره ومؤنه على ظهور الإبل من القاهرة إلى السويس ثم بالسفن الحربية إلى جدة[41].

ميناء القصير:

يقع ميناء القصير شمال ميناء عيذاب وهو يعد أقرب موانئ البحر الأحمر إلى بر الحجاز، يبعد عن قوص مسافة أربعة أو خمسة أيام [42]، كانت للميناء أهمية اقتصادية كبيرة ، فقد توافدت عليه السفن التجارية القادمة من مينائي عدن، وجدة ، وبعد دخول العثمانيين للمنطقة ارتبط القصير بميناء الطور، ولكن قلت حركة النقل البحري بعد استغلال ميناء السويس في النصف الثاني من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، ثم عادت الحركة داخل القصير مرة أخرى في أواخر القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي عندما سيطر الأمراء المماليك على جمرك السويس، وكان القصير مركزا لتجمع الحجاج المغاربة والمصريين حتى تحول الطريق على السويس-العقبة، الذي استخدم كطريق رئيسي بعد حملات السلطان الظاهر بيبرس على بلاد الشام وزوال الخطر الصليبي من المنطقة سنة 666هـ/1267م. ومن ميناء القصير خرج المغربي ابن عابد الفاسي سنة 991هـ/1583م في رحلته إلى الحج وبلاد حضرموت[43]

ميناء عيذاب

تقع جبال عيذاب في أقصى جنوب الصحراء الشرقية لجمهورية مصر العربية على البحر الأحمر، وعلى بُعد 24 كيلو مترًا شمالي مدينة حلايب، وهي تعرف أيضاً باسم عيذاب، ويقال إن عيذاب هو اسم نوع من الأعشاب باللغة البجاوية ينمو بكثرة في منطقة عيذاب، كان أهم ميناء مزدهر يربط مصر

بموانئ اليمن مع الهند والبحر الأبيض المتوسط، وظل أهم موانئ الحجاج إلى مكة لمدة أربعة قرون من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر الميلادي، وخاصة بعد أن أغلق الصليبيون الحج عن طريق الشام [44].

كان ميناء عيذاب ابتداء من القرن الخامس الهجري إلى القرن الثامن الميناء الأخير الذي يربط مع اليمن وبلاد الهند، وكان يمثل أهمية كبرى، لكنه لم يلبث أن خُرّب عام 829هـ/1426م وتولى مكانته ميناء سواكن. وكان على عامل مصر القيام بطلب الأرزاق، وعلى عامل البجا حمايتها من الحبشة.

ويتم فيها تحصل المكوس على ما في السفن الوافدة من الحبشة وزنجبار واليمن، ومنها تنقل البضاعة على الإبل إلى أسوان، ومن هنالك تنقل بالسفن إلى مصر في النيل، وعلى يمين عيذاب ناحية القبلة جبل من خلفه صحراء عظيمة، بها مراع واسعة وخلق كثيرون يسمون البجا، يشتغلون بتربية ماشيتهم، ليس في مدينة عيذاب الصغيرة غير ماء المطر، فلا بئر فيها ولا عين، فإذا لم تمطر السماء، أحضر البجا الماء وباعوه .

وقال التجيبي الذي مرّ بعيذاب قبل ابن بطوطة بنحو ثلاثين سنة: « إنها ليست مدينة كبيرة وأهلها من قوم البجة ، وأكثر بيوتها مبنية بالأخصاص، وفيها بيوت مبنية بالجص خاصة بتجار المدينة المدعوّون بالأكارم[45].

وفي عهده لم يتصل بالمدينة عمران من جهة الصحراء حيث قال» وإنما سكنت من أجل مرساها الجيد الذي يكن من الأرياح، وهو مرسى كثير الحطّ والإقلاع، يقصده أرباب السفن من عدن وغيرها بالبضائع الهندية»[46].

وبهذه البلدة عامل من قبل ملك الديار المصرية والشامية وآخر من قبل ملك البجاة الساكن بجزيرة سواكن يقتسمان جبايتها نصفين[47].

وفي رحلة ابن بطوطة على طريق الصعيد لم يتيسر الحج منها بسبب الحرب القائمة في المنطقة بين المماليك والبجاة ، حيث اضطر للعودة وسلك درب حجاج الشام..

فبعد خروجه من مدينة العطواني بصعيد مصر في737هـ/ 1377 م قال: «سرنا خمسة عشر يوماً وصلنا إلى مدينة عيذاب، وهي مدينة كبيرة كثيرة الحوت واللبن، ويحمل إليها الزرع والتمر من صعيد مصر. وأهلها البجاة ، وهم سود الألوان يلتحفون بملاحف صفراء، ويشدون على رؤوسهم عصائب يكون عرض العصابة أصبعاً وهم لا يورثون البنات. وطعامهم ألبان الإبل ويركبون المهاري، ويسمونها الصهب. وثلث المدينة للملك الناصر وثلثاها لملك البجاة، وهو يعرف بالحدربي» [48].

وعندما وصل إلى عيذاب «وجدنا الحدربي سلطان البجاة يحارب الأتراك، وقد خرق المراكب، وهرب الترك أمامه فتعذر سفرنا في البحر، فبعنا ما كنا أعددناه من الزاد، وعدنا مع العرب الذين اكترينا الجمال منهم إلى صعيد مصر»[49].

وبعد خروجه من رأس دواير في أقصى الساحل الجنوبي لمصر قادماً من جدة: وبعد مسيرة تسعة أيام من رأس دواير، وصلنا إلى عيذاب وكان قد تقدم إليها بعض الرفقة، فتلقانا أهلها بالخبز والتمر والماء وأقمنا بها أياماً واكترينا الجمال وخرجنا صحبة طائفة من عرب دغيم[50].

وفي حجة ناصر خسرو عام 440هـ/ 1048م، مر بمدينة عيذاب وذكر أن تعداد سكانها يبلغ 500 ، وبها مسجد جامع وفيها تحصل المكوس على ما في السفن الوافدة من الحبشة وزنجبار واليمن، ومنها تنقل البضائع على الإبل إلى أسوان[51].

طيلة قرون عديدة تعرضت عيذاب للكثير من الهجمات، وخاصة من مستوطني الصحراء الشرقية قبائل البدو «البجا»، فكانوا يغيرون علي المدينة ويسلبون بضائعها ويسرقون أهلها، ففي عام 521هـ/ 1118م هاجم «قاسم بن أبي هاشم» حاكم مكة المدينة، واستولي على البضائع المخزونة به، وقد هدد «الأفضل» حاكم مصر الأيوبي بالانتقام بهجمة تبدأ قواتها من عيذاب وتنتهي في جدة.

وفي عام671هـ/ 1272م قام الملك النوبي «داود» بحملة ضخمة علي المدينة وقتل واليها وقاضيها قبل أن يعود إلى دنقلا مصطحبًا معه عددا كبيرًا من الأسري، وكان من نتيجتها قيام الظاهر «بيبرس» بحملة علي بلاد النوبة.

وفي عام829هـ/ 1426م قام السلطان «برسباي» بتدمير عيذاب، والغريب أن هذه الحادثة لم تُسجل في أي كتاب كتبه مؤرخ عربي باستثناء ما كتبه الحسن الوزان «ليو الإفريقي».[52]

. أقام ابن جبير بالاسكندرية مدة ثم ذهب للقاهرة، وتجول بمصر مسافراً إلى الجنوب عبر نهر النيل حتى مدينة قوص بمحافظة المنيا الحالية، ومنها رحل شرقاً إلى ميناء عيذاب على ساحل البحر الأحمر، ومنه عبر منه البحر الأحمر حتى مدينة جدة، وكتب عن أهوال البحر الأحمر الذي كاد يعصف بسفينته، ومكث في جدة أسبوعاً، اشتكى من أميرها مكثر بن عيسى، الذي يطلب المكوس رغم تحذيرات صلاح الدين الأيوبي وتعويضاته. ومن جدة، ركب قافلة حملته إلى مكة، فوصل إليها بعد قرابة 6 أشهر من خروجه من الأندلس.

وذكر المقريزي في كتابه «المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار» 849هـ/ 1445 م أن: «عيذاب مدينة على ساحل بحر جدة، وهي غير مسورة، أكثر بيوتها أخصاص، وفيها مستحدث بالحصى، كانت عيذاب من أحفل مراسي الدنيا، بسبب أن مراكب الهند واليمن تحط فيها البضائع، وتقلع مع مراكب الحجاج الصادرة والواردة، ولما انقطع ورود مراكب الهند واليمن إليها، صارت المرسى العظيمة عدن من بلاد اليمن، وعيذاب صحراء لا نبات فيها، وكل ما يؤكل بها مجلوب إليها حتى الماء، وكان لأهلها على الحجاج والتجار فوائد لا تحصى، وكان لهم على كل حمل دقيق يحمله الحجاج ضريبة مقررة، في بحر عيذاب مغاص على اللؤلؤ في جزائر على مقربة منها، وأكثر هلاك الحجاج بهذا المرسى، ومنهم من تساعده الريح فتحطه بمرسى عيذاب»، كما ذكر أن حجاج مصر والمغرب أقاموا زيادة عن مائتي سنة لا يتجهون إلى مكة إلا من صحراء عيذاب، وأن هذا في الفترة ما بين 450 ه وحتى 660 ه الموافق 1058م حتى 1261م.[53]

لمدينة عيذاب أهمية دينية أخري، تتمثل في نقل كسوة الكعبة، ففي عهد الفاطميين، كانت تمر كسوة الكعبة من خلال مراكب من القاهرة فى نهر النيل، وصولاً إلى مدينة قوص جنوب مدينة قنا، ثم يتم حمل كسوة الكعبة على هوادج الجمال، وتسلك طريقها فى الصحراء متوجهة لميناء عيذاب، ثم يتم تحميلها على المراكب وتسلك طريقها فى البحر متوجهة إلى بلاد الحرم المكى، واستمر ذلك الوضع حتى عهد المماليك، إلا أنها كانت تبحر للأراضي المقدسة من ميناء القصير القديم[54].إلا أنها تعرضت لهجمات صليبية من قبل حاكم مدينة الكرك (أرناط).

ميناء سواكن:

حاليا هي مدينة سودانية فيها ميناء وجزيرة تطل على البحر الأحمر وتبعد عن العاصمة الخرطوم 560 كيلومترا ومساحتها 20 كيلومترا مربعا وترتفع عن سطح البحر 66 مترا ، وهي على بعد 12 ميلاً شمال حلايب، بين درجة 22-20 شمالاً و 32-36 -شرقاً.

كان اسم سواكن، يطلق في البداية على الجزيرة فقط وتوسع ليشمل مدينة سواكن الحالية، وتعتبر في وقتنا المعاصر الميناء الثاني في السودان تتمتع بأهمية استراتيجية فهي أقرب موانئ السودان لميناء جدة السعودي، واستخدمها الحجاج قديما في طريقهم إلى مكة.

ورد ذكر جزيرة سواكن في مؤلفات الرحالة العرب مثل ابن بطوطة، ووصفها بأنها»جزيرة كبيرة تقع على نحو ستة أميال من البر، ولا ماء بها

ولا زرع ولا شجر، والماء يجلب إليها في القوارب، وفيها صهاريج يجتمع بها ماء المطر».[55] وتنتج الجزيرة اللحوم و الألبان ومشتقاتها، إلى جانب زراعة نوع من الذرة يسمى عندهم (الجرجور) ، وذكر أن هذه السلع كانت تصدر إلى مدينة مكة المكرمة.[56]

موانئ الضفة الشرقية/ الحجاز:

ميناء ينبع:

يعد ميناء ينبع الميناء الرئيسي المدينة المنورة، يبعد عنها قرابة مئتين وثمانين كيلومترا،وقد عرفت ينبع كميناء مهم منذ عهد الإغريق حيث كانت تموّن السفن الشراعية المارة بالبحر الأحمر وقد اشتهرت بموقعها على طريق القوافل المتجهة إلى الشام، وبرزت أهميته بعد تحول حركة الملاحة إليه من ميناء الجار، في العصر الأيوبي، ففي سنة 621هـ/ 1223م، أضحى ميناء المدينة المنورة، بعد أن أشترى السلطان الكامل الأيوبي (615-635هـ/1218-1237م) قلعة ينبع على ساحل المدينة المنورة من الحسينيين بأربعة آلاف مثقال، ثم استردها الأشراف منه سنة 638هـ/ 1240م..[57] واستمر هذا الدور حتى عهد الدولة العثمانية حين جرى توسيع الميناء وبناء مخازن الحبوب والتي تعرف بـ «الشونة» لاستقبال مخصصات المدينة المنورة من الحبوب، إلى أن غدت ينبع في بداية القرن الثالث عشر الهجري ميناء تجاريا نشطا يعج بعشرات الوكالات التجارية لاستقبال وتصدير البضائع. وقد زارها الرحالة الإيطالي باديا في سنة 1807 وذكر أن ميناءها جيد لأن الفرقطات الكبيرة تستطيع الإبحار فيه، إلا أن مدخله صعب نتيجة وجود صخور «[58]

ميناء جدة:

اكتسبت جدة أهمية تجارية كبيرة فهي أحد الموانئ الرئيسة لحركة التجارة البحرية، ومعبر لوفود الحجاج القادمين من الديار المصرية وبلاد المغرب الإسلامي. وذكر الحموي: « بينها وبين مكة ثلاث ليال»ّ، قدرها البعض بيوم[59]، وقدرت بالفراسخ اثنا عشر فرسخا،[60] ولهذا فهي مرفأ مكة الطبيعي استقرت بها قبيلة قضاعة التي تنسب إلى ولد جدة بن حزم بن الحاف بن قضاعةّ فسمي المكان بجدة [61]. وذكر العياشي الذي زارها في القرن الحادي عشر الهجري بأنها مدينة كبيرة ممتدة مع ساحل البحر نحو ميلين في كلا طرفيها حصار(حصن) متقن البناء فيه مدافع كثيرة وعسكره لايفارقه...وفي مرساها سفن كثيرة كبارا وصغارا»[62].وصف ميناءها بأنه مملوء بالمراكب البحرية التي أتت إلى هذا الثغر حتى أسود وجه البحر لكثرتها، ويحيط بجدة سور.. وهي مركز تجاري لعموم الحجاز منها صادراتها، وإليها

وارداتها، وتجارتها الرئيسة في الحبوب خصوصا ووصف في نفس الوقت نظافة شوارعها، وحرص ساكنيها على " كنسها وتنظيفها، وفي الطريق بينها وبين مكة المكرمة، تنتشر المرافق المختلفة، من مقاهي وحانات وغيرها، اعتمدت استراحات للحجيج المارين عبر هذه المسالك.وفي القرن التاسع عشر الميلادي زار الرحالة الأسباني دومينجو باديا[63] في عام 1807م ميناء جدة متخفيا في صورة حاج مسلم تحت اسم (على باي العباسي)، وبعد رحلة انطلقت من ميناء السويس في 23/ ديسمبر/1806م، وصل جدة في 13/ يناير/ 1807م، ووصفها بقوله» جدة مدينة جميلة، شوارعها نظيفة،ومنازلها مستحسنة مكونة من طابقين، ومبنية كلها بالحجر بطريقة متينة... والمدينة محاطة بسور جميل، توجد به أبراج متفاوتة وغير منتظمة...»[64]

ميناء الجار:

هو ميناء المدينة المنورة يقع شمال ميناء جدة بالقرب من ينبع الحالية وكانت ترسو به السفن القادمة من مصر[65]. وهو من الموانئ التاريخية والأثرية يقع على البحر الأحمر على بعد حوالي 10كم شمال بلدة الرايس بالقرب من ينبع شمال غرب المملكة، ويعود تاريخ ميناء الجار لفترة تسبق العصر الإسلامي، وكان الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أول من اتخذ الجار ميناء رسميًا للمدينة، وكان الميناء يستقبل المواد الغذائية المرسلة من مصر الى المدينة المنورة، لذلك عد الجار أهم موانئ البحر الأحمر خلال القرون الخمسة الأولى من الهجرة.

المويلح:

كان من مراسي الحجاج المغاربة، وقد شاهد العياشي في رحلته الحركة بميناء المويلح الذي كان ينزل به الحجاج العابرين بين مصر والحجاز عبر بحر القلزم (البحر الأحمر)، وذكر في وصفه هذا سعر السفر للراكب الواحد بسبعة قروش ونصف من مصر إلى المويلح[66].

خدمات الحجاج المغاربة :

تمتعت قوافل الحجاج بالعديد من الخدمات االلازمة لمواصلة الرحلة إلى الحرمين الشريفين ومن بين هذه الخدمات، توفير وسائل النقل سواء البرية أو البحرية، وعمليات شحن الأمتعة والإجراءات الجمركية المرافقة لها، إضافة إلى الخدمات الصحية المتخذة في حال انتشار الأوبئة، وتوفير خدمة البريد إلى جانب متابعة الحالة الأمنية للطرق والموانئ ، وإرسال حملات عسكرية لمراقبة

الطـرق وحراسـة الموانـئ، والتصـدي لأي حمـلات تهـدد أمـن لحجاج.وقـد نـال ركاب الحجـاج المغاربـة حظـا وافـرا مـن الاهتمـام ، وتتمثـل هـذه التسـهيلات في تزويـد قوافـل الحجـاج بالمؤونـة ، وتجهيـز قـوات لمرافقـة حركـة تنقـل الحجـاج عـبر الـدروب البريـة والبحريـة، كمـا كانـت تراقـب بصـورة مبـاشرة ودوريـة المشـاكل التـي يتعـرض لهـا الحجـاج المغاربـة في المنافـذ البريـة والبحريـة. وانعكـس ذلـك جليـا في أخبـار وحـوادث موسـم الحـج وطريـق الحجـاج في كتـب الحوليـات[67].

وسائل النقل:

وفي هـذا الجانـب نجـد كتـب الرحـلات المغربيـة تسـجل لنـا تفاصيـل دقيقـة عـن عمليـة النقـل، والمراكـب المسـتعملة ، كمـا أنهـا زودتنـا بمعلومـات وافيـة عـن تقنيـة صناعـة المراكـب التـي تسـتخدم لنقـل الحـاج بـين ضفتـي البحـر الأحمـر، فقـد وصفـت بأنهـا مراكـب صغـيرة غـير محكمـة الصنعـة وشراعهـا في الغالـب مصنـوع مـن الحصـير [68] .

وذكـر ابـن جبـير أن الخشـب المسـتخدم في صناعـة المراكـب مسـتورد مـن الهنـد أو اليمـن، وممـا اسـتدعى دهشـة الحجـاج المغاربـة أنـه لم تسـتعمل المسـامير في بنـاء المراكـب، بـل كانـت تخيـط أخشـاب الجـلاب بحبـال مصنوعـة مـن قشـور جـوز النارجيـل ويسـمى (القنبـار).

أمـا مراحـل عمليـة البنـاء فوصفـت على لسـان ابـن جبـير، في قولـه: « والجلاب التـي يُصرفونهـا في هـذا البحـر الفرعونـي ملفقَـة الإنشـاء لا يُسـتعمل فيهـا مسـمار البتـة، إنمـا هـي مخيطـة بأمـراس مـن القنبـار، وهـو قـشر جـوز النارجيل يدرسـونه إلى أن يتخيـط، ويفتلـون منـه أمراسـا يخيطـون بهـا المراكـب، ويخللونهـا بـدُسر مـن عيـدان النخـل، فـإذا فرغـوا مـن إنشـاء الجلبـة عـلى هـذه الصفـة سـقوها بالسـمن، أو بدهـن الخـروع، أو بدهـن القـرش وهـو أحسـنها ومقصدهـم في دهـان هـذه الجلبـة ليلـين عودهـا ويرطـب لكثـرة الشـعاب المعترضـة في هـذا البحـر، ولذلـك لا يصرفـون فيـه المركـب المسـماري» [69] و الأشرعـة تصنـع مـن خـوص شـجر المقـل،.[70]

أمـا التجيبـي فيصـف عمليـة صناعـة المراكـب بإسـتفاضة ويقـول في رحلتـه:» ومراكـب هـذا البحـر بجملتهـا غايـة مـن ضعـف البنيـة، وصـورة إنشـائها أنهـم يركّبـون الألـواح بعضهـا عـلى بعض،ويصلـون بينهـا بالجـزر الماسـكة لذلـك عـلى صـورة القرقـوز، ثـم يخرزونهـا بالقتبـار، وهـو ليـف يكـون عـلى الرانـج، وهـو الجـوز الهنـدي، يذبـغ ذلـك الليـف إلى أن يتخيـط ثـم يـدرس، فتفتـل منـه حبـال فالخشـن منهـا للمـراسي ونحوهـا يدعونهـا بالطوانـس،... والرقـاق مـن الحبـال المذكـورة لشـد ألـواح المراكـب المذكـورة دون مسـمار، وإنمـا يخللَونهـا

بـدسر مـن عيـدان النخيـل، وهـو القنبـار يصلـح في المـاء المالـح، فـإذا أصابـه المـاء الحلـو أفسـده، فـإذا أكمـل ذلـك بـأسره جلطوهـا بدهـن متخـذ مـن بعـض حيتـان البحـر ودقـاق اللبـان. وقيعـان المراكـب عـراض يصنعونهـا مـن قطعـة واحـدة، ثـم ينشـئون عليهـا تمـام المراكـب كمـا ذكـرت، وشرع هـذه المراكـب كلَهـا مـن حـصر منسـوجة مـن خـوص شـجر المقـل، وإذا أشـجنها الربـان زاد عـلى ألواحهـا نحـو مـن ثلاثـة أشـبار في الارتفـاع مـن حـصر تـردَ المـوج بزعمـه... وربمـا يكـون الدفـل وهـو عـود الـشراع المدعـو بالصـاري في بعـض مراكبهـم الصغـار مـن قصبـة مـن قصـب الهند..وبالجملـة فـلا ينبغـي لأحـد أن يركـب في مركـب مـن هـذه المراكـب مختـارا لمـا يلقـى مـن غررهـا وخطرهـا لضعـف بنيتهـا، وكثـرة الازدحـام بها».[71] وعندمـا زار العيـاشي ميناء جـدة في حجتـه عـام 1069هـ/ 1661م، تعجـب مـن صناعـة المراكـب ووصفهـا بقولـه» وفي مرسـاها سـفن كثـيرة كبـارا وصغـارا، وغالبهـا معمول بالشريـط صنعـة عجيبـة ليـس فيهـا مسـمار وهـى مـع ذلـك كبـيرة المقـدار، متباينة الأقطـار، واسـعة النحـاء تحمـل أضعـاف مـا يحمـل غيرهـا مـن السـفن»[(72)].

شحن أمتعة الحجاج:

رافقـت رحـلات الحجـاج عمليـات لشـحن أمتعتهـم ، وهـي تخضـع لترتيبات خاصـة حـال وصولهـم للقاهـرة حتـى دخولهـم للحرمـين الشريفـين، ولأجـل ذلـك أنشـئت نقابـات خاصـة للحمالـين انتـشرت في القاهـرة يتعاقـد فيهـا الحـاج المغربـي عـلى أجـرة نقـل أمتعتـه مـن القاهـرة إلى مدينـة قـوص في أولى مراحـل رحلتـه بـراً أو بحـراً عـبر نهـر النيـل، وبعـد وصولهـم إلى صحـراء عيـذاب كانـت قبائـل البـدو مـن الأعـراب تتـولى هـذه المهمـة، وتنقـل الأمتعـة مـن قـوص إلى ميناء عيـذاب، وقـد شـاهد الرحالـة المغاربـة العـدد الكبـير مـن الحمالـين الموجوديـن في هـذه المناطـق[(73)]، وبعـد وصولهـم إلى ميناء عيـذاب كانـت عمليـة الشـحن تتـم عـلى متـن المراكـب لعبـور المجـاز الفاصـل بـين ضفتـي البحـر الأحمـر.

واجـه الحجـاج المغاربـة صعوبـات أثنـاء عمليـات الشـحن والنقـل بـين الموانـئ، ففـي ميناء عيـذاب كان الحجـاج يحملـون في المراكـب بطريقـة غـير مقبولة، وصفهـا ابـن جبـير في رحلتـه سـنة 579هـ/1183م، فقـد كان أصحـاب المراكـب والسـفن في ميناء عيـذاب منهـم يتحكمـون بـه في رقـاب الحجيـج في البحـر، فقـد كانـوا يكدسـونهم في المراكـب تكديسـا طلبـا للربـح السريـع والوفـير عـلى حسـاب راحـة الحجـاج، ويقـول ابـن جبـير في ذلـك: «ولأهـل عيـذاب في الحُجّـاج أحـكام الطواغيـت، وذلـك أنهـم يشـحنون بهـم الجـلاب (المراكـب) حتـى يجلـس بعضهـم عـلى بعـض وتعـود بهـم كأنهـا أقفـاص الدجـاج المملـوءة، يحمـل أهلهـا عـلى ذلـك

الحرص والرغبة في الكراء حتى يستوفي صاحب الجلبة منهم ثمنها في طريق واحدة» [74]. وفي رحلة ابن عابد الفاسي سنة 991هـ/1583م يصف رحلتهم من ميناء القصير» اجتمعنا من كل فج عميق نحو سبعين وركبنا في خمسة مراكب صغار فرقونا بينهم أهل المراكب للتبرك، وكل واحد من الحجاج والذين ركبوا معنا من غير الحجاج زادهم معهم إلا أنا فإن زادي على صاحب المركب للتبرك بي وحسن ظنه «[75].

المعاملات الجمركية:

كانت الإجراءات الجمركية من أبرز مظاهر الخدمات المقدمة لحجاج المغرب، ففي هذه المكاتب كان بتم تسجيل أسماء الحجاج، والمعلومات الخاصة بمرافقيهم، والمتاع الخاصة بهم في سجلات خاصة، وبناء عليه كانت تحدد قيمة المكوس المفروضة، والتي تتفاوت بين فترة وأخرى تبعا للعديد من العوامل السياسية، والاقتصادية الخاصة بمعابر الحجاج، والجدير بالتنويه هنا أن هذه المعاملات كانت سببا في تذمر أغلب الحجاج المارين بهذه المعابر.

أما رسوم دخول الحجاج لبلاد الحرمين فقد نالت قدرا من اهتمام ملوك الدول الإسلامية، فخصصت مبالغ مالية ومساعدات مادية سنويا ، كانت تصل إلى ولاة الحرمين قبل موسم الحج، هذه الهبات كانت تفد من مصر، وبلاد المغرب، واليمن، أما في حال تأخر وصول هذه المساعدات كانت تفرض مكوس باهضة على الحجاج في الموانئ لكي يسمح لهم بالعبور، وقد تتخذ ضدهم إجراءات قاسية في حال عدم امتلاكهم القيمة المفروضة[76].

وذكر المقريزي واصفا قيمة المساعدات السنوية المخصصة من مصر أنه في كل سنة « تسافر فيها القافلة مائة ألف وعشرين ألف دينار، ومنها ثمن الطيب، والحلواء، والشمع راتبا في كل سنة عشرة آلالاف دينار، ومنها نفقة الوفد الواصلين إلى الحضرة أربعون ألف دينار ومنها في ثمن الحمايات والصدقات وأجرة الجمال، ومعونة من يسير من العسكرية وكبير الموسم وخدم القافلة وحفر الآبار وغير ذلك ستون ألفا «[77].

ولعل من أهم الإصلاحات الملحة التخفيف من قيمة المكوس المفروضة على الحجاج، بما فيهم حجاج بلاد المغرب الإسلامي، وفي حجة ابن جبير وعند وصوله إلى جدة أشار إلى شدة وطأة المكوس المفروضة على الحجاج المغاربة، وذكر أنه لم يسمح لهم بالخروج من المدينة بسبب تأخر وصول الأموال والمعونات المخصصة لهم من والي مصر والشام السلطان صلاح الدين الأيوبي، « فمتى أبطأت عنهم تلك الوظيفة المترتبة لهم عاد هذا الأمير إلى

ترويـع الحـاج وإظهـار تثقيفهـم بسـبب المكـوس، وأتفـق لنـا مـن ذلـك أن وصلنـا جُـدة، فأمسـكنا بهـا خـلال مـا خوطـب مكثـر الأمـير المذكـور فـورد أمـره أن يضمن الحـاج بعضهـم بعضـا ويدخلـوا إلى حـرم اللـه، فـإن ورد المـال والطعـام اللـذان برسـمه مـن قبـل صـلاح الديـن، وإلا فهـو لا يـترك مالـه قَبِـل الحـاج»[78].

« كان الرسم بمكة أن يؤخذ من حجاج المغرب على عدد الرؤوس، بما ينسب إلى الضرائب والمكوس، ومن دخل منهم ولم يفعل ذلك حُبس (مُنع) حتى يفوته الوقوف بعرفة، ولو كان فقيرا لا يملك شيئا» [79].وبعد معاناة استمرت عشرات السنوات بفرض هذه الضريبة على الحجاج، ومعاناة الفقراء منهم «رأى السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب إسقاط ذلك، ويعوض عنه أمير مكة، فقرّر معه أن يحمل إليه في كل عام مبلغ ثمانية آلاف أردب قمح إلى ساحل جدة، ووقف على ذلك وقوفا، وخلّد بها إلى قيام الساعة معروفا، فانبسطت لذلك النفوس، وزاد السرور، وزال البؤس، وصار يرسل أيضا للمجاورين بالحرمين من الفقهاء والشرفاء [80].

الخدمات الصحية:

عنـد الحديـث عـن الخدمـات الصحيـة فهـي تتركـز فيمـا يتخـد مـن تدابـير صحيـة في مراكـز تجمـع الحجـاج المغاربـة في حـوض البحـر الأحمـر، وهـي تتمثـل في اجـراءات الكشـف الصحـي للحجـاج ، والحجـر الصحـي في مراكـز خاصـة عرفـت باسـم (الكرنتينـه) الكرنطينـة[81] هـي محاجـر صحيـة وقائيـة مغلقـة ينـزل بهـا ركاب السـفن التجاريـة خاصـة الحجـاج لمـدة أربعـين يومـا، يخضعـون أثناءهـا إلى مراقبـة وفحـص الأطبـاء وذلـك بعـزل الموبوئـين إن وجـدوا مـن بينهـم، منعـا لتفـشي العـدوى بـين الـركاب أو سـكان المـدن المـراسي .

ومـن أهـم مراكـز الحجـر الصحـي في حـوض البحـر الأحمـر محجـر الطـور الـذي أسـس في عـام 1275م/ 1858م أثنـاء حكـم والي مـصر محمـد سـعيد باشـا واسـتكمل في عهـد الخديـوي محمـد توفيـق باشـا (-1296 1309هـ/ 1879-1892م) لكنـه لـم يجهـز بالنظـام الحديـث والمعـدات الطبيـة إلا في عـام 1311هـ/ 1893م مـن حكـم خديـوي مـصر عبـاس حلمـي الثانـي بـأشراف الدكتـور روفـز رئيـس مجلـس الصحـة البحريـة والكورنتيـات بمـصر، وقيـل أنـه منـذ عـام 1866م ألزمـت جميـع السـفن التـي كانـت تحمـل الحجـاج بالذهـاب إلى مينـاء الطـور في القيـام بوظيفـة الحجـر الصحـي حتـى النصـف الأول مـن القـرن التاسـع الهجـري.

تحـول مركـز الصدقـة المصريـة للحجـاز إلى مـكان للحجـر للوافديـن مـن وإلى القصـير. بعـد أن كان مخصصـاً لجمـع الغـلال التابعـة. ويقـول: أن الغـلال كانـت تُنقـل للشـونة –مـكان متسـع لجمـع وتخزيـن المحاصيـل الزراعيـة- مـن الصعيـد لتحملهـا السـفن إلى الحجـاز، كمـا كانـت تُجمـع فيهـا المـواد الغذائيـة التـي

تحتاجها جيوش إبراهيم باشا التي هاجمت الحركة الوهابية في عصر محمد علي. وقد فقدت الشونة وظيفتها بسبب تحوّل طريق الحج للسويس وإنشاء خط سكة حديد القاهرة – السويس نهاية القرن التاسع عشر، لتتحول إلى محجر صحي لعدة أسباب، منها مساحتها الواسعة وحمايتها بالأسوار، وكان المبنى الخارجي للشونة غير منتظم الأضلاع، يبلغ طول ضلعه 73 متراً وتحيطه أسوار ارتفاعها ستة أمتار وسماكتها 80 سنتيمتراً، واستُخدمت مساحته المكشوفة لعزل المرضى.. وفي عصر والي مصر سعيد باشا كان مبنى الكرنتينه التابع للشونة ملحقاً بحوش صغير فيه حجرتان إحداهما صغيرة والأخرى كبيرة تطل على الحوش، ويغطيها سقف من أفلاق النخيل وعروق خشبية مبلطة بطبقة من الإسمنت القديمة، وكان مبنى لإدارة المحجر والكشف على المرضى وإعطائهم الأمصال، وملحق به مسجد تم تأسيسه في مطلع كانون الثاني/ يناير عام 1935، ويتميز بلوحة منبره التي تحمل أسماء مؤسسيه كالعمدة ومأمور البلد وخمسة مشايخ. وتكشف وثيقة تعود لعام 1858، أن المحجر خُصّص لاستقبال 87 مريضاً من الفقراء الذين كانوا يسمون بلغة ذلك العصر "المقاطيع"، وتوفير ما تتطلبه إقامتهم من مؤن واحتياجات، وعند خروجهم كانت تُصرف لهم من المؤن والبقسماط، بينما عينت الحكومة حراساً لحماية الأطباء والممرضين والمرضى من اعتداءات اللصوص ولتوصيل الحجاج إلى بئر عنبر.[82]

كما أشار كبير الآثاريين في وزارة الآثار مجدي شاكر إنشاء المحجر الصحي في القصير، مبيناً أن محمد علي أصدر أمراً بعد ظهوره لوكيل الجهادية، وهو ما يعادل وكيل وزارة الدفاع حالياً، بإيفاد متخصصين بـ"الكرنتينه" لوقاية أهل القصير، وأقام حجراً على الحجاج خوفاً من انتقال العدوى عبرهم.

وقد خضع الحجاج المغاربة لإجراءات المحاجر الصحية في أوقات انتشار الأوبئة وكشفت لنا تدويناتهم ومشاهداتهم لنا الخطوات المتبعة في الكشف الصحي، ووسائل التعقيم وشروط الحجر وظروفه، إلا إنهم هاجموا المحاجر

ونعتها البعض بأنها بدعة غريبة عن التقاليد الإسلامية حسب تصورهم، ولم يدلوا بأي نص يزكي موقفهم هذا، بما فيهم المؤرخ العلامة أحمد الناصري السلوي الذي أصدر في نهاية القرن التاسع عشر فتوى مطولة بتحريم الكرنتينة وعلاقة الموت بالقضاء والقدر، وجاء في كتابه الاستقصاء أن مصالح الكرنتينه غير محققة عكس مفاسدها[83] .

وكمثال على ذلك نذكر الحادثة التي وقعت في كرنتينة بجبل الطور رواها الحاج أحمد معنينو في رحلته الحجازية ، ومفادها أن الحجاج بعد أن علموا وهم في الباخرة التي نقلتهم من مرسى جدة إلى بيروت بوفاة حاجين من جراء مرض الوباء «دخلنا الرعب وبقينا ننتظر ماذا سيقع، ولما بلغت الباخرة جبل الطور الشهير، وهو عبارة عن جزيرة صغيرة داخل المياه المصرية طلع الأطباء المكلفون بالمحجر الصحي، وأمرنا بالنزول للإقامة بهذه الجزيرة ثلاثة أيام تحت الرقابة الصحية الوقائية، أنزلنا جماعات ببيوت صحية نظيفة لكنها بدون فراش ولا غطاء، مع تبخير الحقائب والاغتسال بمياه ممزوجة بأدوية كريهة الرائحة خانقة لا تحتمل، لكن ماذا عسانا أن نفعل ليس لنا إلا الامتثال والطاعة، أخذت منا الجوازات، وفي المساء أحضر بعض الأعوان طاسات مرقمة مع الأسماء الشخصية لكل واحد منا، وطلب منا ونحن في اندهاش واستغراب أن يضع كل واحد في طاسته شيئا من البراز حالا وبدون حشمة وحياء! لم نقبل هذه المعاملة الوحشية وطلبنا من أصدقائنا عدم الامتثال وألقينا بالطاسات وسط الفناء فتبعنا القوم وحصلت شبه مظاهرة انزعج منها الأعوان، حضر على إثرها الأطباء إلى غرفتنا التي انطلقت منها المعارضة لهذه المعاملة البعيدة عن أبسط قواعد الإنسانية، وبعد أخذ ورد... اعتذر الأطباء وقبل الجميع إجراء الفحص بطريقة محتشمة مراعاة لشعور الحجاج إلى انتهت مدة المحجر بسلام بما لها وما عليها.»[84]

مصاعب الحجاج المغاربة في عبور البحر الأحمر:

واجهت الحجاج العديد من المصاعب عند الابحار في البحر الأحمر سواء في الرحلة الآتية من الشمال من مينائي الطور والسويس أو تلك التي تقطع البحر عبورا من شواطئ البحر الأحمر الغربية إلى سواحل بلاد الحجاز، فقد وصفت الرحلة بالمهلكة بسبب صعوبة الملاحة البحرية به، والسبب الرئيسي هو كثرة الشعاب المرجانية ، والصخور وهذا العائق كان يجبر البحارة على السفر نهار والرسو ليلا عند أقرب يابسة يصلون إليها، كما إنهم يحتاطون بالإبحار بمحاذاة الشواطىء حتى يتفادوا هلاك المسافرين في حالة تحطم المراكب[85].

ففي رحلة الذهاب للحج لابن خلدون سنة 789هـ/1387م، استغرقت شهرا من ميناء الطور إلى الينبع، وفي طريق العودة اضطر للبقاء مقيما بينبع خمسين يوما بسبب سوء حالة الأنواء البحرية، وأثناء رحلتهم في البحر اعترضتهم العواصف ولذلك غيروا مسار المركب باتجاه الساحل الغربي، ونزلوا بميناء القصير، وأكملوا السفر عن طريق البر إلى مدينة قوص، ومنها عبر نهر النيل إلى مدينة القاهرة[86].

كما أن قطع المجاز بين مينائي عيذاب وجدة كانت تعترضه أخطار حركة الأنواء البحرية، فقد ذكر التجيبي سنة 695هـ/1298م أنهم فشلوا في الوصول إلى ميناء جدة الواقع على الضفة المقابلة لثلاث مرات متتالية [87] ،وقطعوا مسافة مائتي ميل التي تفصل عيذاب عن جدة في أربعة وعشرين يوما [88]. وعند حديثه عن مرسى الجدير القريب من عيذاب أشار التجيبي إلى مغبة الإحرام منه كما يفعل بعض الحجاج لأن الرحلة البحرية غير مأمونة وروى أن بعض الحجاج ظل محرما منه لمدة عام لأنه لم يتمكن من الإبحار.[89]

أما ابن جبير سنة 579هـ/ 1183م فقد قضي ثمانية أيام لعبور المجاز وعلل ذلك بسبب سوء حالة المركب، وكثرة الشُعب المرجانية. وتقلب حركة الأنواء البحرية واضطروا للرسو بإحدى الجزر القريبة من ميناء جدة، حتى وصلوا إلى البر، وبعد الإستراحة انتظارا لهدوء العواصف أكملوا طريقهم نحو جدة[90]. وقد لخص ابن جبير الصعوبات في رحلتهم من عيذاب إلى جدة في قوله: « ... من هول ما عايناه في تلك الثمانية الأيام طول مقامنا على البحر، وكانت أهولا شتى ... فمنها ماكان يطرأ من البحر، واختلاف رياحه وكثرة شعابه المعترضة فيه، ومنها ماكان يطرأ من ضعف عدة المركب واختلالها واقتصامها المرة بعد المرة عند رفع الشراع أو حطه، أو جذب مرساة من مراسيه، وربما سنحت الجلبة بأسفلها على شعب من تلك الشعاب أثناء تخللها فتسمع هدّا يؤذن باليأس فكنا فيها نموت مرارا ونحيا مراراً»[91].

وفي رحلة ابن عابد الفاسي من مكة إلى اليمن سنة 992هـ/1584م ذكر أن المركب بعد خروجه من جدة واجه طوفان كبير وأشرف الركاب على الهلاك، فاضطر المركب إلى الرسو بجازان[92].

واشار جوزيف بتس (الحاج يوسف) سنة 1091هـ/ 1680م أن رحلتهم من ميناء السويس إلى ميناء جدة قد استغرقت شهرا، منبه إلى مخاطر الصخور على المراكب بقوله: « والإبحار في البحر الأحمر غير آمن ليلا ...وذلك بسبب كثرة الصخور التي ما نكاد ننتهي من رؤية بعضها حتى نرى بعضها الآخر وأحيانا تكون قريبة من السطح حتى يمكنك إلقاء حصاة

عليها وبعض هذه الصخور أضخم من غيرها ، وبعضها يبدو كجزيرة، وبعضها يبرز بالفعل فوق سطح الماء، وبعضها تحت سطح الماء بقليل ولذا كنا نرسو كل مساء باتجاه الريح لصخرة أو آخرى» [93].

كما عانت المراكب من خطر الدومات البحرية فقد أشار جوزيف بتس(الحاج يوسف) إلى كثرتها بعد مجاوزة ميناء الطور، « ويقولون أنه مكان خطر جدا حتى إذا لم تهب عواصف هوجاء وذلك لوجود نوع من الدومات البحرية تبتلع السفن»[94].

وفي رحلة الزياني سنة 1169هـ/1756م ذكر أن المركب بعد خروجه من ميناء السويس تحطم بالقرب من ميناء ينبع، وضاعت كل حمولتهم وممتلكاتهم في البحر[95].

ومن بين المصاعب التي واجهت حجاج المغرب الإسلامي هو خوفهم من السفر بحرا، لم يألفوا السفر عبر البحر، فكان أغلبهم يختار الطريق البري، حتى حجاج بلاد الأندلس كانوا يعبرون مجازا جبل طارق ثم يكملون طريقهم برا،[96] قال ابن بطوطة سنة 725هـ/ 1325م في رحلته للعودة من الحجاز إلى الديار المصرية عن طريق البحر الأحمر» ثم ركبنا البحر من جدة في مركب يسمونه الجلبة، وكان لرشيد الدين الألفي اليمني الحبشي الأصل، وركب الشريف ابن أبي نمي في جلبة آخرى، ورغب مني أن أكون معه فلم أفعل لكونه كان معه في جلبته الجمال فخفت من ذلك، ولم أكن ركبت البحر قبلها وكان هنالك جملة من أهل اليمن قد جعلوا زوادتهم وأمتعتهم في الجلب وهم متأهبون للسفر»[97].

وأخيرا، مما سبق نرى أن الدور الذي لعبه البحر الأحمر لخدمة حجاج بلاد المغرب الإسلامي دعمته المكانة التي مثلها البحر الأحمر في حركة التجارة الدولية،و ساهمت كذلك الأحداث السياسية في المنطقة إلى اختيار طريق البحر الأحمر لأنه كان الخيار الآمن للحجاج، بيد أن للظروف الطبيعية المتمثلة في مخاطر حركة الملاحة في البحر، إضافة إلى المشاكل الأمنية المتكررة وعجز السلطات عن القضاء عليها نهائيا، قد دفع بسلاطين مصر إلى العمل على استعادة سيطرتهم على الطريق البري عبر سيناء، وبذلك ضعف دور البحر الأحمر، واندثرت موانئ ومدن كانت في مرحلة ما من مراكز العبور الدولية.

المصادر والمراجع

(1) أبو الحسن محمد بن احمد الكنانى البلنسي المعروف بابن جبير (614هـ/1217م): رحلة ابن جبير المعروفة بـ رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك، دار مكتبة الهلال، بيروت 1981م ، ص 40؛ القاسم بن يوسف السبتي التيجبي: مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق واعداد عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا- تونس، 1395هـ/ 1975م،ص 173.

(2) للمزيد أنظر: أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق محمد عبد المنعم العريان، راجعه وعدّ فهراسه مصطفى القصّاص، دار إحياء العلوم، بيروت، 1407هـ/ 1987م ، ص34-38.

(3) حمد العيّاش بن الحسن اليوسي، رحلة اليوسي، تحقيق أحمد الباهي، بيت الحمكة، قرطاج، 2018م، ص 68.

(4) عبد الله محمد بن محمد العبدري الحيحي (ت 700هـ/1300م): الرحلة المغربية، تحقيق محمد الفاسي، جامعة محمد الخامس، الرباط 1968م. ص 22.

(5) 4محمد العيّاش بن الحسن اليوسي، رحلة اليوسي، تحقيق أحمد الباهي، بيت الحمكة، قرطاج، 2018م، ص 68.

(6) بن الطيب: الرحلة الحجازية، حققها وقدم لها نور الدين شوبد، دار السويدي للنشر والتوزيع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2014م، ص 203، 298.

(7) الحسين بن محمدالورثيلاني: الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، ج1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1429هـ/ 2008م، ص 21.

(8) عبد الله بن محمد العياشي: الرحلة العياشية، تحقيق سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، 2006م. ج1، ص30.

(9) أحمد أبو ناصر الدرعي : الرحلة الناصرية، حققها وقدم لها عبد الحفيظ ملوكي، دار سويدي النشر والتوزيع، أبو ظبي، 2001، ص 83.

(10) محمد بن عبد السلام الناصري:الرحلة الناصرية الكبرى، جزآن، دراسة وتحقيق المهدي الغالي، أبي الرقراق للطباعة والنشر، 2013م، ص 73.

(11) أبي عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي، الرحلة الحجازية، ضبط وتعليق عبد الهادي لمدبر، دار المان، الرباط، 1432هـ/ 2011م، ص 76.

(12) محمد بن أحمد القيسي المعروف بابن مليح السراج: أنس الساري والسارب من أقطار المغارب إلى منتهى الآمال و المآرب سيد الأعاجم و الأعارب، حققه محمد الفاسي،1388عـ/ 1938م ، ص29.

(13) عدد المصعبي مراحل الطريق في رحلته في قصيدة ألفية مكونة من 221 بيتاً. المصعبي: رحلة المصعبي، تحقيق، يحي بن بهوان حاج امحمد، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007م، ص69-106.

(14) عمرو عبد العزيز منير، آخر مخطوط لرحلة البشير البرثلي إلى الحرمين الشريفين رحلة فريدة في مسارها وقيمتها العلمية، مجلة الحج والعمرة، ع 853، وزارة الحج والعمرة، رجب 1437، ص 70-92.

(15) تقع على ضفة البحر، وهو بحر الزقاق الداخل من المحيط، وهي طرف من الأرض داخل إلى الشرق ضيق جداً والبحر محيط بها شرقاً وشمالاً وقبلة. البكري: المسالك، ج2، ص 779.

(16) بنيت على يد جماعة من التجار الأندلسيين سنة 290هـ/ 903م لملائمة طبيعة ساحلها لتكون مرسى، وهو من المراسي الكبيرة، تحيط به الجبال ولهذا فإن دخول السفن إليه، ورسوها غالبا ما يكون آمن من العواصف. البكري: المسالك، ج2، ص 738؛ ابن حوقل: صورة الأرض، ص 79؛ الحميري: الروض المعطار، ص 932.

(17) هنين مدينة بحرية محصنة بها مرسى جيد. البكري: المصدر السابق، ج2، ص750.

(18) البكري: المسالك، ج2، ص738.

(19) البلوي: تاج المفرق، ص 194-200.

(20) البكري، المسالك، ج2، ص254-261.

(21) روى البلوي قصة اضطرار مركبه للرسو بمرسي على ساحل برقة لمرتين، ورجوعه براً لمدينة الإسكندرية، تاج البلوي، ص173، 174؛ وقد اعطى الإدريسي بيانات عن مقدار المسافة من الإسكندرية إلى سرت بحراً. للمزيد أنظر: الأدريسي نزهة المشتاق، ص318 – 319.

(22) ربيعة المداح، تنظيمات طرق الحج المغربي منذ نهاية دولة الموحدين وحتى سقوط دولة بني مرين، رسالة دكتوراه غير منشورة، تحت إشراف د. محمد عيسى الحريري،جامعة المنصورة، جمهورية مصر العربية، 2018م.

(23) الرحلة، ص 95.

(24) الورثيلاني: الرحلة، ج1، ص 209.

(25) بيّن ابن العطّار منازل الحج الشريف، ص 3-13؛ للمزيد أنظر سامي عبد المالك: درب الحاج المصري همزة وصل غرب العالم الإسلامي بالحرمين الشريفين، ص 1-400.

(26) هو: القاسم بن يوسف بن محمد بن علي التجيبي السبتي، ولّد سنة 670هـ/ 1271 م ونشأ بها، وتعلم القرآن، قام برحلته إلى بلاد المشرق. مخلوف: شجرة النور، ج 1، ص208.

(27) عباس حلمي، الرحلة الحجازية، تحقيق محمد لبيب البيتوني، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1437هـ/ 2006م، ص 105.

(28) التجيبي. المصدر السابق، ص 206، 208.

(29) العمايرة. خالد محمد سالم: موانئ البحر الأحمر وأثرها في تجارة المماليك، دارة الملك فهد بن عبد العزيز، الرياض، 1427هـ، ص 62-68.

(30) طور وصفت بإنها مدينة صغيرة ذات ميناء، جوزيف بتس ،رحلة الحاج يوسف، ص 41.

(31) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي: رحلة ابن خلدون،عارضها محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1425هـ، 2004م، ص 209، 210.

(32) جوزيف بتس، رحلة الحاج يوسف،ص 44.

(33) أبو القاسم الزياني، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براَ وبحراَ، حققه وعلق عليه عبد الكريم الفيلالي، دار نشر المعرفة، الرباط، 1412هـ/ 1991م، ص 58.

(34) العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج3، ص 179.

(35) ربيعة المداح، الرحلة الأندلسية إلى بلاد المشرق: رحلتا ابن جبير والبلوي نموذجاَ، ابحاث المؤتمر الدولي الحضارة الإسلامية في الأندلس، ج1، مركز دراسات الحضارة الإسلامية،مكتبة الأسكندرية، ، 2020م، ص 493.

(36) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، القاهرة، 1303هـ ج2، ص -11 184.

(37) هو: السلطان الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحي، تولى حكم مصر في سنة 658 هـ / 1259م، وتوفي سنة 676هـ / 1277م. ابن تغري بردي الأتابكي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق، د. إبراهيم طرخان، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1383هـ/ 1963م، ج7، ص 94 – 200.

(38) العمايرة: موانئ البحر الأحمر وأثرها في تجارة المماليك، ص 357. الدوسري، حمساء بنت حبيش: العلاقات بين مصر والحجاز 923-1003هـ/ 1517-1594م، دارة الملك فهد بن عبد العزيز، الرياض، 1431هـ، ص111 – 122.

(39) رحلة الحاج يوسف، ص41.

(40) عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الأنصاري الجزيزي، الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة،تحقيق محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت،1422هـ/ 2002م. ج1، ص 358-359.

(41) سافر الحاج يوسف من ميناء السويس ووصل لميناء الطور بعد رحلة يومين أو ثلاثة، للمزيد أنظر رحلة الحاج يوسف، ص 41.

(42) حمساء الدوسري، العلاقات بين مصر و الحجاز ، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 1431هـ، ص 89.

(43) ابن سعيد: بسط الأرض، ص 163؛ أبو الفداء: تقويم البلدان، ص 23، 111؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج3، ص536.

(44) يوسف بن عابد بن محمد الحسيني الفاسي المغربي، رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب إلى حضر موت، تحقيق إبراهيم السامرائي، عبد الله محمد الحبشي، دار الغرب الإسلامي،بيروت، 1993م، ص 101.

(45) أحمد بن على المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج2، 1987م، ص 252.

(46) التجيبي،مستفاذ الرحلة والاغتراب، ص 205.

(47) التجيبي، مستفاذ الرحلة و الإغتراب، ص 206

(48) التجيبي، مستفاذ الرحلة والإغتراب، ص 206.

(49) ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار، ص 43.

(50) ابن بطوطة ، تحفة النظار في غرائب الأمصار، ص 43

(51) ابن بطوطة، تحفة النظار في غرائب الامصار،ص 191.

(52) ناصر خسرو، سفرنامه، ص133.

(53) الحسن الوزان،وصف أفريقيا، تحقيق محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1938م، ج2، ص 569

(54) المقريزي، الخطط المقريزية، ج2، ص 252.

(55) المصدر نفسه.

(56) ابن بطوطة، الرحلة، ص 191.

(57) ابن بطوطة، الرحلة، ص 191.

(58) المقريزي، المواعظ، ج2، ص 252.

(59) عبدالحفيظ حمان، الحجاز في مطلع القرن التاسع عشر، ندوة الرحلة بين الشرق والغرب، ص 256.

(60) رحلة الحاج يوسف، ص 44.

(61) ناصر خسرو علوي، سفر نامه، ترجمة يحي الخشاب، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة، ط2، 1993م، ص 137.

(62) أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج2 ،دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت، ص ص114، 115.

(63) العياشي: ماء الموائد، ج2، ص 154.

(64) بدأت أوروبا في اكتشاف الجزيرة العربية بواسطة العديد من المسكتشفين في مقدمتهم الرحالة الإيطالي لودوفيكو دي فارطيما Ludovico di Vartheme , له رحلات في مصر وسوريا و الجزيرة العربية وإيران والهند وأثيوبيا ابتدأ من سنة 1503م وزار مكة المكرمة والمدينة المنورة، وطبع كتابه في أيطاليا بروما سنة 1510م، و1517 وفي البندقية سنوات 1518م، 1535م، 1563م، وترجم للغة الفرنسية ونشر سنة 1556م، على يد لويس طونبرال Louis Temporal, تحت عنوان Voyages de Loys Vaartherma. أما الترجمة الإنجليزية ظهرت سنة 1576 1577-م، ومن بين الرحالة كذلك، جوزيف بتس J.Pitts الذي كان أول رحالة إنجليزي يزور الحرمين ونشر كتابه في القرن الثامن عشر تحت عنوان

(65) A. faithful Account Of the Religion and Manners of Mahometans وفي القرن السابع عشر أرسل ملك الدنمارك فرديدريك الخامس بعثة إلى الجزيرة العربية مكونة من سبعة أشخاص، من كارستن نيبور Karsten Niebuhr ، ونشره باللمانية سنة1772م، وبالفرنسية سنة 1724م، 1780مـ وبالإنجليزية سنة 1792م.

(66) أنظر H.R Kiernan: Napoleon et le Maroc , dans Revue Hebdoma-daira,n,16-8, Avril 1908.

(67) عبد الحفيظ حمان، الحجازفي مطلع القرن التاسع عشر، من خلال رحلة دومينجو باديا(على باي العباسي)، ندوة الرحلة بين الشرق والغرب، دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2003، ص -231 272.

(68) أبو عبيد الله، المسالك والممالك، 139، العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ج3، ص 179.

(69) أبو سالم عبد الله العياشي، الرحلة العياشة، حققها وقدم لها سعد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، الامارات العربية المتحدة، ط2006،ص 323 .

(70) عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، عجائب الأثار في التراجم والأخبار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1997م، ص 89.

(71) عباس حلمي، الرحلة الحجازية، ص 106.

(72) ابن جبير، الرحلة، ص 49.

(73) المصدر نفسه، ص 49.

(74) التجيبي، مستفاد الرحلة و الاغتراب، ص 207-208.

(75) العياشي، ماء الموائد، ج2/ 154.

(76) التيجبي، مستفاد الرحلة والاغتراب، 159.

(77) ابن جبير، الرحلة، ص 50

(78) يوسف بن عابد، رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب إلى حضرموت، ص 101.

(79) المقري، أبو العباس أحمد المقري، رحلة المقري إلى المغرب و المشرق، تحقيق محمد بن معمر، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، 1425هـ/ 2004م، ص 233-234.

(80) الجبرتي، عجائب الآثار، ج2، ص 49

(81) ابن جبير، الرحلة، ص45

(82) عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي المعروف بأبي شامة، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ/ 2002م، ص357.

(83) ابن جبير، الرحلة، ص 45.

(84) اشتقت كلمة محجر صحي "كرانتينا"، أُخذت من كلمة 40 يوماً بالإيطالية، وهي المدة التي استخدمتها إيطاليا للحجر في البندقية حين انتشر وباء عام 1348.

(85) سيد مصطفى: كيف استحدثت المحاجر العربية في القرن التاسع عشر،

(86) http://awajelpress.com/%D9%83%D9%8A%D9%81-%D8%A7%D8%B3%D8%AA%D9%8F%D8%AD%D8%AF%D8%AB%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%AD%D8%A7%D8%AC%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%AD%D9%8A-%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D9%81

(87) السلاوي، أحمد بن خالد الناصري السلاوي، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق وتعليق جعفر الناصري،محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ/1997م، ج1، ص 544.

(88) نشرت الرحلة في اعداد من جريدة السعادة في عام 1930 .

(89) جوزيف بتس، الرحلة ص44 .

(90) ابن خلدون، الرحلة، ص -209 210.

(91) الرحلة، ص 208.

(92) التجيبي: الرحلة، ص 218.

(93) المصدر نفسه,

(94) ابن جبير، الرحلة، ص 52.
(95) ابن جبير، الرحلة، ص 50.
(96) يوسف بن عابد، رحلة ابن عابد الفاسي من المغرب إلى حضرموت، ص 102.
(97) رحلة الحاج يوسف، ص 43.
(98) رحلة الحاج يوسف، ص 42.
(99) الزياني، الترجمانة الكبرى، ص 59.
(100) إبراهيم حركات، المغاربة والبحر ، Conception, Compogravure et Flashage Quadrichromie, Imprimerie, OKAD 1998.
(101) ابن بطوطة، تحفة النظار، ص 190.

المصادر و المراجع:

أولاً- المخطوطات:

(1) ابن العطار. محب الدين محمد بن شمس الدين محمد بن أحمد البكري الوفائي (ت حوالي 840هـ/1437م): منازل الحج الشريف، جامعة الملك سعود، قسم المخطوطات، جغرافية المملكة العربية السعودية، الرياض، رقم 5602.
(2) اليوسي. أبو الحسن (ت 1102هـ/1690م): رحلة اليوسي، الخزانة الملكية بالرباط، رقم مخ خ ح 2393 http://rihlamaroc.blogspot.com.eg.

ثانيا المصادر:

(1) الأصطخري. أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي (ت في النصف الأول من القرن الرابع الهجري): المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر، مراجعة محمد شفيق غربال، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الجمهورية العربية المتحدة 1961م.
(2) الإدريسي. أبو عبد الله محمد بن محمد الحمودي الحسني (ت 548 هـ/1153م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/ 2002م.
(3) ابن إياس. محمد بن أحمد (ت 930هـ/ 1523م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1404هـ/ 1984م.
(4) ابن بطوطة. أبو عبد الله محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي (ت770هـ /1368م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقيق محمد عبد المنعم العريان، راجعه وعدّ فهراسه مصطفى القصّاص، دار إحياء العلوم، بيروت، 1407هـ/ 1987م.
(5) البكري. أبو عبيد الله عبد العزيز بن محمد (ت 487هـ/1094م): المسالك والممالك، حققه وقدم له ادريان فان ليوفن، اندري فيري، الدار العربية للكتاب، المؤسسة الوطنية للترجمة وللتحقيق التراث، بيت الحكمة، تونس 1992م.
(6) البلوي. خالد بن عيسى (ت قبل 680هـ/1281م): تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، حققه وقدم له محمد السائح، جزآن، مطبعة محمد الخامس الثقافية والجامعية، المغرب، 1970م.

(7) التيجبي. القاسم بن يوسف السبتي (ت 730هـ/ 1392م): مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق واعداد عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا-تونس، 1395هـ/ 1975م.

(8) الجبرتي. عبد الرحمن بن حسن (1237هـ / 1825م): عجائب الأثار في التراجم والأخبار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1997م.

(9) الجزيري. عبد القادر بن محمد بن عبد القادر الأنصاري (ت 977هـ): الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة،تحقيق محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت،1422هـ/ 2002م.

(10) ابن جبير. أبو الحسن محمد بن احمد الكنانى البلنسي (614هـ/1217م): رحلة ابن جبير المعروفة بـ رسالة اعتبار الناسك في ذكر الآثار الكريمة والمناسك، دار مكتبة الهلال، بيروت 1981م.

(11) الحضيكي. أبو عبد الله محمد بن أحمد الحضيكي السوسي (ت 1189هـ/1775م): الرحلة الحجازية، ضبط وتعليق عبد العالي لمدبر، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرباط، 1432هـ/ 2011م.

(12) الحموي. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ/1228م): معجم البلدان، سبعة أجزاء، تحقيق فريد عبد العزيز الجلدي، دار الكتب العلمية، بيروت 1410 هـ/1995م.

(13) الحميري. محمد عبد المنعم (727هـ/ 1327م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1948م.

(14) ابن حوقل. أبو القاسم محمد النصيبي (ت تقريبا بعد عام 379هـ/989م): صورة الأرض، دار مكتبة الحياة، بيروت 1992م.

(15) ابن خلدون. عبد الرحمن بن محمد(ت808هـ/1406م): رحلة ابن خلدون، مراجعة محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004م.

(16) ابن رشيد السبتي. أبو عبد الله محمد بن عمر بن رشيد الفهري (ت 721هـ/1321م): ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، ج2، تحقيق وتقديم محمد الحبيب بالخوجة، الدار التونسية للنشر، تونس، 1982م.

(17) ------: ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة، ج3، تحقيق وتقديم محمد الحبيب بالخوجة، الشركة التونسية للتوزيع، 1981م.

(18) -------: ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجيهة إلى

الحرمين مكة وطيبة، ج5، تحقيق وتقديم محمد الحبيب بالخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988م.

(19) ------ : ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة في الوجهة الوجهية إلى الحرمين مكة وطيبة، ج7، تقديم وتعليق أحمد حدادي، مطبعة الجسور، وجدة،2012م.

(20) . الزهري. أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت حوالي عام 550هـ/1155م): كتاب الجغرافيا، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1970م.

(21) السراج.محمد بن أحمد القيسي ابن مليح الشهير بالسراج الملقب ببن مليح: آنس الساري والسارب من أقطار المغاربإلى منتى الأمال والمآرب سيد الأعاجم والأعارب، فاس 1968م.

(22) ابن سعيد المغربي. أبو الحسن على بن موسى (ت 685هـ/ 1286م): بسط الأرض في الطول والعرض، تحقيق خوان قرنيط خنينس، معهد مولاي الحسن، تطوان، 1958م.

(23) السلاوي.أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: الاستقصاء في الأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري، محمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ/1993م.

(24) أبو شامة. عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي المعروف بأبي شامة (ت 665هـ)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ/ 2002م.

(25) العبدري. أبو محمد عبد الله محمد بن محمد الحيحي (ت 700هـ/1300م): الرحلة المغربية، تحقيق محمد الفاسي، جامعة محمد الخامس، الرباط 1968م.

(26) ---: رحلة العبدري، حققها وقدم لها علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين، دمشق، ط2، 2005م.

(27) ابن العتيق. ماء العينين: الرحلة المعينينة (1938م)، تحقيق محمد الظريف، دار سويدي للنشر والتوزيع-المؤسسة العربية للدراسات والنشر، أبو ظبي-بيروت، 2004م.

(28) العمري. ابن فضل الله شهاب الدين أحمد بن يحي (ت 749هـ/1348م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق حمزة أحمد عباس وآخرون، المجمع الثقافي، أبو ظبى1423هـ/2002م.

(29) العياشي. عبد الله بن محمد (ت 1090هـ/ 1679م): الرحلة العياشية، جزآن، حققها وقدم لها، سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو

ظبي، 2006م.
(30) الغرناطي. أبو حامد محمد بن عبد الرحيم الأندلسي (ت 565هـ/1169م): تحفة الألباب ونخبة الأعجاب، تحقيق إسماعيل العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المملكة المغربية 1413هـ/1993م.
(31) الفاسي. أبو عبد الله محمد بن الطيب الشرقي (ت 1110هـ/ 1170م) الرحلة الحجازية، حققها وقدم لها نور الدين شوبد، دار السويدي للنشر والتوزيع، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2014م.
(32) أبو الفداء. عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت732هـ/1331م): تقويم البلدان، دار صادر، طبعة صادرة عن نسخة باريس التي صدرت عام 1815م، بيروت (د-ت).
(33) القلصادي. أبي الحسن الأندلسي (ت 891هـ/1486م) رحلة القلصادي، دراسة وتحقيق ممد أبو الأجفان، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1978م.
(34) مؤلف مجهول (كان حياً عام 588هـ/1192م): الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد، مطبعة جامعة الإسكندرية 1958م.
(35) مخلوف. محمد بن محمد بن عمر بن قاسم (ت 1360هـ/ 1914م): شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، خرج حواشيه وعلق عليه عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية بيروت، 1424هـ/ 2002م.
(36) المصعبي. إبراهيم بن بحمان بن أبي محمد بن عبد الله ابن عبد العزيز الثميني اليسجني (ت 1232هـ/ 1817م): رحلة المصعبي، تحقيق، يحي بن بهوان حاج امحمد، وزارة الثقافة، الجزائر 2007م.
(37) المقدسي. شمس الدين أبو عبد الله محمد المعروف بالبشاري (370هـ/990م) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991م.
(38) ابن ناصر. أبو العباس أحمد الدرعي (1129هـ/1717م): الرحلة الناصرية، حققها وقدم لها عبد الحفيظ ملوكي، دار سويدي النشر والتوزيع، أبو ظبي، 2001.
(39) الناصري. أبو عبد الله محمد بن عبد السلام (ت 1239هـ/ 1820م): الرحلة الناصرية الكبرى، جزآن، دراسة وتحقيق المهدي الغالي، أبي الرقراق للطباعة والنشر، 2013م.
(40) الورثيلاني. الحسين بن محمد (ت1193هـ/ 1779م): الرحلة الورثيلانية الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، مجلدان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1429هـ/ 2008م.
(41) الوزان. الحسن بن محمد الفاسي (ت 960هـ/1552م): وصف إفريقيا، ترجمة

محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983م.
(42) الولاتي. محمد بن يحي بن محمد المختار (ت 1330هـ/1912م): الرحلة الحجازية، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت،1990م.
(43) اليوسي، محمد العيّاش بن الحسن، رحلة اليوسي، تحقيق أحمد الباهي، بيت الحمكة، قرطاج، 2018م.

ثالثاً: المراجع العربية والمعربة:

(1) التازي. عبدالهادي: رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة، جزآن، مراجعة عباس صالح طاشكندي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، الرياض، 1426هـ/ 2005م.
(2) الجعماطي. عبد السلام: تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار بالغرب الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2012م.
(3) حدادي. أحمد: رحلة ابن رشيد السبتي أبي عبد الله محمد بن عمر دراسة وتحليل، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1424هـ/2003 م.
(4) حركات. إبراهيم: المغاربة والبحرConception, Compogravure et Flashage Quadrichromie Imprimerie, OKAD 1998..
(5) حمام. محمد وآخرون: الرحلة بين الشرق والعرب، تنسيق محمد حمام، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2003م.
(6) الدوسري. حمساء بنت حبيش: العلاقات بين مصر والحجاز 923-1003هـ/ 1517-1594م، دارة الملك فهد بن عبد العزيز، الرياض، 1431هـ.
(7) العمايرة. خالد سالم: موانئ البحر الأحمر وأثرها في تجارة دولة المماليك (648-927هـ/ 1250-1517م)، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، 1327هـ.

خامساً- المؤتمرات والندوات العلمية:

(1) الجحمة. نايف عبد العزيز: صورة ديوان الجمرك المصري من خلال الرحلات المغربية والأندلسية، ندوة الرحلة بين الشرق والغرب اتصال أم انفصال، تنسيق محمد حمام، مطبعة النجاح الأولى، الدار البيضاء،2003م.

(2) حمان. عبد الحفيظ: الحجاز في مطلع القرن التاسع عشرمن خلال رحلة دمينجو باديا(على باي العباسي)، ندوة الرحلة بين الشرق و الغرب اتصال أم انفصال، تنسيق محمد حمام، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2003م.

(3) مالك. سامي: درب الحاج المصري همزة وصل غرب العالم الإسلامي بالحرمين الشريفين – دراسة آثارية تاريخية، جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي المملكة العربية السعودية، الندوة العلمية الكبرى بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية لعام 1426هـ/ 2005م، جامعة أم القرى 13-15/ 5/ 1426هـ الموافق 17-19/ 9/ 2005م.

(4) المداح. ربيعة: الرحلة الأندلسية إلى المشرق رحلتا ابن جبير والبلوي نموذجاً،أبحاث مؤتمر حضارة بلاد الأندلس، مركزدراسات الحضارة الإسلامية، مكتبة الأسكندرية، 2020م.

الصراع الدولي وأثره على تحول تجارة طريق اللبَان صوب البحر الأحمر

أ. د.عبد الله أبو الغيث

أ. التاريخ القديم وحضارته-

جامعة صنعاء- اليمن

المستخلص

هذا البحث عبارة عن تتبع للعوامل الداخلية والخارجية التي أحاطت بطريق اللبان الدولي، الذي كان يربط بين عالميّ المحيط الهندي والبحر المتوسط عبر غرب الجزيرة العربية، وأدت في نهاية المطاف إلى تحول معظم تجارته إلى طريق البحر الأحمر، وذلك مع بداية العصر الميلادي، بعد أن ظل لطريق البخور شنة ورنة طوال الألفين الثاني والأول قبل الميلاد،. مع التطرق للنتائج التي ترتبت على ذلك التحول، سواء ببعدها السلبي على بعض المناطق أو ببعدها الإيجابي على مناطق أخرى. وهو ما سوف نفصله في ثنايا البحث.

Abstract:

This research is a trace of the internal and external factors that surrounded the international Frankincense and incense route which used to connected the countries of the Indian Ocean and the Mediterranean Sea across the Western Arabian Island.These factors eventually led to the shift of most of the Frankincense and incense route trade to the Red Sea route by the beginning of the CE, after the Frankincense and incense route has remained a great reputation throughout the second and first millennium Bc.Addressing the consequences of this shift, whether its negative dimension to some regions or its positive dimension to others.

المقدمة:

سنعمل من خلال هذا البحث على تتبع طريق اللبان التجاري الدولي منذ نشوئه حتى توقفه في نهاية المطاف، بعد تحول الكثير من تجارته التي تأتي من خارج جزيرة العرب صوب الطريق البحرية في البحر الأحمر، ووراثة طريق الإيلاف لما تبقى من تجارته البرية، خصوصاً بعد أن تمكن الأحباش من اكتساح اليمن في مطلع القرن السادس الميلادي والقضاء على دولة حمـيّر، وبالتالي سقوط الحضارة اليمنية القديمة السابقة للعصر الإسلامي. وسنسلط الضوء على الصراع الدولي بين الشرق والغرب الذي برز بدرجة أساسية

ابتداءً باكتساح الاسكندر المقدوني للشرق في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد، واستمراره حتى ظهور الإسلام وقيام الدولة الإسلامية الناشئة التي تمكنت من القضاء على دولة الفرس الساسانية، ودحر دولة الروم البيزنطية من سواحل البحر المتوسط الشرقية والجنوبية وحصرها في عاصمتها القسطنطينية وما جاورها من أراضي البلقان وشرق أوروبا. وذلك نظراً للدور الذي لعبه ذلك الصراع من تأثير سلبي على طريق اللبان الدولي وتحول تجارته الخارجية صوب طريق البحر الأحمر. وسنتطرق كذلك للصراع الذي دار بين الأحباش والدول العربية القديمة التي سادت في الجزيرة العربية؛ خصوصاً في قسمها الجنوبي، والذي مثل في بعض وجوهه انعكاسا لذلك الصراع الدولي الذي كان قائماً بين الفُرس من جهة والدول القادمة من أوروبا من جهة أخرى؛ بداية بالإسكندر المقدوني، ونهاية بالدولة البيزنطية.

وقد قسمنا البحث إلى تسعة عناوين، تسبقها مقدمة وتنتهي بخاتمة، على النحو التالي:

- نشوء طريق اللبان.
- محطات طريق اللبان وبضائعه.
- المنافسة البطلمية واكتشاف حركة الرياح الموسمية.
- الحملة الرومانية على جنوب جزيرة العرب.
- التدخل الحبشي الأول في جزيرة العرب وصلته بالرومان.
- الحملات السبئية والحميّرية صوب شمال الجزيرة.
- سقوط الحضارة اليمنية القديمة على يد الأحباش.
- نشوء طريق الإيلاف على أنقاض شبكة طريق اللبان.
- امتداد النفوذ الفارسي إلى جنوب الجزيرة العربية.

نشوء طريق اللبان:

طريق اللبان (يعرف أيضا بطريق البخور) هي تسمية أطلقها المؤرخون على طريق التجارة الدولي الذي ربط بين عالم المحيط الهندي من جهة وعالم البحر المتوسط من جهة أخرى، وذلك نسبة لسلعة اللبان التي كانت أشهر السلع التي تنقل عبر هذا الطريق، إلى جانب سلع أخرى سواء ذات منشأ عربي مثل المُر والصمغ العربي، أو ذات منشأ غير عربي مثل القرفة والفلفل وأنواع التوابل وغيرها من البضائع التي سنأتي على ذكرها لاحقاً. وإطلاق تسمية طريق اللبان على هذا الطريق تأتي أسوة بإطلاق تسمية طريق الحرير على طريق التجارة الدولي الآخر الذي كان يمتد من الصين إلى سواحل البحر المتوسط نسبة لسلعة الحرير التي كانت أهم السلع التي يتم نقلها عبر ذلك الطريق. علماً بأن المحيط الهندي والبحر المتوسط كانا يعدان أهم مسطحين مائيين في العالم القديم، وذلك قبل أن يتم اكتشاف

العالم الجديد وبروز أهمية المحيطين الأطلسي والهادي، من غير أن يعني ذلك فقدان المحيط الهندي والبحر المتوسط لأهميتهما واستمرارها حتى اليوم[1].

ويربط المؤرخون نشوء تجارة طريق اللبان باستئناس الجمل، وذلك لتعذر وجود مثل هذا الطريق شبه الصحراوي دون دابة قادرة على حمل الأثقال وتحمل العطش كالجمل[2]. لكنهم يختلفون حول الزمن الذي تم فيه استئناس الجمل، حيث يرجعه بعضهم إلى حوالي القرن الثالث عشر قبل الميلاد[3]. بينما يرى آخرون – وفقاً للمكتشفات الحديثة – أن الجمل قد تم استئناسه تدريجياً ابتداءً من الألف الثالث قبل الميلاد في جنوب شرق جزيرة العرب، وكان الرعاة الرُحّل يربونه من أجل لبنه وصوفه، وفي بداية الألف الثاني قبل الميلاد تم استخدامه للحمل، حيث فاق أداء الحمير التي كانت تستخدم لنقل البضائع في ذلك الحين، وقد أتاح تحمل الجمل للعطش وسرعة تنقله وتكوينه الجسماني باجتياز مسافات كبيرة عبر السهول الوعرة في الجزيرة العربية، وبات بالإمكان المباشرة بعمليات عبور طويلة للمناطق القاحلة التي كان يتعذر اجتيازها حتى ذلك الحين، مع توسيع المحطات الضرورية للراحة[4]. ويدلل البعض على استئناس الجمل في زمن مبكر على شواهد أثرية وجدت في بلاد الرافدين وتعود إلى مطلع الألف الثاني قبل الميلاد[5]. وتشير المصادر إلى اختفاء ذكر بلاد ماجان (عُمان) من نصوص بلاد الرافدين ابتداء من تاريخ 1800 ق.م رغم توارد ذكرها لديهم قبل ذلك كونها كانت تقع على طريق سفنهم المتجهة صوب بلاد السند، وذلك يؤكد تحول الطريق التجاري مع الهند من الخليج العربي إلى طريق اللبان، خصوصاً أن هناك شواهد تثبت أن طريق اللبان البرية صارت حقيقة واقعة في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد[6].

وورد في التوراة بأن «جمال مدين كانت كالرمل على شاطئ البحر في الكثرة» (سفر القضاة 12/7)، وأنهم قد استخدموها في نقل البضائع السبئية إلى بلاد الشام ومصر (سفر أشعياء 6/60). وذكرت التوراة أيضاً أن الذين التقطوا النبي يوسف عليه السلام من البئر التي تركه فيها إخوته في صغره كانوا تجاراً من أهل مدين (سفر التكوين 37/28).

وقد أكد القرآن الكريم ذلك عندما ذكر أن أصحاب قافلة تجارية هم من التقطوا يوسف من البئر (سورة يوسف/19)، وقد عدها بعض المفسرين قافلة مديانية[7] (ربما نقلاً عن التوراة) ، وغالباً كانت القافلة مكونة من الجمال، لأن البعير قد ذُكر صراحة في موضع آخر من قصة نبي الله يوسف باعتباره وسيلة للنقل على الطرق التجارية آنذاك (سورة يوسف/65)،

وقد رجحنا في بحث آخر اعتماداً على معطيات تاريخية بأن النبي يوسف قد عاش في القرن الثامن عشر قبل الميلاد، قياساً على الزمن الذي عاش فيه جده الأكبر نبي الله إبراهيم[8]، والذي يقدره بعض المؤرخين بحوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد[9].

أما في عصر النبي سليمان (القرن العاشر قبل الميلاد) الذي عاصر ملكة سبأ المذكورة في الكتب السماوية، فقد كان الطريق سالكاً، حيث تذكر التوراة في إطار سردها لزيارة ملكة سبأ للملك سليمان في فلسطين إن الموكب العظيم للملكة قد تضمن جِمالاً حاملةً أطياباً وذهباً كثيراً جداً وحجارة كريمة (سفر الملوك الأول 10/10). وهناك من يرى أن ملكة سبأ قدِمت إلى فلسطين بغرض التجارة، وأنها أخذت من سليمان ثمن ما أعطته، ولم يكن هدية بدون مقابل، معتمداً في ذلك الرأي على ما جاء في التوراة من أن سليمان أعطاها مشتهاها الذي طلبت، وزاد على ذلك ما سمح به كرمه (سفر الملوك الأول 10/13)[10]. وكان السبئيون هم من يديرون شبكة القوافل التجارية على طريق اللبان التجاري، حيث كانت سبأ بمثابة القوة العظمى على مستوى الجزيرة العربية، وذلك قبل أن يحل بدلاً عنهم المعينيون بمملكتهم الصغيرة المرتبطة بسبأ بالإشراف على تجارة طريق اللبان البري في وقت لاحق، لعوامل داخلية وخارجية ساعدت في ترتيب ذلك الوضع خلال عصور ما قبل الميلاد[11].

محطات طريق اللبان وبضائعه:

كانت بداية طريق اللبان من منطقة ظفار (الواقعة على الساحل الجنوبي لجزيرة العرب، في سلطنة عُمان حالياً) حيث يخرج منها طريقان: الأول بري، ويتجه صوب وادي حضرموت، والثاني بحري، ويتجه إلى ميناء قنا (بير علي حالياً في محافظة شبوة اليمنية)، ويلتقي الطريقان في مدينة شبوة عاصمة دولة حضرموت القديمة، ومنها يتجه الطريق إلى تمنع عاصمة دولة قتبان، ثم إلى مارب عاصمة دولة سبأ، ومن مارب يمتد عبر جوف المعينيين إلى نجران. ويتفرع من نجران طريق يمر عبر قرية (الفاو) إلى اليمامة، ومنها إلى ساحل الخليج العربي، ثم إلى جنوب بلاد الرافدين. بينما يواصل الطريق الرئيسي مساره من نجران إلى مكة سالكاً المسار نفسه الذي عرف بعد ذلك بدرب أصحاب الفيل إبان حملة أبرهة على مكة. ومن مكة يستمر الطريق شمالاً إلى يثرب (المدينة)، ومنها إلى دادان (العلاء)، ثم أيلة (العقبة)، ومنها يتجه إلى البتراء حاضرة الأنباط. وفي البتراء يتفرع من الطريق فرع يسير موازياً لغور الأردن نحو دمشق، ومنها إلى مدن الساحل الفينيقي، وفرع

آخر يتجه إلى بلاد ما بين النهرين. أما الفرع الرئيسي فيتجه من البتراء إلى ميناء غزة في فلسطين حيث ينتهي طريق اللبان في ذلك الميناء الذي يعتبر مجمعاً للسلع العربية. وبوصول القوافل إلى غزة تكون قد مرت بخمس وستين محطة منذ انطلاقها من مدينة تمنع حسب رواية بلينى المتوفي حوالي سنة (79م)[12]. وكانت القافلة التجارية تستغرق يوماً واحداً للمرور بين محطة وأخرى، بحيث تنتهي القافلة في نهاية كل يوم إلى محطة راحة فيها موقف للجمال، ونُزل لأصحاب القوافل الذين كان عليهم أن يدفعوا في كل محطة من هذه المحطات ثمن حصولهم على الماء والعلف للجمال وأجر النزل الخاصة بالمبيت ورسوماً لقاء السماح لهم بالمرور أو مقابل الحماية، وغيرها، سواء أكان المقابل جزءاً مما تحمله القافلة من بضائع أو ثمناً نقدياً[13]. وحرصت القوافل التجارية على أن تسلك طرقاً شبه صحراوية لتجنب الأمطار التي تتسبب بالتلف لبضائعها[14]، خصوصاً أن رحلتها جنوباً وشمالًا كانت تتم في غير موسم الأمطار، فرحلتها إلى اليمن كنت تتم شتاءً بينما أمطارها صيفية، ورحلتها إلى الشام كانت تتم صيفاً بينما أمطارها شتوية. وتحتاج هذه القوافل خلال رحلتها الطويلة هذه إلى أدلاء يرشدونها إلى الطريق بين مجاهل الصحراء، إلى جانب الحراس والحمالين، بحيث كان يصحب القافلة فرقة استكشافية تسير في مقدمتها، تضم جماعة من الأدلاء من أهل الخبرة بالطريق، إلى جانب فرقة للخفارة لحماية القافلة برئاسة شخص مهم. وقد تكون هذه الفرقة تابعة للدولة التي تملك القافلة، وبالتالي يكون رئيسها من رجال الملك. وقد تكون الفرقة أيضاً مكونة من أفراد القبيلة التي تمر القافلة عبر أراضيها، ويكون ذلك بعد الاتفاق مع هذه القبيلة على حماية القافلة مقابل جُعل (أجر) يدفع لها، بحيث تسلم كل قبيلة مسؤولية حماية القافلة للقبيلة التي تليها ، حتى تصل إلى أهدافها[15].

أما فيما يخص البضائع التي كان يتم نقلها عبر هذا الطريق ذهاباً وإياباً، فيمكن أن نستشف من خلال كتاب (دليل البحر الإرتيري) لمؤلف يوناني مجهول أن البضائع التي تم تبادلها على طرق التجارة الدولية القديمة بين إقليمي المحيط الهندي والبحر المتوسط كان مصدرها يتمثل بأربع مناطق رئيسة، هي[16]:

1. الهند وشرق آسيا: ويأتي منها، الفولاذ الهندي والنحاس، وأخشاب التيك والأبنوس والساج، والأرز والقمح، وزيت السيرج والدهن، والفلفل والقرفة والطيوب، والأقمشة القطنية والمتنوعة، والكحل المصنع، والأواني الفخارية الهندية والصينية التي تصدر عبر الهند. إلى جانب سلع أخرى كانت تنقل

إلى الهند من وسط آسيا ثم تصدر من موانئها غرباً، وتمثلت بالرصاص واللازورد.

2. شرق إفريقيا: ويأتي منها، القرفة، والسمسم، والمُر، والعاج، والذهب، والذبل، وقرن الخرتيت، والعبيد.
3. الجزيرة العربية، خصوصاً اليمن: يأتي منها، اللبان، والمُر، والذهب، واللؤلؤ، والتمر، والرماح، والنبيذ.
4. بلاد البحر المتوسط: ويأتي منها، النبيذ من سوريا وإيطاليا، وزيت الزيتون من سوريا وفلسطين، والمرجان والقماش والأرجوان من فينيقيا، والأقمشة والكُحل والزُمرد والياقوت الأصفر والعقيق الأحمر من مصر. إلى جانب سلع أخرى ستتم الإشارة إليها ضمن هذا العنوان.

تجدر الإشارة إلى أن سكان منطقة البحر المتوسط مثلوا المستوردين الرئيسيين لمنتجات المناطق الثلاث الأخرى، وحظيت بعض السلع الشرقية لديهم بإقبال متزايد، الأمر الذي أدى إلى ارتفاع أثمانها في بعض الأحيان بشكل كبير، مثل: اللبان، والحرير، والفلفل، وغيرها من السلع. فاللبان (العربي) كان سعره يساوي سعر الذهب في قول بعض المصادر، لذلك لم يكن يستخدمه إلا الملوك في قصورهم، والكهنة في معابدهم. أما الحرير (الصيني) فقد بيع الرطل منه في روما باثنتي عشرة أوقية ذهبية. وكذلك الفلفل (الهندي) الذي كان من أغلى العناصر التي تدخل في الطهي الروماني، ووصل سعر الرطل من نوعه الجيد إلى خمسة عشر ديناراً رومانياً[17]. وذلك يعطينا فكرة عن أهمية هذا الطريق، ويفسر لنا الصراع الإقليمي والدولي الذي دار بخصوصه، وهو ما سنتناوله في الفقرات القادمة.

ومن بداهة القول أن ما تم ذكره من بضائع كانت تمثل أهم تلك البضائع وليس كلها. وبصورة إجمالية يمكن تحديد أهم البضائع المنقولة عبر طرق اللبان في رحلة ذهاب القوافل من اليمن إلى بلاد الشام باللبان والمُر والصَبِر، والذهب والفضة والأحجار الكريمة، والطيوب ومواد صناعتها مثل قصب الذريرة والزباد والعمبر واللادن والمسك والعود، وكذلك المحاصيل المرتبطة بالجوانب الطبية مثل البلسم ودم الأخوين والعسل والملح، إلى جانب التوابل مثل الفلفل والقرفة والزنجبيل والقرنفل، ومعها سلع أخرى مثل العاج والحرير والأرز. أما البضائع في طريق الإياب من بلاد الشام إلى اليمن فقد تمثل أهمها بزيت الزيتون والأقمشة والمنسوجات الأرجوانية والمطرزات، إلى جانب الزجاج والمصنوعات الزجاجية والخمور والطحين وبعض الرقيق[18].

المنافسة البطلمية واكتشاف حركة الرياح الموسمية:

لم تكن هناك منافسة تذكر للهيمنة التي مارسها العرب الجنوبيون على طريق اللبان التجاري، وتكاملت أدوارهم مع القوى الإقليمية الأخرى التي ارتبطت مصالحها بانتظام ذلك الطريق. بينما ظل البحر الأحمر مجالاً حيوياً للدولة المصرية القديمة، واستمر ذلك الوضع حتى مطلع الألف الأول قبل الميلاد عندما انتقل زمام التجارة في البحر الأحمر وما يليه خارج باب المندب إلى الفينيقيين، حيث تخصصوا بنقل البضائع الإفريقية في الغالب، بينما ظلت عملية التواصل مع الهند بيد الملاحين العرب الذين يتولون نقلها بعد ذلك عبر طريق اللبان، حيث ظل لكل فريق مجاله الذي يعمل فيه. لذلك فإن المنافسة الحقيقية التي بدأت تهدد طرق التجارة الدولية بين المحيط الهندي والبحر المتوسط لم تتفعل بشكل ملحوظ إلا بعد ظهور الاسكندر المقدوني في الشرق في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد وفرض سيطرته عليه ووصوله إلى الهند، ولم يتبقَ خارج سيطرته إلا الجزيرة العربية[19]. وسبق القول أن سبأ كانت بمثابة القوة العظمى على مستوى الجزيرة العربية، ونفهم من حديث استرابون أن الإسكندر المقدوني قد توقع إعلان ولائهم له، لذلك فقد غضب من عدم حدوثه وتوعدهم بالغزو[20]. حيث بدأ الإسكندر المقدوني بإرسال البعثات لاستكشاف جزيرة العرب وتقدير حجمها، وبلغت البعثات التي أرسلها من بابل عبر الخليج العربي ثلاث بعثات، كان أبرزها وأطولها باعاً هي بعثة هيرون، إلى جانب بعثة أمر الإسكندر بإخراجها من مصر لاستكشاف سواحل الجزيرة على البحر الأحمر تمكنت من الوصول إلى مضيق باب المندب. ويوجد أدلة على قيام الإسكندر بإنشاء مستعمرة في شمال شرق الجزيرة العربية على حدود بلاد الرافدين، بل أن الإسكندر كلف قائده نيارخوس البدء بإعداد الأسطول البحري في الخليج العربي ليغزو به جزيرة العرب، إلا أن الموت عاجله أثناء الإعداد لتلك الحملة وقبل أن يحقق حلمه بالسيطرة على بلاد اللبان، خصوصاً أنه أثناء حصاره لمدينة صور كان قد سيطر على قافلة تجارية للسبئيين ونهب حمولتها، وأرسل كمية كبيرة من اللبان لأستاذه ليونيداس[21] الذي تذكر بعض الروايات أنه حرضه على السيطرة على بلاد اللبان نفسها.

وبعد أن تقاسم قادة الإسكندر إمبراطوريته فإن دولة البطالمة في مصر وما جاورها هي من تبنت مشروعه في منطقة البحر الأحمر والمحيط الهندي، فقد تبنوا مشروعاً لتشجيع الحركة التجارية صوب البحر الأحمر الذي عملوا من أجل فرض سيطرتهم عليه، وواصلوا عملية استكشاف السواحل العربية المطلة على البحر الأحمر، مع تجديد الموانئ التجارية على ساحله الإفريقي وإنشاء موانئ جديدة، إلى جانب زيادة السفن التجارية، وتجهيز أسطول

حربي لحماية الملاحة من القراصنة[22]. وبدأ اهتمام البطالمة بالبحر الأحمر بدرجة رئيسية في عهد بطلميوس الثاني، الذي ورث عرش الدولة البطلمية عن والده بطلميوس الأول أحد كبار قادة الإسكندر الذي تمكن من تأسيس دولة خاصة به في مصر وما جاورها، حيث أرسل بعثة لاستكشاف سواحل الجزيرة العربية على ذلك البحر بقيادة أرسطون، كما أسس مستعمرة أمبيلوني على السواحل الشمالية الغربية لجزيرة العرب. ودخل في صراع عسكري مع دولة الأنباط في منطقة شمال غرب جزيرة العرب وجنوب بلاد الشام، وكذلك مع السلوقيين في جنوب سوريا وفلسطين، ومع كوش في شمال السودان. بينما انحصرت علاقته بالدول القائمة في جنوب الجزيرة العربية بالعلاقات التجارية، رغبة منه بإقامة علاقات مباشرة لدولته معها دون الخضوع لوساطة الأنباط. وواصل ابنه وخليفته بطلميوس الثالث نفس سياسته فزاد من حركة استكشاف الساحل الإفريقي للبحر الأحمر، وقد وصل العمران في عهده حتى رأس غاردافوي في أقصى جنوب البحر الأحمر[23]. وبعد ضعف دولة البطالمة في عصر ملوكها الأواخر، وقلة صداماتهم العسكرية في منطقة البحر المتوسط مع الدول المنافسة لهم، ساعدهم ذلك على تحويل طاقاتهم التي كانت تضيع في تلك الحروب لتوسع سلمي تجاري صوب البحر الأحمر والمحيط الهندي، واستكشاف مستمر للسواحل الإفريقية، وتوسيع تجارتهم في البضائع الشرقية، خصوصاً بعد ازدياد الطلب عليها في منطقة الغرب الأوروبي، وذلك بعد أن كانت في السابق عبارة عن كماليات لا تطلبها إلا طبقة محددة من الأثرياء[24]. وبلغ من اهتمام البطالمة بالبحر الأحمر والمحيط الهندي والتجارة القادمة عبرهما أن عينوا موظفاً خاصاً يحمل لقب «حاكم طيبة والمشرف على البحر الأحمر والمحيط الهندي»، وكُلِف هذا الموظف بمراعاة مصالح البطالمة في التجارة القادمة عبر هذين البحرين، وبخاصة ما يتصل منها بالمواد العطرية التي حرص البطالمة على جلبها، وذلك بعد تزايد الإقبال عليها لاستخدامها في شتى الأغراض الدينية والحياة اليومية[25].

وتمكن البطالمة بعد قرابة قرنين من الزمان من تأسيس دولتهم من الوصول إلى الهند مباشرة، بعد أن كانت تجارتهم محصورة بالبحر الأحمر، وذلك بعد أن تمكن البحار الإغريقي يدكسوس الكيزيكي من الوصول إلى الهند بمساعدة بحار هندي ألقت به الرياح على شواطئ سواحلهم الإفريقية للبحر الأحمر، وكان ذلك في حوالي العام 117 ق.م، وبطبيعة الحال فالتواصل بين البطالمة والهند ظل محدوداً، وذلك لأن سفنهم كانت مضطرة للعبور قبالة سواحل بلاد العرب الذين لا ترضيهم عملية وصول البطالمة إلى الهند بشكل

مباشر ودون الحاجة لوساطتهم، وقد دفع ذلك البطالمة للبحث عن أسرار حركة الرياح الموسمية في المحيط الهندي ليتمكنوا من العبور مباشرة إلى الهند في عرض المحيط، وهو ما تسنى لهم على يد البحار الإغريقي هِبالوس حوالي عام 45 ق.م[26]. وهذا ما يجعل بعض الدارسين يعدون ذلك التاريخ بداية لتحول طريق التجارة الدولي الذي يربط المحيط الهندي بالبحر المتوسط، من طريق اللبان البري إلى طريق البحر الأحمر، الأمر الذي شكل بداية لتدهور طريق اللبان. وهو ما انعكس سلباً على المناطق الداخلية في جنوب الجزيرة العربية وشمالها، في مقابل ازدهار المناطق الساحلية[27]. ومع ذلك نفهم من استرابون محدودية السفن المصرية التي كانت تعبر باب المندب صوب الهند، وأن رحلتها كانت محفوفة بالمخاطر[28]. يضاف لذلك احتفاظ العرب بكثير من بضائعهم ذات المنشأ العربي مثل اللبان والمُر، وهو ما سنلقي عليه الضوء لاحقاً.

تجدر الإشارة أن العرب كانوا قد اكتشفوا قبل ذلك حركة الرياح الموسمية في المحيط الهندي في فترة ما غير معروفة تحديداً، واستغلوا مواسمها للإبحار بين الجانبين عبر المحيط مباشرةً، وكان ذلك قبل تعرف العالم الغربي عليها في القرن الأول قبل الميلاد على يد البحار الإغريقي هِبالوس، لكنهم احتفظوا بأسرارها لأنفسهم وأخفوها عن منافسيهم، [29]. ولكون هبالوس قد توصل إلى تلك المواسم ذاتياً ولم يأخذها عن العرب فقد عزت إليه المصادر الكلاسيكية ذلك الاكتشاف، خصوصاً والتاريخ لم يسجل لنا اسم مكتشفها العربي الأقدم منه، وإن كنا نرجح بأن العملية تمت عن طريق تراكم الخبرات وتكرار التجارب عبر الأزمان الطويلة التي مرت بها رحلاتهم الملاحية في المحيط الهندي أكثر ماهي اكتشاف مباشر على يد شخص ما[30].

الحملة الرومانية على جنوب جزيرة العرب:

رغم اكتشاف البطالمة لحركة الرياح الموسمية في المحيط الهندي لكن عدد السفن التي كانت تتمكن من عبور مضيق باب المندب من مصر إلى الهند ظل محدوداً قبل إسقاط الرومان للدولة البطلمية في مصر عام 31 ق.م وضمهم لمصر كولاية رومانية، وكانت السفن التي تتمكن من فعل ذلك لا تزيد على عشرين سفينة، بينما زاد عدد السفن في العصر الروماني إلى ما يقارب ستة أضعاف ذلك العدد، حيث أصبح البحر الأحمر في عهد الرومان آمناً أكثر مما كان عليه في عهد أسلافهم البطالمة[31]. ويعتبر بعض الباحثين أنه كان من ضمن أهدف الحملة الرومانية على جنوب جزيرة العرب مهمة تطهير البحر الأحمر من القراصنة الذين كانوا يتحصنون بالسواحل العربية لذلك البحر، وهو ما كان يجبر السفن بالسير على شكل قوافل مصحوبة بالحماية العسكرية[32].

ويقودنا ذلك للحديث عن الحملة الرومانية التي أمر بها الامبراطور الروماني أغسطس، وذلك بعد أن تمكن من ضم مصر إلى دولته وأعلن نفسه امبراطوراً لروما، حيث كلف واليه على مصر إليوس جاليوس بشن حملة عسكرية على جنوب بلاد العرب، وقد دَوّن لنا الكاتب الإغريقي استرابون الذي رافق تلك الحملة أخبارها في كتابه الجغرافيا، حيث يمكن إيجاز ما ذكره استرابون عن الحملة التي بدأ الإعداد لها في عام 25 ق.م ووصلت إلى جنوب جزيرة العرب في عام 24 ق.م في التالي[33]:

يحكي لنا استرابون أن الحملة عبرت البحر الأحمر من مصر إلى ميناء لوكي كومي (ينبع البحر على أرجح الآراء) في الساحل الشمالي الغربي للجزيرة العربية، وكانت الحملة مكونة من عشرة آلاف جندي روماني، مع ألف من الأنباط، وخمس مئة من اليهود، وقد فقدت الحملة الكثير من رجالها وسفنها، التي تمثلت ب (80) سفينة مقاتلة، مع (130) سفينة حمل، بسبب مخاطر الملاحة وخيانة دليلها الوزير النبطي سيلي/صالح. وبعد استراحة قضاها الجيش الروماني في لوكي كومي ليتشافى من الأمراض التي أصابته توجهت الحملة براً صوب الجنوب (اليمن).وبعد وصول الحملة إلى مشارف جنوب الجزيرة تمكنت من احتلال مدينة نجران ومدن منطقة جوف اليمن؛ بعد مقاومة من بعضها واستسلام البعض الآخر، ثم واصلت سيرها نحو العاصمة السبئية مارب، فحاصرتها لمدة ستة أيام. بعدها قرر الرومان الانسحاب من بلاد العرب والعودة من حيث أتوا، بسبب نقص المياه، والأمراض التي أصابت الجيش الروماني، وليس بسبب مقاومة عرب الجنوب، لكونهم وفق استرابون لم يكونوا أمة حرب لا في البحر ولا في البر، بل ولا يجيدون حتى استعمال الأسلحة التي يمتلكونها!.. وقد قطع الجيش الروماني رحلة الإياب من جنوب الجزيرة إلى لوكي كومي في شمالها خلال شهرين، رغم أنهم استغرقوا في رحلة الذهاب ستة أشهر، حيث عاد إليوس جاليوس قائد الحملة إلى الاسكندرية بمن تبقى من قواته بعد أن فقد الكثير من عسكره.

هذا ملخص لما دونه لنا استرابون عن الحملة الرومانية المتوجهة صوب بلاد العرب. وللأسف الشديد فلم يعثر حتى الآن على ما دونه عرب الجنوب عن أخبار هذ الحملة كما جرت العادة مع أحداثهم الأخرى، ولذلك يبقى ما كتبه لنا استرابون مصدرنا عنها. وهو ما جعلنا في بحث سابق نعتمد في مناقشته على التناقضات التي أوردها، إلى جانب ما بتنا نعرفه من معلومات عن حياة العرب الجنوبيين من خلال نقوشهم المسندية التي

تركوهـا لنـا، وقـد دار الحـوار الـذي أجريناه مـع اسـترابون في ذلـك البحـث حـول الاستفسـارات التاليـة[34]:

- مـن الواضـح إصرار اسـترابون عـلى عـدم وجـود مقاومـة عربيـة لحملـة الرومـان، وأن العسـكر الرومـان الذيـن فُقـدوا إنمـا كان بسـبب الجـوع والمـرض والإنهـاك ووعـورة الطـرق، ومـع ذلـك نجـده يتناقـض مـع نفسـه في أكثـر مـن موضـع، فرغـم قولـه بـأن العـرب الجنوبيـين لـم يُبـدوا أي مقاومـة لكونهـم لا يجيـدون القتـال، إلا أننـا نجـده في موضـع آخـر ومـن بـاب تمجيـد الجنـدي الرومانـي يحدثنـا بـأن هـذا الجيـش قـد اصطـدم بالعـرب عنـد نهـرٍ في منطقـة الجـوف (غيـل وادي الخـارد)، وقُتـل مـن العـرب عـشرة آلاف مقاتـل، مقابـل فقدانـه لاثنـين مـن الجنـود الرومـان!!
- فـإذا كان هـذا هـو عـدد القتـلى العـرب؛ فكـم كان عـدد مقاتليهـم؟ وكيـف تمـت هـذه المقتلـة بـين صفوفهـم وهـم أصحـاب الأرض والأكثـر عـدداً؟! وهم الأدرى بشـعابها مـن الرومـان الذيـن كانـوا يعانـون مـن المـرض والمجاعـة، وكانـوا قـد فقـدوا الكثـير مـن جنودهـم قبـل أن يصلـوا إلى جنـوب الجزيـرة باعـتراف اسـترابون؟ حتـى لـو افترضنـا بـأن المدافعـين اليمنيـين كانـت وسـيلتهم في الدفـاع عـن بلادهـم مجـرد حجـارة؟.
- ومـادام الرومـان قـد وصلـوا إلى أبـواب العاصمـة السـبئية مـارب، فلمـاذا الانسـحاب بعـد سـتة أيـام مـن الحصـار إذا لـم يكـن هنـاك مقاومـة؟ وإذا كان ذلـك بسـبب نقـص الميـاه وفـق اسـترابون، فلمـاذا انسـحبوا مـن بقيـة الأراضي التـي كانـوا قـد سـيطروا عليهـا (الجـوف ونجـران) رغـم وجـود نهـر فيهـا؟.
- وإذا كان العـرب لا يجيـدون القتـال فمـا هـي المعركـة التـي دارت بينهـم وبـين الرومـان عنـد مدينـة نجـران أثنـاء انسـحاب الأخيريـن مـن اليمـن؟ والتـي وصفهـا اسـترابون بأنهـا كانـت «حاميـة الوطيـس»، وذلـك يدحـض أيضـاً قولـه بـأن العـرب لـم يكونـوا يجيـدون القتـال؛ بـل ولا يجيـدون حتـى اسـتخدام الأسـلحة التـي يمتلكونهـا، والتـي تمثلـت حسـب وصفـه بالأقـواس والحـراب والسـيوف والفـؤوس مزدوجـة الـرؤوس؛ وهـي الأسـلحة المعروفة في عصرهـم، ومـن البداهـة أن نسـأل اسـترابون هنـا عـن فائـدة امتـلاك العـرب لأسـلحة لا يجيـدون اسـتخدامها؟!.
- ثـم هـل يعقـل أن لا يعلـم عـرب الجنـوب بقـدوم الحملـة نحوهـم ويسـتعدون لمواجهتهـا رغـم أنهـا اسـتغرقت سـتة أشـهر في طريقهـا إليهـم؟ وألا يدلنـا قطـع الحملـة لطريـق إيابهـا في شـهرين (ثلـث مـدة الذهـاب) عـلى

ملاحقات عسكرية كانت تتعرض لها الحملة، بدليل ما ذكره استرابون عن المعركة حامية الوطيس التي دارت بين الجانبين بالقرب من نجران أثناء انسحاب الحملة.

- والملاحظ أنه رغم تهوين استرابون الواضح لعدد قتلى الرومان في المواجهات التي خاضوها مع العرب وحصرهم في سبعة أشخاص، لكننا نجده يذكر بأن قائد الحملة جاليوس قد عاد إلى الإسكندرية «بمن بقي من قواته»، وهي عبارة توحي بقلة العائدين، يؤكد ذلك عدم تحديده لعددهم، رغم حرصه على تسجيل الأعداد في المواضع الأخرى. وبعد هذه المناقشة السريعة لما دونه استرابون عن الحملة الرومانية على جنوب الجزيرة العربية، يتضح لنا بأن الغزاة الرومان قد واجهتهم مقاومة شديدة أجبرتهم على الانسحاب وعادوا وهم يجرون أذيال الهزيمة، خصوصاً وأن نقوش قدماء العرب الجنوبيين التي تركوها لنا تكَذّب مقولته عن عدم خبرتهم في القتال؛ فهي تتحدث عن حروب كثيرة خاضتها الدول اليمنية القديمة عبر تاريخها في سائر أنحاء الجزيرة العربية، في إطار صراعها وتنافسها من أجل السيطرة على المنطقة ومقدراتها(35). والمرجح أن هزيمة الرومان في اليمن هي التي دفعت الامبراطور الروماني أغسطس لأن يستوعب دروسها، ويترك وصية لخلفائه يطلب منهم فيها الاكتفاء بما وصلت إليه حدود امبراطوريتهم، والكف عن التوسع أكثر(36). ويذكر استرابون أن سبب الحملة التي وجهها الامبراطور أغسطس صوب بلاد العرب تتمثل بما سمعه من ثرائهم منذ زمن بعيد، وأنهم يقايضون بعطرهم وحجارتهم الكريمة الفضة والذهب، وأنهم لا يحتاجون إلى استيراد أشياء من خارج بلادهم، وهكذا كان أغسطس يهدف إما أن يسترضي العرب أو يخضعهم له، بحيث يحصل على أصدقاء موسرين أو يتغلب على أعداء موسرين. وكان استرابون نفسه قد نقل لنا صورة براقة عن حجم ثراء عرب الجنوب تراكمت عبر الزمن في روايات المؤلفات الكلاسيكية (رغم عدم صحة أكثر ما ورد فيها)، فنجده يحدثنا بأن لديهم كميات كبيرة من مصنوعات الذهب والفضة؛ كالأسِرّة والموائد الصغيرة، والآنية والكؤوس، أضف إليه فخامة منازلهم الرائعة؛ فأبوابها وجدرانها وسقوفها مختلفة الألوان بما يرصع فيها من العاج والفضة والذهب والأحجار الكريمة(37). وذلك يدلنا أنه رغم تمكن البطالمة ومن بعدهم الرومان العبور بسفنهم مباشرة إلى الهند إلا أن اليمن كانت لا تزال تحتكر أهم البضائع التي

كانت تمثل عماد تجارة طريق اللبان، وهي البضائع ذات المنشأ العربي مثل اللبان والمُر والصمغ العربي، وإلا لما تجشم الإمبراطور الروماني عناء إرسال حملة عسكرية إلى بلاد بعيدة عنهم، وعبر طرق صحراوية وعرة(38). وإذا أضفنا لذلك موقع بلاد العرب المتوسط بين الهند وشرق أفريقيا وبين المنطقتين وعالم البحر المتوسط، مع إطلالها على البحر الأحمر ستتضح لنا أهداف تلك الحملة بشكل أوضح(39).وعلى الرغم من فشل الحملة الرومانية وعدم تمكن الرومان من السيطرة على جنوب بلاد العرب إلا أنه قد نتج عنها تأثيرات سلبية، حيث تأثرت حواضر الدول اليمنية القديمة الواقعة في الهضبة الشرقية بسبب تحول جزء كبير من التجارة بين المحيط الهندي والبحر المتوسط صوب طريق البحر الأحمر، وتحول درب ما تبقى من تجارة برية صوب القيعان في الجبال الغربية الخصبة، خصوصاً بعد أن اشتدت هجمات الأعراب على تلك الحواضر بعد أن قل دخلهم بسبب تحول الطرق التجارية صوب البحر، وأدى كل ذلك إلى ازهار مدن القيعان ومدن السواحل الغربية في القرون الميلادية، وبروز الحميّريين وكيانهم السياسي على حساب دولة سبأ بدرجة أساسية(40)، حيث تمكنت دولة حميّر في نهاية المطاف من توحيد كل جنوب جزيرة العرب (اليمن القديم) تحت سيطرتها وحكمته منفردة بداية من العقد الأخير للقرن الثالث الميلادي.

تجدر الإشارة في نهاية هذه الفقرة أن هناك من يتحدث عن حملة رومانية تمكنت من تدمير مدينة عدن، اعتماداً على إشارة وردت في كتاب دليل البحر الأرتيري بأن القيصر تمكن من تخريب عدن التي أسماها مؤلف الدليل (العربية السعيدة) خلال فترة ليست بعيدة من الزمن الذي عاش فيه مؤلف الدليل حسب قوله[41] (وهو مؤلف مجهول). وقد دارت خلافات كثيرة بين الدارسين حول الحملة المقصودة بين من يعتبرها الحملة الرومانية نفسها السالفة الذكر التي أرسلها أغسطس ووصلت إلى مارب، بينما يعتبرها بعضهم حملة أخرى مع اختلاف في من يكون القيصر الذي أرسلها وفي زمنها، وذلك بناء على التحديدات السابقة التي كانت تجعل زمن تأليف ذلك الدليل تتراوح بين القرنين الأول قبل الميلاد والأول الميلادي[42]، لكن أحدث التقديرات لزمن تأليف ذلك الدليل تعيده إلى القرن الثالث الميلادي، اعتماداً على ذكره للملوك وأحداث في جنوب جزيرة العرب ثبت من خلال النقوش المسندية أنها تعود إلى ذلك القرن[43]، وهو ما يجعل أخبار تلك الحملة غامضة وغير واضحة المعالم حتى الآن.

التدخل الحبشي الأول في جزيرة العرب وصِلته بالرومان:

ارتبطت دولة البطالمة في مصر بالقارة الإفريقية منذ نشأتها في أواخر القرن الرابع قبل الميلاد حسبما ذكرنا سابقاً. وعندما سيطر الرومان على مصر قاموا بتدمير مدينة نبتة عاصمة الدولة المروية في شمال السودان، حيث أدى ذلك إلى اضطراب طرق القوافل التجارية التي كانت تربط بين مصر والمناطق الداخلية من إفريقيا، عبر الأراضي المروية. وهو ما جعل الرومان يشجعون عملية التوسع التي قامت بها مدينة أكسوم في بلاد الحبشة على أنقاض المستوطنات السبئية التي سادت هناك خلال الألف الأول قبل الميلاد، حيث نلاحظ أنه منذ بداية القرن الأول الميلادي ظهرت في الحبشة مملكة قوية ومستقلة تتخذ من مدينة أكسوم عاصمة لها[44].

جدير بالإشارة إلى أن الوجود اليمني على الشواطئ الشرقية لأفريقيا يعود إلى عصور موغلة في القدم، حيث وردت إشارة في كتاب دليل البحر الأرتيري تسمي الساحل الأفريقي المطل على المحيط الهندي (في كينيا وتنزانيا حالياً) بالساحل الأوساني نسبة إلى الدولة الأوسانية اليمنية القديمة، التي تم القضاء عليها على يد دولة سبأ في مطلع القرن السابع قبل الميلاد، ما يعني أن الوجود الأوساني هناك يعود لفترة سابقة لسقوطها (القرن الثامن قبل الميلاد على أقل تقدير)، وهو ما يدل على ترسخ ذلك الوجود، بدليل استمرار مسمى الساحل الأوساني إلى زمن تأليف الدليل المشار إليه (في القرن الثالث الميلادي)، أي بعد قرابة ألف عام من سقوط دولة أوسان، حيث كانت المنطقة ماتزال تتبع اليمن، وكانت دولة حميّر هي من يتحكم بها خلال هذه المرحلة عبر ميناء موزع المطل على سواحل البحر الأحمر اليمنية بالقرب من مضيق باب المندب. وقد أعقب ذلك الوجود وجود سبئي في بلاد الحبشة، دلت عليه العديد من الآثار والكتابات وأسماء الحكام والمعبودات، تعود بداية ذكره في المصادر إلى القرن السادس قبل الميلاد على الأقل، واستمر حتى قيام دولة أكسوم على أنقاض ذلك الوجود في بداية العصور الميلادية، وظل تأثيره الحضاري مستمراً بعد ذلك لقرون عديده[45]. وفي نقشٍ لملك أكسومي مجهول عثر عليه في ميناء عدوليس الحبشي ويطلق عليه الدارسون تسمية النصب التذكاري لعدوليس، ويعود زمنه إلى النصف الأول من القرن الثاني الميلادي تقريباً، نجد ذلك الملك صاحب ذلك النقش يتحدث عن حملات عسكرية امتدت من شمال السودان شمالاً إلى بلاد الصومال جنوباً، ومن سواحل البحر الأحمر شرقاً إلى بلاد الساسو غرباً، حيث تمكن ذلك الملك من إخضاع كل تلك البلاد (أثيوبيا وماجاورها) تحت سيطرته. ولعل ما يهمنا هو حديث

ذلك الملك عن حملة شنها قادته «ضد شعوب العرب والكنايدوكلبتاي[46] الذين يعيشون في الجانب الآخر من البحر، وبعد أن أخضَعتُ ملوكهم أمرتهم أن يدفعوا إتاوات بلادهم لينعموا بالسلام في البر والبحر، ثم شَنيتُ حرباً من لوكي كومي وحتى بلد السبئيين. كل هذه البلاد كنتُ أول ملك يخضعها، إذ لم يسبقني إلى ذلك أحد من الملوك، وذلك بفضل ونعمة إلهي أراس» [47]. ويتضح من النص أن ذلك الغزو الحبشي لمناطق عربية قد مثل أول عبور حبشي صوب الضفة العربية للبحر الأحمر، وغالباً كان ذلك بتحريض من الرومان أنفسهم، خصوصاً بعد فشل حملتهم العسكرية التي أرسلوها إلى اليمن، حيث فضلوا الاعتماد على دولة أكسوم الحبشية لتنفيذ أجندتهم في جزيرة العرب. فالملاحظ أن المنطقة التي سيطرت عليها دولة أكسوم في حملتها تلك قد تركزت بدرجة أساسية على تهامة الحجاز، وهي المناطق التي تقابل السواحل الرومانية في ولايتهم مصر. ساعد الرومان على ذلك أن دولة أكسوم الناشئة لم تحاول تحدي روما[48]، وهو ما جعل مصالح الدولتين تلتقيان ضد منافس واحد مشترك، متمثلاً بالدول العربية الجنوبية.ويرى البعض بأن السبئيين كانوا مؤيدين لذلك الوجود الحبشي في منطقة تهامة الحجاز، وأنهم ربما كانوا على اتفاق مع هذا الملك، بل من المحتمل أنهم ساعدوا ذلك الملك في غزوه لتلك المناطق[49]. وبغض النظر عن صحة ذلك الاستنتاج الذي لم يرد في النقش من عدمه، فما نعرفه من النقوش اليمنية القديمة أن دولة سبأ قد حاولت بالفعل استغلال ذلك التوسع الحبشي على حدودها الشمالية لتتحالف مع الأحباش ضد منافستها الصاعدة في جنوب جزيرة العرب دولة حمـيّر.

حيث تحدثنا تلك النقوش عن تحالف جمع بين الملك الأكسومي جدرة والملك السبئي علهان نهفان، وانضمت دولة حضرموت اليمنية القديمة إلى ذلك الحلف الذي كان موجهاً بدرجة أساسية ضد دولة حميّر[50]. وإذا عرفنا بأن الملك السبئي علهان نهفان قد حكم في حوالي منتصف القرن الثاني الميلادي، فجدرة ملك أكسوم الذي تحالف معه قد يكون هو نفسه الملك الأكسومي صاحب النصب التذكاري لعدوليس سالف الذكر أو خليفته، نظراً لقرب المدة الفاصلة بين الحادثين، وبذلك قد يكون الملك السبئي علهان نهفان أراد من تحالفه مع الأحباش المتواجدين في منطقة الحجاز (وتمتد سيطرتهم حتى حدود دولته) بأن يأمن من خطر توسعهم صوب دولته، وليستفيد منهم في تحجيم قوة دولة حميّر الصاعدة التي كانت تشكل خطراً على نفوذ دولته، وهو ما حدا بالأكسوميين ليرحبوا بمثل هكذا تحالف، لأن

دولة حمير التي تمد سيطرتها على السواحل الجنوبية الشرقية للبحر الأحمر كانت تعد منافساً للدولة الأكسومية في تجارة ذلك البحر.

لكن دولة أكسوم الحبشية كانت تريد من تحالفها مع سبأ وحضرموت تحقيق أجندتها الخاصة بها وليس تحقيق أجندة الدولتين المتحالفتين معها، حيث نلاحظ أن الأحباش مدوا سيطرتهم على السواحل اليمنية المطلة على البحر الأحمر من مدينة نجران شمالاً إلى منطقة المعافر المطلة على مضيق باب المندب جنوباً، وهو ما جعل الملك السبئي شعرم أوتر بن علهان نهفان (حكم في الفترة الممتدة بين أواخر القرن الثاني ومطلع القرن الثالث الميلادي) يغاير سياسة والده بالتحالف مع الأحباش، وبدلاً من ذلك صاغ تحالفاً سبئياً حميرياً ضد الأحباش، وقاد الجيشين السبئي والحميري واصطدم بالقوات الحبشية التي كان يقودها القائد بيجة بن الملك جدرت. وقد دفع ذلك بالأكسوميين الأحباش بتغيير محور تحالفهم في اليمن، حيث نفهم من النقوش المسندية أن الأحباش بقيادة ملكهم عذبة الذي خلف جدرة قد تحالفوا مع الحميريين ضد السبئيين، فقد خاض الملك السبئي إيل شرح يحضب الثاني وأخيه يأزل بيّن (في منتصف القرن الثالث الميلادي) معارك طاحنة ضد الأحباش والحميريين[51]. ومع ذلك نلاحظ بأن الحميريين قد تنبهوا لخطورة تحالفهم مع الأحباش، حيث نجد نقوشهم تتحدث عن حملات عسكرية شنها الملك الحميري ياسر يهنعم ضد القوات الحبشية بقيادة الملكين الحبشيين ذوتونس وزقرنس في النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي، وكان ذلك آخر ذكر للأحباش في اليمن خلال هذه المرحلة بعد أن امتد وجودهم فيها لما يقارب قرن من الزمن، وتركز وجودهم فيها بدرجة أساسية في سواحل اليمن الغربية (تهامة اليمن)، حيث كانت دولة سبأ قد ضعفت، وتمكن الملك الحميري ياسر يهنعم أثناء حكمه المشترك مع ابنه شمّر يهرعش من القضاء على دولة سبأ في مارب نهائياً في عقد السبعينات من القرن الثالث الميلادي. وفي العقد الأخير من نفس القرن وبعد انفراد شمر يهرعش بالعرش الحميري تمكن من القضاء على دولة حضرموت، بينما كانت دولتي أوسان وقتبان قد انتهت في وقت سابق، وبذلك تمكنت حميّر من إخضاع كل منطقة جنوب الجزيرة العربية (اليمن القديم) لسيطرتها، وحَكَمتها حكماً منفردا[52] حتى مطلع القرن السادس الميلادي، عندما عاد الأحباش من جديد وتمكنوا من القضاء على دولة حميّر وإخضاع اليمن القديم لسيطرتهم المباشرة، وهو ما سنتناوله لاحقاً.

الحملات السبئية والحميّرية صوب شمال الجزيرة:

بعد أن تحولت كثير من البضائع القادمة من الهند وجنوب شرق آسيا وشرق أفريقيا إلى طريق البحر الأحمر البحري، عوضاً عن المرور في طريق اللبان البري، ظلت البضائع ذات المنشأ العربي تسير في ذلك الطريق البري، وقد أدت قلة البضائع التي تمر في الطريق البري إلى ضعف العائد المادي لأبناء القبائل العربية الشمالية التي كانت مواطنها تقع على دروب ذلك الطريق، بفرعيه الشمالي والشرقي، وقد جعلهم ذلك يتمردون على الدول اليمنية القديمة التي كانت تنظم شؤون ذلك الطريق، ويهاجمون في بعض الأحيان القوافل التجارية بغرض سلبها ونهبها، وقد دفع ذلك الدول اليمنية القديمة (سبأ وحميّر على وجه الخصوص) لأن تغير استراتيجيتها في التعامل مع منطقة وسط الجزيرة العربية وشمالها، وبدأت لأول مرة في شن حملات عسكرية صوب تلك المناطق. وتعود أقدم الحملات العسكرية اليمنية القديمة المتجهة صوب شمال الجزيرة التي سجلتها لنا النقوش المسندية إلى عهد الملك السبئي شعرم أوتر في مطلع القرن الثالث الميلادي، حيث دونت لنا نقوشه العديد من الحملات العسكرية التي شنتها قواته ضد مدينة قرية ذات كهل (قرية الفاو حاليا جنوب غرب منطقة نجد في وسط جزيرة العرب) عاصمة دولة كِنْدَة في دهرها الأول الذي امتد وفقاً لما نملك من نقوش من القرن الأول الميلادي حتى مطلع القرن الرابع الميلادي، على أن وجود قرية ذات كهل على الفرع الشرقي لطريق اللبان التجاري يفترض أنها كانت موجودة منذ زمن بعيد قبل الميلاد كمحطة للقوافل، نظراً لتوفر الشروط الطبيعية نفسها التي جعلت منها بعد الميلاد إحدى مدن القوافل المزدهرة وحاضرة لدولة كندة في دهرها الأول[53]. ويرى البعض أن السبب الذي من أجله انطلقت تلك الحملات العسكرية السبئية صوب منطقة وسط جزيرة العرب، وأراضي دولة كندة بشكل خاص، يتمثل بتحريض الأحباش لكندة والقبائل التابعة لها أو المرتبطة بها للتمرد على سبأ، خصوصاً أن تلك القبائل قد ربطتها مصالح اقتصادية بالأحباش. إلى جانب الرغبة بتأمين الطرق التجارية البرية[54].

وقد استمرت الحملات العسكرية للملوك السبئيين صوب منطقة وسط الجزيرة العربية خلال منتصف القرن الثالث الميلادي، في عهد الملكيين إيل شرح يحضب الثاني وأخيه يأزل بيّن الذي حكم معه بشكل مشترك، حيث استمرت تلك الحملات على العاصمة الكِندية مدينة قرية ذات كهل، ويرى البعض أن الهجمات على مدينة قرية كانت بسب تحالف كندة مع الأحباش ضد سبأ في عهد هذا الملك كما سبقت الإشارة[55]. ونعرف من خلال نقوش

أخرى لهذا الملك بأن الملك أرسل سفارات سياسية إلى ممالك قبَلية تقع في منطقة وسط الجزيرة، هي حسب ذكرها في تلك النقوش: كِنْدة ومَذحِج ونِزار وغَسان والأسْد[56]. وتشير تلك الممالك القبلية التي أشارت إليها هذه النقوش إلى نمط آخر من التشكيلات السياسية في جزيرة العرب، متمثلة باتحادات للقبائل البدوية قامت إلى جانب دول مدن القوافل الحضرية كالبتراء والحضر وتدمر، وذلك قبل ظهور دول لخم وغسان وكندة في دهرها الثاني[57]. وبعد سقوط دولتي سبأ وحضرموت وتوحيد منطقة جنوب الجزيرة العربية كلها تحت سيطرة دولة حمـيّر خلال العقد الأخير من القرن الثالث الميلادي كما سبق القول، واصلت دولة حمير سياسة شن الحملات العسكرية صوب منطقة وسط الجزيرة العربية، حيث تحدثنا نقوش الملك الحميري شمّر يُهرعش (أول تبابعة حمـيّر) الذي حكم في الفترة الممتدة بين أواخر القرن الثالث ومطلع القرن الرابع الميلادي، عن حملات عسكرية شنتها قواته على القبائل القاطنة في منطقة السراة والسواحل المتاخمة لها (في مناطق عسير وجيزان الحاليتين)، وكان ذلك بسبب هجمات شنتها تلك القبائل على مناطق في عمق الدولة الحميرية، وتمكنت تلك الحملات من إلحاق هزيمة بالقبائل المهاجمة واستنقاذ الأسرى منها، وكذلك استرجاع ما كانت قد نهبته من أموال[58]. وخلال هذا العهد (عهد التبع الحميري شمر يهرعش) ظهر لقب كبير الأعراب، الذي تولى قيادة جيش الأعراب الموالي لدولة حمـيّر والمكون من العديد من القبائل المتبدية، وشكل رديفاً للجيش الرسمي الحمـيّري، وكانت قبيلتا كندة ومذحج هي أبرز تلك القبل التي تكّون منها ذلك الجيش الأعرابي. وإلى عهد الملك شمر يهرعش يعود نقش يتحدث فيه مدونه أن سيده شمر يهرعش قد كلفه بقيادة حملات عسكرية في منطقة وسط الجزيرة العربية، ثم يذكر إنه استمر ماضياً حتى وصل قطوصف وكوك مملكتي فارس، وأرض تنوخ، وأنه عاد بعد أن أدى مهمته بنجاح[59]. ويرى بعض الباحثين أن قطوصف هي طيسفون، وكوك هي المدائن[60]. وقد اختلف الدارسون حول مضمون ذلك الوصول إلى مناطق مملكة الفرس، بين قائل أنه مثل حملة عسكرية[61]، وبين من يعتبرها مجرد سفارة دبلوماسية ليس إلا[62]، وبين قائل أنه لا يتضح من خلال النقش تماماً إن كان ذهاب مدون النقش إلى تلك المناطق بمثابة غزوة أم سفارة[63]. ونحن هنا نرجح الرأي القائل بأنها سفارة، نظراً لما يذكره المؤرخين من وجود علاقة ودية كانت تربط بين فارس وحمـيّر خلال هذه الفترة[64]، إلى جانب عدم ذكر المصادر الفارسية – فيما نعلم- لأي حملة عسكرية حميّرية ضد المملكة الفارسية أو المناطق الخاضعة لها، وفي كل الأحوال فما ذكره النقش

الحميّري يدل على مدى امتداد نفوذ الدولة الحميّرية في جزيرة العرب آنذاك. ويحدثنا نقش عبدان الكبير عن حملات عسكرية قام بها القادة اليزنيون خدمة لملوك حمير خلال النصف الأول من القرن الرابع الميلادي، حيث جابت تلك الحملات أرجاء الجزيرة العربية، ووصل بعض تلك الحملات إل يبرين وهجر وإياد والجو (اليمامة) والخرج[65] (بالقرب من مدية الرياض الحالية). وتواصل النقوش المسندية حديثها عن حملات عسكرية شنها تبابعة حميّر صوب منطقة شمال الجزيرة طوال القرن الخامس الميلادي حتى مطلع القرن السادس الميلادي، ابتداءً من التبع الحميري الأشهر أسعد الكامل (أبي كرب أسعد في النقوش) الذي حكم في الفترة الواقعة بين أواخر القرن الرابع ومطلع القرن الخامس الميلادي، حيث ترك لنا نقشاً في منطقة مأسل الجمح في نجد يتحدث فيه عن حملة عسكرية شنها على قبائل معد، وهو ما أكدته كتب أهل الأخبار بحديثها عن حملات لهذا التبع جابت منطقة شمال الجزيرة العربية بما فيها مدينة يثرب، وتم إضافة الأعراب إلى اللقب الملكي الحميري، وصار الملك الحميري يسمي نفسه «ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانة وأعرابهم في الطود وتهامة»، وأصبح التبع الحميّري خلال هذه المرحلة للعرب بمثابة الخليفة للمسلمين، وقد عكس ذلك التقارب بين سكان الجزيرة العربية وازدياد دور القبائل البدوية في الدولة الحميّرية واختلاطها بالقبائل الجنوبية المتحضرة، وبلغت الدولة الحميرية بذلك أقصى امتداد لها، وشملت معظم أنحاء الجزيرة العربية[66]. واستمر ذلك الوضع حتى مطلع القرن السادس الميلادي، حيث تحدثنا نقوش التبع الحميري معدي كَرِب يعفر (آخر ملك حميري يحمل لقب التبابعة الطويل) عن حملة عسكرية شنها صوب منطقة وسط الجزيرة العربية لمساندة الدولة الكندية ضد الملك اللخمي المنذر الثالث، وانتهت الحملة بالصلح بين الجانبين، وتسليم الملك اللخمي ابنه رهينة للملك الحميري. وكانت دولة كندة في دهرها الثاني تمر خلال هذه المرحلة بحالة من الضعف، وذلك بعد أن أقامها الحميّريون في مطلع القرن الخامس الميلادي لتكون ممثلة لنفوذهم في منطقة وسط الجزيرة العربية وشمالها، لتؤدي لهم دور مشابه لما كانت تؤديه الإمارة اللخمية للفرس والإمارة الغسانية للروم البيزنطيين، واستمرت تؤدي ذلك الدور حتى سقوط الدولة الحميرية على يد الأحباش في مطلع القرن السادس الميلادي، حيث دخلت دولة كندة بعدها بمرحلة من الضعف انتهت بسقوط تلك الدولة في أواخر القرن السادس الميلادي، ومن ثم عودة قبيلة كندة إلى مواطنها الأولى في منطقة حضرموت بأرض اليمن[67].

سقوط الحضارة اليمنية القديمة على يد الأحباش:

ذكرنا سابقا أن الأحباش كانوا قد تمكنوا من إيجاد موطئ قدم لهم في المناطق الغربية من اليمن، وأن وجودهم هناك قد استمر قرابة قرن من الزمان، من النصف الثاني للقرن الثاني الميلادي عندما استدعاهم الملك السبئي علهان نهفان، واستمر حتى النصف الثاني من القرن الثالث عندما طردهم من اليمن الملك الحميري ياسر يهنعم. لكننا نجدهم وقد عادوا للتدخل في شؤون اليمن مستغلين ضعف الدولة الحميرية في مطلع القرن السادس الميلادي.

ويسود الاعتقاد بأن الملك الحميري معدي كرب يعفر (الذي كان آخر ملك حميري يحمل لقب التبابعة الطويل كما ذكرنا أعلاه) كان نصرانياً معترفاً بالحماية الحبشية على بلاده[68]، ويعتمدون في ذلك على ما ذكره شمعون الإرشامي بصدد الرسالة التي بعث بها الملك الحميّري ذي نواس (خليفة معدي كرب يعفر على العرش الحميري) إلى المنذر الثالث ملك الحيرة، وجاء فيها: «ولتعلم أن الملك الذي نصبه الكوشيون (الأكسوميون) ببلادنا قد مات، وجاء في وقت الشتاء، فلم يعد بمقدور الكوشيين العبور إلى بلادنا لتنصيب ملك نصراني كما جرت العادة»[69]. وتذكر المصادر العربية والسريانية أن الملك ذي نواس (يوسف أسأر يثأر في النقوش) قد استلم مقاليد السلطة في الدولة الحميّرية خليفة للملك معدي كرب يعفر (ذو شناتر في المصادر العربية)، وتخلى ذي نواس عن لقب التبابعة الطويل، ولقب نفسه بملك كل الشعوب، وقد اختلفت التفسيرات حول ذلك، وغالب الظن أنه فعل ذلك بسبب انحسار سلطته وعدم شمولها لكل المناطق الواردة في ذلك اللقب الطويل (سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانة وأعرابهم في الطود وتهامة). ونعرف من خلال النقوش المسندية التي تم العثور عليها حتى الآن بأن آخر نقش مسندي يعود إلى زمن الملك معدي كرب يعفر مؤرخ بعام 516م، بينما يؤرخ أقدم نقوش الملك ذي نواس بالعام 518م، ما يعني أن انتقال السلطة إليه قد يكون تمت في العام 517م[70]. ونعرف من النقوش التي تركها لنا هذا الملك أنه قد اضطر لأن يخوض حرباً شرسة ضد النصارى في اليمن ومعها حامية حبشية كانت تتواجد في العاصمة الحميرية ظفار من عهد سلفه الموالي للأحباش، وامتدت حملاته إلى المناطق الساحلية في محاولة لتحصين تلك المناطق ضد غزو حبشي كان يتوقعه. وتخبرنا المصادر العربية والسريانية بأن الملك الذي اعتنق الديانة اليهودية قد نكل بنصارى مدينة نجران وأحرقهم في الأخدود، وهو ما جعلهم يستنجدون بالإمبراطور البيزنطي، الذي تحجج لهم

ببعد الشقة بين بلاده واليمن، ووعدهم بالكتابة إلى الملك الحبشي. وغالب الظن بأن بيزنطة لم تشأ التدخل في اليمن، ليس بسبب بعد الشقة، ولكن عملاً بوصية الإمبراطور الروماني أغسطس المشار إليها أعلاه، التي تركها بعد فشل حملته على اليمن، وطلب فيها من خلفائه عدم تجاوز الحدود التي وهبتها الطبيعة لدولتهم. وهو ما جعلها تعتمد على استراتيجية جديدة تدعم من خلالها الأحباش ليكونوا في مواجه العرب. وبعيداً عن تكرار تفاصيل معروفة تخص الغزو الحبشي لليمن، فقد انتهى الأمر باكتساح الأحباش لليمن بعون مادي بيزنطي، حيث تمكن الأحباش من قتل آخر ملك حميري (ذي نواس) والقضاء على الدولة الحميّرية في عام 525م تقريباً، وسقوط الحضارة اليمنية القديمة بعد آلاف من السنين سادت خلالها، حيث نصب الأحباش حاكماً يمنياً موالياً لهم ليدير اليمن تحت سيطرتهم، في ظل بقاء جيش لهم في اليمن، وقد حمل ذلك الحاكم اليمني صنيعة الأحباش المسمى سميفع أشوع لقب تبابعة حمـيّر الطويل، وظل في موقعه ذاك إلى أن قرر القائد الحبشي أبرهة الثورة عليه وإزاحته من موقعه، حيث أعلن أبرهة نفسه والياً للملك الأكسومي في الحبشة، وتلقب أيضا بلقب التبابعة الطويل (ملك سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمانة وأعرابهم في الطود وتهامة)، وتعامل مع اليمن باعتبارها مملكة خاصة به وبأولاده من بعده. وبعد ثورات قام بها اليمنيون ضد الاحتلال الحبشي استقرت الأوضاع لأبرهة، وبدأ يعد العدة لحملات عسكرية تتوجه صوب شمال الجزيرة، حيث سجلت لنا النقوش إحدى تلك الحملات التي توجهت إلى منطقة نجد لمقارعة نفوذ المناذرة الموالين للفرس في عام 547م، وسجل لنا القرآن الكريم في سورة الفيل حملة أخرى توجهت صوب مكة في عام 571م، وقد حاول بعض الدارسين الخلط بين الحملتين واعتبارهما حملة واحدة، وقد أثبتنا من خلال بحث قيد النشر بأن كل حملة تمت على حدة[71]. وكان هدف البيزنطيين من خلال دعمهم لسيطرة الأحباش على اليمن ثم الحجاز بأن يحكموا قبضتهم على الطريق التجاري المار في البحر الأحمر وظهيره البري، مع السيطرة على المدخل الجنوبي للبحر الأحمر، بحيث يصبح هذا الطريق تحت سيطرتهم مقابل سيطرة خصومهم الفرس على طريق الحرير، ولذلك فقد كان من مصلحة الدولة البيزنطية استقلال أبرهة باليمن كونه كان يعتنق الديانة المسيحية على مذهبها وليس على مذهب الدولة الأكسومية، لأنه في صغره كان عبداً لتاجر بيزنطي في ميناء عدوليس الحبشي، وبالتالي سيجعله ذلك ينفذ مشاريعها في الجزيرة العربية الرامية لتحجيم نفوذ خصومها الفرس هناك[72].

لكن فشل أبرهة في حملته المتوجهة صوب نجد بحسم الأمر لصالحه وعقده لصلح مع الملك عمرو بن المنذر الثالث المشهور بعمرو بن هند، وكذلك النتيجة المأساوية له ولجيشه في حملة أصحاب الفيل الشهيرة[73] لابد أنها قد فرملت المشروع البيزنطي، وجعلت الأمور تسير في اتجاه مختلف لرغبات بيزنطة، وهو ما سيتضح لنا في الفقرات اللاحقة من هذا البحث.

نشوء طريق الإيلاف على أنقاض شبكة طريق اللبان:

الإيلاف أو إيلاف قريش هو تلك العِصَم (العهود) التي أخذها هاشم بن عبد مناف وإخوته (المطلب وعبد شمس ونوفل) من ملوك الروم (البيزنطيين) واليمن الحبشة والعراق، لتأليف رحلة الشتاء والصيف المذكورة في القرآن الكريم (سورة قريش)[74]. وقد كان نشوء الإيلاف في أوائل القرن السادس الميلادي على أنقاض الشبكة التجارية اليمنية القديمة (طريق اللبان)، حيث استغل المكّيون سقوط اليمن بيد الأحباش، وأصبحت مدينتهم هي مركز التجارة الأول في غرب الجزيرة العربية[75]. وقد استطاع الإيلاف أن يعيد تنشيط التجارة الدولية للجزيرة العربية مع محيطها، إلى جانب تنشيط تجارة عربية داخلية روجتها الأسواق العربية الموسمية التي قامت في طول الجزيرة العربية وعرضها، وكان على رأسها سوق عكاظ، حيث ارتبطت تلك الأسواق بدورة تجارية منتظمة على مدار العام[76]. وغالباً فذلك الرواج التجاري لتجارة الإيلاف كان هو السبب وراء الحملة الحبشية سالفة الذكر التي قادها أبرهة الحبشي من اليمن صوب مكة، فرغم قول المصادر العربية الإسلامية بأن سبب حملة أبرهة على مكة كان هو الانتقام من العرب الذين أهانوا كنيسة أبرهة التي أقامها في صنعاء (القلّيس)[77]، لكن يبدو أن ذلك السبب المتلفع بالدين كان هو السبب المعلن من قِبل أبرهة، لكنه كان يخفي من ورائه أسباباً أخرى (سياسة واقتصادية) كانت بمثابة المحرك الفعلي لانطلاق حملته هذه صوب مكة. ويتفق أغلب الدارسين المحدثين على أن الهدف الحقيقي لحملة أبرهة على مكة كان هو السيطرة على تجارة الحجاز (خصوصاً إيلاف قريش)، ومن ثم التحكم بطرق التجارة التي كانت تربط الشام باليمن[78]. بل إن بعضهم يعد هذه الحملة بمثابة الهدف الحقيقي للاحتلال الحبشي اليمن[79]. وخلاصة القول إن الحوافز الدينية والاقتصادية قد تداخلت وتكاملت مع بعضها؛ فحصر النفوذ التجاري لمكة والسيطرة على مصدر ثروتها يتطلب تدمير الحرم المكي، ولذلك لابد من اجتذاب العرب إلى حرم جديد يحجون إليه ويردون أسواقه، ليصبح هو المركز التجاري الجديد في جزيرة العرب. ويبدو أن أبرهة قد رُوّع للتوفيق التجاري المتعاظم الذي أصابته مكة، والمكاسب

المالية التي كانت تجنيها من تجارتها، ولاشك أنه أدرك مقدار مساهمة الحرم المكي في بلوغ مكة هذا المبلغ من النجاح، فإذا كان لابد من حصر نفوذ مكة والاستيلاء على مصدر ثروتها، فلابد من تدمير حرمها وجعل العرب يحجّون إلى حرم آخر بدلاً عنه، وبالتالي اجتذابهم إلى مركز تجاري جديد[80].

لكن حملة أصحاب الفيل كما هو معروف انتهت بالفشل، وتمخضت عنها نتائج غير التي كان يريدها أبرهة وحلفائه البيزنطيين، حيث احتكر العرب (خصوصاً قريش) للطريق التجاري المار عبر الحجاز[81]، وكذلك ازدياد مكانة قريش بين العرب، وذلك أنه لما «رد الله الحبشة عن مكة... أعظمت العرب قريشاً، وقالوا: هم أهل الله، قاتل الله عنهم، وكفاهم مئونة عدوهم»[82]. وهكذا فبدلًا مما كان أبرهة يرغب فيه من إضعاف مكة، أصبحت هزيمته فيها من عوامل ازدياد شهرتها[83].

امتداد النفوذ الفارسي إلى جنوب الجزيرة العربية:

بعد موت أبرهة متأثراً بجروحه التي تعرض لها في حملة أصحاب الفيل على مكة حكم بعده على التوالي ولديه يكسوم (من أم حبشية) ومسروق (من أم يمنية)، وقد اشتدوا على اليمنيين، وكان كلٌ منهما أشر من أخيه، فضاق اليمنيين بهما ذرعاً وتمنوا تحرير بلادهم منهم. وقد تزعم الثورة ضدهما الثائر اليمني المعروف سيف بن ذي يزن، الذي حاول الاستعانة بالبيزنطيين، لكنهم رفضوا تقديم العون له[84]، وكان ذلك متوقعاً كون البيزنطيين يدعمون أبرهة كما سبق القول، وسخروه لتنفيذ مشاريعهم الخاصة ضد الفرس وحلفائهم في الجزيرة العربية، وكان من الطبيعي أن يواصلوا دعمهم لأولاده الذين ورثوا الحكم من بعده. وتحكي المصادر أن سيف بن ذي يزن قد استعان بالأمراء اللخمين للتوسط له لدى الفرس، من أجل تقديم العون له لتحرير بلده من الأحباش، ورغم قول تلك المصادر بأن كسرى الفرس (خسرو الأول) قد تمنع في بداية الأمر عن تقديم العون لسيف بن ذي يزن[85]، لكن في واقع الأمر فقد كان الفرس في انتظار مثل هذه الفرصة، ولم يكونوا ليفرطوا بها، فهي تمكنهم من التواجد في اليمن وتضييق الخناق على البيزنطيين وحلفائهم الأحباش في تجارتهم المارة عبر البحر الأحمر، وعدم الاكتفاء بتحكم الفرس فقط بالتجارة المارة عبر طريق الحرير. ورغم قول معظم المصادر العربية بأن كسرى قد مد سيف بن ذي يزن بثمان مئة سجين فقط؛ وصل منهم إلى اليمن ست مئة سجين[86]، ورغم رفض بعض تلك المصادر لذلك العدد، وقولهم إن الجنود الفرس الذين وصلوا إلى اليمن بلغوا سبعة آلاف وخمس مئة[87]، ثم أضاف إليهم من في سجونه من المجرمين[88]. وفي كل الأحوال لا يمكن

لذلك العدد أن يحرر اليمن من الأحباش، خصوصاً أن تلك المصادر تذكر بأن عدد جيش مسروق بن أبرهة كان يبلغ مئة ألف مقاتل، وبالتالي فالتحرير تم على يد أبناء اليمن، الذين رفع العون الفارسي من معنوياتهم وجعلهم ينضمون لذلك الجيش، فالطبري[89] يذكر لنا بأن سيف قد وعد وهرز قائد الجيش الفارسي بأن يقاتل العرب في صف الجيش الفارس حتى الموت أو الظَّفَر. وقد انتهت المعارك بانتصار الفرس ومن معهم من اليمنيين على الأحباش عام 575م، بعد مقتلة كبيرة تمت في صفوف الأحباش ومقتل ملكهم مسروق بن أبرهة، تم تنصيب سيف بن ذي يزن ملكاً على اليمن، في ظل اعترافه بالولاء للفرس ودفع الجزية لهم. لكن الملك سيف سرعان ما قتل على يد حراسه الأحباش من رماة الحراب الذين استبقاهم لديه[90]. وقد اختلفت الروايات عن الدافع لمقتل سيف بن ذي يزن بين من يرى أنهم فعلوا ذلك انتقاماً لقومهم، وبين قائل أنهم إنما فعلوه بتحريض من الفرس الذين كانوا يرغبون بالسيطرة المباشرة على اليمن، خصوصاً أن الفرس بعد مقتل الملك سيف لم يسعوا لتنصيب خليفة له، لكنهم جعلوا من اليمن ولاية فارسية يعينون عليها الولاة الفرس، وظل ذلك الوضع حتى ظهور الإسلام ودخول باذان الفارسي آخر والي فارسي في اليمن في الدين الجديد. وقد مثل طرد الأحباش من اليمن ضربة قوية لمصالح بيزنطة، لأن أبرهة وولديه من بعده كانوا قد ضمنوا لها إبعاد النفوذ الفارسي عن تجارة البحر الأحمر. وبذلك فإن سيطرة الفرس على اليمن قد ترتب عليها مصاعب إضافية في البحر الأحمر والمحيط الهندي للبيزنطيين وحلفائهم الأحباش، وهو ما جعل بيزنطة أشد اضطراراً للاعتماد على قوافل التجارة المكية في استيراد ما تحتاجه من البضائع الشرقية[91].وقد سيّر الفرس قوافل تجارية من عاصمتهم المدائن ومن مناطق أتباعهم في الإمارة اللخمية. حيث أصبح الوالي الفارسي في اليمن يرسل القوافل من صنعاء إلى المدائن، ويستقبل القوافل التي تأتيه من هناك، ويرسل لكسرى بما يحتاجه من أسواق اليمن، وقد سيطر الفرس على أسواق التجارة الكبيرة في اليمن كسوق صنعاء وسوق عدن[92]. كما أخذ ملوك الحيرة يرسلون بلطائمهم (قوافلهم التجارية) إلى اليمن للبيع والشراء. وقد أثر كل ذلك في تجارة أهل مكة، حيث انتزع الفرس وملوك الحيرة من أيديهم قسطاً من أرباحهم[93]. ونختتم الحديث هنا بإشارة وردت لدى حمزة الأصفهاني نفهم منها أنه كان من مهام الولاة الفرس في اليمن مراقبة الأوضاع في المناطق المحيطة بها، بما في ذلك الجزيرة العربية كلها، حيث يشير أن باذان الوالي الفارسي في اليمن كان قد بعث رسالة إلى كسرى أبرويز يخبره فيه بظهور

دعـوة النبـي محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم في مكـة، حيـث جـاء في رسـالته «ظهـر في جبـال تهامـة داعيـة خفـي أمـره، قليـل شـيعته، وقـد وتِرتـه العـرب، ونصبـت لـه الحـرب إلا اليسـير ممـن أجابـه واتبعـه»[94]. وبظهـور الإسـلام وتكّـون دولتـه التـي شـملت كل الجزيـرة العربيـة، بـل وامتـدت لتسـقط الدولـة الفارسـية نفسـها، وتنتـزع مـن الدولـة البيزنطيـة ولاياتهـا في آسـيا وأفريقيـا، انتفـت الحاجـة للإيـلاف، وأصبحـت القوافـل التجاريـة تسـير في أرض تتبـع دولـة واحـدة[95]. وهيمنـت تلـك الدولـة عـلى طريـق البحـر الأحمـر، وصـار لهـا تجارتهـا مـع الهنـد وعالـم المحيـط الهنـدي، بـل وصـارت بمثابـة الشريـك التجـاري الرئيـس لتلـك البلـدان، وعبرهـا يتـم نقـل البضائـع الشرقيـة صـوب أوروبـا[96].

الخاتمة:

هكـذا يتضـح لنـا بـأن الطـرق التجاريـة التـي كانـت تربـط بـين عالمـي المحيـط الهنـدي والبحـر المتوسـط (بشـقيها البـري والبحـري) قـد شـهدت صراعـاً دوليـاً متشـعباً بغـرض السـيطرة عليهـا، امتـد مـن أواخـر القـرن الرابـع قبـل الميـلاد بظهـور الاسـكندر المقدونـي في الـشرق، وانتهـى في مطلـع القـرن السـابع الميـلادي بظهـور الإسـلام وتكويـن دولتـه الفتيـة التـي امتـدت مـن الصـين شرقـاً إلى فرنسـا غربـاً، مـروراً بالبطالمـة والرومـان والبيزنطيـين، وبمـن عاصرهـم مـن الفرس والأحبـاش والعرب.وقـد أوضحنـا في ثنايـا البحـث مراحـل الـصراع التـي مـرت بهـا منطقـة البحـر الأحمـر وظهيرهـا الـبري، حيـث هيمنـت الدولـة الإسـلامية الناشـئة في نهايـة المطـاف عـلى طـرق التجـارة تلـك، وبذلـك تولـت هـي عمليـة التنسـيق في نقـل البضائـع المتداولـة بـين الـشرق والغـرب، ودخلنـا بذلـك في مرحلـة جديـدة ليسـت مـن ضمـن الفـترة التـي تخصـص بحثنـا هـذا بدراسـتها.

أهم النتائج:

- هيمنت الدول اليمنية القديمة على طريق اللبان قرابة ألفي عام (من مطلع الألف الأول قبل الميلاد إلى بداية العصر الميلادي.
- تضافرت عوامل عدة، وعملت على تحويل التجارة الدولية – أو معظمها بتعبير أدق- لطريق اللبان البري صوب البحر الأحمر منذ أواخر القرن الأول قبل الميلاد.
- كان للمنافسة الأوروبية (الإسكندر المقدوني، البطالمة، الرومان، البيزنطيون) إلى جانب دولة أكسوم الحبشية الدور الأبرز في ذلك التحول.
- استعاد الطريق البري جزءا مهما من نشاطه على يد إيلاف قريش، وظل ذلك التنافس بين الطريقين البري والبحري بين مد وجزر، بناء على قوة هذا الطرف السياسي وضعف ذاك، وبناء على مصلحة الطرف المهيمن في الاتجاه الذي يجب أن تسلكه البضائع التي يتم الاتجار بها بين الشرق والغرب.

التوصيات:

- توصي الدراسة بضرورة العمل على إحياء طريق اللبان التجاري التاريخي بشكل معاصر للربط بين الدول العربية، أسوة بما تفعله الصين من إحياء لطريق الحرير التاريخي.
- تكثيف التعاون بين دول حوض البحر الأحمر للمحافظة على أمنه بشكل مشترك، وزيادة التعاون والتنسيق بين دوله في مختلف المجالات؛ الاقتصادية منها بشكل خاص، وتجنيبه التدخلات الدولية القادمة من خارج المنطقة.

المصادر والمراجع

(1) عن أهمية المحيط الهندي والبحر المتوسط والموقع الجغرافي المتميز لجزيرة العرب الممتدة بينهما، انظر: أبوالغيث، عبدالله. النشاط التجاري اليمني القديم وصلاته بالهند، مجلة التاريخ العربي، الرباط، العدد 55، 20011م، ص 57-58.

(2) عبدالله، يوسف محمد. أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990م، ص222.

(3) مثلًا: عبدالله، أوراق، ص222.

(4) ديمانج، فرانسواز. قوافل البخور، ضمن كتاب طرق التجارة القديمة، الهيئة العامة للسياحة والآثار، الرياض، 2010م، ص124.

(5) الهاشمي، رضا جواد، آثار الخليج والجزيرة العربية، بغداد، 1984م، ص275-279.

(6) عن الأزمنة الواردة في هذا المقطع انظر: مجموعة مؤلفين. عُمان في التاريخ، دار اميل للنشر المحدودة، لندن، 1995م، ص100.

(7) السيوطي جلال الدين والمحلي جلال الدين. تفسير الإمامين الجلالين، بيروت، 1987م، تفسير سورة يوسف الآية 19، ص304-305.

(8) أبوالغيث، عبدالله. فجر الحضارة العربية القديمة.. رؤية تاريخية حول حضارات الأقوام العربية العتيقة (عاد، ثمود، مدين)، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد88، 2009م، ص8.

(9) مهران، محمد بيومي. دراسات تاريخية من القرآن الكريم، ج1 بلاد العرب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م، ص260.

(10) مرسي، محمد إبراهيم. أضواء على ملكة سبأ، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية 9، الرسالة 49، 1988م، ص16.

(11) روبان، كريستيان جوليان. العصور القديمة، ضمن كتاب: طرق التجارة القديمة، الهيئة العامة للسياحة والآثار، الرياض، 2010م، ص82-83.

(12) عبدالله، أوراق، ص220-222.

(13) يحيى، لطفي عبدالوهاب. العرب في العصور القديمة، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م، ص315.

(14) العنزي، سالم سمران. طرق القوافل وآثارها في شمال جزيرة العرب، خطوات للنشر والتوزيع، دمشق، 2007م، ص66.

(15) أبوالغيث، عبدالله. العلاقات السياسية بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها من القرن الثالث حتى القرن السادس الميلادي، ج1، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004م، ص49.

(16) نقلاً عن: زيادة، نقولا. دليل البحر الإرثيري وتجارة الجزيرة العربية البحرية، ضمن كتاب الجزيرة العربية قبل الإسلام، مطابع جامعة الملك سعود، 1984م، ص274-276.

(17) سحاب، فكتور. إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، المركز الثقافي العربي، بيروت-الدار البيضاء، 1992م، ص41-47.

(18) ناشر، هشام عبدالعزيز. التجارة بين شبه الجرة العربية وسورية في الألف الأول قبل الميلاد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عدن، كلية الآداب، قسم التاريخ، 2003م، ص122-149.

(19) أبوالغيث، النشاط التجاري اليمني القديم، ص72-73.

(20) نقلاً عن: الشيبة، عبدالله حسن. ترجمات يمانية (العربية السعيدة في المصادر الكلاسيكية)، دار الكتاب الجامعي، صنعاء، 2008م، ص59.

(21) فرح، أبواليسر. الشرق الأدنى في العصرين الهللينستي والروماني، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 2002م، ص36-38.

(22) الشيبة، عبدالله حسن. دراسات في تاريخ اليمن القديم، مكتبة الوعي الثوري، تعز، 2000م، ص18.
(23) الناصري، سيد أحمد علي. الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة، ضمن كتاب: الجزيرة العربية قبل الإسلام، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، 1984م، ص407-416.
(24) الناصري، الصراع على البحر الأحمر، ص419.
(25) عبدالعليم، مصطفى كمال. تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد العطرية في العصرين اليوناني والروماني، ضمن كتاب: الجزيرة العربية قبل الإسلام، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، 1984م، ص203.
(26) الشيبة، دراسات في تاريخ اليمن القديم، ص20.
(27) أبوالغيث، النشاط التجاري اليمني القديم، ص63-64.
(28) الناصري، الصراع على البحر الأحمر، ص421.
(29) Van Beek, Gus, Pre-Islamic South Arabian Shipping in the Indian Ocean JOAS, New Haven ASOR, 1960, vol 80, pp.136-139.
(30) أبوالغيث، النشاط التجاري اليمني القديم، ص60-61.
(31) الناصري، سيد أحمد علي. الرومان والبحر الأحمر، مجلة الدارة، العدد2، السنة السادسة، تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ص22.
(32) الذييب، سليمان بن عبدالرحمن. الحملة الرومانية الأولى على جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، الرياض، 1436هـ، ص41.
(33) Strabo: Th Geography, translates by Horace Leonard Jones, the Loeb Classical Library London and New York, 1930, IV , sec. 22-24.
(34) أبوالغيث، عبدالله. قراءة تاريخية لتدوينات الكُتاب الإغريق عن جنوب جزيرة العرب..استرابون أنموذجاً، مجلة شؤون العصر، العدد48، صنعاء، 2013م، ص134-136.
(35) أبوالغيث، قراءة تاريخية لتدوينات الكُتاب الإغريق، ص136.
(36) بخصوص وصية أغسطس ودوافعها، انظر: سحاب، إيلاف قريش، ص53-56.
(37) Strabo: Th Geography, IV,sec.19,22.
(38) أبوالغيث، العلاقات السياسية، ج1، ص51.
(39) الذييب، الحملة الرومانية الأولى، ص45.
(40) عبدالله، أوراق في تاريخ اليمن، ص312-335.
(41) نقلًا عن: الشيبة، ترجمات يمانية، ص79.
(42) عن تلك الاختلافات انظر: الناصري، الرومان والبحر الأحمر، ص27-30.
(43) عن التقديرات الجديدة لزمن تأليف كتاب دليل البحر الأرتيري، انظر: عبدالله، يوسف محمد. مدينة السوا في كتاب الطواف حول البحر الأرتيري، مجلة ريدان، عدن، 1988م، ص101-113.
(44) الشيبة، عبدالله حسن. محاضرات في تاريخ الحبشة القديم، دار الكتاب الجامعي، صنعاء، 2006م، ص88، 99.
(45) أبوالغيث، عبدالله. الازدهار والتواصل الحضاري القديم في منطقة تعز (المعافر)، ضمن كتاب: تعز عاصمة اليمن الثقافية على مر العصور، مؤسسة السعيد للعلوم الثقافية، تعز، 2010م، ص54، 55.
(46) الكنايدو كلبتاي: يرى البعض أنها تعني لصوص البحر (القراصنة)، بينما يرى البعض الآخر أن المقصود بها دولة كِندة في دهرها الأول التي كانت تقوم خلال هذه الفترة في المنطقة الواقعة جنوب

غرب نجد وما جاورها، وكانت عاصمتها مدية قرية ذات كهل الوقعة في ذلك المكان، قرية الفاو حالياً.

(47) الشيبة، محاضرات في تاريخ الحبشة، ص93-95.

(48) عن عدم تحدي أكسوم لروما، انظر: الناصري، الرومان والبحر الأحمر، ص16.

(49) Rossini, Conti,Storia d, Ethiopia, Bergam, 1928, pp.120.

(50) الأشبط، علي عبدالرحمن. اليمن والحبشة من القرن الأول حتى القرن السادس الميلادي، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، 2012م، ص111.

(51) الشيبة، محاضرات في تاريخ الحبشة القديم، ص111-113.

(52) أبوالغيث، عبدالله. الأوضاع السياسية في دولة سبأ خلال القرن الثالث الميلادي، مجلة الإكليل، صنعاء، العدد29، 2006م، ص49، 50.

(53) أبوالغيث، عبدالله. دولة كندة في دهرها الأول وعلاقتها باليمن، ضمن كتاب: صنعاء الحضارة والتاريخ، مج1، المؤتمر الدولي الخامس للحضارة اليمنية، صنعاء، 2005، ص33-35.

(54) أبوالغيث، العلاقات السياسية، ج1، ص59، 60.

(55) أبوالغيث، دولة كندة في دهرها الأول، ص35، 36.

(56) أبوالغيث، العلاقات السياسية، ج1، ص76، 77.

(57) عبدالله، أوراق في تاريخ اليمن، ص60.

(58) أبوالغيث، العلاقات السياسية، ج1، ص87، 88.

(59) أبوالغيث، العلاقات السياسية، ج1، ص92، 93.

(60) عبدالله، أوراق في تاريخ اليمن، ص59.

(61) Wissmann, H. V. Himyar Ancient History, Le Museon, 77, 3-4, 1964, pp.487.

(62) شهيد، عرفان. حملة امرؤ القيس على نجران.. المصادر غير المنشورة، ضمن كتاب: مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ج1، مطابع جامعة الرياض، الرياض، 1399هـ، ص75.

(63) عبدالله، أوراق في تاريخ اليمن، ص59.

(64) لوندين، أ. ج. الموظف الدبلوماسي السبئي، ترجمة: قائد محمد طربوش، مراجعة: محمد أحمد علي، مجلة الإكليل، العدد2، السنة السادسة، 1988م، ص21.

(65) بافقيه، محمد عبدالقادر. هوامش على نقش عبدان الكبير، مجلة ريدان، العدد4، 1981م، ص33-38.

(66) أبوالغيث، العلاقات السياسية، ج2، ص15-20.

(67) أبوالغيث، العلاقات السياسية، ج2، ص25-30، 76-112.

(68) كوبيشانوف، يوري ميخايلوفتش. الشمال الشرقي الأفريقي في العصور الوسيطة المبكرة وعلاقته بالجزيرة العربية، ترجمة: صلاح الدين هاشم، عمّان، 1988م، ص31.

(69) يعقوب الثالث، اغناطيوس. الشهداء الحميّريون العرب في الوثائق السريانية، دمشق، 1966، ص43، 113.

(70) أبوالغيث، العلاقات السياسية، ج2، ص3331-.

(71) أبوالغيث، عبدالله. حملة أبرهة الحبشي على منطقة وسط الجزيرة العربية المذكورة في نقش مسندي وعلاقتها بحملته على مكة المذكورة في القرآن الكريم، مجلة الإصباح، بوردو- فرنسا، العدد الخامس، يوليو 2020م، ص-76 91.

(72) سحاب، إيلاف قريش، ص47-48، 138-142.

(73) انظر تفاصيل الحملتين في: أبوالغيث، حملة أبرهة على منطقة وسط الجزيرة العربية، ص-76 91.

(74) لبلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر. أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة، 1959م، ص59.
(75) سحاب، إيلاف قريش، ص195، 212.
(76) عن تلك الأسواق وأماكنها ومواعيدها، انظر: أبوالغيث، عبدالله. بلاد العرب في التاريخ القديم، دار الكتاب الجامعي، صنعاء، صنعاء، 2007م، ص213-221.
(77) ابن هشام، أبومحمد عبدالملك. السيرة النبوية، مج1، ج1، تحقيق: محمد شحاتة إبراهيم، مكتبة فياض، القاهرة، 1990م، ص30-32.
(78) مثلاً: لوندين. أ. ج. اليمن إبان القرن السادس الميلادي، الحلقة الرابعة، مجلة الإكليل، العدد الأول، السنة الثامنة، 1990م، ص22.
(79) هبو، أحمد أرحيم، تاريخ العرب قبل الإسلام، منشورات جامعة حلب، حلب، 1990م، ص104.
(80) سحاب، إيلاف قريش، ص165.
(81) جليان، عطاء الله. مجتمع قريش السياسي والديني في عام الفيل، بيروت، 1987م، ص14.
(82) ابن هشام، السيرة النبوية، مج1، ج1، ص37.
(83) الشيبة، دراسات في تاريخ اليمن القديم، ص33.
(84) الشيبة، دراسات في تاريخ اليمن القديم، ص33.
(85) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، ج1، تحقيق: مصطفى السيد و طارق سالم، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت، ص444.
(86) الطبري، ج1، ص443.
(87) ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم. المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، 1969م، 368، 664.
(88) المسعودي، أبوالحسن علي بن الحسين. مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج2، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت، 1973م، ص81.
(89) الطبري، ج1، ص444.
(90) الطبري، ج1، ص444، 448.
(91) سحاب، إيلاف قريش، ص147.
(92) الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد. اليمن في صدر الإسلام، دار الفكر، دمشق، 1987م، ص27، 28.
(93) علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج4، دار العلم للملايين، بيروت، 1976م، ص115.
(94) الأصفهاني، حمزة بن الحسن. تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1961م، ص114ن 115.
(95) سحاب، إيلاف قريش، ص416، 417.
(96) لمزيد من التفاصيل عن أحداث هذه المرحلة، انظر: عثمان، شوقي عبدالقوي، تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، كتاب عالم المعرفة رقم 151، 1990م.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر والمراجع العربية والمعربة:

(1) ابن قتيبة، أبو محمد عبدالله بن مسلم، المعارف، تحقيق: ثروت عكاشة، دار المعارف، القاهرة، 1969م.

(2) ابن هشام، أبومحمد عبدالملك. السيرة النبوية، مج1، ج1، تحقيق: محمد شحاتة إبراهيم، مكتبة فياض، القاهرة، 1990م.

(3) أبوالغيث، عبدالله. الازدهار والتواصل الحضاري القديم في منطقة تعز (المعافر)، ضمن كتاب: تعز عاصمة اليمن الثقافية على مر العصور، مؤسسة السعيد للعلوم الثقافية، تعز، 2010م.

(4) ـــــــــــــــــــــــــــــــ الأوضاع السياسية في دولة سبأ خلال القرن الثالث الميلادي، مجلة الإكليل، صنعاء، العدد29، 2006م.

(5) ـــــــــــــــــــــــــــــــ العلاقات السياسية بين جنوب الجزيرة العربية وشمالها من القرن الثالث حتى القرن السادس الميلادي، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء، 2004م.

(6) ـــــــــــــــــــــــــــــــ النشاط التجاري اليمني القديم وصلاته بالهند، مجلة التاريخ العربي، الرباط، العدد 55، 20011م.

(7) ـــــــــــــــــــــــــــــــ بلاد العرب في التاريخ القديم، دار الكتاب الجامعي، صنعاء، 2007م.

(8) ـــــــــــــــــــــــــــــــ حملة أبرهة الحبشي على منطقة وسط الجزيرة العربية المذكورة في نقش مسندي وعلاقتها بحملته على مكة المذكورة في القرآن الكريم، مجلة الإصباح، بوردو- فرنسا، العدد الخامس، يوليو2020م.

(9) ـــــــــــــــــــــــــــــــ دولة كندة في دهرها الأول وعلاقتها باليمن، ضمن كتاب: صنعاء الحضارة والتاريخ، مج1، المؤتمر الدولي الخامس للحضارة اليمنية، صنعاء، 2005م.

(10) ـــــــــــــــــــــــــــــــ فجر الحضارة العربية القديمة.. رؤية تاريخية حول حضارات الأقوام العربية العتيقة (عاد، ثمود، مدين)، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، العدد88، 2009م.

(11) ـــــــــــــــــــــــــــــــ قراءة تاريخية لتدوينات الكُتاب الإغريق عن جنوب جزيرة العرب..استرابون أنموذجاً، مجلة شؤون العصر، العدد48، صنعاء، 2013م.

(12) الأشبط، علي عبدالرحمن. اليمن والحبشة من القرن الأول حتى القرن السادس الميلادي، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، 2012م.

(13) الأصفهاني، حمزة بن الحسن. تاريخ سني ملوك الأرض والأنبياء، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1961م.

(14) بافقيه، محمد عبدالقادر. هوامش على نقش عبدان الكبير، مجلة ريدان، العدد4، 1981م.

(15) البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر. أنساب الأشراف، تحقيق: محمد حميد الله، دار المعارف، القاهرة، 1959م.

(16) جليان، عطاء الله. مجتمع قريش السياسي والديني في عام الفيل، بيروت، 1987م.

(17) ديمانج، فرانسواز. قوافل البخور، ضمن كتاب طرق التجارة القديمة، الهيئة العامة للسياحة والآثار، الرياض، 2010م.

(18) الذييب، سليمان بن عبدالرحمن. الحملة الرومانية الأولى على جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث الإسلامية، الرياض، 1436هـ.

(19) روبان، كريستيان جوليان. العصور القديمة، ضمن كتاب: طرق التجارة القديمة، الهيئة العامة للسياحة والآثار، الرياض، 2010م.

(20) زيادة، نقولا. دليل البحر الإرثيري وتجارة الجزيرة العربية البحرية، ضمن كتاب الجزيرة العربية قبل الإسلام، مطابع جامعة الملك سعود، 1984م.

(21) سحاب، فكتور. إيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، المركز الثقافي العربي، بيروت-الدار البيضاء، 1992م.

(22) السيوطي جلال الدين و المحلي جلال الدين. تفسير الإمامين الجلالين، بيروت، 1987م.

(23) الشجاع، عبدالرحمن عبدالواحد. اليمن في صدر الإسلام، دار الفكر، دمشق، 1987م.

(24) شهيد، عرفان. حملة امرؤ القيس على نجران.. المصادر غير المنشورة، ضمن كتاب: مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ج1، مطابع جامعة الرياض، الرياض، 1399هـ.

(25) الشيبة، عبدالله حسن. ترجمات يمانية (العربية السعيدة في المصادر الكلاسيكية)، دار الكتاب الجامعي، صنعاء، 2008م.

(26) ـــــــــــــــــــــــــــــ دراسات في تاريخ اليمن القديم، مكتبة الوعي الثوري، تعز، 2000م.

(27) ـــــــــــــــــــــــــــــ محاضرات في تاريخ الحبشة القديم، دار الكتاب الجامعي، صنعاء، 2006م.

(28) - الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الأمم والملوك، ج1، تحقيق: مصطفى السيد و طارق سالم، المكتبة التوفيقية، القاهرة، د.ت.

(29) - عبدالعليم، مصطفى كمال. تجارة الجزيرة العربية مع مصر في المواد

العطرية في العصرين اليوناني والروماني، ضمن كتاب: الجزيرة العربية قبل الإسلام، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، 1984م.

(30) عبدالله، يوسف محمد. أوراق في تاريخ اليمن وآثاره، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1990م.

(31) ـــــــــــــــــــــــــــــ مدينة السوا في كتاب الطواف حول البحر الأرتيري، مجلة ريدان، عدن، 1988م.

(32) عثمان، شوقي عبدالقوي. تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية، كتاب عالم المعرفة رقم 151، 1990م.

(33) علي، جواد. المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج4، دار العلم للملايين، بيروت، 1976م.

(34) العنزي، سالم سمران. طرق القوافل وآثارها في شمال جزيرة العرب، خطوات للنشر والتوزيع، دمشق، 2007م.

(35) فرح، أبواليسر. الشرق الأدنى في العصرين الهللينستي والروماني، عين للدراسات الإنسانية والاجتماعية، القاهرة،2002م.

(36) كوبيشانوف، يوري ميخايلوفتش. الشمال الشرقي الأفريقي في العصور الوسيطة المبكرة وعلاقته بالجزيرة العربية، ترجمة: صلاح الدين هاشم، عمّان، 1988م.

(37) لوندين. أ. ج. اليمن إبان القرن السادس الميلادي، الحلقة الرابعة، مجلة الإكليل، العدد الأول، السنة الثامنة، 1990م.

(38) ـــــــــــــــــــــــــــــ الموظف الدبلوماسي السبئي، ترجمة: قائد محمد طربوش، مراجعة: محمد أحمد علي، مجلة الإكليل، العدد2، السنة السادسة، 1988م.

(39) مجموعة مؤلفين. عُمان في التاريخ، دار اميل للنشر المحدودة، لندن، 1995م.

(40) مرسي، محمد إبراهيم. أضواء على ملكة سبأ، حوليات كلية الآداب، جامعة الكويت، الحولية 9، الرسالة 49، 1988م.

(41) المسعودي، أبو الحسن علي بن الحسين. مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج2، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الفكر، بيروت، 1973م.

(42) مهران، محمد بيومي. دراسات تاريخية من القرآن الكريم، ج1 بلاد العرب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1995م.

(43) ناشر، هشام عبدالعزيز. التجارة بين شبه الجرة العربية وسورية في الألف الأول قبل الميلاد، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة عدن، كلية الآداب، قسم التاريخ، 2003م.

(44) الناصري، سيد أحمد علي. الرومان والبحر الأحمر، مجلة الدارة، العدد2، السنة

السادسة، تصدر عن دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

(45) ـــــــــــــــــــــــــــــ الصراع على البحر الأحمر في عصر البطالمة، ضمن كتاب: الجزيرة العربية قبل الإسلام، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض، 1984م.

(46) الهاشمي، رضا جواد. آثار الخليج والجزيرة العربية، بغداد، 1984م.

(47) هبو، أحمد أرحيم. تاريخ العرب قبل الإسلام، منشورات جامعة حلب، حلب، 1990م.

(48) يحيى، لطفي عبدالوهاب. العرب في العصور القديمة، دار النهضة العربية، بيروت، 1979م.

(49) يعقوب الثالث، اغناطيوس. الشهداء الحميّريون العرب في الوثائق السريانية، دمشق، 1966م.

ثانياً: المصادر والمراجع الأجنبية:

(1) Rossini, Conti,Storia d, Ethiopia, Bergam, 1928. –

(2) Strabo: Th Geography, translates by Horace Leonard Jones, the Loeb Classical Library London and New York, 1930.

(3) Van Beek, Gus, Pre–Islamic South Arabian Shipping in the Indian Ocean JOAS, New Haven ASOR, 1960.

(4) Wissmann, H. V. Himyar Ancient History, Le Museon, 77, 3–4, 1964.–

مينائي مصوع وعصب (دراسة تاريخية)

د.سعـــــاد محمـد الجفـال

قسم التاريخ -تاريخ حديث ومعاصر-كلية الآداب - جامعة طرابلس - ليبيا

المستخلص:

تتنـاول هـذه الدراسـة موضـوع مينائـي مصـوع وعصـب في إرتريـا وتركـز عـلي الناحيـة السياسـية والإسـتراتيجية والاقتصاديـة ويعـد الميناءان مـن أهـم الموانئ الأفريقيـة المطلـة عـلي سـاحل البحـر الأحمـر في الجـزء الشـمالي الشرقـي منهـا وقـد كان لهمـا دورا هامـا عـبر المراحـل الزمنيـة المختلفـة سـواء تلـك التـي سـبقت مرحلـة الإسـتعمار الأوروبـي أو في فـترة النـزاع الـدولي حـول السـيطرة عـلي إرتريا.اكتسـب الميناءان أهميتهمـا مـن أهميـة المنطقـة خاصـة وأن إرتريـا لـم تكـن دولـة حديثـة العهـد بـل هـي معروفـة منـذ عهـد الرومـان وكان يطلـق عليهـا آنـذاك اسـم البحـر الأحمـر نسـبة إلي البحـر الـذي تطـل عليـه، ومنحهـا موقعهـا الجغـرافي أهميـة كـبري فكانـت ممـراً للعديـد مـن الهجـرات ومسـتقرا للبعـض منهـا، وقـد خضعـت إرتريـا لسـيطرة العديـد مـن القـوي المختلفـة بدايـة بالمسـلمين ثـم البرتغاليـين مطلـع القـرن 16 ومـن بعدهـم العثمانيـين حتـي تاريـخ دخـول إيطاليـا ميـدان الـصراع حولهـا والسـيطرة عليهـا سـنة 1885، ثـم الإنجليـز وأخـيرا منحـت حكـم ذاتـي ولكـن تحـت سـيطرة إثيوبيـا واسـتمر الوضـع هكـذا حتـي حصـول إرتريـا عـلي اسـتقلالها سـنة 1993.يرتبـط ميناء مصـوع بالمنطقـة المقـام عليهـا ذات التاريـخ التجـاري العريـق والتـي كانـت نقطـة جـذب للتجـار ومركـز هـام في عمليـات التبـادل التجـاري عـبر العصـور التاريخيـة حتـي أطلـق عليهـا الإيطاليـون اسـم بـاب الإمبراطوريـة ، وحظـي الميناء بالتطويـر منـذ سـنة 1867 مـن قبـل السـلطات المصريـة آنـذاك، ثـم قـام الإنجليـز بتشـييد رصيـف لميناء مصـوع سـنة 1870 ثـم أعـاد الإيطاليـون تجديـده سـنة 1935، أمـا ميناء عصـب فهـو لا يقـل أهميـة عـن ميناء مصـوع ويأتـي في المرتبـة الثانيـة بعـده، ويعـود الفضـل لإيطاليـا في توسـيع هـذه المنطقـة وجعلهـا ميناء ذو أهميـة عـلاوة عـلي قيامهـا بربـط مينائـي عصـب ومصـوع بباقـي المـدن والأقاليـم الإرتريـة بشـبكة مواصـلات مختلفـة ممـا أدي إلي الرفـع مـن مسـتوي البـلاد اقتصاديا.لقـد كان للميناءيـن أهميـة جيوبوليتيكيـة خاصـة بالنسـبة للاسـتعمار الأوروبـي عـلاوة عـلي الأهميـة الجغرافيـة والإسـتراتيجية ممـا جعلهمـا هدفـا للـصراع الـدولي باعتبارهمـا منافـذ بحريـة هامـة خاصـة في فـترة

الحـرب العالميـة الثانيـة، وفي المرحلـة التـي تلـت ذلـك تحـول الـصراع مـن محاولـة السـيطرة المبـاشرة عليهمـا إلي السـعي حثيثـا مـن أجـل عقـد إتفاقيـات اسـتثمار واسـتنفاع مـع السـلطة القائمـة عـلي هاذيـن الميناءيـن.

Abstract:

This study will examine the political, strategic and economic significance of the two Eritrean ports of Mitsiwa and Āssab. The two ports are considered of the most important African ports along the northern-eastern side of the red sea's coast. They played a key role throughout different epochs; whether during the pre-European colonization or when control over Eritrea was globally contested.

The ports of Mitsiwa and Āssab gained their importance according to that of the region in which they are located. Eritrea was marked as a geographical entity since Roman times when it was named Red Sea after the sea it borders. Its geographical location has indeed bestowed it its significance because it offered a main route for many trading convoys as well as a settlement place for others. Many powers ruled over Eritrea; starting with the Muslims, then the Portuguese who took over at the beginning of the sixteens century, followed by the Ottomans up until Italy took control over the country in 1885 and finally the British. Eritrea then achieved self-rule under Ethiopian control, which lasted till 1993 when the country gained independence as a state.

The port of Mitsiwa received its reputation after its region that is known for its inveterate commercial standing. It was an attractive place for merchants and an important center for trade throughout history. In that vein, the Italians called it the empire's gate, and Egyptian authorities modernized it in 1867. Moreover, the British built a pier for the port in 1870, which the Italians renovated in 1935. The port of Āssab comes second after that of Mitsiwa in terms of importance. It's due to Italy that the two gained their status after it established a network of roads that connected the two ports with the rest of the country, which ultimately alleviated the

country's economy. The two ports had geopolitical prominence that led to a global rivalry over their control, particularly during European colonization and the Second World War. In the time that followed, contestation shifted from seeking to control the ports into aiming to secure investment and usage contracts with local ruling authorities.

مقدمة:

تكتسي الموانئ المطلة على البحر الأحمر أهمية استراتيجية واقتصادية وسياسية على مر العصور التاريخية المختلفة، حيث لعبت دورا في رسم سياسة المنطقة خاصة في زمن الإستعمار الاوروبي لقارة إفريقيا بشكل عام ومنطقة حوض البحر الأحمر بشكل خاص، وقد بدأ التركيز الأوروبي على الموانئ الإريترية وبشكل رئيسي على مينائي مصوع وعصب في إطار خطة تأمين المنطقة الخاضعة لسيطرتهم هناك، وقد اشتد الصراع الدولي حول البحر الأحمر وموانئه منذ بداية حركة الكشوفات الجغرافية التي ترأستها البرتغال في مطلع القرن السادس عشر الميلادي ليبدأ صراع قوي ما بين القوى الأوروبية الحديثة العهد بالاكتشاف والإستعمار من جهة والقوى الموجودة أساسا في البحر الأحمر والسواحل المطلة عليه خاصة في اليمن وشبه الجزيرة العربية إضافة إلى مصر والدولة العثمانية من جهة أخرى، ونتج عن ذلك الصراع سيطرة البرتغاليين على بعض الموانئ هناك في مرحلة أولي ثم وفي مرحلة لاحقة نجح الإنجليز في بسط سيطرتهم على عدن سنة 1839 ثم عملوا على تأمين المنطقة المقابلة لها لضمان استقرار واستمرار وجودهم هناك وعدم السماح لأي قوة بالظهور في هذا النطاق والتي من شأنها أن تهدد وجودهم في عدن أو البحر الأحمر خاصة النفوذ المصري الذي كان موجوداً هناك إبان هذه الفترة. (1)ويعد مينائا مصوع وعصب من بين أهم وأبرز تلك الموانئ ويقعان في دولة إرتريا الواقعة في شمال شرق القارة الإفريقية والمطلة على البحر الأحمر بشاطئ طويل نسبياً يبلغ طوله أكثر من 1000 كم ويمتد حتى باب المندب وبهذا يحدها البحر الأحمر من الشمال والشرق بينما يحدها من الشمال والغرب السودان، أما من الجنوب فتحدها كل من إثيوبيا وجيبوتي(2) وبهذه الحدود تكون إرتريا أقرب إلى شكل المثلث ولكنه غير منتظم الأضلاع، وتعد إرتريا إحدى دول منطقة شرق إفريقيا والقرن الإفريقي إلى جانب كل من إثيوبيا وجيبوتي والصومال، وقد مرت إرتريا عبر تاريخها بالعديد من المراحل التاريخية المتباينة والتي أثرت بشكل مباشر على الأوضاع العامة فيها حيث خضعت لسيطرة المسلمين ثم نجحت البرتغال في بسط نفوذها عليها غير أن الدولة العثمانية منذ القرن السادس عشر والسابع عشر تمكنت من إحكام قبضتها على إرتريا بشكل مباشر في مرحلة أولى ثم بشكل غير مباشر لاحقاً بواسطة حكام مصر ، ومن بعدهما جاء الإستعمار الإيطالي ثم الإنجليزي وأخيراً خضعت لهيمنة إثيوبيا حتى سنة 1993 عندما نجحت إرتريا في الحصول على استقلالها وإعلانها كدولة مستقلة إثر نضال وطني استغرق سنوات عديدة. والخريطة التالية توضح موقع إرتريا الجغرافي وحدودها[3]

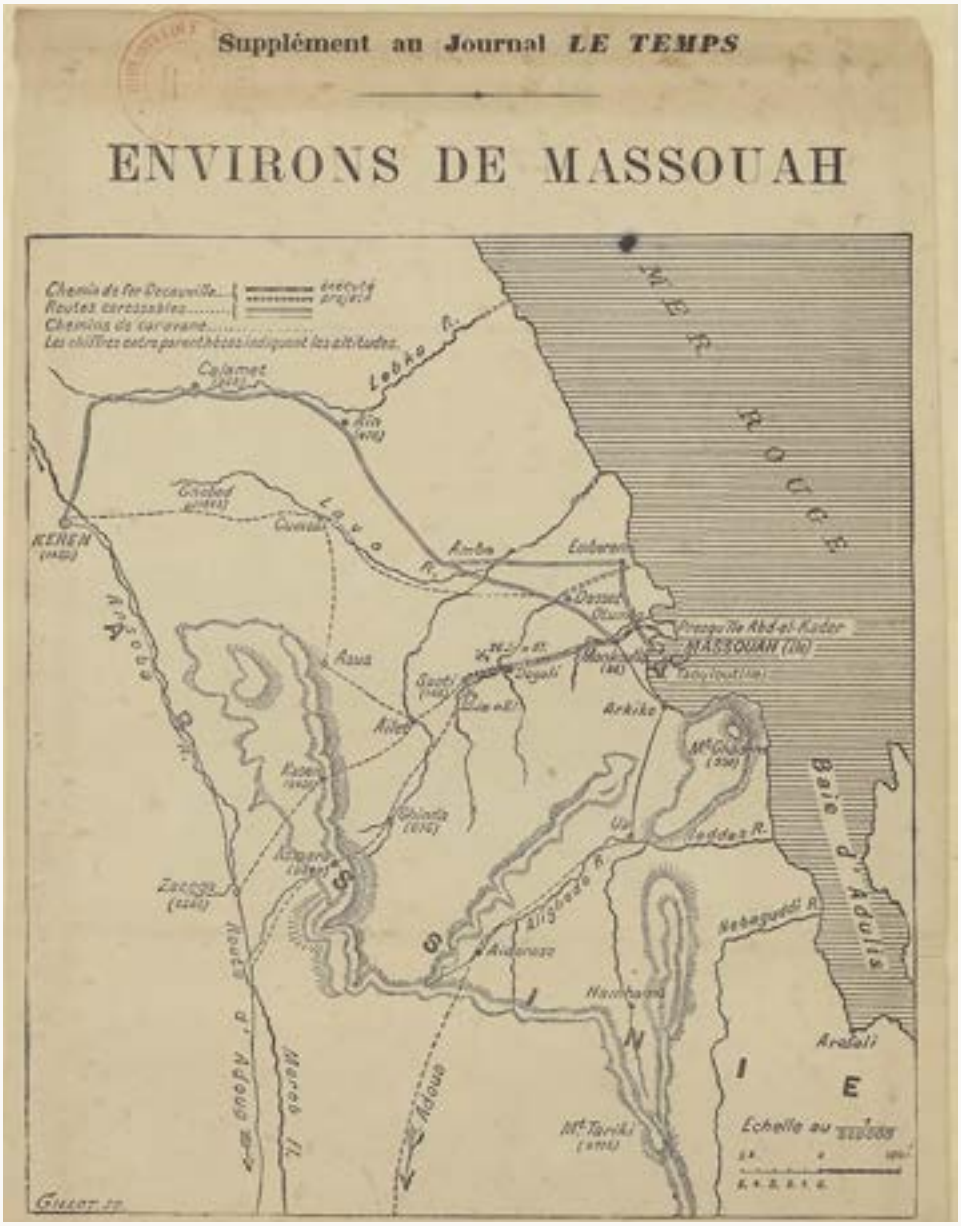
Supplément au Journal LE TEMPS
ENVIRONS DE MASSOUAH
Chemin de fer Decauville
Routes carrossables
Chemins de caravane
Les chiffres entre parenthèses indiquent les altitudes
executé
projeté
MER ROUGE
Cajamet
Laba R.
Ailet
Gouba
Cuiet
Laro R.
KEREN
Amba
Laburen
Dessei
Presqu'île Abd-el-Kader
MASSOUAH (Ile)
Asua
Ailet
Arkiko
Ua
Ladder R.
Baie d'Adulis
Zaccara
Aidarosa
Nebaguddi R.
Haikota
Arafali
Mt. Taruki
Echelle au
Mareb R.
Anseba R.
Gouba R.

التاريخ السياسي لإرتريا:

لم تكن إرتريا دولة حديثة العهد بالتاريخ ولكنها عُرفت منذ زمن حكم الفراعنة لمصر كما كانت معروفة لدى الرومان واليونانيين الذين أطلقوا عليها اسم البحر الأحمر نسبة إلى البحر الذي تطل عليه وهو البحر الأحمر، أما في العصور الوسطى فقد عرفت باسم «بحر مدري.. أو مدري بحر ..» [4]، في حين تشير بعض المصادر الأخرى إلى أن اسم إرتريا يعود إلى الاسم اليوناني سينوس ارتريوس [5] ونظراً لموقعها الجغرافي المطل على البحر الأحمر فقد كانت مستقراً وممراً للكثير من الهجرات السامية وغيرها [6]، وكان نتيجتها ظهور مزيج من الأعراق والأجناس في إرتريا خاصة والمنطقة المحيطة بها عامة، كما ظهرت في المنطقة ممالك مختلفة حكمتها عبر فترات زمنية متتالية منها على سبيل المثال لا الحصر مملكة أكسوم، والتي كانت لها صلات مختلفة مع البلاد العربية خاصة في اليمن وإن غلب عليها الطابع العدائي في أغلب الفترات[7]. ومن هنا تجدر الإشارة إلى أن صلة العرب بمنطقة القرن الإفريقي تعود إلى سنوات ضاربة في العمق تسبق ما تمت الإشارة إليه آنفاً يرجعها البعض إلى الفترة الممتدة مابين 6000 – 1000 وتعززت بعد ظهور الإسلام وبداية انطلاق الدعوة الاسلامية عندما أمر الرسول محمد صلى الله عليه وسلم اتباعه بالهجرة إلى الحبشة- التي كانت تضم كل من إثيوبيا، إرتريا، جيبوتي، والصومال وكانت ضمن المناطق الخاضعة لملك الحبشة- [8] بعد تعرض المسلمين للكثير من الأذي والمضايقات على يد قريش وزعمائها [9] وقد كان في الحبشة ملك عادل لا يظلم عنده أحد، وقد نزل المسلمون في مدينة مصوع بإرتريا[10] وبعد وفاة الرسول عليه السلام وحدوث تداول للسلطة بين الخلفاء من بعده بدأوا في العمل على نشر الدين الإسلامي عن طريق الفتوحات الإسلامية وكان من بين المناطق المستهدفة منطقة شرق إفريقيا وتحديداً القرن الإفريقي لقربها من منطقة شبه الجزيرة العربية جغرافياً وللعلاقات التجارية الوطيدة بينهما والموغلة في القدم، فتم وصل البحر الأحمر بالبحر الأبيض المتوسط عبر قناة مائية تم شقها زمن الخليفة عمر بن الخطاب وقد عرفت باسم قناة أم المؤمنين [11]، أما في زمن الأمويين فقد تسنى لهم السيطرة على أرخبيل دهلك مصوع إبان فترة حكم الخليفة عبدالملك بن مروان سنة 702م [12] ، وعقب وصول العباسيين إلى سدة الحكم تمكنت الدولة العباسية من بسط سيطرتها على إرتريا وكانت تعرف آنذاك باسم إقليم باضع وهو الاسم القديم الذي كان يطلق على مدينة مصوع [13] وقد خضعت معظم شواطئ البحر الأحمر الغربية فيما بعد لحكم قبائل البجة (14)، بعد

أن عقد معهم الفاطميون اتفاقية وسمحوا لسلطان قبائل البجة مكنون بن عبدالعزيز ببسط نفوذه على المنطقة والتي شملت ميناء مصوع.
إثر وصول البرتغاليين إلى منطقة البحر الأحمر نجحوا في السيطرة على أهم الموانئ المطلة عليه وبصفة خاصة تلك الواقعة على الواجهة الغربية له منها على سبيل المثال لا الحصر مصوع وزيلع وسواكن وغيرها وذلك مطلع القرن السادس عشر[15] حيث تمكنوا من بسط نفوذهم على إرتريا في سنة 1520، غير أن الأمر لم يستمر لهم طويلاً لأن العثمانيين رأو في وجودهم تهديداً مباشراً لمصالحهم الاقتصادية والسياسية في المنطقة لذلك كان الصراع ذا بعد اقتصادي بالدرجة الأولى فبعد سيطرة البرتغاليين على البحر الأحمر أصيبت المصالح التجارية العثمانية بالركود والضعف وعملوا على استعادة نفوذهم هناك من أجل عودة التجارة وقد نجحوا في ذلك فعاد النشاط التجاري العثماني بعودة حركة السفن في البحر الأحمر [16] ولذلك أعدوا حملة عسكرية تمثلت في أسطول كبير لطرد البرتغاليين من تلك الموانئ وحدث صدام بين العثمانيين والبرتغاليين أمام شواطئ مصوع عام 1554 وتمكن الأسطول العثماني بقيادة سنان باشا من هزيمة البرتغاليين الذين كانوا تحت قيادة دون جوان دي كاسترو ، ونجحوا في السيطرة على مصوع سنة 1557،[17] وقد خضعت لحكم العثمانيين المباشر في الفترة 1557-1690، ثم عينوا لها نواباً عنهم تابعين للسلطة المركزية العثمانية خلال 1690-1831، عقب ذلك قامت الإدارة العثمانية بإدارة المنطقة بشكل مباشر استمر الوجود العثماني بشكل مباشر في إرتريا والصومال حتى سنة 1865 عندما تنازل السلطان العثماني عنها لمصر وعلى إثر ذلك نزل الجيش المصري في مدينة مصوع بقوة تقارب 809 جنود على رأسهم القائد حسن بك [18] وتذكر مصادر أخرى أن القائد المصري كان اسمه عابدين بك تمكن من النزول بقواته في مصوع سنة 1826 وأصبح لباشوات مصر السيادة الاسمية عليها غير أنها لم تكن سيادة مباشرة، واستمر وضع مصوع السياسي على هذا المنوال حتى مرحلة الصدام الحربي ما بين والي مصر محمد علي والعثمانيين في بلاد الشام وما تم على إثر ذلك من تسوية للمسألة المصرية – العثمانية وهو الأمر الذي ترتب عنه انسحاب مصر من سواحل إفريقيا المطلة على البحر الأحمر لصالح العثمانيين وتحديداً في سنة 1849 بعد تدخل بعض الدول الأوروبية لفض ذاك النزاع لتعود السيادة العثمانية المباشرة على كل من مصوع وسواكن وغيرهما واستمر الوضع هكذا حتى فترة حكم الخديوي إسماعيل الذي تولى الحكم سنة 1863، [19] في هذه المرحلة دخلت إيطاليا إلى ميدان التنافس الإستعماري في إفريقيا ونجحت في الحصول على ميناء عصب بعد أن قامت إحدى الشركات الإيطالية بشرائه عن طريق توقيع عقد مع شيخي قبيلة (أدا علي) وهما السلطان حسن بن أحمد والسلطان إبراهيم بن أحمد سنة 1869 وكان الاتفاق ينص على شراء ميناء عصب لكي تتخذه السفن الإيطالية مكانا للتزود بالوقود وتستخدمه شركة روباتينو الإيطالية لذلك الغرض،[20] ثم استلمته الحكومة الإيطالية منها وأصبحت تحتل الميناء بشكل رسمي منذ سنة 1885[21] وكانت نقطة البداية للاستعمار الإيطالي لإرتريا بعد أن نجح القائد الإيطالي ساليتا على رأس حملة عسكرية في النزول إلى مصوع وقد أطلق عليها الإيطاليون اسم مفوضية مصوع الإقليمية ثم بعد استكمال السيطرة على كل إرتريا أطلقوا

عليها اسم مستعمرة إرتريا وقام الملك الإيطالي همبرت الأول في وقت لاحق بإصدار مرسوم تأسيس مستعمرة إرتريا سنة 1890،[22] والخريطة الآتية توضح موقع ميناء مصوع على البحر الأحمر خلال سنة 1890[23]

وفي ظل هذا الوضع السياسي كان هناك تداخل في الأحداث السياسية في المنطقة بشكل عام، ففي هذه الأثناء وقع الاحتلال الإنجليزي لمصر سنة 1882 إثر ذلك قامت بسحب الجيوش المصرية من إرتريا وما جاورها بالرغم من استمرارها في رفع العلم المصري في بعض مناطق إرتريا وبقيت المنطقة تعاني فراغاً سياسياً وعسكرياً مما جعلها تقع فريسة للأطماع الاستعمارية الأوربية وأدى الأمر إلى تقسيمها بين تلك القوى فيما بعد، غير أن الإيطاليين حافظوا على نفوذهم القوي فيها واستمر إحتلالهم لإرتريا بل نجحوا في إعلان وحدة إثيوبيا وإرتريا والصومال سنة 1936 ضمن دائرة نفوذ الإمبراطورية الإيطالية في إفريقيا الشرقية [24] وحافظ الإيطاليون على نفوذهم في إرتريا حتى الحرب العالمية الثانية.[25]، وعلى إثر هزيمة إيطاليا في الحرب العالمية الثانية خرجت من إرتريا التي خضعت مباشرة للسيطرة الإنجليزية (1941- 1952) على أن تكون فترة انتقالية حتى يتمكن الإرتريون من القيام بأعباء الحكم بأنفسهم. وتشير المصادر التاريخية إلى أن هذه المرحلة كانت من أخطر المراحل السياسية التي مرت بها البلاد بسبب تربص الحبشة (إثيوبيا) بها والعمل على ضمها لسلطتها واتخاذها خطوات عملية في هذا الاتجاه وبتشجيع من بريطانيا بشكل خاص فعملت على إثارة الفتن الداخلية بين المسلمين والمسيحيين وشجعت ظهور أحزاب سياسية موالية لها تدعو إلى الانضواء تحت سلطة الحبشة. امتد النزاع والاختلاف حول مصير إرتريا السياسي إلى الدول الأوروبية الكبرى آنذاك وهي بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية إضافة إلى الإتحاد السوفييتي آنذاك ولم يستطع هؤلاء اتخاذ قرار حاسم ونهائي حول مصير إرتريا[26] مما أدى بهم إلى رفع الأمر إلى الأمم المتحدة التي لم تتمكن من حسم الأمر أيضاً بسبب تباين وجهات النظر الدولية والمحلية ولكنها في النهاية توصلت إلى قرار مفاده أن تكون إرتريا وحدة واحدة ذات استقلال ذاتي ولكن مع الحبشة بمعنى قيام اتحاد لا مركزي بينهما سنة 1951-1952، [26] إثر هذه القرارات تم إنزال العلم البريطاني في سبتمبر 1952 ورفع العلم الأثيوبي أو ما أطلق عليه العلم الإتحادي، غير أن الحكومة الأثيوبية أعلنت في سنة 1962 ضم إرتريا إليها وأنها جزء منها وبذلك أعلنت إلغاء القرار الأممي السابق من جانب واحد، ولم تجد معارضة من القوى الأوروبية الكبرى آنذاك بل على العكس من ذلك وجدت دعماً من الولايات المتحدة الأمريكية [27] وهذا التغيير الحاصل في من يحكم إرتريا كان نقطة الانطلاق في عملية النضال الإرتري

من أجل الحصول على الإستقلال بعد سنوات طويلة قضاها الإرتريون تحت حكم الإستعمار الأوروبي سواء الإيطالي أو الإنجليزي .[28] لينجحوا في النهاية في الحصول على استقلالهم سنة 1993.

تأسيس موانئ مصوع وعصب:

يعد موانئي مصوع وعصب من أهم موانئ البحر الأحمر والذي بدوره يعد أحد أبرز الممرات المائية عالمياً علاوة على أنه من أهم طرق الملاحة الرئيسية والاستراتيجية دولياً، ووفقاً لموقعه الجغرافي فهو يربط بين ثلاث قارات هي آسيا وأفريقيا وأوروبا كما أنه يربط الشرق والغرب، وقد زادت أهميته إثر افتتاح قناة السويس أمام الملاحة كممر مائي دولي في منطقة الشرق الأوسط سنة 1869[29]، وبهذا اكتسب الميناءين أهمية دولية، علاوة على ذلك تكمن أهمية الميناءين بالنسبة لإرتريا في الموقع الجغرافي المهم لهما ووقوعهما بالقرب من مضيق باب المندب المهم دولياً فهو المدخل الجنوبي للبحر الأحمر والذي يربط بين البحر الأحمر والمحيط الهندي عند هذه النقطة. ومما تجدر الإشارة إليه أن سواحل إرتريا وشواطئها كانت منذ القدم مكاناً لاستقرار التجار مما نتج عنه تأسيس المدن التجارية فيها وكانت هناك العديد من الموانئ المهمة عبر التاريخ وأصبحت هي المنفذ التجاري الأبرز نحو دواخل إفريقيا.[30]

تعتبر مدينة مصوع من أقدم المدن في إرتريا وقد كانت منذ القدم مركزا تجارياً مهماً علاوة على ذلك تعد أقدم وأهم موانئ البحر الأحمر ومرد ذلك إلى تاريخ تأسيس مدينة مصوع نفسها والتي تشير المعلومات التاريخية إلى أن تاريخ تأسيسها يعود إلى سنة 2475 – 2625 قبل الميلاد على يد الفراعنة،[31] ويمكن الإشارة هنا إلى إعادة إحيائها كمدينة وميناء مهمة للتجارة خلال القرن العاشر الميلادي على يد العرب الذين جاءوا مهاجرين من اليمن إليها، [32] وقد كانت مصوع نقطة جذب في عملية التبادل التجاري من حيث الصادرات والواردات على مستوى دولي وموقعها الجغرافي هو الذي أسبغ عليها هذه الأهمية وتبوأت الريادة في التجارة لفترة طويلة من الزمن وهو السبب الذي من أجله أطلق عليها الإيطاليون اسم باب الامبراطورية. [33]

تقع مصوع إدارياً ضمن إقليم شمال البحر الأحمر وهي عبارة عن جزيرتين (طوالوت- رأس مدر) وشبه جزيرتين (جرار – عداقة) وقد عرفت تاريخياً باسم باضع وإلى جانب هذا الاسم كان يطلق عليها مسمى آخر هو جزيرة الريح، [34] وهي (تقع في أقصى شمال خليج حرقيقو ...) وتشير المصادر إلى سبب تسميتها باسم مصوع أن الاسم مأخوذ من كلمة صوع وهذه الكلمة

تعني في اللغة الحبشية المناداة [35]، ولم تكن هذه هي الأسماء فقط التي أطلقت عليها لكنها حملت العديد من الأسماء الأخرى خلال المراحل الزمنية المتعاقبة منها اسم باضع ولؤلؤة البحر الأحمر وغيرهما.[36]

تشغل مصوع مساحة جغرافية صغيرة نسبيا غير أنه وبعد وصول الاحتلال الايطالي إليها قاموا بتوسيع المدينة وضموا إليها مساحات جغرافية جديدة من الأراضي المحيطة بها [37]، وميناء مصوع يقع في مدينة مصوع نفسها ويحمل نفس اسمها والمدينة كانت أول عاصمة لارتريا، كما أنها تعد ثاني أكبر مدينة في الوقت الحالي بعد العاصمة أسمرة وهذا الميناء هو الميناء الرئيسي لها وأهم مرفأ في البلاد بأسرها ، هذا الميناء يبعد عن العاصمة أسمرة حوالي 120 كيلو مترا ويقع جغرافيا إلى الشرق منها.[38]

بدأت مدينة مصوع تشهد حركة تجارية وتحول مهم في أهميتها منذ وقت مبكر بعد أن قدم إليها عدد ليس بالقليل من أصحاب المراكب والتجار وبعض الصيادين الذين كانوا يعيشون في مدينة عدولس التي كانت مدينة تجارية ومحطة بحرية علاوة على كونها ميناءً تجارياً مهما في إرتريا حتى فترة القرن الرابع الميلادي، ومن هنا بدأت التجمعات ذات الصبغة التجارية تظهر وبشكل كبير في مدينة مصوع خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين. [39]

إثر مرور فترة من الزمن وتعاقب القوى التي أخضعت إرتريا لحكمها ومن بينها مصر قامت السلطات في مصر بإصدار أوامرها إلى محافظ مصوع في سنة 1867 بضرورة الاهتمام بالمدينة وبناء وتطوير أهم المرافق الموجودة بها خاصة وأنها تتبوأ موقعاً مهماً جداً يقع في طريق الملاحة الدولية ومن بين تلك المواقع التي وقع التأكيد على ضرورة إنشائها :دار للجمارك، وبناء رصيف على ميناء مصوع لتسهيل عملية شحن وتفريغ السفن وقد تكفلت الحكومة المصرية بكل مايلزم هذا التطوير من تكلفة مالية أو توفير المواد اللازمة لذلك، وبالفعل كانت هناك توسعة لمرسى مصوع إلى جانب قيامهم ببناء الأرصفة حوله[40]، وفي السياق نفسه قامت السلطات المصرية أثناء بسط سيطرتها على مصوع بإنشاء جسر يربط مابين جزيرة طوالوت ومصوع خلال الفترة مابعد سنة 1870، كما ينسب للانجليز تشييد رصيف مرفأ ميناء مصوع ذلك الذي يحيط به من ناحية الشمال،[41] ثم قام الإيطاليون بإعادة بنائه مجدداً إبان حقبة حكمهم، ثم إثر استقرارهم في إرتريا وتحديداً سنة 1935 قاموا بتوسيع مرفأ ميناء مصوع علاوة على إدخال خدمات اللاسلكي إليه عن طريق ربطه بمدينة أسمرة لاسلكيا كما حاولت إدخال نوع من التنظيم الإداري في عملية الإشراف عليه فقامت باستحداث بعض الإدارات مثل دائرة قيادة المحطة البحرية، ومفوضية المرفأ، ودائرة الجمارك، واعتبر ميناء مصوع ومرفأه من بين المرافئ الحديثة إبان فترة الحرب العالمية الثانية.[42]

بينما تنضوي عصب إداريا في نطاق إقليم جنوب البحر الأحمر، أي في أقصى جنوب صحراء دنكاليا وهي عاصمة محافظة دنكاليا،(43) وكانت

المدينة عبارة عن قرية صغيرة وفي سنة 1869 كانت مقرا لأحد المبشرين الإيطاليين ولكن في سنة 1885 تمكن الإيطاليون من احتلالها بشكل مباشر ، وقد قام الإيطاليون بأعمال توسعية في المدينة وجعلوا منها ميناءً ذا أهمية اقتصادية،[44] وتعزيزاً لجهودهم تلك قاموا ببناء طريق معبد خاص بالسيارات يربط مدينة عصب مباشرة بالحدود مع إثيوبيا،[45] وبعد فترة زمنية ليست بالقصيرة تمت إعادة بناء عصب من جديد على يد شركة يوغسلافية سنة 1958 والتي بدورها أدخلت بعض التعديلات عليه مثل إنشائها سد جبلي أمام مرفأ الميناء كنوع من الحماية للسفن الراسية فيها في مجابهة الرياح العاتية التي كانت تضرب الميناء بين الفينة والأخرى.[46] وعصب هي الميناء الثاني بالنسبة لإرتريا وتنبع أهميته من حيث موقعه الجغرافي بالقرب من باب المندب وهو ما أسبغ عليه أهمية دولية استراتيجية،[47] وتبعد مدينة عصب وميناؤها من العاصمة أسمرة حوالي 500 كيلو متر.[48]

لقد عمل الإيطاليون على ربط موانئي مصوع وعصب بباقي المدن والأقاليم الإرترية بواسطة شبكة من طرق المواصلات سواء منها سكك الحديد أو الطرق المعبدة وقد بدأوا في إنجاز السكك الحديدية بعد إحتلالهم لمصوع سنة 1885 وكانت نقطة الانطلاق فيه من مصوع ووصلوا به إلى ساهاتي بعد مرور سنتين من العمل فيه، ولم يتوقف إنشاؤه حتى وصلوا به مدينة أسمرة سنة 1909 وواصلوا في مده باتجاه أهم المدن في إرتريا حتى انتهوا به عند مدينة بيشا.[49]

الأهمية الاقتصادية الدولية لموانئي مصوع وعصب:

أدرك الأوروبيون أهمية البحر الأحمر الجيوبوليتيكية بالنسبة لمخططاتهم الاستعمارية منذ انطلاق موجة الإستعمار نحو إفريقيا إبان القرن السادس عشر [50] وعزز هذه الأهمية وجود موانئ ذات قيمة اقتصادية وسياسية عالية وينطبق هذا على كل موانئ البحر الأحمر وبشكل خاص موانئي مصوع وعصب اللذين يقعان على الجهة الغربية لباب المندب[51]، وهذا أعطى أهمية جغرافية واستراتيجية لإرتريا جعلها هدفا للصراع الدولي ومحاولة السيطرة عليها.(52) باعتبار موانئ وسواحل إرتريا المنفذ الرئيسي الذي عبرت من خلالها الهجرات القادمة من آسيا نحو إفريقيا عبر مراحل زمنية مختلفة[53] .وكذلك كان الحال مع العثمانيين الذين أدركوا أهمية ميناء مصوع تحديدا في النصف الثاني من القرن السادس عشر بعد أن استعادوا نفوذهم في البحر الأحمر إثر صدام حربي مع الأسطول البرتغالي كما سبقت الإشارة إلى ذلك، [54] وبعد مرور فترة من الزمن قام العثمانيون بنقل سلطة الإشراف على ميناء مصوع من أشراف

مكة إلى باشا مصر تقديرا له على خدماته التي قدمها للدولة العثمانية في وقوفه في وجه الوهابيين والحد من سلطتهم وخطرهم في منطقة شبه الجزيرة العربية، [55] وعقب انطلاق موجة الإستعمار الاوروبي الحديث في النصف الثاني من القرن التاسع عشر أصبحت معظم موانئ البحر الاحمر نقاط ارتكاز سياسية واقتصادية للأوروبيين في حوض البحر الأحمر منها على سبيل المثال لا الحصر ميناء عدن بالنسبة للانجليز وميناء عصب بالنسبة للايطاليين، ولحقت فرنسا بركبهما وأتخذت هي الأخرى موطئ قدم لها هناك.[56] كما زادت أهمية ميناء مصوع بالنسبة للايطاليين بعد أن اكتشفوا النفط في المنطقة الواقعة إلى الشرق من ساحل ميناء مصوع وتحديدا في جزر دهلك، ولم يكن اهتمام الإيطاليين بميناء عصب أقل من اهتمامهم بميناء مصوع فقد أرادوا منذ بداية حصولهم على ميناء عصب تأسيس محطة تجارية فيه قصد مساعدة تطوير ودعم التجارة الإيطالية في سواحل البحر الأحمر ومضيق باب المندب والشرق الأقصى بشكل عام.[57] ويمكن الإشارة هنا إلى أن الميناءين برزت أهميتهما إثر قيام وتطور الصناعة في إرتريا اعتباراً من سنة 1905 عندما تم استحداث الملاحة في ميناء مصوع في مرحلة أولى ثم ميناء عصب، حيث كانت حركة الملاحة موجهة بالأساس إلى كل من الهند واليابان وبلغت القيمة المادية لها مايفوق المليون ونصف كنتال ذهب وذلك خلال سنة 1927.[58]

كما شكل ميناء عصب ثقلا سياسيا واقتصاديا لإيطاليا لأنها كانت تبحث عن موضع لها على ساحل البحر الأحمر لتأمين خطوطها التجارية مابين ميناء البندقية الإيطالية والموانئ الهندية والصينية وأيضا لضمان تزويد سفنها بالوقود أثناء عبورها للبحر الأحمر،[59] وعززت ذلك بإنشائها مصفاة ضخمة للنفط في مدينة عصب والتي أصبحت تمد إرتريا وأثيوبيا باحتياجاتهما من النفط. ونجحت ايطاليا في ذلك بعد أن عقدت معاهدة مع منيليك حاكم شوا سنة 1881 ذات طابع تجاري استغلوها لتثبيت وجودهم في عصب عن طريق تسهيل آلية التبادل والاتصال التجاري مابين عصب والمناطق الداخلية الغنية بالمواد الأولية وبالموارد الإنتاجية المختلفة.[60] وفيما يتعلق بأثيوبيا فقد مثل مينائي مصوع وعصب أهمية اقتصادية كبيرة بالنسبة لها لأنهما المنفذان الوحيدان لها للوصول إلى البحر الأحمر والمحيط الهندي ، لأن إرتريا تفصل أثيوبيا عن البحر الأحمر وبالتالي تتحكم بشكل كامل في حركة مواصلاتها البحرية التي تعتمد كليا على مينائي مصوع وعصب الاريتريين خاصة ميناء عصب الذي كان يمر من خلاله الجزء الأكبر من الحركة التجارية الأثيوبية ومما عزز استخدام هذا الميناء وجود طريق بري يصل بينه وبين العاصمة أديس أبابا مباشرة وتحديدا إلى مناطق مصادر الانتاج الزراعي والصناعي.[61]

وفي هذا الإطار تشير معظم المصادر التاريخية إلى أهمية موانئ مصوع وعصب في المساهمة في الرفع من الاقتصاد الإرتري بكونهما المصدرين الرئيسيين للأملاح على الصعيدين المحلي والتصدير عن طريق تبخير مياه البحر الأحمر فيهما واستخراج الأملاح بعد ذلك. [62] والجدير بالملاحظة أنه وخلال العصر الحديث حافظ ميناء مصوع على أهميته التجارية حتى في أوقات الأزمات والحروب ففي مرحلة الحرب العالمية الثانية انصب تركيز الإنجليز على الاهتمام به ليظل رافدا اقتصاديا فقاموا بتطوير المرفأ التجاري، [63] وعقب انتهاء الحرب العالمية الثانية وانسحاب بريطانيا من إرتريا عملت أمريكا على الاستفادة من الفراغ السياسي والتخبط الدولي في حسم مصيرها، [64] ونجحت في إنشاء تقارب مع إثيوبيا بعد أن آل مصير إرتريا إلى الأخيرة بعد أن مكنت أثيوبيا الولايات المتحدة الأمريكية من تأمين مصالحها الاستراتيجية في البحر الأحمر عن طريق عقد عدد من الاتفاقيات معها تمنح بموجبها إثيوبيا لها حق استخدام الموانئ الإرترية في مقابل دعم الولايات المتحدة الأمريكية لبقاء السيطرة الأثيوبية على إرتريا فكان أن أُبرمت اتفاقية بينهما في سنة 1960 أهم ما جاء فيها هو منح أمريكا امتياز توسيع واستغلال ميناء مصوع وإنشاء قاعدة عسكرية أمريكية بالقرب منه وكانت في الواقع قاعدة جوية وبحرية وهو هدف استراتيجي بالدرجة الأولى في مقابل قيام أمريكا بتدريب وتسليح الجيش الأثيوبي.[65] وكما هو الحال مع الولايات المتحدة الأمريكية دخلت اسرائيل على خط المنافسة للحصول على امتيازات وموطئ قدم لها في سواحل وموانيء إرتريا وتحديدا ميناء مصوع وعصب لتحقيق أهداف اقتصادية واستراتيجية وقد نجحت في ذلك عندما سَمح لسفنها بمزاولة الصيد في الشواطئ الإرترية واتخاذ ميناء مصوع مركزا ترسو فيه تلك السفن.[66] وجاء ذلك عقب منح إثيوبيا لها هذا الامتياز إثر ضم إرتريا لأثيوبيا في الاتحاد الفدرالي كما حصلت إسرائيل على امتياز آخر تمثل في قيامها بتأمين محطات تزويد السفن بالوقود الموجودة في ميناء عصب، [67] ولم تكتف إسرائيل بذلك بل قامت بإرسال بعثة عسكرية إلى جزيرة حالب الإرترية في سنة 1970وهي جزيرة تتمتع بموقع استراتيجي على ساحل البحر الأحمر ولا تبعد عن ميناء عصب سوى بخمسة عشر كيلو مترا فقط وكان الهدف من إرسال هذه البعثة الإسرائيلية هو استئجار الجزيرة تلك وتسخير كل خدماتها الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية لصالح إسرائيل التي لم تقتصر جهودها على إيجاد موطئ قدم لها في جزيرة حالب بل نجحت في نفس السنة أي 1970 في استئجار جزيرة دهلك التي أنشأت فيها قاعدة جوية بحرية كان الهدف منها مراقبة حركة ملاحة السفن في البحر الأحمر خاصة السفن العربية. [68]ومما تجدر الإشارة إليه هو وجود مجموعة مراسي أخرى صغيرة منتشرة على طول ساحل إرتريا منها على سبيل المثال لا الحصر مرسى زولا - مرسى انجل- مرسى حرقيقو – مرسى مكعنلي – مرسى برعسولي.[69]

دور الموانئين في التبادل التجاري:

إن دور موانئي مصوع وعصب في عمليات التبادل الاقتصادي والنشاط التجاري يعود إلى سنوات بعيدة ويمكن الإشارة هنا إلى أن ميناء مصوع كانت له صلات تجارية مع مصر منذ أن كانت قبائل البجة السودانية تبسط نفوذها على مصوع وما جاورها من مناطق. [70] إبان الاحتلال الايطالي لارتريا تباينت الحركة التجارية في ميناء مصوع مابين الازدهار والركود بين الفينة والأخرى حيث مرت الحركة التجارية فيها بفترة ركود في الفترة الممتدة مابين سنتي 1898 – 1904 وجاء هذا انعكاسا للأوضاع السياسية التي أعقبت اتفاقية السلام التي تم توقيعها مابين إيطاليا وأثيوبيا والتي بدورها انعكست سلبا على الحركة التجارية لميناء مصوع، غير أن الأوضاع تغيرت بحلول سنة 1905 عندما عاد النشاط التجاري والمبادلات التجارية إلى ازدهارها بل يمكن القول أنها شهدت زيادة في عملية التبادل التجاري ومرد ذلك إلى بعض الأسباب التي يمكن الإشارة إلى بعضها على سبيل المثال لا الحصر منها التطوير الذي أدخل على خط السكك الحديدية الذي أثر إيجابا على حركة النقل إضافة إلى عودة حركة القوافل مابين إرتريا من جهة وأثيوبيا والسودان من جهة أخرى، علاوة على عامل آخر تمحور في حركة الاستيراد النشطة للمصنوعات القطنية الإيطالية وغيرها من الأسباب الأخرى.[71] ويمكن ملاحظة هذا التغير من خلال مؤشرات الارتفاع والهبوط في قيمة المبادلات التجارية حيث تشير المصادر التاريخية إلى قيمة الاستيراد في موانئ إرتريا إبان فترة الركود التجاري وتحديدا في سنة 1903 حيث كانت قيمة الإيرادات مامجموعه 9 ملايين ليرة إيطالية، ولكن مع عودة الازدهار إلى التجارة عادت وارتفعت من جديد لتصل إلى 15.5 مليون ليرة ، ولم يقتصر ذلك على حركة الاستيراد فقط بل شمل هذا التطور الصادرات أيضا حيث تراجعت إلى 4ملايين ليرة غير أنها انتعشت ووصلت إلى 8.5 مليون ليرة.[72]

يصدر من ميناء مصوع المنتجات التالية الموز المعروف باسم (موز بركة) والذي يحتاج نقله للميناء سبع ساعات فقط وكذلك يصدر منه النحاس والحبوب والعسل (11) ،كما تصدر من خلاله العديد من المنتجات الأخرى مثل الزبدة والسمسم والجلود. [73].

لقد كان لصغر مساحة إرتريا الجغرافية دورا ايجابيا في قرب المسافة بين مراكز الانتاج وموانئ التصدير كما هو الحال بالنسبة لميناء مصوع ومنطقة تسني التي تنتج الفواكه والخضروات حيث تصل المسافة الفاصلة بينهما إلى 470 كم فقط،[74] ومن هذا المنطلق يمكن القول أن ميناء مصوع أقرب إلى أن يكون الميناء الرئيسي لتصدير المنتجات الزراعية علاوة على الجلود إذا ما وضعنا في الاعتبار قرب مناطق الإنتاج من الميناء جغرافياً ، بينما أضفى موقع ميناء عصب عليه أهمية في تصديره لبعض المنتجات بشكل رئيسي مثل

الذرة والملح والقمح خاصة تلك المحاصيل القادمة من أثيوبيا، بل إنه المنفذ الأساسي لأثيوبيا في تصدير واستيراد البضائع ويتميز هذا الميناء بالحيوية ونشاط الحركة التجارية فيه.

ساهمت حركة مرور البضائع التجارية عبر مينائي مصوع وعصب سواء الصادرة منهما أو الواردة إليهما في دعم الاقتصاد المحلي الاريتري وساهم فيها بشكل كبير حركة الترانزيت (تجارة العبور) للبضائع القادمة أو المصدرة من أثيوبيا عبرهما والتي يمكن تفصيلها على النحو التالي ميناء مصوع الذي تمر عبره كل الصادرات والواردات من المنطقة الشمالية الاثيوبية أما ميناء عصب فهو الاكثر أهمية لأثيوبيا حيث أن المنتجات والواردات إلى اديس ابابا عاصمة أثيوبيا والى جانبها المناطق الوسطى والجنوبية تمر من خلاله وكان لذلك دور فعال في خدمة الاقتصاد الاريتري. (75)

ظل مينائا مصوع وعصب يحتفظان بمكانتهما الاستراتيجية وأهميتهما الاقتصادية عبر المراحل التاريخية المختلفة ومثلما كانا في السابق محط تنافس وصراع قصد السيطرة عليهما فقد استمر الوضع كذلك حتى في العصر الحديث ولكن مع اختلاف أدوات وطريقة الصراع تمشيا مع متطلبات التطور الاقتصادي وأصبح مجال التنافس والنزاع يتمحور حول عقد اتفاقيات استثمار واستنفاع لهذين الميناءين وهذا ما قامت به إحدى المؤسسات الاماراتية والموسومة بي مجموعة موانئ دبي والتي قامت باستئجار ميناء عصب ومطار عصب المجاور له في العام 2015 ولمدة ثلاثين عاما في مقابل حصول اريتريا على ما نسبته 30% من عائدات الميناء وتم الاتفاق بينهما أن يدخل المشروع حيز التنفيذ ويبدأ التشغيل سنة 2018.

خلال السنوات القليلة الماضية ومنذ اندلاع ما اصطلح على تسميته بالربيع العربي في بعض البلدان العربية بدأت دول القرن الإفريقي تسعى جاهدة للاستفادة من هذه التجربة ولكن بطريقة مختلفة خاصة وأنها ليست بمنأى عنها إذا ما ذكرت ثورة اليمن التي تقع على الضفة المقابلة لها من البحر الأحمر ، وعليه عملت بعض الدول على محاولة إحداث نوع من الاستقرار خاصة أثيوبيا التي أدركت الأهمية القصوى لموقعها إلى جانب موقع إرتريا الجغرافي والجيوسياسي كما سعت إلى الاستفادة من الاهتمام الكبير الذي أضحت تحظى به موانئ البحر الأحمر من قبل القوى الفاعلة في هذه المرحلة التاريخية المهمة مثل الولايات المتحدة الأمريكية والصين واليابان إلى جانب القوى الأوروبية الكبرى التقليدية كما يلاحظ دخول تركيا على خط المنافسة أيضا.

إن هذه الخطوات السياسية لأثيوبيا جاءت لمد جسور العلاقات الجيدة مع إرتريا بوابة إثيوبيا على البحر الأحمر وتحديدا ميناء عصب إثر احتدام التنافس الدولي حوله مع غيره من الموانئ في المنطقة وخشية أثيوبيا أن تفقد هذا الميناء وبالتالي يتعرض اقتصادها إلى الضرر لذلك أعلن رئيس وزراء إثيوبيا في سنة 2018 مد يد التعاون والعلاقات الجيدة إلى إرتريا.(76)

المصادر والمراجع:

(1) قراش، عبدالرحمن، العلاقات البريطانية الأثيوبية من حملة(نابيير) إلى غاية تحرير أثيوبيا، مجلة تاريخ العلوم، العدد 7 ، جامعة الجلفة، الجزائر، 2017، ص 147؛ هريدي، فرغلي على تسن، تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر: الكشوف- الإستعمار- الإستقلال، العلم والايمان للنشر والتوزيع، الاسكندرية،2008، ص 139.
(2) الجابري، محمد، موسوعة دول العالم حقائق وأرقام، مجموعة النيل العربية، القاهرة، 2000، ص 63.
(3) (Library of Congress, Eritrea-Maps,Call Number\Physical Location: G8340 1993.U51 Library of Congress Geography and Map Division Washington,D.C.20540465- http://hdl.loc.gov/loc.gmd/g8340.ct001670 USA
(4) أبوبكر، محمد عثمان، تاريخ إرتيريا المعاصر: أرضا وشعبا، القاهرة، 1994، ص 132.
(5) حقوص، مني نجاشي رزقو، تطور الاعلام الإرتري في زمن الثورة دراسة تحليلية تاريخية للاعلام المسموع والمقروء من (1961 – 1991) ، جامعة الشرق الأوسط، كلية الاعلام، الأردن، مايو 2011، ص 17
(6) محمد عثمان أبوبكر، تاريخ إرتيريا المعاصر، ص 14.
(7) المرجع السابق، ص 18، 30.
(8) ني حقوص، المرجع السابق ،ص 31.
(9) طبيب، الزهراء، الصراع الايطالي الاثيوبي 1896 – 1936، رسالو ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية/ قسم التاريخ، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، 2016 – 2017، ص 16.
(10) شاكر، محمود، اريتريا والحبشة، المكتب الاسلامي، بيروت، 1983، ص 15.
(11) سبي، عثمان صالح، تاريخ أريتريا، المكتبة الإريترية،(د.ت)، 59-60؛ محمد أبوبكر، تاريخ إرتيريا المعاصر، ص 114، 118؛ عثمان سبي، جغرافية إرتريا، ص 54.
(12) صائغ، أبوبكر، الآثار التاريخية شاهدة على قدم الحضارة الإرترية: مدينة مصوع نموذجا، مجلة الناقوس، العدد الثاني، مجلة فصليةيصدرها المكتب الثقافي لرابطة أبناء المنخفضات الإرترية، 2017، ص 2.
(13) محمود شاكر، اريتريا والحبشة ، ص 19.
(14) عثمان سبي، تاريخ أريتريا،ص 60.
(15) المرجع السابق، ص 64.
(16) أوغلي، أكمل الدين احسان، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة،ترجمة صالح سعداوي، مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية، اسطنبول، 1999،ص 43.
(17) سبي، عثمان صالح، الصراع في حوض البحر الأحمر عبر التاريخ، دار الفجرالجديد للباعة والنشر،ص 24؛ محمد أبوبكر، تاريخ إرتيريا المعاصر ، ص 116؛ أحمد، يوسف، الاسلام في الحبشة: وثائق صحيحة قيمة عن أحوال المسلمين في مملكة إثيوبيا من شروق شمس الاسلام إلى هذه الأيام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،2015، ص 34.
(18) اودوريتسي، الكافاليره دانته، المستعمرة الإريترية: مفوضية مصوع الاقليمية، ترجمة جوزيف صفير، تقديم عثمان صالح سبي، جبهة التحرير الإرترية - قوات التحرير الشعبية، 1910. ص 136.

(19) محمد أبوبكر ، تاريخ إرتيريا المعاصر، ص -378 ،379،381.
(20) عثمان سبي، الصراع في حوض البحر الأحمر ..،ص35.
(21) تريفاسكيس، ج، كـ، ن، إرتريا مستعمرة في مرحلة الانتقال 1941 – 1952، ترجمة جوزيف صفير، دار المسيرة، بيروت، 1977، ص 26.
(22) اودوريتسي ، المستعمرة الإريترية، ص 11-12؛ عثمان سبي، الصراع في حوض البحر الأحمر ، ص 38.
(23) Gallica BNF, Environs de Massouah : Supplément au Journal Le Temps / Gillot sc. 1890, Bibliothèque nationale de France, GED-5703, http://catalogue.bnf.fr/ark:/12148/cb406517372
(24) تريفاسكيس، إرتريا مستعمرة في مرحلة الانتقال 1941 – 1952، ص 28.
(25) عثمان سبي، تاريخ أريتريا،ص 181.
(26) تريفاسكيس، إرتريا مستعمرة في مرحلة الانتقال 1941 – 1952، ص 150-151.
(27) محمود شاكر، اريتريا والحبشة ، ص 76، 79، 82، 84.
(28) الشهري، زهير بن عبدالله بن عبدالكريم،نشاط الكيان الصهيوني في الجزر الجنوبية للبحر الأحمر -13981367هـ / 1948-1978: دراسة تاريخية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 55،جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دار المنظومة، 2019، ص 355.
(29) تريفاسكيس، إرتريا مستعمرة في مرحلة الانتقال 1941 – 1952، ص 223-224.
(30) محمد أبوبكر ، تاريخ إرتيريا المعاصر، ص 104-105، 119؛ تريفاسكيس، إرتريا مستعمرة في مرحلة الانتقال 1941 – 1952، ص 23.
(31) سبي، عثمان صالح ، جغرافية إرتريا، دار الكنوز الأدبية،بيروت، 1983، ص 163.
(32) أبوبكر صائغ، الآثار التاريخية شاهدة على قدم الحضارة الإرترية، ص 1.
(33) سبي، عثمان صالح ، جغرافية إرتريا، ص 185.
(34) محمد أبوبكر، تاريخ إرتيريا المعاصر، ص 290.
(35) عثمان سبي، جغرافية إرتريا، ص 174؛ اودوريتسي، المستعمرة الإريترية، ص 103.
(36) اودوريتسي، المستعمرة الإريترية، ص 103.
(37) أبوبكر صائغ، الآثار التاريخية شاهدة على قدم الحضارة الإرترية..، ص 1.
(38) اودوريتسي، المستعمرة الإريترية، ص 103.
(39) مني حقوص، تطور الاعلام الإرتري في زمن الثورة ، ص 19.
(40) اودوريتسي، المستعمرة الإريترية، ص 105، 106.
(41) محمد أبوبكر ، تاريخ إرتيريا المعاصر، ص 384 – 385، 394.
(42) المرجع السابق، ص 285.
(43) اودوريتسي، المستعمرة الإريترية، ص ، 112.
(44) محمد أبوبكر، تاريخ إرتيريا المعاصر، ص 365.
(45) عثمان سبي، جغرافية إرتريا، ص 175.
(46) طبيب، الزهراء، الصراع الايطالي الاثيوبي 1896 – 1936، ص 74.
(47) عثمان سبي، جغرافية إرتريا، ص 175.
(48) المرجع السابق، ص 186.
(49) مني ن حقوص، تطور الاعلام الإرتري في زمن الثورة ،ص 17.

(50) رستم، جمال عبدالرحمن، التنافس الإقليمي والدولي في البحر الأحمر وأثره على أمن الدول المتشاطئة، المركز العربي للبحوث والدراسات، يناير 2020؛ محمد أبوبكر، تاريخ إرتيريا المعاصر، ص166.
(51) عثمان سبي، تاريخ أريتريا،ص 145.
(52) مني حقوص، تطور الاعلام الإرتري في زمن الثورة ،ص 3؛ عثمان سبي ، جغرافية إرتريا، ص 19.
(53) محمود شاكر، اريتريا والحبشة ، ص 68.
(54) محمد أبوبكر، تاريخ إرتيريا المعاصر ، ص 118.
(55) عثمان سبي، الصراع في حوض البحر الأحمر ،ص 31-32 .
(56) المرجع السابق، ص25-26.
(57) محمد أبوبكر، تاريخ إرتيريا المعاصر ، 126.
(58) مني حقوص، تطور الاعلام الإرتري في زمن الثورة ، ص22.
(59) عثمان سبي ، الصراع في حوض البحر الأحمر ، ص 34.
(60) محمد أبوبكر، تاريخ إرتيريا المعاصر، ص 366، 407.
(61) عثمان سبي، جغرافية إرتريا، ص 20، 174 ،175.
(62) أبوبكر، محمد عثمان، تاريخ إرتيريا المعاصر، ص 159.
(63) تريفاسكيس، إرتريا مستعمرة في مرحلة الانتقال 1941 – 1952، ص 71.
(64) عثمان سبي ، الصراع في حوض البحر الأحمر عبر التاريخ ،ص45.
(65) زهير بن عبدالله بن عبدالكريم الشهري، ،نشاط الكيان الصهيوني في الجزر الجنوبية للبحر الأحمر، ص 355، 362.
(66) محمود شاكر، اريتريا والحبشة ، ص 68.
(67) عثمان سبي، الصراع في حوض البحر الأحمر عبر التاريخ، ص 48.
(68) هير بن عبدالله بن عبدالكريم الشهري، ،نشاط الكيان الصهيوني في الجزر الجنوبية للبحر الأحمر، ص 371.
(69) عثمان سبي، جغرافية إرتريا، ص 176.
(70) عثمان سبي، الصراع في حوض البحر الأحمر عبر التاريخ، ص 18؛ محمد أبوبكر، تاريخ إرتيريا المعاصر، ص 116.
(71) الكافالييره دانته اودوريتسي، المستعمرة الإريترية، ص 113.
(72) المرجع السابق، ص 114.
(73) المرجع السابق، ص160.
(74) عثمان سني، جغرافية إرتريا، ص 14.
(75) محمد أبوبكر، تاريخ إرتيريا المعاصر، ص 166، 366، -499 500.
(76) السبيطلي، محمد، القرن الأفريقي في ظل الصعود الأثيوبي تسويات ومصالحات وتنافس على الموانئ،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض،(د. ت)، ص 4،10.

قائمة المصادر والمراجع:

(1) أبوبكر، محمد عثمان، تاريخ إرتيريا المعاصر: أرضا وشعبا، القاهرة، 1994.

(2) أحمد، يوسف، الإسلام في الحبشة: وثائق صحيحة قيمة عن أحوال المسلمين في مملكة إثيوبيا من شروق شمس الإسلام إلى هذه الأيام، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة،2015.

(3) الجابري، محمد، موسوعة دول العالم حقائق وأرقام، مجموعة النيل العربية، القاهرة،2000.

(4) أوغلي، أكمل الدين احسان، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة،ترجمة صالح سعداوي، مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية، اسطنبول، 1999.

(5) السبيطلي، محمد، القرن الأفريقي في ظل الصعود الأثيوبي تسويات ومصالحات وتنافس على الموانئ،مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض،(د. ت).

(6) الشهري، زهير بن عبدالله بن عبدالكريم،نشاط الكيان الصهيوني في الجزر الجنوبية للبحر الأحمر 1367-1398هـ / 1948-1978: دراسة تاريخية، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 55، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، دار المنظومة، 2019.

(7) رستم، جمال عبدالرحمن، التنافس الإقليمي والدولي في البحر الأحمر وأثره على أمن الدول المتشاطئة، المركز العربي للبحوث والدراسات، يناير 2020.

(8) سبي، عثمان صالح، تاريخ أريتريا، المكتبة الإريترية،(د.ت).

(9) سبي، عثمان صالح، الصراع في حوض البحر الأحمر عبر التاريخ، دار الفجرالجديد للباعة والنشر، د. ت).

(10) سبي، عثمان صالح، جغرافية إرتريا،دار الكنوز الأدبية،بيروت، 1983.

(11) شاكر، محمود، اريتريا والحبشة، المكتب الاسلامي، بيروت، 1983.

(12) صائغ، أبوبكر، الآثار التاريخية شاهدة على قدم الحضارة الإرترية: مدينة مصوع نموذجا، مجلة الناقوس، العدد الثاني، مجلة فصليةيصدرها المكتب الثقافي لرابطة أبناء المنخفضات الإرترية، 2017.

(13) حقوص، مني نجاشي رزقو، تطور الاعلام الإرتري في زمن الثورة دراسة تحليلية تاريخية للاعلام المسموع والمقروء من (1961–1991) ، جامعة الشرق الأوسط، كلية الاعلام، الأردن، مايو 2011.

(14) اودوريتسي، الكافاليره دانته، المستعمرة الإريترية: مفوضية مصوع الاقليمية، ترجمة جوزيف صفير، تقديم عثمان صالح سبي، جبهة التحرير الإرترية - قوات التحرير الشعبية، 1910.

(15) تريفاسكيس، ج، كـ، ن، إرتريا مستعمرة في مرحلة الانتقال 1941 – 1952، ترجمة جوزيف صفير، دار المسيرة، بيروت، 1977.

(16) طبيب، الزهراء، الصراع الايطالي الاثيوبي 1896 – 1936، رسالو ماجستير، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية/ قسم التاريخ، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، 2016 – 2017.

(17) هريدي، فرغلي على تسن، تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر: الكشوف- الإستعمار- الإستقلال، العلم والايمان للنشر والتوزيع، الاسكندرية،2008.

الدوريات:

قـراش، عبدالرحمـن، العلاقـات البريطانيـة الأثيوبيـة مـن حملة(نابيـير) إلى غاية تحريـر أثيوبيـا، مجلـة تاريـخ العلـوم، العـدد 7 ، جامعـة الجلفـة، الجزائـر، 2017.

المراجع الأجنبية:

1. Library of Congress, Eritrea–Maps,Call Number\Physical Location: G8340 1993.U51 Library of Congress Geography and Map Division Washington,D. C. 205404650– USA dcu,http://hdl.loc.gov\loc.gmd\g8340.ct001670
2. Gallica BNF, Environs de Massouah : Supplément au Journal Le Temps / Gillot sc. 1890, Bibliothèque nationale de France, GED–5703,
3. http://catalogue.bnf.fr/ark:/12148/cb406517372